شرح كتب الإمام المهدي
من مختصر صحيح مسلم
للوزير المختار

تفصيل الشيخ
د. محمد باشا الأعبري

المؤملين
وقف
ربع هذا الكتاب
وقف لله تعالى
 شركة بيان الخير للدعاية والإعلان
Bayan Al-Khair Advertising & Publishing Co.

24827007 - 24826006 - 24825005
E-mail:bayanadv@yahoo.com
الكويت - منطقة الشويخ الصناعية - شارع الصحافة
شرح كتاب الإسلام من مختصر صحيح مسلم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعود بالله من شرور أنفسنا، وسخط أجسامنا، من يهدى الله فلا مأصل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

إلا أصدق الحديث كلام الله، خير الهدي هدي محمد نذير، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضالة، وكل ضالة في النار.

ثم أما بعد: فهذا شرح لكتاب: "الإيمان" من مختصر الإمام المنذري لصحيح الإمام مسلم (1)، رجعنا به النفع للعلم والخاص، واستخلصناه من شروح أهل العلم، كالإمام النووي، والحافظ ابن حجر، وغيرهما.

ومعرفة المسلم بمعنى أحاديث هذا الكتاب: نقيه بعون الله تعالى.

الزئل الذي وقفت فيه فرق كثيرة، خالفت به الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة فيما اعتقدت وأصلحت، فجملت وأصلحت، وما ذاك إلا لجهلها.

(1) وقد يسر الله تعالى شرحه في دروس مسجد موضي الرشيدي، بباحة صباح الناصر بالكويت، فله الحمد والمنة، وكذلك في دوره العلامة محمد بن صالح العثيمين، في مسجد الزين في بيان.
شرح مختصر صحيح مسلم

بما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ، وصحبه الكرام في هذه الأبواب

العقيدة الخطيرة.

والجهل بنصوص الشرع وأحكامه من أعظم أسباب الضلال والإسلام.

كما قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينززعه من العباد،
ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً؛ أتخذ الناس
رؤوساً جهالاً، فسندوا، فأتقوا غير علم، فضلوا وأضلوا". (1)

فمن طفّى مصادح العلم عنده، تغطت في ظلال الجهل والضلال.

ثم اتباعها هواها (أعني تلك الفرقة) بمخالفته مواها، وقد جمع الله تعالى
بينهما في قوله سبحانه: "إِنْ يَبْعَثُنَّ إِلَّا آٓيَةً وَمَا مَثْلُ الْأَيَّامِ" [النجم: 33].

وقد نزى الله تعالى رسوله المصطفى ونبيه المجتئ عنهما، فقال
مُفسِّرًا: "وأَلْتَجْرِي إِذَا هَوَىٰ مَثَلًا سَاَحِيًّا وَمَا عَلَىٰ" [النجم].

وأخبر أنه كان سيبأ لهلاك الأمة الغنيدة، فقال: "عَذَّلَا جَآءَهُمْ رَسُولُ يَمِينًا لا يَبْتَغُونَ فَرَبَيْنِ فَقَدْ رَفَعَهَا وَقَبَّرَهَا يَبْتَغُونَ" [المائدة].

فعصوا رحمتهم بكذيب رسولهم، بل بقينهم! لأن أتباعهم أهواءهم، فبالعلم
النافع، والابتعث الصادق؛ تكون النجاة في الدنيا والآخرة، واللحيج برك
الزهيل الأول، ﷺ، ورحمهم الله تعالى.

عن عاصم قال: قال أبو العالية، تعالى: "تعلموا الإسلام، فإذا
تعلموه فلا ترغبو عنه، وعليكم بالصبر المستقيم، فإنه الإسلام، ولا
تجنُّروا الإسلام ميماناً وشمالاً، ولا عليكم بستة نبيكم، والذي عليه

(1) رواه البخاري في العلم (194/1) في الاعتصام بالكتاب والسنة (282/3)، ومسلم
في العلم (58/4) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء، التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء»,
قال: فحدثنا الحسن، فقال: صدد ونصح. (1)

وغير هذا المناهج، تتجرف الأمة عن الجادة القوية، وتفقد القيمة الإسلامية ما ترنو إليه من عز، ونصر، وتمكن، وفخار، ورفعة، ومجد.
فالله أرنا الحق حقة، وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله مثنيا علينا تفتيحًا، وأحنيا على الإسلام والسنة، وأمننا عليهما، برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحان الله زينًا وبحمده، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك
وأنتوب إليك.
وصلى الله على نبئنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

**  **  **

(1) الشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكاني (56/1).
ترجمة الإمام مسلم

قبل أن نبدأ بشرح أحاديث الكتاب نقدم بين يدي ذلك ترجمة الإمام مسلم، تتبعاً بترجمة مختصرة للكتاب.

5 اسمه ونسبه:
هو الإمام الكبير الحافظ الحجّة: أبو الحسن مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري من بني قشير، قبيلة من العرب مروفة النسب، صاحب الصحيح.
قبل: إنه وُلد سنة أربع وثمانين.

5 سماعه للحديث:
وأول سماعه للحديث في سنة ثمان عشرة من يحيى بن يحيى التيمي.
وحجّ في سنة عشرين، وهو أثر، فسمع بمكة من الفقه، فهو أكبر شيخ له، وسمع بالكوفة من أحمد بن يعوس، وجماعة، وأسفر إلى وطنه، ثم ارتحل بعد أعمار قيل الثلاثين، وأكثر عن علي بن الجعد، لكنه ما روى عنه في الصحيح شيئاً، وسمع بالعراق، والحرين، ومصر (1).

5 شيوخه:
أحمد بن حبيل، وأحمد بن منيع، وإسحاق بن راهويه، وسعيد بن منصور، وعبد الله الدارمي، وعلي بن خشرم، وعثمان بن أبي شيبة، وقبيبة.

(1) تسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (558/12)
شرح مختصر صحيح مسلم

بن سعيد، ومحمد بن يحيى العذلي، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهم، وعندهم: متنان وعشرون رجلاً، أخرج عنهم في الصحيح.

ومن أعظم شيوخ البخاري.

قال الدارقطني: "لاولا البخاري ما راح مسلم ولا جاه".

الراونون عنه:

أبو عنسة الترمذي في جامعه وصالح جزرة، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو بكر بن خزيمة، وأبو العباس السراج، ويحيى بن محمد بن صاعد، والحاافظ أبو عوانة، وغيرهم.

اقول العلماء فيه:

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: كان مسلم ثقة من الحفاظ، كتب عن

بالتبيّن، وشِيّل أبي عنه، قال: صدوق.

قال أبو قريب الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول: حفاظ الدنيا

أربعة: "أبو زرعة بالري، وسلم بن نسابور، وعبد الله الدارمي بسمرقند،

ومحمد بن إسماعيل بخارى".

قال أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم الحافظ: "إذما أخرجت

نسبور ثلاثة رجال: محمد بن يحيى، وسلم بن الحجاج، وإبراهيم بن

أبي طالب".

وقال الحاكم: سمعت أبا الفضل محمد بن إبراهيم يقول: سمعت

أحمد بن مسلم يقول: "رآيت أبا زرعة، وأبا حاتم يقدمان مسلم بن

الحجاج في معرفة الصحيح، على مشابه عصرهما".

الموارد: الشئ"
قال الحاكم: سمعته أبا عبد الرحمن السلمي يقول: "رأيت شيخًا حسن الوجه والثياب، عليه رداء حسن وعمامة قد أرخاه بين كتفيه، فقال: هذا مسلم، فتقدم أصحاب السلطان، فقالوا: قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين، فدعوه في الجامع، فكبر وصلى بالناس.

تاويله الصحيح، وأقوال العلماء فيه:

قال أحمد بن سلامة: كنت مع مسلم في تأليف "صحيحه" خمس عشرة سنة.

قال: "وهو أثنا عشر ألف حديث" قال الذهبي: "يعني بالمكرر".

وقال الحافظ ابن منده: سمعت أبا علي النيسابوري الحافظ يقول: "ما تحت اسم كتاب أصح من كتاب مسلم".

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة مسلم: "صاحب الصحيح" الذي هو تلو "صحيح البخاري" عند أكثر العلماء، وذهبت المغارية وأبو علي النيسابوري من المشاركة إلى تفضيل "صحيح مسلم" على صحيح البخاري، فإن أرادوا تقديمه عليه في كونه ليس فيه شيء من التعلقات إلا القليل، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها في موضوع واحد، ولا يقطعها كتسقط البخاري لها في الأبواب، فهذا القدر لا يوازي قوة أسانيد البخاري وأحتياره في "الصحيح" لها ما أورده في جامعة معاصرة الراوي لشيخه، وسمع منه".

(1) "سير أعلام النبلاء" (4566/12).
(2) "البداية والنهابة" (36/11).

(3) خبر: يمية
شرح حكواتي الإمام من مختصر صحيح مسلم

وقال النووي: "اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز: الصحيحان: البخاري، ومسلم، وتلقهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائده ومعارفه، ظاهرة وغامضة، وقد صبح أن مسلمًا كان من يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث.

وهذا الذي ذكرناه من ترجمة كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير، وأهل الإفهام، والذين، والقنى، والنصوص على أسرار الحديث" (1).

مصروفات الإمام مسلم الأخرى:

أكبر الإمام مسلم من التأليف، وهذه بعض تأليفه المطبوعة غير الصحيح:

1 - الأسماي والكتني.

2 - التمييز.

3 - الجامع.

4 - الطبقات.

5 - المنفردات والوحدان.

6 - رجال عوارة بيل الزبير وجماعة من التابعين وغيرهم (2).

وفاته وسبحه:

قال أحمد بن مسلمة: "وعقد لمسلم مجلس للمذاكرة، فقال له (1) مقدمة "شرح صحيح مسلم" (1/4)، وقد ذكر بعد ذلك بقية مراجحات لصحيح البخاري على " الصحيح مسلم" فأنظرها إن شئت. (2) انظر: "السيرة" (1/4/575)، ومقدمة "الطبقات" لل-lg مشهور بن حسن.اللهم آثر}.
حديث لم يعرفه، فانصرف إلى منزله، وأوقف السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخل أحد منكم، فقيل له: أهليت لنا سلة من تمر، فقال: قدموها، فقدموها إليه، فكان يطلب الحديث وياخذ تمرة تمرة، فأصبح وقد في النマー، ووجد الحديث.

قال الطبري: رواه أبو عبد الله الحاكم ثم قال: زادني الثقة من أصحابنا: أنه منها مات(1).

وكان ذلك في شهر رجب سنة إحدى وستين وثمانين بنيسابور، عن بضع وخمسين سنة.

فرحه الله تعالى رحمة واسعة، وجعل الفردوس الأعلى مثواه، أمين.

***

(1) سير أعلام النبلاء (12/144) 574.
ترجمة الحافظ المنذرى مختصر "الصحيح"

هو الإمام العلامة الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذرى ، الشامي الأصل ، المصري ، الشافعي.

- مولده:
  ولد في غرة شعبان ، سنة إحدى وثمانين وخمسين.

- طلبه للعلم:
  قرأ القرآن ، وتعلم ، وتغلب ، ثم طلب علم الحديث وبرع فيه.

- شيوخه:
  سمع من أبي عبد الله محمد بن حمد الأرنثي ، وهو أول شيخ له ، وذلك في سنة إحدى وتسعين ، ومن عمر بن طبيرذ ، وهو أعلى شيخ له ، ومن يونس بن يحيى الهاشمي ، لقبه بمكنة ، وجهاد بن محمد بن آمجان ، ألقى عليه بالمدينة ، وعلي بن المفضل الحافظ ، ولاذبه مدة ، ويه تخرج ، والإمام موفق الدين ابن قدامة ، وخلق كثير لقيهم بالحرم ، ومصر ، والشام ، والجزيرة.

- تلاميذه:
  حدث عنه جماعة ، منهم: الحافظ الدمعي ، وقد تخرج به ، والعلامة

(1) سير أعلام النبلاء (32) 220.
تقي الدين ابن دقوق العبد، واليونسي أبو الحسين، وإسماعيل بن عساكر، والشريف عز الدين.

٦٦ اقوال العلماء فيه:
قال الشريف عز الدين الحافظ: "كان شيخنا زكريا الدين عميد التَّظهِر في علم الحديث على اختلاف فنونه، عالماً بصحيحه، وسقيمه، ومعلوله، وطرقة ما بتقُّر في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكلته، فيما بعرفة غريبه وإعرابه، واختلاف ألفاظه، ماهرًا في معرفة رواته، وجرحهم، وتعديلهم، وقواعدهم ومواليدهم، ومخابراتهم، إمامًا حجة ثبتًا ورعبًا، متجدًا فيما يقوله، مكتَّبًا فيما يرويه" (١).
وقال الذهبي: "لم يكن في زمانه أحفظ منه".
وقال الدمياطي: "هو شيخي ومخرجي، أتيته مبتذلاً، وفارقه معبدًا له في الحديث" (٢).

٦٦ وظائفه:
قال الحافظ عز الدين الحسيني: "درس شيخنا بالجامع الظاهري، ثم ولي مشيخة الدار الكاملة، وانتفع بها عاكفًا على العلم".

٦٦ من أخباره:
أنه أتى في الديار المصرية، ثم انقطع عن الإقامة، ولانقطاعه هذا سبب طريف، ينبع عن إنصافه وسماحة نفسه وعرفاه الفضل لذويه، وقد أشار إلى ذلك الحاج السبكي قائلًا: "سمعت أبي (أي تقي الدين السبكي) (١) مقدمة "مختصر صحيح مسلم".
(٢) فيسير أعلام النبلاء" (٣٢٢/٢).
شرح مختصر الإيمان من مختصر صحيح مسلم

يذكر أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام كان يسمع الحديث قليلاً بدمشق، فلما دخل القاهرة بطل ذلك، وصار يحضر مجلس الشيخ زكي الدين، أي المنذر، ويسمع عليه في جملة من يسمع، ولا يسمع، وإن الشيخ زكي الدين أيضًا ترك الفتاوى، وقال: حيث دخل الشيخ عز الدين لا حاجة بالناس إلي! (1).

5. أشهر مؤلفاته (2):

1. الترغيب والترهيب (3).
2. مختصر صحيح مسلم: وقد طب بتحقيق العلامة الراحل الألباني، وهو الذي شرختنا أحاديث كتاب الإيمان منه.
3. مختصر سنن أبي داود.
4. شرح النبيك، لأبي إسحاق الشيرازي في الفقه الشافعي.
5. أربعون حديثًا في فضل اصطناع المعروف.
6. الإعلام بأخار شيخ البخاري محمد بن سلام.
7. معجم شيوخه.
8. عمل اليوم والليلة، وغيرها.

5. وفاته:

توفي في رابع ذي القعدة، سنة ست وخمسين وستمائة، ورثاه غير واحد بقصائد حسنة.

(1) مقدمة مختصر مسلم.
(2) مقدمة المختصر.
(3) وقد طبع أخيرًا محققًا بقسميه الصحيح والضعيف، بتحقيق العلامة الألباني رحمه الله تعالى.
الحمد لله الرحيم الغفار، الكريم القهار، مقلب القلوب والأبصار، عالم الجهر والأسرار، أحمد حمدان دائمًا بالعشي والإيبار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجي قاطعها من عذاب النار، وأشهد أن محمدًا نبي الله المختار، ورسوله المجتهد من أشرف نجوم، صلى الله عليه وعلى أهله وأزواجه وأصحابه الجدداء بالتعليم والإكبار، صلاة دائمة باقية بقاء الليل والنهار.

وبعد: فهذا كتاب اختصرته من "صحيح" الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج الفشيري النيسابوري، اختصارًا يسهل على حافظه، ويزدهر للناظر فيه، وربته ترتيبًا يسرع بالطالب إلى وجد مطلبه في مظفته، وقد تضمّن مع صغير حجمه جمل مقصود الأصل، وإلى الله سبحانه أن يرغب في أن ينفعه به، وقارئه، وكاتبه، والناظر فيه، إنه قريب مجيب.

الشرح

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن أهدي بهداه، وبعد:

فهذا مختصر "صحيح مسلم" لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، وهو في الدرجة بعد صحيح الإمام البخاري أبي عبد الله على
القول الصحيح المشهور عند علماء الأصول والحديث، وقد اختصره الإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذر في مجلد واحد كبير.

قوله: "اختصارًا يسهله على حافظه، ويقربه للناظر فيه، وترتيبه ترتيبًا يسرع بالطالب إلى وجوه مطلبه في مظته": وهذا يدل على أنه تصرف في تغيير بعض الأحاديث، ووضعها في أبواب قد تقدم وقد تأخر تسهيلًا لطلبة العلم، وأخير أنه قد تضمن جُلُّ مقصود الأصل.

وقوله: "وأشهد أن محمداً نبيه المختار، ورسوله المجتهد من أشرف نجار"، النجار: هو الأصل والحساب، فالرسول خيار من خيار من خيار، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث مسلم وغيره: "إن الله أصطفى من ولد إسماعيل كنانة، وأصطفى من كنانة قريش، وأصطفى من قريش بني هاشم، وأصطفاني من بني هاشم" فهو عليه الصلاة والسلام خيار من خيار من خيار.

** ** **
شرح مختصر صحيح مسلم

إبتدأ الإمام مسلم كتابه بالإيمان، والإمام البخاري، ابتدا كتابه ببدء الوحي.

لا يدُّ أن نتعلم أن الإمام مسلم لم يضع أبوابًا لكتابه الصحيح، وإنما الذي وضع التهيب هو الإمام النووي، والتهيب الذي يوجد الآن في صحيح الإمام مسلم ليس من صحيح مسلم، وإنما هو من صحيح الإمام النووي.

باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله: فهي أول كلمة الإيمان، أول ما يدخل به العبد إلى الإسلام هو هذه الكلمة.

قوله: «أول الإيمان»: لأن الإيمان يراد به الإسلام إذا جاء مفردًا عن الإسلام؛ لأن لفظي الإسلام والإيمان إذا اجتمعتا افتراقًا في المعنى، وإن افترقتا اجتمعتا في المعنى، فيمكن أن تُعبَر الإسلام بالإيمان، وعن الإيمان بالإسلام.

* * *
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم


قال شعبة: ورثما قال: التغيير. وقال: «اجتموا، وأخبروا يه من وزراءكم».

ورأى ابن معاذ في حديثه عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لياض مسلم: ألم تأبر عبد الفاتس؟ إن فيك لخصميتين محببانا الله: الحلم والأنام.

الشرح:

لكثرتهم على ابن عباس، فكان يوصل كلامه للناس.
قوله: «فأطعنت الحرة ناقة للنبيّ عليه السلام» استدل به على جواز أن يسمع الرجل الأجنبي صوت المرأة، وأن تسمع المرأة صوت الرجل الأجنبي للمحاجة، كاستفتاء، ويع وشراء، ونحو ذلك.
والجر: هو ما يعرف بالجرار، واحتدتها جروة، والنبيذ: ما ينقذ في الماء من السير والتعلق وغيره، فكانت العرب تتبذ النمر في الماء لإصلاح طعم الماء؛ لأن الماء أحياناً يكون فيه ملوحة، فيضعون فيه شيئًا من النمر لأفرجل الحلاوة، ولأنه شرب شهير عندهم، فيضعونه في الجر.
فلما سأله قال ابن عباس: "إني وقد عمدت القبضي أتيروا رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "من الوفد أو من القبضي" قالوا: "ربيعة" يعني من قبائل ربيعة.
قوله: "قال مرجيّبا بالقودم أو بالقودم غير حزابا، ولا ندامى" خزابا جمع خزابان، وهو من الجزي، إما يراد به هنا الخجل، وإما أن يراد به الذل، فقال لهم: مرحبا بكم، واتركوا عنكم الحياة، أو أنه لا ذَل عليكم، وندامي جمع ندامان، وفي اللغة: الأصح أن تكون: نادمين، لكن قال: ندامئ، لتكون موافقة لقول خزابا، فتكون أجمل في السياق.
قوله: "فقالوا: يا رسول الله إننا نأتيك من شقة بعيدة" الشقة تعني السفر البعيد، يصح فيه ضم الشين وكسرها، لكن لغة القرآن بالضم، وسمايت شقة؛ لأنها تشمُّ على الإنسان لقطع المسافة فيها.
قوله: "وإن بيننا وبينك هذا الحَيَّ من قبائل مصر" يعني قبيلة مصر، كان بينهم وبين النبي ﷺ قبيلة مصر، وكانوا كفارًا، ويحفظون من بأسهم وحربهم.
قوله: "وإذًا لا تستطيع أن تأتيك إلا في شهر الحرام"، وهذا يدل على أن الجاهلية كانت تحرم القنال في شهر الحرام، لكن كما أخبر الله عز وجل عنهم أنهم كانوا يتلاعبون في التحريم، فقدمون الشهر الحرام إلى صفر، لأجل أن يستبيحوا القنال في شهر الحرام، وبما يقتضي في السنة التي بعدها من صغر إلى ربيع الأول، وعليها إلى ربيع الثاني، فيتلاعبون بالأشعر، حتى تدور السنون، فرجع مرة أخرى الحرام، إلى شهر الله الحرام.

قوله: "فمَلَأْ مَرْضَا قُضِيَتْ نَحْرِي بِهِ مِمَّنْ زَوَّاهُ نَذَّرُهُ بِالجَنْثَا" طلبو منه أن يعلمهم الإيمان والإسلام ليعبروا به قومهم، وقالوا: "قُضِيَ" يعني: أمر عظم يفصل بين الحق والباطل، وبين الخبر والشر، والله وصف قوله بأنه قفصل: "إِنَّهُمْ لَنْفُولُونَ قُضِيَتَهُمْ سَيْلًا مُّهِيَّةٌ بَيْنَ الْقُلُوبِ" [الكافرون]. فكتاب الله فصل، يفصل بين الحق والباطل، وبين الخبر والشر، والهدى والضلال.

قوله: "قال: أَمْرُكُمْ يَا أَرْبَعُ، وَنَهَايَمْ عَنْ أَرْبَعِ، قال: أَمْرُهُمْ بِالإِيمَانِ وَحَدَّهُمْ قال: أَمْرُهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدَّهُمْ ثم شرح لهم وبين ما الإيمان بِالله وَحَدَهُ؟

قال: "فَعَلَّ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدَّهُ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَنَا عَلِيمُ" وهذا من أدب الصحابة، أنهم كانوا لا يتقدمون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كانوا يعلمون الجواب، لأنهم يطمرون أن يحصلوا زيادة فائدة من النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يتكلمون بين يديه، ولهذا قال أهل العلم، يستحب للطالب أن ينظر السكوت بين يدي شيخه ليتمزج بكلامه وفواهده، وبعض الناس إذا جاء يسأل، تتجه يسأل ويجواب نفسه، أو يكرر كلماته، فلا يفوز من الشيخ ولا من الجواب إلا بأقل الكلمات، ويبصر الكلام كله له، فلهذا يحرم الخبر ويحرم الفائدة.
ثم قال مفسر الإيمان بالله وحده: "شهيدًا أن لا إله إلا الله، وَأَلَّا مَعْمَدًا رَسُولُ الله" فبين لهم بأن الإيمان بالله وحده أوله الشهادتين: لا إله إلا الله: ومعناها لا معبود بحق إلا الله، "أَلَّا مَعْمَدًا رَسُولُ الله" ومعناها: الشهادة له بأنه رسول الله تعالى حقًا وصدقًا، وذلك يكون بتصديقه، والإيمان به، وصديق ما أخبر به، واتباعه، وترك زواجته ونواهيه، ولا تعبده تعالى إلا بما شرع.


أما من صلى ولم يُقِيم أركان صلاته فلا استقامت صلاته، فهذا مقصر، وقد يحقق التعذيب إذا قصر في الخشوع الواجب، ولم يقم الركوع والسجود، كما في الحديث: قوله: "أَسْوَى النَّاسِ سَرْقَةً الذي سرق من صلاته" قالوا كيف يسرق من صلاته؟ قال: "لا يتم ركوعها، ولا سجودها، ولا خشوعها".

فوله: "وَإِلَى الْزَكَاةِ" يعني دفع الزكاة الواجبة.

فوله: "وَصُوْمُ رَمَضَانِ" الشهر الذي اختاره الله تعالى للصوم.

فوله: "وَأَلَّا نَأْتَواْ خَسَايْسَ مَنْ يُصْنِمْ" لأن الله تعالى قد افتصر على المسلمين أن يخروجوا خصاً لله والرسول، قال الله: "وَأَلَّاهَا النُّجْمَيْنِ" (3).(1) رواه أحمد (11106، 11101، 11109) من حديث أبي قنافة وأبي سعيد.
الله الوكيل، والملجأ، والمؤمن، والداعي للرحمة والغفران. [الأنفال: 42] الرجاء هذا المصير، وأربع أسماء لل شهداء، والمرحمة، والمرقد، الدباء: هو الفرع.

البابس، يتكون الفرع حتى يبس ويتحدون مثل الجرة.

والحتم، هم جبر خضر معروفة.

والمضف، جرار تطوى في الزف، وهو الفار، وكان معروفاً عند العرب، لأن الفار يتبجع على وجه الأرض مثل العين، فكانوا يستفيدون منه.

والنفر: هو جذع نخلة أو غيرها، ينقر في الوسط، ويتنزم كالجرة.

إنما نهيه عن الاستجابة في هذه الآلية، لأنها آية محكمة لا يدخلها الهواء، في سرعه التحم إلى البذل، فمنعهم من أن يتبجوا في هذه الآلية، أولئك لهم في الاستجابة في القرب.

وقالوا له: كما في رواية أخرى في مسلم: (1) إن أرضنا كثيرة الجرذان، فقال عليه السلام: (إن أكلتها الجرذان، وإن أكلها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان،)، وشدد النبي عليه في هذا الدلاب، لأن شرب الحمرة كان شهيراً عند العرب، والتحم يحصل سريعاً في هذه الآلية، فمنعهم منه.

ثم بعد ذلك نسخ هذا الأمر، وقال عليه السلام: (إن الأوعية لا تحرم شيئًا، فاشرعوا في كل وعاء، ولا تشرعوا مسكونًا) (2) فهذا عن المسكر، وربط التحريم بعله، وهو الإسرار.

(1) حديث صحيح، رواه الطياري «المعين الكبير» (1/433) من حديث قرة بن إبليس.

(2) سيأتي معنى هذه الرواية في باب الإيمان وما هو وبيان خصائصه.
قوله: "وقال: حفظوه، وأخبروا يه من وراءكم" وهذا حك على تبليغ العلم.

وقوله: "احفظوه، وأخبروا يه من وراءكم" يعني: من قومك ومن الناس.

وفي رواية: "قال رسول الله ﷺ للأنبياء: فأخبروا يه من وراءكم" قال النووي:

المشهور أن اسمه: الصديق بن عائذ، وقيل: الصديق بن الحارث، وقيل:

الصديق بن عامر، لكن المشهور أن اسمه: الصديق بن عائذ.(1)

قوله: "إن فتى ترسبكم يجابهنا الله: اللعيم والأثناة" وفي رواية:

"يجبهنا الله ورسوله" الحلم: هو العقل، كما قال الله ﷺ: "إن كنتم تأملتم فلقد خلقكم

الله ملكاً" [الصمد: 22]، فبراد بالحلم هنا هو العقل، وقيل: الحلم هو الكف عن الجاهلين، أي: عدم معالجة الجاهل بالعقيدة، بل الصبر عليه.

وال أنحاء: هي ترك التعجل، يعني ترك الاستعجال، وهذا يحبه الله تعالى.

أيضًا.

وقيل: السبب في هذا الحديث: أن وفد عبد الفلس لما جاؤوا إلى النبي ﷺ تخلف الأشج في الرحال، فعمل الإبل كلها، ثم غسل وليس أحسن نباهه، ثم جاء إلى النبي ﷺ، يعني تهيه ولم يستعجل، وهذا يدل على عقله؛ لأن كون الإنسان يفعل الإبل، يدل على أنه يفكر بالعواقب، ولا يستعجل، وكونه يتأني في أن يعتيق للقدوم على النبي ﷺ؛ يدل هذا أيضًا على أن فيه وعدم استعجاله.

والحلم والأثناة حصنان يجبهما الله ورسوله.

---

(1) شرح صحيح مسلم لالنروي (189/1).
(2) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يومًا بارزاً للناس، فقال رجلٌ: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ورسوله، وتنؤمن بالغيب الآخر. قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعمد الله ولا تشرك به شياً، وترضى الصلاة المكية، وتؤدي الزكاة المفروضَة، وتصوم رمضان. قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: أن تعمد الله وأتّرك تراة، فإنّك إنّك لا ترّاه؛ فإنه يراك. قال: يا رسول الله ما عنده الوعيّة؟ قال: لما المسؤول عنها يأكلن من السائل، ولكن سأحذرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمّ رضيّها، فذاك من أشراطها، وإذا كانت العرارة الحنفاء روض الصنّادل، فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رغة البهم في البَنْبَنَة، فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهم إلا الله. ثمّ تلا قوله ﷺ: «إنّ الله عينه الوعيٍّ وعينه الحنفاء وعينه البهم وعينهم البُنْبَنَة» إلى قوله: «فَاخْرَجْوهُ فَأُخْرِجُوهُ»، فأتى الوعيٍّ، ونَزَّا ونَزَّا، ونَزَّا ونَزَّا، فكانت نَزَّا ونَزَّا، قال: رسول الله ﷺ: "هذا جَبِيرُ جَاهِلٌ لِيَعْلَمَ النَّاسَ دُينَهم".

الشرح:

قوله: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يومًا بارزاً للناس" بارزاً للناس يعني ظاهرًا، كما قال ﷺ: "ورَأَى الأَرْضَ بَارِزًا" (الكهف: 67)، يعني: ظاهرة ليس فيها واد ولا جبل يسبر الناس.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

قوله: "فقال: رجل، قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "أني تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ورسلي، وتؤمن بالغيب الآخر، فرج النبي ﷺ هنآ أركان الإيمان، وعمدة الإيمان: الإيمان بالله ﷺ، وهو يتضمن الإيمان بوجود الله، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله، والناس متفاوتون في هذا نفاوتًا عظيمًا.

قوله: "وقلته" وهم: خلق من خلق الله تعالى، خلقهم من نور، وأثنى عليهم، وعلى عبادتهم، في غير موضع القرآن.

قوله: "وقلته" أي بالقرآن؛ لأنه آخر الكتب السماوية، ويحمل أنه أراد جنس الكتاب، يعني: أن تؤمن بما أنزل الله تعالى من كتاب، فيشمل التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وغيرها من الكتب المنزلة.

قوله: "وقلته" أي: أن تؤمن ببلافاء الله تعالى، ولقائه الله تعالى يتضمن رؤيته، وهو ما استدل به طائفة من أهل السنة، والد شيخ الإسلام من أن لقاء الله تعالى في الآخرة، فيه رؤية الله تعالى للمؤمن والمكافر، أما الكافر فإن رؤيته الله تعالى عذاب، كحال الحممر الذي فرّ من عدالة الملك، إذا واجهه كانت مواجهته عذابًا عليه، وأما المؤمن إذا لقي الله فرح بلئله، لأنه ينتظر جانزته منهم ربه سبحانه.

قوله: "وقلته" وهو الإيمان بالرسول، وهو ركن من أركان الإيمان، وهو أن تؤمن بكل رسول أرسله الله تعالى، سواء ذكر اسمه في القرآن، أو في السنة كبيوش بن نون، أو لم يذكر، كما قال تعالى: "وَرَسَلْنَا قَدْ فَصَصِّصُتُهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلِ وَرَسُولٍ أَنَّمَ نَقْصُصُهُمْ عَلَيْكَ" (النساء: 164)، فتؤمن بكل رسول أرسله الله تعالى.
قوله: «وَتُؤْمِنُنَّ فِي الْآخِرَةِ» الإمام بالبعث من أركان الإيمان، وقد أقسم الله تعالى بنفسه المقدسة ثلاثة مرات في القرآن، على أن البعث كائن، فقال تعالى: «زَمَرُواْ اللَّهُمَّ أَنْ لَنَ يُبْعَثْنَا قَلًّا وَقَرْنًا لِّلْعَمَّامِ» (التغابن: 7)، وفي موضعين آخرين (1)، فيقسم الله تعالى بنفسه أن البعث كائن لا محالة، والإيمان بالبعث يشمل الإمام بما يكون في ذلك اليوم الآخر، من بعث من القبور، وحشر ونشر للدعاوين والصحف، وميزان وصراط وجناء ونار، وقد ذكر تعالى هذه الأركان في القرآن «مَا أُرْسِلْتُ لِأَنْ يُعْلَمَ عَلَيْهِمْ مَا فِي قُرْآنِي وَلَا نُغَيْرُوهُ عَلَيْهِمْ وَلَا نَعَمَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا آٓتَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلٍ وَمَا كَانَ لِلَّهِ وَمَلَكَتُهُ إِلَّا مَا كَتَبْنَ مَثَلًا بَيِّنًا (النساء)» علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب له أن يُزَيَّد من قبلاً، ومن يُكَتِّب إياه وملكته، وكتب له ورسلي، وأيام الآخرة فَدَقَقْ حَكْمَ الْعَلِيمِ بَيِّنًا».

قوله: «قال: يا رَسُولِ اللهُ ما الإسلام؟ قال: الإيمان أن تَتَّبِعِ الله، ولا شريك له شيئًا، وَتَقَبَّلُ الصَّلاة المكثوَنة، وَتَؤْمِنُ الْرَّكَازة والمغروسة، وتَصْيَمْ رَمْضَان» الإسلام هذا جعله الرسول ﷺ للأعمال الظاهرة، وجعل الإمام لأعمال القلوب، وهو التصديق والإقرار والمعرفة، أن يصدق بقلبه ويتعرَّس وعرف ذلك، والإسلام هو الأعمال الظاهرة من الشهادات، والصلاة، والصيام، ولم يذكر الحج هنا، وفي بعض الروايات ذكر، فعل الراوي تركه اختصارًا.

وَالدَّ هذا الحديث على أن الإسلام والإيمان اسماً إذا اجتمعما افترقا في المعنى، وإذا افترقا اجتمعا في المعنى، مثل لفظ الفقير والمسكيين، فإن

(1) في سورة سبأ (3) نحواً، وسورة يونس في قوله: «وَعَلَّمَهُمْ إِلَّا هُدًى إِلَى الْقِدَّارِ» (34).
الفقراء والمكسورين إذا افترقا دل كل منهما على الشخص ساحب الحاجة، أما إذا اجتمعوا دل أحدهما على معنى أخص من الآخر، وهكذا الإسلام والإيمان كما قال الله تعالى: «قاليا الأعراب مامنا فلم يكونوا ولكن قولوا أنسنا ولن يدخلنا إلى غيرك فلربك» (الحجرات: 14)، والإيمان إذا ما وقّ في القلب، وصدقة العبد، والإسلام ما أظهرا على جوارحه من أعمال الإسلام، وقد يكون العبد عاملاً بالإسلام غير صدقة بقلبه، كحال المنافق، فالمنافق يعمل أعمال الإسلام لكنه في قلبه ليس بمصدق، ومن الناس من يعمل بجوارحه، ويكون تصديقه وإيمانه ضعيفاً، كما قال الله تعالى عن الأعراب الذين أسلموا حديثاً.

وأيضاً يدل على أن الإيمان يصحبه العمل، لأن الله تعالى قد أطلق اسم الإيمان على الأعمال، فهذا يدل على أن الأعمال من الإيمان، كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أُمَّةٌ مِّنْ بَعْضٍ يَعِيدُونَ الْأَحَدَةَ عَلَى الَّتِي نَزَّهَا اللَّهُ وَمَنْ نَزَّهَهَا» (الأنفال: 70)، وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «الإيمان يضع وصيّته شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدنها إمامة الأئمة عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان»(1)، فدل على أن الأعمال من الإيمان، والناس يتفاوتون في ذلك، فالإيمان قول وعمل وتصديق، وهذا مذهب السلف، ومن تبعهم بإحسان.

قوله: «قال يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: أن تتحب الله كأن تراه، فإنك إن لا تراه فإنك نكراك» فالإحسان أعلى مراتب الإيمان؛ لأن العبد

---

(1) انظر: «مجمع الفتاوى» (7/162).
(2) سيأتي مثنا هذا الحديث في باب: الحياة من الإيمان.
شرح مختصر صحيح مسلم

الحسن بن عبد الله تعالى كأنه يراه بعينه، فيستحضر ربي في عبادته كلها حتى كأنه يراه بعينه، فإن لم يكن يراه، فهو موقن بأن الله تعالى يراه، والعمل إذا استحضر رؤية صاحب العمل أو رب العمل لعمله، أحسن العمل، وإذا غاب عنه رب العمل أو عن ذنه، فإنه لا يقبل عمله، وكما شعر هذا العمل بمرارة رب العمل، ازداد إحسانًا، فأتت الآن لجئت بعمله يملئ ذلك ووقفت على رأسه، لا يكون عمله كما لو جئت به وتركته يملئ كما يشاء دون رقابة، فأهانس هو أعلى مراتب الإيمان، وهو يعني مراقبة الرب سبحانه.

قوله: «قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك تعلم من الليل ومن النهار، إنك تعلم من الساعة، إنك تعلم من الليل ومن النهار»، وهذا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم من الليل ومن النهار، وعلم الساعة مما اختص الله تعالى بعلمه، وإنما يعلم من الليل ومن الليل ومن النهار.

قوله: "وَلَكِنْ سَأَحْدَثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا" الأشراط: جمع الشرط، والشرط: هي العلامة، فأشراف الساعة علاماتها، ومنه قول الله تعالى: "فَقَدْ سَلَّمَ نَبِيُّكَ مُحَمَّدَ (صَامِدٌ أَشْرَاطِهِ) [محمد: 18]، أي علاماتها.

قوله: "إِذَا وَلَدَتِ الأمَّةُ رَبِّها، فَذَاكَ عِنْ أَشْرَاطِهَا" إذا ولدت الأمّة ربيّها، أو "ربّها" كما في بعض الروايات، فذاك من أشراف الساعة، وفي معناه أقوال: ذكر الحافظ ابن حجر (1) أن من معناه: أن يكثر العقوب، فيعامل الرجل أمّه كمعاملة السيد لأمه، فيأمرها وينها ويزجرها ويبتُها، ومال إلى هذا القول، واختار غيره من العلماء، وعليه الأكثراً (2): أن المراد بذلك: الأخبار عن نفح البلدان، وكثرة السراي أو الجواري، فتدل هذه الأمّة من سبدها ولدًا، ولدها بنزلته، فذاك قوله عليه الصلاة وسلام: "فَلَيْلَدَ الأَمَّةُ رَبِّها".

قوله: "وَإِذَا كَانَتِ الْمُرْأَةُ أَخْفَافُ الْحَيَاةِ رَوْعَةٌ النَّاسِ" فذاك من أشرافها.

وفي رواية لسُمِّل (3): "آي ملوك الأرض" إذا كانت ملوك الأرض، والراية: يعني الذي لا يلبسون من اللباب إلا القليل، والحفاء: يعني الذين لا يتعلمون، فإذا تغيرت الأحوال فصار أسافل الناس أعلاهم، فإن هذا من أشراف الساعة.

قوله: "وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعاَةُ الْبَيْنَاءِ فِي الْبَيْنَاءِ، فَذَاكَ عِنْ أَشْرَاطِهَا" البناء.

هي صغر الغنم، سواء من المعز أم من الضأن، فمن أشراف الساعة تطوال رعاة البناء في البنين، يعني أن تكثر أموالهم، وينافسون في إطالة البنين، 

(1) فتح الباري (167/1).
(2) شرح مسلم للنورزي (223/1).
(3) (165/1) نوري.
وفي هذا دليل على ذم البناء والتطاول فيه، لم تد نعّاجة إليه، وورد ما يؤيد ذلك، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "إن العبد يؤجر في كل شيء من نفقاته، إلا في البينا" (1)، ووجه العلماء ذلك إلى البينان الذي لا فائدة فيه، لأبنا الإنسان وأهله وعائلته (2)، فإن هذا يؤجر عليه كما يؤجر على النفقه على أهله، كما قال عليه الصلاة والسلام في الصفقات:

"حتى ما تضع في فيّ أمر أنت" (3)، فهذا داخل في النفقات.


قوله: "فَأَخَذَهُ لَيَزِدَهُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا جِبَرِيلٌ جَاهِرٌ يَعْلَمُ النَّاسَ دِينَهُمْ" وفي هذا دليل على أن جبريل وغيره من الملائكة له قادرً على التشكيك بصورة الإنسان، كما قال ﷺ: "فَأَرْسَلَنَا إِلَيْهِمَا رَجُلًا وَعَدَّلَ فَلَمْ يَعْلَمُنَا" [آدم] (5)، وكما أرسله الله تعالى إلى إبراهيم ووط عليه السلام مع ملائكة آخرين، مع أن خلق جبريل عظيم جدًا، كما قال عليه الصلاة والسلام: "رأيت من هذه السماوات إلى الأرض سادًا الأفق، من...

(1) حديث صحيح، السؤال الصحيحة (783/1).
(2) السؤال الصحيحة (3830/6).
(3) أخرجه مسلم (96/11).
عِظَمَ خلقه" (1)، ومع ذلك له القدرة على أن يتشكل بصورة إنسان، وفي الحديث أيضًا في بعض الروايات أنه كان قد جاء بصورة رجل شديد بياض النيم، شديد سواب الشعر، وأخذ منه العلماء: مشروعة بل استحباب التنظف والتطبيب عند لقاء العلماء والملوك الكبار.

---

(1) رواه مسلم (3/8) نحوه.
(3) عن سعيد بن المسوّب عن أبيه قال: "لما حضرت بأبا طالب الوقاء جاء رسول الله ﷺ فقال عبده أبا جهل وعبد الله بن أبي أصية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: "بأ عم فل لا إله إلا الله كلهما أشهدن لكي بها عبده الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أصية: يا أبا طالب أفرغ عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، وعبيد الله بن ملك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلفهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله، فالسطر ﷺ: "أها والله أستغفرنّك ما لم أنك عنيك"، فنزل الله ﷺ: "ما كادك مبتسم وافتيك كم أن يستغفروا لله ﷺ حسناتٍ أولي فرَّ من بعد ما بذلهم فألهم أصحاب الجحيم [البقرة]، ونزل الله تعالى في أبي طالب فقال لله ﷺ: "إِنِّي لا أهدي من أحدك وليكن الله بيده من يبتغاه وَهُوَ أَلْمَثْبُوبٌ [القصص]".

الشرح
قوله: "لما حضرت بأبا طالب الوقاء..." أي: لما حضرت دلائل وفاته واحتضروه.
قوله: "جاءه رسل الله ﷺ" وهذا كما ذكر ابن فارس (1) وغيره، وعمر النبي ﷺ سبع وأربعون سنة وأشهر، وحرص النبي ﷺ على عرض

(1) شرح صحيح مسلم[النورى] (1/115).
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

الدعوة على عمةٍ، من يوم أن أبلغ بالرسالة، فإنه أنذر عشرته الأقرنيين، كما أمره الله.

وفي هذا الحديث: حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية أقرانه، وأن هذا من أولويات الدعوة، أن يبدأ الإنسان بأمه وقرابته قبل الأجنبي الغريب، خلقًا لما يفعله اليوم طائفة من الدعاة، في خروجهم إلى الدعوة إلى بلاد بعيدة، وتركم أهلههم وأولادهم بلا تعليم ولا تأديب! ولا دعوة إلى الله! وهذا خلاف سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث أيضًا: أن "لا إله إلا الله" هي أول كلمة يدخل بها العبد إلى الإسلام، فهي مفتاح الدخول إلى الإسلام، وأن من قال هذه الكلمة صار مسلمًا، إذا عرف معناها، وعمل بمقتضاه.

وفي الحديث أيضًا: أن من مات على هذه الكلمة نفعته في الآخرة، إذا لم يمكنه أن يعمل ويقول غيرها، فمن قال هذا الكلمة نفعته في الآخرة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "كلمة أشهدُ اللهُ إيّاها عند الله"، وفي رواية: "كلمة أحجّة لك بها عند الله".

وفي الحديث: أن أبا جهل وابن أمية قد حرضوا أبا طالب على الحكم، ومنعاه من قول هذه الكلمة المباركة، فقالوا له: "أحزَّنُ عن بلِّلَةٍ عَبِيدُ المَطْلِبِ،" وهذا فيه خطر صحة السوء، ورفقاء الشر، وأنهم قد يحرموا الإنسان خير الدنيا والآخرة، فيما حرصنا على صدّ عن كلمة التوحيد في آخر لحظات حياته، ولازمه حتى خسر الدنيا والآخرة.

وفي الحديث: إصرار النبي صلى الله عليه وسلم على تكرار الدعوة، فلم يزل رسول الله يعرضها على عمه، ويعبد له تلك المقالة، وفي هذا فائدة: أن الدعابة
لا ينبغي لي أن يبدأ من صلاح الناس وهم يدعونه، ولو تبينه في ظاهر الحال
أن المدعو معرض أو غير مستفيد، فإنك لا تدري لعلك تصيب منه ساعة،
قد رأى فيها قلبه، فسيبغي بكلمتك ويدعوك، فالرسول عليه الصلاة والسلام
دعا عقبه سبع سنين، بل عشرًا إلا قليلاً، ولم يبدأ من دخوله في الإسلام،
فوله: "حتى قال أبو طالب آخر ما كُلِمْتُمُوهُمُ: هو على ملة عبد المطلب، وأتى
أن يقول ل إِنَّهُ إِلَّا اللَّهُ" وهذا من أحسن الآداب، إذ أن الراوي قال: "هو على ملة عبد المطلب"، ولم يقل حاكي عن قوله: "أنا"، وهذا من البعد عن
فهم القول، ونسبة القول إلى قائله بأحسن العبادات، فإنها حكى الإنسان
الكلمة القبيحة حكاه على لسان قائلها.

وفي الحديث: التصريح بأن أبا طالب قد مات على الكفر؛ لأن
الراوي قال: "وأيَّا أن يُقُولُ ل إِنَّهُ إِلَّا اللَّهُ"، وهذا دليل على أنه لم يقلها،
فما دام أنه لم يقلها فقد مات على ملة الجاهلية، ملة عبد المطلب، وفيه رد
على الراضق الذين يزعمون أن أبا طالب قد مات في آخر حياته، ونطق
بالشهادة وسمعها منه من كان مقرّبًا منه، وهذه الرواية كذب ليست
صحيحًا! وهو يرويتها ويتدلّوّنها في كتبهم، ولكنها رواية كذب ليس لها
أصل، بل الحديث الصحيح بردها.

وفي الحديث: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "أنا والله
لآبَحْرِفِرُنّكَ ما أَمُ منَّكَ" وفيه سعة رحمة النبي عليه الصلاة والسلام،
وحجه الخير للناس، فإنه طلب الاستغفار لعئله، بعد أن مات على الكفر،
وأما السبب الداعي لهذا؟ السبب أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اتفع
كثيرًا بعمه، وحماه الله تعالى به، وكان أبو طالب يقول الأشعار في اللذَّب.
شرح مختصر صحيح مسلم

عن النبي عليه الصلاة والسلام، يقول له: أذهب وادع ولا تخشي أحدًا، فكان ينصب، ويقف عند، كما جاء أيضا في حديث البخاري (1): أن العبسان قال للنبي عليه الصلاة والسلام: أرأت أيها طالب، فإنه كان يحومسك وينصرك، فهل نفعته شيء؟ قال: نعم، أما إنه في ضحضا من نار يبلغ كعبه، لولا أنا لكان في الدرك أسفل من النار.

وفي رواية: يغلي منهما دماغه، ولولا أنا لكان في الدرك أسفل من النار (1).

والنار كما تعلمون دركات، فمنهم من تأخذه إلى كعبه، ومنهم من تأخذه إلى ركبته، ومنهم من تأخذه إلى حقوقه، ومنهم من تشهف النار، فهو في ضحضا، الضحضا هو الماء المشهود القليلة، لكن قال هنا: ضحضا من نار، ليست من ماء.

وفي الحديث: أن النبي كان يدق عاطفته بالنار، ولا يجعل العاطفة تستولي عليه وعلى تصرفاته، فقد قال: "أنا والله لأستغفرون لَكَ مَا لَمْ أَنْثَبْتْكَ " أي: ما لم ينهني ربى عن ذلك، وهذا غاية التسليم لحكم الله وشرعه. فأنزل الله تعالى: "لِيُعْفَفَانِ بِهِ وَلَا يُنَذَّرَوْا أُولُو ْفَوْضِيٍّ مِّنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنْ هُمْ أُحَجَّبُوا" (المائدة 4) (التوبة)، فهذا نص صريح في أن هذه الحادثة كانت سببا لنزول هذه الآية، لأنه قال: "فأنتّ" وهذه "فاء التعبب" التي تفيد نزول الآية عقب هذه الحادثة، وآية تثبت: أنه ليس للنبي عليه الصلاة والسلام، ولا للذين آمنوا: "لَيُسَافَعُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَا يَكْفُرُوا أَوْلَئِكُمْ" (أ): أي:

(1) البخاري (10/208-209 حفظ ومسلم (3/357-359 حفظ).
(2) البخاري (7/288-289 حفظ.)
ولو كانت قرآبات، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم، ومن تبين للإنسان، أن الرجل من أصحاب الجحيم؟ إذا ما تبين أن الكفر تبين لنا أنه من أصحاب الجحيم، فكل كافر مات على الكفر، فهو من أصحاب الجحيم، هذا ظاهر الآيات من علمنا بنص الكتاب والسنة، أنه من مات على الكفر، فهو من أصحاب الجحيم، ومن علمنا بقينا من حاله أن مات على الكفر، فهو من أصحاب الجحيم، ولهذا صرح في الحديث: أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «حينما مررت بغير كافر، فسُرِّ ببالان» (1).

وأما قبل ذلك، فلا بصحة الشهادة له بالنار، فعليه سلم، ولهذا قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَمَنْ كَفَرَ وَمَاتَ غَيْرَ ائْتِيَاهُمْ مَخْلُوفًا وَمَنْ كَفَرَ وَمَاتَ أَجْمَاعُهُمْ وَالْقَاتِلُ» [البقرة: 2], فمتى وجبت لهم اللعنة والنار? بعد أن كفروا وماتوا، وهما كفار.

 وقال تعالى: «وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَرُ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدُّهَا إِيَّاهَا» [التوبة: 114], يعني إبراهيم القديم، وعده والده أنه سيفرك في الموضوع وينظر في دينه، ففُرِكَ لَكَ بِهِ لَيْتَ أَنَّكَ تَذْحَمْ مَنْ يَذْحَمْهُ، حينما تبين إبراهيم أنه عدو الله بعد موهه على الكفر، عندئذ تبنا منه، فإنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْرَمُهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَى الصلاة والسلام ظل يستغفر لأبيه وهو حي كما قال: «لاَأَسْتَغْفَرُ لَكَ» [المستحقة: 4], ودعا ربَّه أن يُسلم، ولكن قفي في كتاب الله أنه يموت على الكفر، كما هو الحال في عم النبي عليه الصلاة والسلام.

وفي حال الحياة: هل يجوز الاستغفار للشرك والدعاء له بالرحمة والهداية؟

(1) حديث صحيح، رواه الطيالسي والبزار، انظر: «السخننة الصحيحة» (18/1).
الدعاء له بالهداية والرحمة جائز بلا خلاف أعلمه، إلا الدعاء له بالمغفرة، ففيه خلاف، والذي يظهر أنه جائز، لأن الآية بدل مفهومها على أنه إذا كان حيًا فيجزّى النبي ﷺ، والذين آمنوا أن يستغفروا للقرب المشرك، بأن يقولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم اهدها هذا كله جائز إذا كان حيًا، وأما بعد الوفاة فلا يجوز الدعاء له بالرحمة والمغفرة بلا خلاف.

قوله: وأنزل الله تعالى في أبي طالبٍ: قوله تعالى: إنك لتجده من أصحابك، إما أن يكون المقصود بها: من أحبيته من قرابتك أو عشيرتك، أو من أحبيته الهداء، فالإنسان قد يحب الهداية لرجل بعيد، ويتمنى أن يسلم؛ لأنه رجل في صفات الرجولة، فيه الشجاعة والكرم والتحدة، فيتمى أن يسلم ويحب ذلك، أو أن يكون المقصود القرابة.

وفي الآية دليل على أن الله ﷺ يهدي من يشاء، ويضلل من يشاء، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للقدرية والمعتزلة، يهدي من يشاء فضلاً منه ورحمة، ويبعد من يشاء عدلاً منه، لا ظلمًا، فالعباد يقبلون بين عدل الله تعالى وفضله ورحمته: ومَا رَبِّكَ يَطَالِبُ لِمَّا يُقْبِلُونَ (6) [فصلت].

** ** **
باب: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله

(4) عن أبي مريمية رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وعُلِّمَ أن بُعِثَ أبو بكرٍ بعده، فكان من كثرة من العرب، قال عليه السلام: لأبي بكر ﺑَكْرِ: كيف تقابلو الناس وقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمْرِتْ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسُ حَتَّى يَقُولُوا لا إِله إلا الله، فَقَدْ عَصَمْتُ مَنْ دَجَّلَ مِنْهُ وَقَلَّمْتُ إِلَّا يَحْقُهُمْ وَجَسَابَتْهُ عَلَى اللَّهِ". فقال أبو بكر ﺑَكْرِ: وَلَهُ لِأَقَاتِلَهُ مِنْ فَرُوقٍ بَيْنِ الصَّلاةِ وَالْرَّكَبَةِ، فَإِنَّ الْرَّكَبَةَ حَتَّى النَّفَثَ، وَاللَّهُ لَنْ يَنفَضَ لَهُ مِنْهُ مَنْ عَبِدَ ﺑَرَاءَةً كَانَ يُؤْذَوْنَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَاتِلَهُمْ عَلَى مَنْهُ. فَقَالَ عَمْرٌ بْنُ الخَطَّابِ: فَوَأَلَّهُ ما هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهُ ﷺ قَدْ رَأَى صَدْرُ أبي بكرٍ بَكْرِ لِقَاتِلَهُ، فَعَزَّلَهُ اللَّهُ ﷺ، قَدْ شَرَحَ صَدْرُ أَبِي بَكْرٍ بَكْرٍ لِقَاتِلَهُ.

(5) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَمْرِتْ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسُ حَتَّى يَبْصِرُوا أن لا إله إلا الله، وأنّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيَبْصِرُوا الصَّلاة، وَيَبْصِرُوا الرَّكَبَة، إِذَا قَالُوا عصُمْوا مَنْ يَبْعَثُهُمْ وَأَمْوَالِهُمْ إِلَّا يَحْقُؤُهُمْ وَجَسَابَتْهُ عَلَى اللَّهِ".

الشرح:

أورد المذري تحت هذا الباب خديجين.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

الأول: حديث أبي هريرة بن الصحابي الجليل، وسمه على الصحيح:

عبد الرحمن بن صخر، وهو من قبيلة دوس، أحد حافظ الحديث الكبار، والمفتين الأعلام، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحفظ وعدم السياح، وشهد له بالحرص على حديثه عليه الصلاة والسلام، مات سنة سبع، وقال: ثمان، وقيل: نعم، وخمسين للهجرة.

قوله: "وَكَفَّرَ عَنْ نَفْسِهِمْ مَئَةَ عُرَابٍ" الردة التي حصلت بعد النبي عليه الصلاة والسلام، كانت على قسمين (1):

القسم الأول: وينقسم إلى قسمين أيضاً: الأول: أن طائفة ارتدّوا عن الإسلام، وطبعوا مذاعي النيو، مثل: مسيلة الكذاب في بني حنينا في البضاعة، و مثل الأسود العنصري في اليمن، فهؤلاء ارتدوا عن الإسلام، وطبعوا من أذعى البواء، وكدوا ببنوّ محمد.

والطائفة الثانية من القسم الأول: طائفة ارتدت عن الإسلام إلى الوثنية، وعباد الأصنام، والكفر بالله العظيم.

القسم الثاني: هو من بقي على إقام الصلاة، لكنه أدرك فرضية الزكاة، وقال: نصلّى، ولا نركب، وقيلوا: إن الزكاة تدفع للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تعالى قال: "فَعِدْنَ أَمُولَكُمْ سَدَقَةً طَهَّرْهُمْ مِنْ صَلْوَتِكُمْ وَمِنْ صَلْوَتِكُمْ مَسْكُونَ" [النساء: 103]، فقالوا: هذه خاصة بالنبي صلى الله عليه الصلاة والسلام، وما دام أن النبي عليه الصلاة والسلام قد مات، فلا تدفع الزكاة إلى أولياء الأمور من بعده، وهذا لا شك أن قول باطل، لأن الخطاب في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

(1) انظر "فتح الباري" (288/12)، وفي "شرح صحيح مسلم للنوروي" (206 - 207).
الوجه الأول: خطاب عامٍ يشمل جميع الأمة، كقول الله ﷺ: {هُوَ الَّذِينَ أَطَمَّرُوا إِذا فَضَدَّمُرَأَتُهَا فَأَثَّنَبُوا وَجَهْهُمْ} [المائدة: 6].
وقوله تعالى: {يَاذَا أَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْبِيَتُ كَثِبَّ عَلَىَ} [البقرة: 183]. فهذه خطاب عالمٌ لجميع الأمة.

الوجه الثاني: خطاب خاصٌ للنبي عليه الصلاة والسلام، كقوله ﷺ:
{وَكَانَ الْأَلِيُّ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافَأَةَ اللّهِ} [الإسراء: 69]. يعني خاصًا بك يا رسول الله، وكقوله ﷺ: {غَلَاسِقَةُ الْأَلِيِّ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ} [الاحزاب: 60]. يعني إباضة الزواج بالمرأة التي وُلِتِّ نفسيها، من غير شهود، ولا مهر، وهذا خاص بالنبي عليه الصلاة والسلام أيضًا.

الوجه الثالث من الخطاب في القرآن: أن يكون موجَّهًا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، لكنه نافذ إلى جميع الأمة، كقوله ﷺ: {وَأَقْبَرْنَا الْمَسْلِحَةَ كَرَيْبًا الْبَيْاهُ وَزَلْفاً مِّنَ الْأَلِيِّ} [هود: 114]. وهذا وإن كان خطاباً فبه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، لكن يقصد به جميع الأمة، لأن إقامة الصلاة ليست خاصَّةً بالنبي عليه الصلاة والسلام، وكقوله ﷺ: {إِنَّهُمَا أَلِيُّانِ} {إِذَا طَلَقَتْ الْأَلِيَّةُ فَطُلَقْتُ الْأَلِيَّةِ} [الطلاق: 1]. وهذا خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام لكنه عام، لأنه قال: {فَطُلَقْتُ الْأَلِيَّة}، فهذا يدل على أنه عام لجميع الناس، فإذا احتجاجهم بهذه الآية من الخطاب العُلُومي للنبي عليه الصلاة والسلام، والذي يُراد به النبي عليه الصلاة والسلام من بعده، فقوله ﷺ: {وَعَلَى أنَّهُمْ يَسْتَفْقِكُونَ}، فهذا خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام، ولكل من بعده من الخلفاء.

ومن خصائص الاحترام من العرب على الوجه الثلاثة التي ذكرناها.
تجهّز أبو بكر لقتال هؤلاء المرتدّين بأصنافهم، فالصحابية قاتلوا المرتدّين بجميع أصنافهم، قاتلوا مسلمة وقذلهو، وقاتلوا طائفة من قومه، واسترقُوا نساءهم، ومنهم استولد علي بن أبي طالب من بنى حنيفة ابنه الذي يقال له: محمد بن الحائفية، وقاتلوا أيضًا الذين ارتدَّوا إلى الشرك، وقاتلوا من ارتدّ بترك فضيحة الزكاة، فمن ارتدَّ ترك فضيحة الزكاة إذا كان عن إنكار وجمع لهذه الفضيحة يكون كافراً، وما إذا كان قد ترك فضيحة الزكاة لا عن جحود وإنما عن بغي وعصياء، فهؤلاء يدخلون في أهل البغي، يقاتلون قتال أهل البغي، والصحابية قاتلوا جميع الطوائف كما قلنا.

فعمِر ﷺ لما تجهّز أبو بكر لقتال هذه الطائفة التي تشهد ألا إنه إلا الله، وكان محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، لكنها لا تزكيني قال لأبي بكر: كيف تقاتلونهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وصلون؟! وذكر له عمر طرف الحديث، لكن هذا الحديث الذي رواه عمر هنا، هل رواه على جهة البسط أو جهة الاختصار؟ رواه على جهة الاختصار؛ لأن الحديث ابن عمر الذي بعده بسط فيه القول، فأراد عمر أن يستند بأول الحديث على أن ترك الزكاة لا يقاتل، فقال له أبو بكر: "والله لأقتنان من فرق بين الصلاة والزكاة"، التفرقة يكون في العمل ويكون في الإيمان، فمن فرق في الإيمان يكون كافراً، إذا أمن بفضيحة وكرر فضيحة واحدة من فرائض الإسلام، يكون خارجًا عن الملة، لا يفعه إيمانه بما سبق، مثل من آمن برسول وكفر بقيته، أو من آمن بالرسل أجمعين، وكفر بعسي بن مريم، هل يفعه إيمانه؟ لا يفعه إيمانه.

وأما من فرق في العمل بأن عمل بعض القرائن وترك بعضها، فإنه يقاتل؛ لأن إجماع أهل العلم - ومنهم الصحابة - أن من تنازلًا هو وقمه على
تركت فريضة من فرائض الإسلام، أنه يقاتل حتى يؤديها، بل ذكر الشيخ الإسلام
ابن تيمية، أن قول جمهور أهل العلم: أن من ترك سنة مؤكدة يقاتل (1)، يعني إذا تبت أن أهل قرية ما، اجتمعوا على ترك سنة الفجر، أو على ترك
الوتر عن تعمية جميعاً، وتمالؤوا على ذلك، فإنهم يقاتلون حتى يقوموا بهذا
الشريعة؛ لأنه هناك فروا بين إنسان ي تركها، وبين أنسان يتواصلون على تركها،
or يغلب هذا فيهم، حتى لا يعرفون، فهذا من ترك بعض الدين، وبعض
الإسلام، حكاة عن جمهور أهل العلم.

قوله: "والله اللَّهُ مَتَنَعُّونِ عَقَالَ"، هكذا جاءت في رواية مسلم والبخاري،
والعقول: هو ما يُقَدَّم به البصير لئلا يقوم، وجاء في رواية البخاري: "عاقبًا"،
والذي أنشى المعز الصغير، وفي هذا: أن من وجب عليه حق المال، وهو
الزكاة، وطلببه الإمام، وجب عليه أن يؤديه، وإذا امتنع حل، الإمام أن
يقاته، ولو كان شيئاً بسيطاً: عاقلًا أو عاقلاً...

وفي فائدة أخرى: أن أولاد الغنم تحسب مع الغنم، لأنه قال: "لو
متعوني عاقبًا" يعني لو أن إنساناً يملك أربعين شاة كلها من السحال، كلها
من أولاد الغنم مثلًا، تجب فيها الزكاة، وتخرج من سطة المال، لا من
الكريم، ولا من الخبسات، بل من الوسط.

قوله: "قَالَ عَمَّرُ بْنُ الْحَتَّابِ: قَوْلُ اللَّهِ ﷺ مَا حَوَّلَ إِلَّاً أَنِ رَأَيْتُ..."،
عمر لما رأى طمانينة أبي بكر لقتل هؤلاء، ورأى فتوه ومَنْفه على
هذا الأمر، بدون تردُّد ولا شك، عند ذلك اشرح صدره، وقال: "فَعَلَ بِهَا
أَنْهَا النَّحْلَ، يعني بالحُجَّة، لا بالتقليد، لأن الرواية التي بعدها: "ويَبْعَثُوا

(1) "مجمع الفتاوى" (الجزء 28).
الصلاة، وَيُؤْتُوا الْرَكَّةَ...» وَهَذَا فِي رَأْي الْارْفَاضِ الَّذِين يَقُولُون: إن عمر قد قُلِّد أبا بكر في هذه المسألة! ولم يتبه على دليل! والصابون أنه عن دليل، وهو الحديث الذي بهده، فهو قد أتَّبَعه بعد أن عرف أنه الحق، عن دليل لا عن تقليد.

وفي الحديث من القوائد: أن الناس يعاملون بالظاهر، يعني إذا رأينا إنسانًا يشهد الشهادتين، ويصلي، ويزكي، وصوم، فإننا نعتبره مسلمًا، هذا العمل الظهير هو الإسلام، الذي يعصمه به الدم والمال، وهذا نص حديث رسول الله ﷺ، لكن إن تتبنا لنا أنا هذا الذي صلي وصى وشهد الشهادات زندقيًا، بمعنى أنه يظهر الإسلام ويبطئ الكفر، فإذا يكون حذره! حذره القتل، وهل له توبة؟ (1) على الصحيح الذي جرحه الإمام أحمد، وغيره من العلماء، أنه ليس له توبة؛ لأن توبته أن يقول: أنا أقيم الصلاة، وأزكي، وأشهد الشهادات، وهو كان في السابق كذلك، ولهذا قالوا: لا تقبل توبته، لماذا؟ لأنه يعود إلى إخفاء الكفر وإظهار الإسلام.

ولهذا لا تقبل توبة المنافق الذي يُبُتِنُ الكفر ويظهر الإسلام.

---

(1) الصارم المالكي، (ص 353-361) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
باب من قتل رجلاً من الكفار بعد أن قال: لا إله إلا الله

(1) عن المقداد بن الأسود أن النبي قال: يا رسول الله أرأيت إن قتل
رجلًا من الكفار فقاتلته قصرً بحري بدأ يبني سبيل، فقطعها، ثم لأذ
مبي بسجارة، فقال: أسلمت لله أبا الفتوح بن عبد الله بن خالد. قال:
رسول الله ﷺ: لا تقتله. قال: فقتله. فقال: يا رسول الله إن قتلته
ثم قال ذلك بعد أن قتلتها فقال: إنني رسول الله ﷺ: لا تقتلها، فإن
قتلته فإنما يمنولي قبل أن تقتلهم، وإنما يمنولي قبلى أن يقول كمثنت
الذي قال.

أما الأوزاعي بن جرير فقوي حديثهما قال: أسلمت الله وأما
عمرو في حديثه: فلما أهويت لاقتها قال: لا إله إلا الله.

۶ شرح:

ذكر المنذر في هذا الباب ثلاثة أحاديث:

أولها: حديث المقداد بن الأسود، وهو المقداد بن عمرو، والأسود
كان قد تبناه في الأجهلية، أما أبوه الحقيقي، فاسمه عمرو، وهو صحابي
مشهور، شهد بدرًا فارساً، ولم يثبت أنه ممن شهدها فارساً غيره، ووفي سنة
ثالث وثلاثين.

فوله: يا رسول الله أرأيت إن قتل رجلًا من الكفار؟ فه السؤال
عن شيء لم يحدث بعد، لكن لما كان هذا الأمر متوافقًا، وبمكن حدوثه
للمجادين، لم يذكر الرسول عليه الصلاة والسلام على المقداد هذا السؤال.
وكان من عاداته عليه الصلاة والسلام أن يذكر المسائل التي لم تحدث، المسائل المستبعدة أو القبيحة.(1)

قوله: «قائلكي قصرت إحدى... يا رسول الله، يعذب أن قالها؟» هذا غاية التصور لضرورة هذا المشرك، الذي ضرب إحدى يدي المقاتلين المسلمين.

ثم اقترب بعد أن انقطعت حيته، فلم رأى أنه مأخوذ قال: «لا إنه إلا الله».

قوله: «إِنْ قَالَتْهُ فَإِنْ وَعَهْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تُقْتَلْهُ، وَإِنْكُ بِمَنْزِلٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كُلِّمَتُهُ اللَّيْلِي قَالَ» قال الشافعي وابن القصار(2). وقيل: إن هذا من أحسن الجواب: أن معنى «إِنْ وَعَهْتُكُمْ» يعني معصوم الدم بهذه الكلمة، وهي كلمة «لا إنه إلا الله» وقد مر معنا في الباب السابق الكلام على قوله: «أُمِرْتُ أن أُقاَلَ النَّاسُ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِله إلَّا الله».

قوله: «وَإِنْكُ بِمَنْزِلٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كُلِّمَتُهُ اللَّيْلِي قَالَ» يعني أنه تصر في معصوم الدم، بل يتحلى عليك القصاص. وقال الفلاسي: إن معنى هذه الكلمة «وَإِنْكُ بِمَنْزِلٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كُلِّمَتُهُ اللَّيْلِي قَالَ» يعني في عدم تحريم الإثم والمعاصي؛ لأن المشرك لا يحرم الآثام، ولا المعاصي والذنوب، ويسبجها، لا سيما القتل؛ لأن القتل من أخلاء الكفأر، فيكون المعنى: يقين في تحريم الآثام والمعاصي و«وَإِنْكُ بِمَنْزِلٍ» قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كُلِّمَتُهُ اللَّيْلِي قَالَ» يعني لا تحريم الآثام والمعاصي.

** ** **

(1) جامع العلماء والمماليع (11) 350/1.
(2) شرح مسلم للنور (2) 106 - 107.10.
(7) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أسمع رسول الله ﷺ في سرية قصصنا الحركات من جهينة، فذكرت رجلًا قال: لا إله إلا الله، فبعثه، ووقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "أألف أم لا إله إلا الله وكتبت؟" قال: فلما رأى رسول الله ﷺ، إنه قالها خوفًا من السلاح! قال: "أألف شفقت عن فقه حتى تعلم أنها أم لا؟" فما رأى يكززها علي حتى تنسيت أنها أم سعد، فقال سعد: "يا وَأَيُّهُ الَّذِي لا أَفْتَل مَعِيْتَهَا حَتَّى يَقُلِهَا ذُو الْبَطْنُ، يَغْيِبُ أَسَامَةَ، قال: قال رجل: إِنِّي أَمَامُ الله مَعَالَيْهِ: "وَفِي صَبَطِيْمِمْ حَتَّى لا يَكُونُ فَتِنَةً وَيَصْحَبُونَ الْيَتِينَ، وَأَيْتِوَانِيَةَ، تُرْبِزُونَ أن تُقَالُوا حَتَّى تَكُونُ فَتِنَةً؟" [الأعراف: 193]، فقال سعد: قد قالنا حتى لا تكون فتنة، وأيَتِوَانِيَةَ، تُرْبِزُونَ أن تُقَالُوا حَتَّى تَكُونُ فَتِنَةً!

الشرح:

هذا الحدث الثاني في الباب، وهو حديث أسامة.

عن أسامة بن زيد هو ابن حارثة الكلفي الصحابي الشهير الأمير، جَبَر رسول الله ﷺ، ابن جحيز، وأمه أم أم حاسمة النبي ﷺ، استعمله الرسول ﷺ على جيش فيه أبو بكر وعمر، فلم ينفذ حتى توفي رسول الله ﷺ، فبعثه أبو بكر إلى الشام، مات بالمدينة سنة 45 هـ.

في حديث أسامة بن زيد هذا، تأكيد لحديث المقداد بن الأسود، وهي واقعة وقعت على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك أن الصحابة بعثهم النبي عليه الصلاة والسلام في سرية.
 قوله: "قَلْتُمْ لَيْتَ النَّارَةِ، فَقُولُوا فِي نُفْسِي مِنْ ذَلِكَ..." يعني بعد أن قال الكلمة، طنهه أسماء، أي: بعد أن شهد الشهادة، وهو من المشركين؛ لأنهم قد بعثهم النبي عليه الصلاة وسلام لغزوهم، فحالت في نفس أسماء بن زيد هذا الذنب، فذكره للرسول عليه الصلاة وسلم.

وفي رواية صفوان بن محرز: أن البشير هو الذي أخبر النبي عليه الصلاة وسلم بالذي حصل، والجمع بينهما: أن البشير قد سبق أسماء بالخبر، ثم إن أسماء قد حدث النبي عليه الصلاة وسلام وسمع منه مباشرةً.

 قوله: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَقَلِّبُ مِنْ فِرْقَةٍ كَيْنَ أَقَلُّهَا أَمْ لَآ؟" يعني أقلها مختارًا لها، مريدًا فاصدًا لها، أم أنه قالها خوفًا من السلاح؟! وهذا يؤخذ منه قاعدة أصولية عظمية، ألا وهي: أن الناس يخوفون بالظاهر، وأما السرائر فتكبهر إلى الله ﷺ، وهذا الذي سار عليه الخلفاء الراشدون، فعمر ﷺ كان يخطب في الناس ويقول: "إِنَّكُمْ كَانُوا يُخَذِّلُونَ الْهَيْدَرَ وَالْعَلَا مُؤْمِنٌ، وَيَحْيَا، وَلَسْتُ إِلَيْهِمْ فِي سَرِيرَتِهِ، الله يَحْبَبَهُ مِنْ بَعْضِهِ، وَلَنَسْؤُمَّهُ، وَلَمْ نَسْتَذْهَلَّهُ؛َ،َفَالْسَرِيرَتُهُ حَسِينَةَۚ(١)".

فعمر ﷺ كان يعامل الناس بالظاهر، وأما السرائر فلا يعلمهم إلا الله، ولا يطلع على ما في القلوب إلا علام الغيوب، فأنكر النبي عليه الصلاة وسلم قيله بعد أن قال: لا إله إلا الله؛ لأنها معاملة غير الظاهر.

(١) رواه البخاري (٢٦٨٠).
قوله: "فَقَالَ سَعَدُ: "وَأَنَا وَاللَّهُ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقُلَّـهُ ذُو الْبَيْطِيّ"." 

هذا قاله سعد بن أبي وقاص كما قال الشراح، وأنه بعد أن حصلت هذه الحادثة لأسامة، فإن أسامة كان شديد التحرُر عن الدماء، فكان سعد يقول: "أنا لا أقتل مسلمًا، حتى أرى أسامة يستحي منه"؛ لأن أسامة حصلت معه هذه الواقعة، فهو شديد التحرر عن أن يقتل معصوم الدم.

أما الكفارة والندية: فلا دليل على سقوطها عن أسامة، يعني لا دليل في الحديث على سقوط الكفارة عن أسامة، ولا الدية. وإن قيل: لم لم يذكرها النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث؟ فلنا: إن الكفارة والندية غير ساقطين عن أسامة، أما الكفارة فإنها تجب على التراخي، وما كان على التراخي ففي قول كثير من الأصوليين: "يجوز تأخير البيان إلى وقت الحاجة إليها" أما الدية فقبل أسامة كان معسرًا في ذلك الوقت، فلذلك لم يأمر النبي عليه الصلاة السلام أن يخرجها في الحال؛ لأن هذا الرجل له حكم المسلم؛ لأنه قال: لا إله إلا الله، ثم قلته أسامة، فتجب فيه دية المسلم لا دية الكافر أو المحسود، بل دية المسلم.

قوله: "فَقَالَ سَعَدُ: "وَأَنَا وَاللَّهُ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقُلَّـهُ ذُو الْبَيْطِيّ"."
قوله: "ذو الزيتَين" هو وصف لأسامة، لعله كان ذو بطن أو كيش، فوصفه بذلك.

قوله: "قلّ رجل: آلمني يقلل الله تفاصيله" وهذا في أيام الحرب بين معاوية وعلي، والفتن التي حصلت في ذلك العصر، "قلّ سمعي: قد قالتنا حتى لا تكون فتنة..." والفتن هنا في الآية فسّرها بعض المفسرين: بالشرك، فتكون معنى الآية: قاتلوهم حتى لا يكون في الأرض شرك؛ لأن الشراك أعظم جريمة على وجه الأرض، فأمر الله أن يقاتل الناس حتى لا يكون شرك على وجه الأرض.

وقال آخر: "الفتنة" هي قوة الكفار على فتنة المسلمين عن دينهم، فمعنى الآية: قاتلوهم حتى لا يكون للكنفار قوة، ولا دولة، ولا صولة، يصدون بها الناس عن الإسلام، وهذا أيضًا معنى حسن، موافق للمعنى الأول تقريبًا.

قوله: "ويكون الإسلام هو الحاكم في الأرض، وله الكلمة في الأرض.

قوله: "قد قالتنا" يعني على عهد النبي ﷺ.

قوله: "وأنت وأصحابك" يريد الذين يدخلون في الفتنة، ويشاركون في القتال، فقال: تريدون أن تثمانوا حتى تكون فتنة، يعني: لم يمدح القتال الذي حصل في الفتنة، وهذا لعله من الأدلة أن سعدًا كان معتزلًا لما حصل بين الصحابة، وهناك كثير من أكابر الصحابة اعتزلوا القتال، كان عمر، وأبي بكر، نفي بن الحارث، وأبي سعيد الخدري، وأبي ذر، وغيرهم ممن اعتزل، ولم يدخل في هذه الأحداث، وترك كلا الطرفين ولم يشارك.

* * *

المشاعر
شرح صحيح مسلم

الشرح:

وأما الحديث الثالث في هذا الباب، فهو حديث جندب بن عبد الله البجلي، يكتنأ أبا عبد الله، له صحة، وربما نسب إلى جده سفيان، وقال خليفة: مات في فتنة ابن الزبير، مات بعد السنين، روى له السنة.

ومن الفوائد في هذا الحديث: أنه يستحب للرجل العظيم الكبير الشريف الرئيس في قومه، أن ينصح قومه إذا رأى فيهم الخطا، أو رأى فيهم إرادة الشرذة: لأن جندبًا حث إلى رجل يقال له: عسعس بن سلامة، زمن فتنة ابن الزبير (أي القتال الذي حصل بين ابن الزبير وبين الأمورين) ليجمع له الناس لنصائحهم.

قوله: "حتى أشهدهم" أراد أن يأمرهم بالمعروف، وينههم عن المنكر.

قوله: "البرنس" هو النوب الذي ينصف به غطاء الرأس، كالدراجة أو الجبة، أو غير ذلك.

قوله: "فكيف تصفح يا إله إلا الله" يعني ما عذرك في استباحة دم هذا الرجل، وقد قال: لا إله إلا الله؟ كيف تدفع هذه الكلمة إذا جاءت في ميزانه، وفي صحيفته يوم القيامة، وقد أسلم؟

فجندب بن عبد الله البجلي حدث بهذا الحديث زمن فتنة ابن الزبير ليخوح الناس من استباحة دم المسلمين، لأن القتال حاصل بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان، وكلا الطرفين من أهل كلمة: لا إله إلا الله، فأراد أن يعظهم ويخومنهم بهذا الحديث، الذي حفظه عن أسامة، أو حضره على عهد النبي عليه الصلاة والسلام.

** ** **
باب: من ألقى الله تعالى بالإيمان غير شاهد فيه يدخل الجنة
(9) عن عُلَى بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهم
يَتَعَمَّلُونَ أنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَكُن دَخَلَ الْجَنَّةَ».

شرح:
ذكر المتذرئ تحت هذا الباب ستة أحاديث:
الأول: هذا الحديث فيه: أولًا: فضل الشهادة، وأنها كلمة الإسلام
العظيمة، وكلمة التوحيد التي يدخل بها العباد إلى دين الإسلام، وأن هذه
الكلمة هي أول واجب على العبد، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، كما قال
المتكلم، بل أول واجب يجب على العبد، هو قول: لا إله إلا الله، وهذه
الكلمة من فضلها أنها تكفر عن صاحبها ذنبه، فيغفر الله صيامه وتعالى لأهل
التوحيد ما لا يغفره لغيرهم.

ولم يست هذه الكلمة حجة للمرجعة الذين قالوا: إن الإيمان هو
الصديق والإقرار بالله تعالى فقط، خلافًا لأهل السنة الفقهاء: إن الإيمان
صديق بالجان، وتقول باللسان، وعمل بالأركان، هذا الحديث ليس حجة
لهم؛ لأن المرجع قالوا: إن هذا الحديث يدل على ما قلنا من أن الإقرار
يكفي لدخول عبد الجنة، وأن المعاصي لا تضر مع الإيمان! وهذا قول
فاسد؛ لأن مقتضى هذا القول: إنما المشكلين الذين إذا ذكر الله
ويجب تلويهم وإذا تلوي عليهم ما ذكر، رأواهم إيماناً وعليهم رضوان. ۷۰
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

الله تعالى في كتابه السماوي: "عرفاً، فأولئك هم المومنون حقاً.

[الأنفال] فجعل لأهل الإيمان أعمالاً، فدل هذا على أن الأعمال في مسمى الإيمان، وكذلك قول الرسول: "الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماية الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان" فالعلم من الإيمان، ولا يجوز أن يقول: إن الأعمال ليست من الإيمان؛ لأن هذا القول فيه رد النصوص القرآن والسنة، والذي يجب على كل مسلم أن يجمع بين النصوص، وأن يتقام جميعاً بالقول، فلا يأخذ منها شيئاً وترك شيئاً، وهذه عادة أهل الأهواء، وهي صفعة لأزمة لهم، فما من فرقة من فرق أهل الأهواء إلا تجدها قد أخذت شيئاً وتركت أشياء، إلا أهل السنة كما قال عبد الرحمن بن مهدي: "أما من طائفة أو فرقة إلا وذكر الذي لها، ولا تذكر الذي عليها، إلا أهل السنة، فإنهم يذكرون الذي لهم والذي عليهم"، وهذا من إنصافهم رحمهم الله أنهم يذكرون جميع ما ورد في المسألة من نصوص، ثم يوقفون ويجمعون بينها.

وهذا الحديث لو أخذناه، وتركنا ما جاء في الكتاب والسنة لأهلتنا كثيراً من دلالات النصوص، لكن لا بد أن نجمع بينه وبين يقين النصوص، ليكون الفهم صحيحًا تمامًا، فقال أهل السنة: هذا الحديث له عدة محام.

قوله: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" قالوا: إما أن يكون هذا قبل أن تنزل الفواتح، والرسول عليه الصلاة والسلام كان في مكة، فيقول للناس: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" هذه دعوته عليه الصلاة والسلام في مكة، لم يحرم عليهم الزنا، ولم يحرم عليهم الحمر، ولم يحرم عليهم الربا، وما نزلت هذه الفواتح، تعتمد إلا في المدينة بعد أن استقر الإيمان في قلوب الناس، أما قبل ذلك؛ فلم تكن هذه الفواتح إذاً
يحمل على أن هذا كان قبل نزول الفرائض.

وهل هناك وجه آخر أن قوله: "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة؟" هذا الرجل لم يقدر على غير النطق بالشهادتين، فيحمل في حق من لم يقدر على غير كلمة التوحيد، إما أنه قالها ومات، أو أنه لم يبلغه من الإسلام إلا هذه الكلمة فأتمنى بها، كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه، يقول:

 قال رسول الله ﷺ: "يدرس الإسلام كما يدرس (آي بنحنى) وشري اللّه، حتى لا يعلم صلاة ولا صدقة ولا صيام، ويبقى طوائف من الناس يقولون: أدركتنا أبنا يقولون: لا إله إلا الله، فنحن نقول هذه الكلمة فقال له جلبه: فما تنفعهم هذه الكلمة؟ قال: بل تنفعهم، بل تنفعهم (1).

فيكون هذا الحديث، حديث الرجل الذي جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام - والحديث في صحيح مسلم - فقال: يا رسول الله أسلم أو أقتات! قال: "أسلم ثم قاتل" رجل مقنع بالحديد جاء إلى النبي ﷺ، فقال: هل أدخل المعركة ثم أسلم، أم أنني أسلم ثم أقتات! فقال له ﷺ: "بل أسلم ثم قاتل"، أي: لأنك إن قلت على غير الإسلام؛ ستي كافر، ولا تنفعك نصرك للإسلام بغير إسلام (2)، فإن الله ﷺ يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وهذا من آيات الله، أنه يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر الذي لا إيمان له، فأسلم الرجل ثم قاتل فقتل، فسأله الصلاة والسلام: "عمل قبل، وأجزَّ كثيراً" ما صلى، ولا صام، ولا أدّى غير الجهاد في سبيل الله.

(1) رجاء ابن ماجه (443) بنحوه.

(2) وهذا من حرص النبي الهدي والرحمة على تصحيح الأعمال والاعتقاد، ولو في أشد الحاجة إلى الأفراد لنصرة دين الإسلام، فلم يكن له تجميع الناس دون تصحيح لاعتقاداتهم، فتألَّى.
وله محلي ثالث: وهو أن "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" إن كان من أهل المعاصي وهو موفّح، فإن الله سبحانه وتعالى، قد يغفر له، كما في حديث الباطقة: "أن رجلًا يأتي يوم القيامة بسجلات من الذنوب مادبصر، وبجاء له ببطاقة كتب عليها: لا إله إلا الله، فيقول: يا رب، وما تفنع هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فتقول: إنك لا تُلزم اليوم شيئاً، فتوضع السجلات في كفر، والبطاقة في كفر، فطاشت السجلات، وثلقت البطاقة، ولا ينقل مع اسم الله شيء." وهكذا هنا هذا في الحديث "من مات وهو يعلم..." محمل على أن الله سبحانه وتعالى قد تجاوز لهذا الإنسان عن ذنوبه وخطاياه وغفر له، وأدخلته بهذه الكلمة الجنة، أو أن الله سبحانه وتعالى أخرج منه النار بعد أن خرجها، بتوحيد، بشفاعة الشافيين، من المؤمنين أو النبيين، أو الملاكاء، فإنهم يشعرون يوم القيامة، فيكون دخل الجنة بعد مجازاته، يعني من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن جوزي قبل ذلك - يعني قبل دخوله الجنة - بتعذيبه بالنار وتطهيره بها، فإنه لا بد أن يدخل الجنة.

وهذا هو مذهب أهل السنة في هذه المسألة، وهو: أن أهل التوحيد لا يدخلون في النار جهنم، خلافًا لأهل الاعتدال والخروج، فالخوارج قالوا: إنه إذا عمل كبيرة خرج من الإيمان، لأن الإيمان عندهم شيء واحد، إن ذهب بعضه ذهب كله، وأما المعتزلة فقالوا: من عمل كبيرة خرج من الإيمان، ولم يدخل في النار، وإنما صار في منزلة بين المنزليين! لكن الخوارج والمعتزلة جميعًا يقولون بخلود صاحب كبيرة في النار، وهذا يخالف ما جاء في الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة كما علمت.
(10) عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد - شاب الأعجم.

5. الشرح:

وهو الحديث الثاني في هذا الباب. أبو هريرة الصحابي الجليل الحافظ، تقدمت ترجمته.

فوله: "لو أذنت لنا نواضحة النواضحة" النواضحة: هي الإبل التي يسعى عليها الماء، البعير يقال له ناضح، والناقة يقال لها ناضحة، فلنما أصابت
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

الصحاباء مجاعة، أرادوا أن ينحوا رواحلهم، ودراَبِّهم النبي عليها يركون، فقالوا: "لَوْ أَوْلِدْتُ لَنَا" ولولا كيف أن الصحابة ما كانوا يُدعون على عمل إلا بعد استذان النبي عليه الصلاة والسلام، وقد يقول قائل: هذه نافقة وهذا بييري، وأنا أفعل به ما أشاء! لكن ما كان الصحابة كذلك، وهم خيرة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، بل كانوا لا يقدمون ولا يؤخرون شيئًا من الأعمال إلا بعد استذانه عليه الصلاة والسلام، لا سيما وهم في حالة خروج وغزو، فهم كما أخبر الله تعالى عنهم لما كانوا في الخندق محبطين، لا يرجع الواحد منهم إلى بيته ليزور أهله إلا بأن النبي عليه الصلاة والسلام، والخندق قريب من المدينة جدًا، فقال الله تعالى عنهم: "فَإِنَّ الَّذِينَ إِنْ سَتَيْنَىٰ مَثَلُهُمْ لِأَلِيْمِينَ يُهْتَمِرُونَ وَيُهْرُونَ. إِذًا أَسْتَنْذَرُونَ بِفَرَحٍ مُّكَبَّرٍ وَاللَّهُ رَبُّكُمْ" [النور: 22].

هكذا كان الصحابة مع النبي المصطفى نبأً.

فوله: "فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "أَقْلَعْوَا" لأنه كان رجيمًا به مكروهًا، لما رأى حاجاتهم وقرمه إلى اللحم، أذن لهم في ذلك.

فوله: "فَجَاءَ عِمْرُ قَالَ: "يَا رَسُولُ اللَّه ﷺ إِنَّ فَتَّىٰ قَلَّ الْظَّهْرَ" أي: إن أذن لهم بمذبح التوابل، فقتل الزواج، وفي هذا ضرر بالجيش.

ويؤخذ من هذا: جواز أن يتغذى المفضل الفاضل، وأن يستدرك عليه، ولكن بأسلوب، فلا يتأس أن يكون من هو أصغر منك مدركًا لك بأمر مهم، قد تغلب عليه ويغيب عنك، وقد تكون قائدة سياسياً محنكًا، وإمامًا في العلوم والدين والشعر، ولكن لا يمنع من أن تستفيد من هو أصغر منك شيئًا، ولا يزال المشاهب يستفيدون من تلاميذهم، وهذا من تواضعهم.
وقد قال الشاعر:
لا تحقرون السراي وهو موافق
فالد و هو أعز شيء يقتنى
ما حط قيمته مواد الغائص
قوله: "ولكن أدْعُهم يَفْضِلُ آزِوادِهِم" يعني: بما فضل من أزوادهم،
يعني: من طعامهم الذي ينزوونه في السفر.
قوله: "ثُمَّ أذَعُ اللَّهُ لُهِمْ بِالْبَرْكَةِ، لَمَّا أَنَّكِنَّ يَجِلُّ في ذَلِكَ" يعني أن
يجعل في ذلك البركة.
قوله: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثُمَّ" قال: قَدْ ذَهَبَ يَنْطِعُ" نَطِعْ: لِهَا أَكْثَر
من لحاء، يَنْطِع وتَنْطِع وغير ذلك، وَالْبَطْعُ: هو بِسْطَانَ مِن الجَلِدِ، أَيْ فَدْعَا
بِبَسْطَانَ مِن الجَلِدِ.
قوله: "قَبْسِطَةً، ثُمَّ ذَهَبَ يَفْضِلُ آزِوادِهِم، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ بَيْنَيْهِ
بِكَفْتِ ذَرَةٍ حَبَوب الْدِّرْةِ المَعْرُوفَةِ.
قوله: "قَالَ: وَبَيْحِيُّ الْأَخْرَجَ يَكْفُ نَطُوعٍ، قَالَ: وَبَيْحِيُّ الْأَخْرَجَ يَكْفُ مَعْجَزَةً
كَسْرَة خَبِير، لَأَنَّهُ قد قَلَّ الْزَادَ، وَوُجَّهَ الجَمْعُ فِي جَشَى الرِّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
قوله: "قَلَّى اجْتَمِعْ عَلَى النُّطْعِ مِن ذَلِكَ شَيْءَتِينَ يَبْسِرُ" دَلِلَّ عَلَى أنَّهُم
كَانُوا قد أَسْتَنْدَفُوا مَا عَنْهُم مِن طَعَامٍ.
قوله: "قَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثُمَّ" قال: "خَذُوا فِي أَوْعَيْنِكُمْ
قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعَيْنِهِمْ حَتَّى مَا تَرْكُوا مِنَ الدِّينِ وَعَاءٍ إِلَى مَسْلُوبٍ، حَتَّى
فَأَكْلُوا حَتَّى شَيْعُوا، وَفُقِضَتْ فَضَلَّةٌ" أي: بعد أكلهم وآخذهم في أزوادهم
وأوؤينهم، أكلوا حتى شبعوا، وفضل من ذلك فضلة.
قوله: "قال رسول الله ﷺ: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأَيُّ حَيَّ رَسُول الله"، وهذا قاله النبي ﷺ تذكيراً للناس بهذا الموقف الإيماني، الذي ظهرت فيه آية من آيات الله، وعلامة من علامات البوة، ودلالةً من دلائل الرسالة، قال عند ذلك: "أشهد أن لا إله إلا الله وأبي رسول الله" لأن هذا دليل تأييد من الله ﻟإنه قد أيد فيه بالآيات التي يسمونها بالمعجزات، والمعلوم أن الله ﻟإنه يؤيد الصادقين الذين يخبرون بالحق، ولا يفتورون على الله ﻟأكاذب المفترى فإن الله ﻟيخذه ولا يؤيده، ومن أعظم الدلائل على صدق نبأته ﷺ أن فيه مدة ثلاث وعشرين سنة يقول: "إني رسول الله" ﻟو رويده الله ﻟو نصره على عدوه، ويكتب من يخالقه، ويؤيده بالنصر والعزة الثانيتين والرقص، فهذا من أكبر الأدلّة على أنه صادق ﷺ، وأنه لم يقل على الله ﻟإلا ما أمره الله ﻟه، قال سبجانه: "ولو نقل علينا بعض الأقرباء ﷺ لأشهدنا به ﷺ، ثم أطممنا به ﷺ، فما ينكر من لغة سميحين ﷺ" ﴿[الحاجة: 44]﴾.

ثم انظروا إلى من يكتب على الله، كيف يخذه الله، وكيف يعيش طريداً؟ كيف يهزمه ويزلزله ويضيق عليه الدنيا؟ ولكن في التاريخ عبّر كثيرة، مسيرة الكاذبين، والأسود العنيض، وغيرهما كثير، وحتى الكاذبين في عصرنا لا يملؤون إلا سبيله، ثم يأتهم عذاب الله ﻟي وبينه ﻟي، وبأسه لأن الكاذب على الله من أقح الجرائم، بل جعله الله في قمة المحشرات، فقال سبجانه: "كُل إِنَّما حَرَّمَ رَبُّ الْخَلْقِ مَا طَهَّرَ بَيْنَاهُ وَأَلَّمَ وَأَنَّهَ يَقِفُ الْحَقُّ وَأَن يَكُونُ كَمَا لا يُؤْتَى وَإِن تَعْلَنَّا ﷺ أوَّلًا آمَنُوا وَأَنتُ عِندَ ٱللَّهِ مَعْنَىً (٣)﴾ ﴿الأعراف: 33﴾.
فالفصة إذا دليل عظيم على نبوة محمد ﷺ.
وقوله عليه الصلاة والسلام: "لا يلقى الله يهيمًا عبدًا غير شاك" نعلم من ذلك أن من قال: لا إله إلا الله، من غير يقين: بل بشك وتردد، فإن هذه الكلمة لا تنفعه، فلا بد أن يقولها وهو موقن بها، عالم بمعناها، وإلا فإن قالها جاهلًا ومعناها لم تنفعه فلو أن إنسانًا إنجليزيًا مثلاً، أو فرنسيًا قال هذه الكلمة، ولا يعرف معناها، لا تكفي لدخوله في الدين، حتى يعرف معناها ويصدق ويوقن ويمر، وإلا فإنه لا يتحقق له شيء.
وقوله: "ففيَّحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ" بشرى عظيمة لأهل التوحيد.

*** ** **
(11) عن الصحابي يُعنِّي عَبْدُ عَبْدِ الصَّابِبِ، قال: دَخَلَ عليه، وهو في الموت، فَكَبَثَ، قال: مَهَلَّا لَمْ تَكُنْيُ، قَوْلُهُ لَيْنُ اسْتَنلهِدَهُ، لَأَنْهَدْنَ لَهُ، وَلَيْنَ مَفْعُونُ، لَا شَفَعُوا لَهُ، وَلَيْنَ اسْتَطْعَهُ لَأَتْقَنُّهُ، ثُمَّ قَالَ: وَلاَهُ كَمِن حَبِيبِ سَبِعَةٌ مِن رِسْوٍلِ اللَّهِ ﷺ، لَكُمْ فِيهِ خَيْرَ إِلَّا حَدِيثُكُمْ إِلَّا حَيْثُ وَاحِدًا، وَسُوْفُ أَحَدُكُمْ يَبْعَزُونَ، فَقَدْ أَحَبَّ بَنِي يَسِيرِي، سَمَّعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُوَ مَحْمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ.

5. الشرح:

وهذا هو الحديث الثالث في هذا الباب.

قوله: "عن الصحابي" الصحابي اسمه عبد الرحمن بن عسلة أبو عبد الله، مات النبي عليه الصلاة والسلام. قبل أن يصلي إليه الصحابي بخمس ليالي، فالصحابي ارتحل إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فلمًا وصل المدينة قالوا له: توفي الرسول ﷺ قبل خمس ليالي. فهو من المخضرمين، والمخضرم: هو من أسلم في حياة النبي ﷺ، ولم يلتقه، فصار عندنا ثلاثة طبقات:

الطبقة الأولى: طبقة الصحابي، وهو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك.

الطبقة الثانية: المخضرم، وهو من أسلم في حياة النبي ﷺ، ولم يلتقه.

الطبقة الثالثة: التابعي، وهو من لقي النبي ﷺ.

فالخضرمون إذا أُعلن رتبة من التابعين.
قوله: "عن عبادة بي الصامت: أن قال: تخلت عليه، وَهُوَ في الموكَّتِينَ": أي كتب على وفاة هذا الصحابي الجليل عبادة بن الصامت، وله من الفضائل كثير، وكان من أشراف الخزرج، وأحد النباهة، شهد بدرًا، ومات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وله الثمانين وسبعون، وحديثه في الكتب السنية.

قوله: "قال قلعة: لا نبتكي، قل الله. نبتكي، وَلْيَسْتَطِعَ لَكُمُ، وَلَيْنَ أَشْهَدُنَّ لَكَ، وَلَيْنَ شَفَعَتُ; لَأَشْهَدُنَّ لَكَ، وَلَيْنَ أَشْهَدُنَّ لَهُ، وَلَيْنَ أَشْهَدُنَّ لَهُ": يعني في الآخرة، يقول: إن استطعت أن فعل ذلك، فعل إن شاء الله.

قوله: "ثم قال: وَاللَّهِ مَا مِنْ خَيْبَةٍ سَيِّئَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَكَمُ فِيهَا خَيْبَةٌ إِلَّا خَيْبَةٌ وَاحِدَةٌ، وَسَوْفَ أُخْلَدُوُّهُمُ الْيَوْمُ" الصحابة لم يكتموا العلم، ولم يحروا شيئاً مما سمعوا من النبي - عليه الصلاة والسلام - عن الناس، لكن قد ترك الصحابي التحديث بعض الأحاديث التي لا يفهمها العامة، وهذه الأحاديث ليس فيها حد من حدود الله، ولا فريضة من فرائض الله، ولا أمر يتوقف عليه إسلام الناس أو حاجتهم، وإنما ما قد يتعلق بفضائل الأعمال، أو بقضايا الفتن وأخبار الساعة وعلاماتها، وما أشبه ذلك، يعني أنهم كانوا بعض العلم الذي خافوا ينشره حديثاً ما يضاد الخير، من الفتن، وسوء الفهم الذي يدخل الإنسان النار، ونحوه.

قوله: "وَقَدْ أُجِبْتُمْ يَقْطَعُونَ": يعني: ظننت نزول الموت بي، وخروجي من الدنيا، فأراد أن يخيرهم بهذا الحديث، لتلا يكتم شيئاً سمعه من النبي ﷺ، فبعق في الوعيد الوارد في كتب العلم (1).

(1) وهو قوله: تعالى "إن من الذين يكرمون ما أردنًا يبتعدون من النعيم ما بيكته للناس."
قوله: "مَن شَهِدَ أن لا إِلَه إِلَّا الله، وَأنَّ محمَّداً رَسُولَ الله، حَرَّمَ الله عَلَى النَّارِ"، عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل، ثبت أنهما كتبا هذا الحديث عن الناس خشية سوء الفهم، وقد وقع كما ظنا لأن المرجئة قالوا: يكفي الإقرار، ودليلهم هذا الحديث، وغيره مما يشابهه، والإرجاء لا تظنوا أنه اقطع، كم من الناس اليوم تذكره بالصلاة، يقول: أنا الحمد لله مسلم، أشهد أن لا إله إلا الله! كم من الناس من تذكره: يا أخي لا تأكل الربا، لا تنفظ كما تعفه النار، يقول: أنا مسلم أشهد أن لا إله إلا الله! فيتشكل على هذه الكلمة ويشغب العمل! وهذا قد تلاعب به الشيطان، فكان كما قال تعالى: "فَبِهِمْ وَبِمَعِيَاهُمْ وَما يَعْلِمُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غَرُورًا" (النساء) نعود بالله تعالى من الغفلة والجهل.

وقد قال العلماء: إن هذا الحديث أحد شقي الموجبين، والموجبان هما: من مات لا يشرك بالله شيئاً، دخل الجنة، ومن مات وهو يشرك بالله شيئاً، دخل النار.

* * *

في الكتاب: "أَفْتَكَرَكَ أَنْ تَغْنَمَ مَن يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَيَطَمُّهُمُ اللَّهُ ۛ إِلَّا أَلَّهَيْنَْ نَآئِمَا وَأَصَلَّيْهَا وَبِكُلِّ صَنَاعَتٍ" (البقرة)، وقاله: "من كتب علماً للجمهور بولعومه من نار" رواه ابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح لا غير عليه. "صحيح الترغيب" (121).
(12) عن أبي مُحَرَّرٍ قال: كنتا قدْعُوداً حَوَلَّ رسول الله ﷺ، معاً، أبي بكر ﭺ وعُمَرُ ﭺ في نفر، فقام رسول الله ﷺ بيني أظفنا، فأطْلِبْنا علىٍ، وخشيناً أن يُقْطْعَ دوننا، وقويناً فقمنا، فذكرنا أول من قرع؛ حيثَجْذَبَ أَبِنَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حتى أتى حائطنا للأنصار ليبني التجار، فضرع به هل أحدٌ لبايَ فَّلَمْ أَجِدْ، فإذا بِرَيْبٍ يَدْخُلُ بِجَوْفِ حائطِ من بِنْرِ خَارِجِهِ (والربيع البحول)؛ فاختفّت كما يختفي اللَّعْبُ. فذكرت على رسول الله ﷺ، فقال: «أبَوُ هَمْرَةٍ!» فقلت: فلست يا رسول الله، قال: «ما شئتُ?» فقلت: كنتا بين أظفنا قُطعت، فأطلقنا عليه، وخشيناً أن تُقْطَع دوننا، فقومنا فذكرنا أول من قرع، فأتى هذا الحائط، فاختفى، ووحول الناس ورائي، قال: «يا أبَا هَمْرَةٍ!» وأعطاني نغليه، وقال: اذهبِ بكِنْدَيْهِ. فمن قيمت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقيماً بيها فعلته، فأقبلُ بِرَيْبِهِ، فكان أول من قيمت عمر، فقال: ما هاتان النُّطُلُانِ يا أبَا هَمْرَةٍ؟ فقلت: هاتان نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تشققُ بِهِما، من قيمت يشهد أن لا إله إلا الله مستقيماً بيها فعلته، فأتى الرحمن، قال: فَقَرَبْ عَمْرُ بِكِنْدَيْهِ الْحَيَّةِ. فقلت: فَقَرَبْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسْهِيْنَتْ جَبَّاهَهَا، وزُكَيْنِي عمر، فإذا هو على أثره، قال لي رسول الله ﷺ: «ما شئتَ يا أبَا هَمْرَةٍ؟» فقلت: يَقِيمُ عَمْرُ تَسْهِيْنَتْ يَلَدَّي بِكِنْدَيْهِ، فَقَرَبْ بِكِنْدَيْهِ ضُرْبًا خَرُزَ لَّا يُتَكَلَّبُونَ، قال: ارجع. فقال له رسول الله ﷺ: يا عُمرَ! ما حملك على ما صنفت؟ قال: يا رَسُولٌ اللَّهِ! يَأِي أَنَثٌ وأَمِيَّةٌ.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

أبعثت أبا هريرة يسألني عن أمور، فسألته: "أثبت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؟" فقال: "نعم". قال: "لا تفعل!" "أثبت أن يتّكل الناس على ما يخلقهم؟" قال: "نعم". قال: "لا تفعل!" ~ القرآن، سورة الناس.

الشرح:

هذا الحديث الرابع في هذا الباب.

قوله: "عن أبي هريرة: "قال: "كنّا نودعًا حول رسول الله ﷺ، ممنًا أبو بكر وعمر في نجر". يصف هذا: فعود المعتمدين حول المعلم، وأخذهم عنه، واستفادتهم منه، وهكذا كان الصحابة يحيطون بالنبي - عليه الصلاة السلام - فيحدهم، ويعلمهم، ويرشدونهم.

وفيه أيضًا: حسن إخبار أبي هريرة، وفصاحته، إذ أنه لم يذكر جميع الصحابة الذين كانوا حول النبي ﷺ؛ لأن هذا مما يشاق، فذكر أبرزهم.

قوله: "ممنا أبو بكر وعمر، ثم عمّ الباقيين يقول: "في نجر"، وهذا من دفته أيضًا.

قوله: "ممنا": فيها لغة أخرى، وهي "ممنا" يغشى العين، لكن الأشهر بفتح العين.

قوله: "فقام رسول الله ﷺ بيني أظهرنا". من بين أظهرنا، يعني: من بيننا، ويلقال أيضًا: من بين ظهرنا، وكلاهما صحيح.

قوله: "فأبطا علينا": يعني تأخر، قام - عليه الصلاة السلام - لحاجته، فأبطا عليهم.

قوله: "وخرجننا أن نقطع دوننا، ورفعتنا قمًا": وذلك أن الرسول ﷺ.
شرح صحيح مسلم من مختصر الإيمان

عليه الصلاة والسلام. كان مستحدثًا من اليهود، والمنافقين، والمشركين،
فلما قام من بينهم وأبطلًا في الرجوع عليهم، خشي الصحابة أن يكون قد
اغتيل، أو مسه سوءً، ففزعوا، وقاموا يبحثون عنه.

وفيهم: إشفاق الصحابة على النبي - عليه الصلاة والسلام،
وقسِّمهم له، والتماس حاجته، فلعله احتاج إلى شيء، فقاموا يبحثون عنه
لتنعمو بخير، أو ليصدوا عنه شرًا.

قوله: «فَكَانَّكَ أَوَّلٌ مِنْ فَرَعٍ; فَخَارَجْتَ أَنتِنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَتَيْتَ حَائِطًا لِلْفَرَعِ لِيَتَصَادَرَ لَيْبُيّ النَّجَّارَ»: الحائط هو البستان، وكانوا يهتناقون البسانين
بالحوائط، فغلب اسم الحائط على البستان، فصاروا يقولون للبستان: (حائط).
وقيل: سُمِّي حائطًا لأنه لا سقف له، والأول أشهر، فوجد بستانًا
لبني النجار، وهم أخوال النبي - عليه الصلاة والسلام، لأن أمه كانت من
بني النجار.

قوله: «فَقَدَّرْتُ يَهِي هَلَّ أَجَدُ ﷺ بَيْنَا ﷺ ﻓَلَمْ أَجِدْ: بَحْتِ عِنْ بَابِ هذَا
البستان، فلم يجد، لعله ما رأى أو كان في موضع خفي، فلم يرُه.
قوله: «فَإِذَا رَبِيعُ يَدْخُلُ فِي جُنُفٍ حَائِطٍ مِنْ يَمِّرَ خَارِجَةَ (وَإِلَيْهِ الْجَذَّوْل)»: فَخَارَجْتُ، فَخَارَجْتُ: الربيع على اسم الفصل المعروف، وهو:
الشهر الصغير، وكذلك الجدول، وكان يأتي من بئر خارجة عن البستان،
ويدخل البستان عن طريق فجوة.

قوله: «فَخَارَجْتُ» يعني: تضاممت وتصاصرت، حتى أدخل في هذا
النفق الصغير الذي يدخل منه الجدول، واستفاد العلماء من ذلك: أنه يجوز
للإنسان أن يدخل بستانًا لأخوه إذا غلب على ظنه سماحًا بذلك؛ بل قالوا
شرح كتبة الإيمان من مختصر صحيح مسلم

يجوز أن يدخل بستانته ومكانه، ويأكل من طعامه، ويشرب من شرابه، ويركب دابته، إذا غلب عليه ظنه أنه يسمع بذلك بـ: حَرَّم، وأنه لا يشقت عليه؛ لأن أبا هريرة معاً متأذن، ثم النبي ﷺ أقره، ولم ينكر عليه، وهذا الإقرار دليل من الأدلة التي يستند بها في السنة.

قوله: "فقال:
"أبو هريرة! فقلت: تعالى
"أبا رسول الله، قال: "ما شئت؟" أي: ما خبرك؟

قوله: "قلت: كنت بنين أظهرًا فقمت، فأبطأتك... قال: "أبا هريرة!" ناداه النبي ﷺ باسمه تنبهًا له، لما سيكلم به من الأمر المهم، وهي طريقة مستعملة في القرآن كثيرًا، كالأنباء بـ "يَأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ", أو "يَا أَيُّهَا النَّاسَ.

قوله: "وَأَطَلَّبَهُ نَعْلِمَهُ، قال: "اذْعَبَ يِنْفِقُيْيَ حَانِئينَ، فَمَنْ أَقيِمَ مَنْ وَرَأَهُ هَذَا الخَائِنُ يُنْبِهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّاءَ اللهُ مُتَّقِيْيَا، بِبِكَارَةٍ بِالجَنَّةِ." الرسول ﷺ أعطى أبا هريرة نعيله؛ لكونه علامة ظاهرة يستدل بها على المتكلم، وأبو هريرة كان مصدقاً عند الصحابة، ومؤتمراً، ولكن هذا زيادة تأكيد، وعلامة ترجح صدق المتكلم.

وستفاد منها أيضًا: أن العالم الكبير، أو الإمام، له أن يعطي رسوله أو نائبه علامة تدل على صدقه، ككتاب موقع ومخروم - مثلًا. باسم الإمام، أو أن يكون يخط المعروف، وهذه كلها براهين يستدل بها على صدق المتكلم، ولو كان الإنسان مصدقاً غير منهم بالكتاب؛ لكن النقوس جَبَلَت على حبّ البراهين، وعلى حبّ الشواهد التي تشهد بصدق المتكلم.

قوله: "مُسْتَقِيِّيْيَا يَهَا قَلِيبُهُ، فَبِكَارَةٍ بِالجَنَّةِ.": وهذا فيه فائدةً لأهل الحق:

٧١
أن هذه الكلمة لا تنفع من شكل فيها، كما ذكروا في الحديث السابق: أن المنافقين كانوا في شك مريب، والله ذكر الكفار بهذه الصفة، فقال:

»إنكم كأنتم في ميْرَة (6) [سجدة]« فلَا تَفْعَلُوا هَذَا مَا خَلَقَهُ خَالِدًا وَلَا كَبِيرًا».

شاكر فيها مرتبة، بل لا بد أن يقولها وهو مستفيض بها من قلبه، أي: يوافق القلب قول، يقول: لا إله إلا الله، بلسانه، ويستقيد بها قلبه، ولم كان هذا القول لا عبرة به، ولا ينفع صاحبه في الآخر.

قوله: "فَكَانَ أُولٌ مِنْ أَقِيمِيْنِ عُمَرٌ فَقَالَ: مَا هَاتَانَ اللَّغَانِ بَا أَبَا هَزِيْرَةَ؟ فَقَلَّ: هَاتَانِ تَعَلُّ نَعْلَصُ أَيْضًا رَسُولِ اللَّهِ [ﷺ] يَعْنِي: يَعْنِي مِنْ أَقِيمِيْنِ يَشْهَدُ أَنَّهُ إِلَّا اللَّهُ مَعْظُومًا نَعْلَصُ أَيْضًا وَقَالَ: فَقَضَبَ عُمَرُ يَتَبَيَّنَّ نَذَرًا فَخَخَرتُ لَامِنِي»: ضرِبَ بَينِ ثديِّي يَعْنِي: عَلَى صَدْرِهِ، وَهَذَا دِيْلٌ عَلَى أن يَعْلَقَ النَّدِّي عَلَى الرِّجْلِ وَالْمِرَأَةِ، وَجَاءَ ذَلِكُ فِي أَكْثَرٍ مِنْ حُدْثٍ، وَفَقَضَبَ عُمَرُ أَمِيْ بَيْرَةً فِي صَدْرِهِ لَيَنِيبَهُ وَيَتَأَكَّدَ، وَلَمْ يَقْصِدَ عُمَرُ أَنْ يَضْرِبَهُ.

أو أن يَسْقَطَ وَرَاءَهُ، وَإِنَّمَا قَسْدَ أَن يَتَبَيَّنَ وَيَؤَكَّد عَلَيْهِ.

قوله: "فَخَخَرتُ لَامِنِي" يَعْنِي: وَقَتَأَثَرَ عَلَى دَبِرِي، وَذِكِرَ الاسم الصريح، وَالذي عليه التعبير والبيان في القرآن والسنة، هو عدم ذكر الأسماء التي يُنصَّتُ منها صراحةً، فَالله ﷺ قال: "فَلِيُّ تَسْمَى لَيْتَهَا الْخَيَامُ [الترّة: 82]« قال: "كَفَّرَتْ تَمَّذِدُهُ، وَقَدْ أَهْلَكَ بَعْضَهُمْ إِلَّا بِعَرْضٍ وَأَخَذَّتْ قَوْمَهُ بَيْنَمَا عَلِيَّةٍ [النساء]»)، وَقالَ: "وَإِنْ طَلَّقُهُمْ مِنْ قَلِبٍ أَنْ تَسْمَوْهُ [النساء: 17]« وقال: "وَأَوْلَىٰ تَسْمَى أَنِّيْسَةٍ [المائدة: 1]«، فَكُلُّ هذِه لَيْسَ أن تَسْمَوْهُ للجمَاعِ؛ لأنَّ هَذِهِ الأَلاَفَاظ تَعْنِي عَن ذِكْرِ الْأَسْمَ الصَّرِيحِ، وَلَا لَبِسٌ وَلَا إِسْكَالٌ، أَمَّا إِذَا كَانَ
اللفظ يحتضن اللبس والأشكال أو المجاز، فعن ذلك ذكر اسم الصحيح،
قول الله تعالى: "أَرْبَانِيَّةُ وَأَرْبَانِيَّةُ، قَالَوْا: َقدْ ذَهَبْتُمْ كُلُّهَا فَيَنْتَهُ بِيَتُّهَا يَوْمَئِذٍ" (النور: 2)،
ذكر الله تعالى اسم الصحيح باللفاحرة، وكذلك قول النبي - عليه الصلاة والسلام - للزاهي: "أَنْتُنَا ذَكَرْنَا هَذَا الْقَلْبَ إِلَى الْمَعْلُوْمِ، لَكُمْ عِلْمَ الْأَمْرِ"، بعد أن حدث بهحديث الرسول ﷺ:
"لا يقبِل الله صلاة رجل أحدٍ حتى يتوضأ". قالوا: ما الحدث؟ قال:
"فساء أو ضراط" (1) بالاسم الصحيح لتأيقن إنكار答え، وإنها أبو هريرة قال:
"خُرُطت لِإِسْتِياءٍ لَّي رَبِّي أَنْ حَصَل هَذَا الأَمَر بِالْفَعْلُ.
قوله: "قَالَ لَهُ: ازْجِْعَآيَا إِبْنَ عُمَّرٍ، فَأَجْهَشْتُ البَكْرَةَ وَزَكَّيْتَنِينَ عُمُرٍ"، فإذا هو علَى أَثْرٍ: رجع أبو هريرة إلى
النبي - عليه الصلاة والسلام - لما أمره عمر بذلك، وعمر ﷺ كانت له من
المنزلة والمكان ما لا يخفى عند الصحابة، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يشأ أن لا يتركه وعمر في أمور المسلمين، فلذلك رجع أبو هريرة.
قوله: "فَأَجْهَشْتُ البَكْرَةَ" وذلك أن الإنسان إذا حزن أو ظلم، أو أصابه
شيء وُقع إلى آخر، تجد بهغير وجهه، ويتهمه للبيكة، وقيل: أجهشت وجاهشت.
قوله: "وَزَكَّيْتَنِينَ عُمُرٍ" يعني لحقني عمر وسار على أثري، أثري:
يصح فيها الفتح للهمزة والثاء، وكسر الهزة وإسكان الها.
قوله: "قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَا لَكَ بِابْنِ أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَلْتُ: أُعْمِرَ، فَأَخَذَهُ بِالْأَمْر بِبَعْضِي بِيَدِي، قَضَرَ بِهِ بِبَيْنَ يَدْوَانِي ضَرْبَيْنِ حُزُوزٍ لِإِسْتِياءٍ، قَالَ:
(1) أخرجه البخاري في صحيحه (282/1)، ومسلم (3/101، نوري).
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

ارجع. قال: "يا رسول الله صل الله عليه وسلم: يا عمر! ما حملك على ما صمت؟"، لأن عمر كان قد أدرك وسار وراءه مباشرة، فقال له: لم فعل ذلك بأبي هريرة؟.


فوله: "أبلغت أبا هريرة عمر صل الله عليه وسلم أعاد الكلام من أجل أن يبين ما عنده من رأي، وفي هذا: جزاء إبداء الرأي من المفضل للفاضل، والرسول عليه الصلاة وسلام. سمع من عمر، وفي هذا أن الفاضل العالم الإمام ينبغي له أن يسمع كلام المفضل، فإن كان له شبهة على أمره، رد عليه، لتكون الطاعة عن فتاعة، وينقاذ بالحجة والبرهان، والحقّ أحق أن يتبّع، والحقّ ضالٌّ المؤمن.

فالرسول عليه الصلاة وسلام: لما أمر بهذا الأمر، جاء عمر وأبدى ما عنده من رأي، ووافق النبي صل الله عليه وسلم: "فخلّهم"، وذلك أن البشرى إذا جاءت للناس، فإن الناس سيتكلّون عليها، تعجيل البشرى لهم فيه ضرر على أعمالهم: لأن الإنسان إذا بشّر بهذه البشرى التي هي عمل جليل وأجر عظيم جزيل، أتّكل وضعف عن العمل، وأشجّبه بعمله، والإعجاب بالنفس هناك، وقد ذكره النبي صل الله عليه وسلم.
والسلام - في المصلات الثلاث، فقال: "ثلاث مهلكات، منها: إعجاب المرء بنفسه"(1)، فإذا أعجب الإنسان بنفسه وعمله هلك، ومن رحمة الله بالإنسان أن جعله من أهل الذنب، ولم يفصصة من الذنب مطلقًا; لأنه لو عُصم من الذنب، لوقع فيما هو من أشد الذنب، كما قال: "لو لم تذبنوا، لخشيت عليكم ما هو أعظم، العِجْب العُجَب"(2). أي: القدر إذا كان دائمًا كل ما يفعله صواب، وكل ما يقوله صحيح، وكل ما يدعو له حقًا، ولا يخطئ لأصابه العجب بالنفس والكبر، لكن الله ﷺ بذل النفس بالنفس، فتكسر بين يديه نادمة خاضعة، طلبة العفو، والصفح، والمغفرة، وهذا فيه نفع عظيم لنفس البشر.

وإذا كان الإنسان لا يخطئ ولا ينرب، فإنه لن تظهر آثار أسماء الله الحسنى (الغفور، الرحيم، العفو، التوبة) كل هذه أسماء لها آثار، ولها مقتضيات، فإذا كان الناس لا يذنبون أبدًا لم تظهر آثار هذه الأسماء الحسنى، وجاء في "صحح مسلم" عن النبي ﷺ قال: "لو لم تذبنوا، للذهب الله بكم، وجاء يقوم يذنبون، فيستغفرون، فيغفر الله لهم"(3)، وقد جاءت أحاديث فيما مضى موافقة لهذه الكلمة كما ذكرنا، وسيأتي أيضًا مثلها.

وفي الحديث أيضًا: أن من العلم ما يجوز كتمانه; لأن الرسول  عليه الصلاة والسلام - رضي بأن يكتن هذا العلم عن الناس، لأن يضربهم، وللهذا قال العلماء: إن العالم ينبغي له أن يحدث الناس على قدر عقولهم، كما

(1) حديث حسن، رواه الطبراني في "المعجم الأوسط"، وتذكر: "السلسلة الصحيحة".
(2) "الترغيب والترهيب" للمنذري.
(3) (70/17- نووي).
قال علي بن أبي طالب: "حدثنا الناس بما يعرفون، أنريدون أن يَكذب الله ورسوله؟" (1) أي: حَدَّثَنا الناس على قدر عقولهم، ولا تحدثوه بما لا يطبه عقولهم، ولا يفهمونه، فتخفون في تكذيب آيات الله.

وروى مسلم عن ابن مسعود: «ما أنتم محدثًا قومًا حديثًا لا نبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة».

وهذا من الحكمة التي أمر الله بها في قوله: "أدع إلى سبيل ربك في سبيل ما خلقتهWall::boilerplate::recommended:

ولقد أعدت للفائضين سبلهم مختلفين: أبلغوا مما خلقتهم إلينا، وإن أحسنوا [ال숨: 125]." فإذا حدثنا إنسانًا قد أسلم حديثًا، فإننا ننتمي عنه بعض العلم الذي لا يصح له أن يعلمه الآن، ويؤخر حتى يقوي إيمانه، ويشتد عوده ويصلبه.

* * *

(1) رواه البخاري في صحيحه (2251)، كتاب العلم. باب: من خص العلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، تعليقًا بصيغة الحجى، ورواها موصولا أبو نعيم في "المستخرج"، وانظر: "فتح باري".
(13) عن معاذ بن جبل، قال: كنت رذف النبي، ليس بني
وبيتنة إلا مؤخرة الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل، فقلت: كنت يا رسول الله
وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، فقلت: كنت يا رسول
الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، فقلت: كنت
يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حَطَّ الله على العباد؟ قال:
قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حَطَّ الله على العباد أن يتبَدو و لا يُبَدِّا
يهمنا، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، فقلت: كنت يا رسول الله
وسعديك، قال: هل تدري ما حَطَّ الله على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت:
الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يُعْتَذِبُهُم.

5 الشرح:

هذا الحديث الخامس في الباب:

معاذ بن جبل هو الأنصاري، أحد علماء الصحابة، بل قال النبي
"أعلمن بالحلال والحرام معاذ".1 شهد بذلك وما بعدها، مات
بالشام سنة 188 هـ، روى له السنة.

قوله: "كنت رذف النبي، ليس بني وبيتنة إلا مؤخرة الرحل".

الردف: هو الراكب خلف الراكب على الدابة.

وقوله: "ليس بني وبيتنة إلا مؤخرة الرحل" دلالة على القرب من
 النبي عليه الصلاة والسلام.

1 حديث صحيح، رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أنس
وابه: "أراحم أمي بأمي: أبو بكر".

المؤرخ:
شرح مختصر صحيح مسلم

و"مؤذرة الرحال" هذا هو اللنف الأصح، وفيها وجه آخر أيضًا صحيح، وهو: مؤذرة الرحال، بشذيد الخاء والكسر والأول أصح، وهي الخشبيرة التي يستند إليها الراكب، وتكون خلفه. قوله: "قال: "يا معاذ بن جبل" ويبه أن يقول: يا معاذ بن جبل بالفتح.

قوله: "قلت: أَيْبِكَ يَا رَسُولُ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "يا معاذ بن جبل" قَلْتَ: أَيْبِكَ رَسُولُ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: "يا معاذ بن جبل" قَلْتَ: أَيْبِكَ رَسُولُ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ نادى النبي - عليه الصلاة والسلام. معاذًا في هذه المواضع الثلاثة، وسكت بعدها; جلبي لانتباهه، واستحضارًا لقلبه; ليسمع العلم الدافع عن شوق، وهو من أساليب التعليم المفيدة للمتعلمين.

قوله: "أَيْبِكَ يَا رَسُولُ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ" ومعنى لبيب: أي أجيبك إجابه بعد إجابه، وهذا للتأكيد، وسعدك: يعني ساعدت طاعتكم مساعدة بعد مساعدة.


ومنلاحظ أن معاذًا، لما سأله النبي - عليه الصلاة والسلام - عن "حق الله على العباد" لم يبد ما عنده، ولا قال: هو كما وذكر، وإن كان
يُمكن أن يأتي بشيء من الأورقة، وهو ما يُوفِق للجواب الصحيح؛ لكنه
أثَر أن يسمع على أن يتكلم، وقال الله ورسوله أعلم، ويبدو من هذا أن
المتعلم ينبغي له أن يستمع، أكثر مما يتكلم بين يدي معلمه ومشرده
ليستفيد، وكذلك السائل: ينبغي له إذا سأل أن يستمع ليستفيد، فبعض
الناس تجد بسأله، فإذا ابتدأ الشيخ بالجواب، ينزع الشيخ الإجابة
ويتكلم، فهجره الفائدة.
فوله: «قال: فإنَّ حقَّ الله علَى العبادة أن يُبَدِّأ وَلَأ يُهُدُى وَلَا يُذْهَبُ وَلَا يُدْمِجُ»
حق الله تعالى على عباده: أن يعبدوه، هذا الفرض الواجب على جميع
الخلق، وعلى جميع العباد، و«العبادة» كلمة تأتي أحياناً لتشمل المؤمن
والكافر، وتأتي أحياناً تكريمًا لخليفة خلق الله ﷺ، فقوله تعالى: «إِنْ صَلِبَتْ
من في الخلق وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا أَنْعَمَ رَبُّكَ عَنْهُ» [الجراف: 63]، يقصد بها الله ﷺ خليفة الخلق، والرسول ﷺ قد سمى الله ﷺ باسم
العبادة في أشر المقامات، في مواقف الإساءة، فقال: «شَيْخُ النَّارِيَّة أَمْرُي
يُكَبَّرُوهُ» [الشعراء: 1]، وقال: «سَبِيلُ أَلْحَزِيَّة نَزَّلَ اللَّهُ فِي نَحْوِهِ» [الجراف: 1]، في مواقف التنزل، وفي مواقف الدعوة قال: «وَأَنْتَ لَّا تَعْبِدُ أَنَّا أَنْتَ» [الجن: 19].
فالعبودية عامة وخاصة، فحق الله على العبید هذا حق عام على
الجميع أن يعبدوه، ولم يكشف عند قوله: «يُبَدِّأ وَلَأ يُهُدُى وَلَا يُذْهَبُ وَلَا يُدْمِجُ» وإنما قال: «وَلَا يُهُدُى وَلَا يُذْهَبُ وَلَا يُدْمِجُ» لأنه لو قال: «أَنْ يُبَدِّأ وَلَا يُهُدُي وَلَا يُذْهَبُ وَلَا يُدْمِجُ» فقط، لقال الكافر المشرك: أنا
أعبَد الله؛ لكنه يعد الله ويعبد غير الله، كما قال سبحانه: «وَمَا يُؤْمِنُ
شرح حکایه الإیمان من مختصر صحيح مسلم

اقترحهم ياقع ألا وقمع شکر (یرسفي، وقالوا مستكرين: أجعل
الاپأه إلها وحينا إنا هذا لندعِ
[3].

فوله: "ولا يشركوا يه شیئة" نكرة في سياق النهي تفيد العموم،
فیشیئة: أي ولو كان شیئاً يسرىً صغيراً، فینبغي لهم أن يتركونه، كالحلف
بغير الله، أو قول: حسب الله وأنت، أو: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك
من الألفاظ المحرمة، الداخلا في الشرك الأصغر، فإن قصد تعليم
المخطط؛ دخل في الشرك الأكبر عیادًا بالله تعالى.

فوله: "لم يصار ساععة" يعني: سار برهة وساعة من الزمن.

فوله: قال: "با معاذا بن جبل" قلت: كيفك يا رسول الله وسعديك،
قال: "على الذكري ما حكم العباد علي الله إذا فعلوا ذلك؟" حتى العباد على الله
هل هو ما وجب على الله سبحانه من العباد؟ هذا لا يكون؛ لأن الله لا
يوجب أحدٍ عليه شيئاً، فأحكم العباد على الله يعني ما أوجبه الله
على نفسه؛ لأنه لا أحد يوجب عليه شیئًا؛ بل هو قد كتب على نفسه ذلك، كما
قال: "كتب رضي الله عن قهسم الرحمه أنه مد من عقيل، ويسوع جهيله
شطر باب من عقوله" (أelsenم)، فقد كتب الله
على نفسه الرحمة، وذلك في كتاب موضوع عنده على العرش، كما جاء
في الحديث، وفيه: "وهو يكتب على نفسه" ([1])، فلا أحد يكتب على الله
وله يوجب عليه شیئًا، بل هو يكتب على عباده، كما قال: "كأتها
ٱلذين يأمروكم أن تكب علىأمركم في الحق " (البقرة: 187)، وقال: "كتب علیكم علمكم إذا خضر

(1) رواه البخاري في "توضيح" (128/484/207/2108/40/3284)، ولسان مسلم في "التوبة" (4/40/3108/40/3284).

من حديث أبي هريرة واللوز للبخاري.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

أُذْكِرُوْاْ أَنْ تَرْكُواْ حَيَّزاً لِّلْغُلُوْيَةِ» [البقرة: 180]، فهو يوجب ويكتب على عبادة، ولكن العباد لا يكتبون عليه شيئاً بل هو قد كتب على نفسه، كما هذا في الحديث: أنه يدخل عباد الذين لا يشركون به شيئاً الجنة، وأن لا يذبحهم.

وقال بعض أهل العلم: "الْإِيْمَانِ عَلَى اللّهِ" هو الحق الذي يتحقق لا محالة، يعني: الشيء الذي يتحقق للعباد الذين لا يشركون به شيئاً لا محالة، هو "أَنْ لَا يَشْرَكُواْ بِهِ"، فهذا متحقق لكل من لم يشرك به شيئاً، فكل من عده ولم يشرك به شيئاً، فإن الله لا يذبحه.

وزاد في رواية: "فآن معاذاً قال: أفلا أبشر الناس، قال: "لا يذبحهم فيكِيلوْا".

وفي هذا كما ذكرنا سابقاً: دليل على جواز كتمان العلم عن ضرره هذا العلم، فإذا علمنا أن هذا الإنسان يتصر به هذا العلم يحكم عنه؛ لاسيما إذا كان لا يتعلق به من حدود الله، ولا بفرضية من فرائض الله، وإنما هو يتعلق بما بالفضلات، أو البشارات، أو بأخبار السعادة والفتن، أو بأسماء بعض المنافقين، وما أشبه ذلك، فإن الصحابة قد كنوا أشياء من ذلك؛ لأنها لا يتعلق بها أعمال المكلفين، وتقدير ذلك راجع إلى حكمة المعلم والمربى وخبرته، فيخبر خاصته بما لا يطلع عليه غيرهم، كما أطلع النبي معاذاً على هذا العلم من بين كثير من الصحابة، لِمَا علم من تقدُم فهمه وإيمانه، فكان ينزل الناس منازلهم، ويحدث الناس على قدر عقولهم، ولنها في أسوة حسنة

- عليه الصلاة والسلام - في التربية والتعليم، وسائر شؤون الدين والدنيا.

** ** **
(14) عن محمود بن الربيع، عن عثمان بن مالك، قال: قَرَّبَتْ
الحديقة، فَقَلِبَتْ عَتِبَةٌ قَالَ: حَدِيثٌ يَلْعَنُّ عَنِّي، قال: أصابني في بصرى
بُعْضُ الشَّيَاء، فَقَعَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، آَيَةٌ أُحِبَّ أن تَأْتِيني فَصَلِّي في
مرأة، فَأَتَجِدُونَ مُصَلِّيًا، قال: فأنا النبي ﷺ وَمُنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ،
فَدَخَلَ وَهُوَ يَصِلِّي فِي مَرَأَةٍ، وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بِبِنْتِهَا، ثُمَّ أَمَسَّهُمَا عَطْمُ
ذلك وَكَبَرَهُ إِلَى مَالِكٍ بَنْ ذَخْشَمَ، قَالَوُا: وَدَوَا مَعَهَا دَعَا عَلَيْهِ فَهَكُلَ، وَوَذَوَا
أَنَّهُ أَصْحَابُ مَرَاءَةٍ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلاةَ وَقَالَ: "أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهِ، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ؟" قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَمَا هوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ:
"لَا يَشْهَدُ أَحَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهِ، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، فَبَدَخِلَ النَّارَ، أَوْ تَطَعُّمَهُ.
"قَالَ آمَنَ: فَأَجَابَهُ هَذَا الحَدِيثُ، فَقَلَّتْ إِلَيْهِ: اكِتِبْهُ. فَكَتِبَهُ.

5. الشرح:

هذا الحديث السادس والأخير في هذا الباب.

فوله: "عن محمود بن الربيع، عن عمرو بن مالك" وهذا الحديث فيه
من لطاف الإسناد: أنه من رواية محمود بن الربيع عن عثمان، والراوي عن
محمود بن الربيع هو أنس، فصار من رواية الصحابة بعضهم البعض، وقد
اجتمع هذا ثلاثة من الصحابة في الرواية عن بعضهم البعض؛ لأن أنسا،
ومحمود بن الربيع، وعثمان كلهم من الصحابة.

وعثمان: الأشهر فيه بكسر العين، وقال بعضهم: بالضم، وهو أنصاري.

مات في خلافة معاوية ﺔ.
قوله: "حديث بلفظي عنك" فيه حرص الصحابة على تلقي الأحاديث النبوية عن بعضهم البعض، والتي فاتهم بسبب عدم حضورهم خلف السابق، أو بسبب سفر، أو تأخر الإسلام، أو عسر سن، وما أشبه ذلك من الأسباب، فكان الصحابة يحرصون على سماع أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام من بعضهم البعض، وإذا قال الصحابي: قال رسول الله وهو لم يحضر ذلك المجلس، فإن هذا يكون مرسلا في غرف أهل الأصول؛ لكن مراسيل الصحابة مقبولة، لأنهم يجدون أن بعضهم البعض، وهم جميعًا ثقات وعدل بتعديل الله لهم في كتابهم، كقوله: "والسيف على الأموات من المجهرين والأثار والأثين أتبعوه صلى الله عليه وسلم عصمه ورسموا عليه بأعدته وهم جد رجال تقضي تعدها الأئمه خالدين فيها آبداً ذلك الفوز العظيم" (النهج). وكقوله: "أيدهم علينا بنالموده إن بابها للغرة عمهم" (التح). ورواية الصحابة عن غيرهم من التابعين نادرة وقليلة، وغالبًا ما يذكر الصحابي اسم هذا حديثه، إذا لم يكن من الصحابة.

ومن الأمثلة على مراسيل الصحابة: رواية عائشة عن النبي بدأ الرحي، فإنها لم تكن وُلدت في ذلك الوقت، وكرويات ابن عباس وأمثاله. فإن قال قائل: قلتم إن الصحابة عدلوا بتعديل الله، فإن الصحابة يئشرون ويسترون، ويصيبهم الهم، كيف نعرف ذلك؟ قلنا: يعرض رواياتهم بعضهم على بعض، فنعرف أن الصحابي في

(1) انظر "الألفاظ المعجمة" (ص ٤٧)، وشرح روضة الناظر لابن بدران (ص ٣٢٣).
هذا الحديث حفظ أو وَهُمُ؛ لأن الوجه جائز على الصحابة، لكن إذا عُرضت روایاتهم على بعضهم البعض عرفت الوجه والصواب.

قوله: "أَصَابَتِي فِي بِصْرِي بِبَعْضِ النَّيَّاء" يعني: ضعف بصريه، وفي بعض الروايات أنه: عمى.

قوله: "قُلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّهَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﷺ أُخْبِرْتُ أَنَّكَ تَقْتَلِي فِي مَنْزِلِي، فَأَلَا جَزَاهُ مُصَلِّي" فتعيان بن مالك: أصابه عذر يمنعه من حضور الجماعة، ألا وهو أنه فقد بصريه، أو ضعف بصريه، وجه أيضاً: أن كان رجلًا ضخماً، يعني تقبل الحركة، فطلب من النبي - عليه الصلاة والسلام - أن يأتي إلى بيته ليصل فه: فتحذزه مصلى، يعني: مسجدًا ليصل فه.

قوله: "قَالَ: أَلَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ" وفي هذا فائدة وهي: أنه يجوز للمفضل أن يستدعي الفاضل، لمصلحة من المصالح التي تعرض له، فيأتيه في بيته أو محله.

وفيه أيضاً: أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قد جاء ومن شاء الله من أصحابه، فيجوز للإمام والرجل المعظم في قومه، إذا دعي إلى مجلس أو وليمة، أن يستمع من شاء من أصحابه، إذا علم أن هذا ممّا يرضي به الداعي، أو لا يرضى عليه.

قيله: "فَدْخَلَ وَهُوَ مَالِكٌ فِي مَنْزِلِي، وأَصَابَتِي بِبَعْضِ النَّيَّاء"، والرسول - عليه الصلاة والسلام - صلى في منزله وصلى به بعض أصحابه، وذلك من الضحى، وفيه: جواز صلاة النافلة جماعة أحيانًا، ولو كانت صلاة سرية، كتوافر النهار. وفيه أيضاً: أنه لا بأس أن يتحدث المتحدث بحضرة المصلِي، ما لم يشوش عليه صلاته.
قوله: "فَذَا أُصْنِدُوا عَظَمَ ذَلِكَ وَكَرَّهُ إِلَيْهِ مَا لِكَ بِنَ دُخَشُم" يعني:
قالوا: إن كبير المناققين وعظيمهم الذي في المدينة هو مالك بن دخش.

قوله: "قَالَ وَذَا أَنَّهُ دَعَتَ عَلَيْهِ فَهَكَّ، وَوَذَا أَنَّهُ أَصَابَتَهُ شَرٌ" وفي رواية: "أنه أصبه شر" بزيادة الباء، وهذا في جواز تمييز هلاك أهل الشر، وأهل المنافق والشقاق، الذين يبتون العداوة بين الإخوان، ويفرقون الصفوف، ويسعون في إيجاد الفرقة والنزاع والخلاف؛ فيجوز تمييز هلاكهم، أو أن يصيبهم الله بعذاب ليسترموه لهيمًا، فالصحابية ودوا لو أن النبي ﷺ دعا على المناققين الذين يؤدونهم في المدينة.


قوله: "فَقَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصلَاةَ وَقَالَ "أَلَّا يَبْنِهِدُ أَنَّ الْإِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَلَّا رَسُولُ اللَّهِ؟ وَهَذَا مِنَ الْدِّينِ"، ولهذا من الدفاع عنه أيضًا. ويستفاد منه أيضًا: أن الناس يؤخذون بظاهرهم، وأنا نكل سراهم إلى الله، تأخذهم بالظاهر، ونكل السرا إلى الله ﷺ.

(1) أخرج البخاري في "المغازي" (7/619) من حديث علي ﭼ.
قوله: « قالوا: إنَّهُ يَقُولُ ذُلِّكَ، وَمَا هُوَ فِي قُلْبِهِ.» قالوا: إنه يتظاهر بذلك، يتظاهر بالشهادتين وليست في قلبه، وفيه دليل: على أن الصحابة كانوا يعدون الاعتقاد بالقلب من الإيمان؛ لأنهم قالوا: إن من قال لا إله إلا الله بلسانه، ولم تكن في قلبه، أنها لا تنفعه، فذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة: أن الإيمان اعتقاد بالقلب، وإقرار باللسان، وفعل الأركان، فهذا الذي يوافق ما كان عليه الصحابة.

وفيه رد على «التكريمية» الذين قالوا: إن الإيمان يكفي فيه الإقرار باللسان، ولا يلزم فيه التصديق! وهذا قول فاسد، ويرابعهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد، ليس بأصله! وهو قول المائريدي، ويرى عن أبي حنيفة.

قوله: «لا يَقُلُّ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَلِيمُ رَسُولُ اللَّهِ» قِدَّحَ الْحَارَّ، أو تَظْعِمَهَا. هذه نبرة لأهل التوحيد، أنهم لا يخَلُّقون في النار، فمن قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، معصوم عن النار، يعني عن الخلود فيها، أو عن دخولها أصلاً، إلا كان قد قام بما يلزم من العمل الواجب، بحيث لم يقصر فيه.

قوله: «قال آنس: أَعْجَبُي هذَا الْحَدِيثُ، فَقُولَ لِأَبِي يَوْنِى: اكِتَبْهَا. فَكَتَبَهَا.» في أن الصحابة كانوا يكتبون الحديث النبوي، وفيه ردّ على المستشرقين الذين قالوا: إن الحديث النبوي لم يكتب إلا بعد وفاة النبي بعقوبٍ من الزمان! وهذا باطل؛ لأن من الصحابة من كان يكتب الحديث النبوي، فعل آنس ظاهر في هذا.

(1) انظر شرح العقيدة الطهراوية (ص ٤٥٩).
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

فإن قيل: كيف نوقف بين هذا، وبين نهي النبي - عليه الصلاة والسلام - عن كتابة الحديث؟

فالجواب من وجه:

منها: أن النبي - عليه الصلاة والسلام - نهى من كان يظن فيه الحفظ أن يُكُل على الكتابة، والإنسان إذا اتكرى على الكتابة وترك الحفظ، ضاع علمه؛ لأن العلم كما لا يخفى هو ما حمله الإنسان في صدره، لا ما حواه الكتاب، كما قيل:

ليس بعلم ما حوى القلضر، ما العلم إلا ما حواه الصدر.

فكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يريد من الصحابة أن يحفظوا حديثه ليبلغوه لغيرهم، وقد كان طائفة من مشايخنا نهى عن كتابة القوائد في الدروس، ويقول: احفظوها حفظًا، و يؤثر عن الشنقيطي أنه كان يمنع تلاميذه من الكتابة، حتى كان بعض تلاميذه يكتب تحت الدرج، دون أن يراه الشنقيطي رحمه الله تعالى.

وجه آخر: أن النبي - عليه الصلاة والسلام - نهى عن الكتابة في أول الإسلام، خشية أن يختلط الحديث بغيره من القرآن الكريم، فلم يعرف الصحابة الفرق الواضح بين القرآن وبين الحديث، أدركن لهم في الكتابة.

وفي الحديث أيضًا عن القوائد: جواز إمامة الزائر للمزور برضاه؛ لأنه قد ورد في الحديث الذي في الصحيح: "ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطاته، ولا يعتمد على تكرمه إلا بإذنها".

(1) انظر: "جامع بيان العلم وفصله" (1/268)، باب ذكر كراهة كتابة العلم وتخليده في الصحف، تحقيق أبي الأمثال.

(2) رواه مسلم في المساجد (1/465/1) من حديث أبي مسعود الأساري.
والتكرمة: الفراش أو السرير مما ينير لصاحب المنزل ويخص به.
ومعناه: أن صاحب البيت أو المجلس أحق بالامامة من غيره، وإن كان
غيره أفقه منه وأقرأ وأفضل، فصاحب المكان أحق، فإن شاء تقدم وإن شاء
قدم من يرده.
وفي الحديث أيضًا: جواز ذكر من يتهم من أهل الفساد والرب
والنفاق، ومن يسعى بالآخر للإمام ليحذره، فالصحاباء حذروا النبي
عليه الصلاة والسلام، أو كأنهم طلبوا منه الدعاء على مالك بن الدخشم
وحذروه منه.
وفي الحديث: أن الإنسان إذا دعي شيء فاجأ من أجله، ينبغي له
أن يبدأ به، فالرسول عليه الصلاة والسلام، كما جاء في غير هذه الرواية
لما دخل بيت عتبان قال: «أين تريدني أن أصلي؟» فما جلس ولا أكل
وشرب وتحدث، ثم قال: أين تريد أن أصلي؟ وإنما بدأ بما دعي له
أما في حديث أم سلمة لم يدعي للطعام، أول ما جاء بدأ بالطعام
فأكل وشرب، ثم قام وصلى بهم ركعتين.
فالبادرة إلى الشيء المطلب من الحزم والعقل، فقد يَعْرِض
للإنسان مانع أو ظرف، يفوّت ما جاء من أجله، والله أعلم.
باب: الإيمان ما هو، وبيان خصائصه

(15) عن أبي سعيد الخدري: أن أنسًا من عبد النبي قدموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا نبي الله! إنما حي من ربيعة، وبيتنا وبيتك كفر مقر، ولا تقدر على إن ذهبت إليه إلا في أشهر الحرم، فلم تأت أحد، فقال رسول الله ﷺ: إنما خلقاً، وندخل به الجنة إذا نحن أخذنا به. قال: صلى الله ﷺ: "أصرموا".

يا أبا، ونهاكم عن أربع: الحج، وصلاة الوكالات، وصوم رمضان، واعطوا الخمس من الفقراء، ونهاكم عن أربع: الدعاء، والحتم، والمزد، والقيص، قالوا: يا نبي الله! ما عملك بالقيص؟ قال: بل، جدع تفترون، تفترون في فتنتهم، قال: الحج، وصوم رمضان.


الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ووضع عليه النوري (179/1) باب

المؤلف: علماء
الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشريعت الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه.

وقد ذكر المندروي تحت هذا الباب حديثًا واحدًا، وهذا الحديث قد مرَّ علينا في أول هذا المختصر من "صحيح مسلم"، من رواية أبي جمرة عن ابن عباس ﷺ، وذكرنا ما يتعلق به من الفوائد، وللفائدة: أن تويب الإمام زكي الدين عبد العظيم المندروي يختلف أحيانًا عن تويب "صحيح مسلم"، فإنه قد زاد عليه أبوابًا، وذكر بعض الأحاديث في غير المواضع التي ذكرها الإمام مسلم، بحسب ما رآها من فوائد وتفريعة وتبويبات.

وهذا الحديث في "صحيح مسلم"، مكانه بعد حديث ابن عباس الذي ذكرنا في الحديث الأول.

فقوله: "عن أبي سعيد الخرذدي: أن أُناَسًا من عبيد القيسي قُيِّموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا بني الله! إِنَّكِ حَيٌّ مِنْ رَبِّكَ، وَبَيْنَا رَبُّكَ كَفَّارُ مَعْصِرٌ، وَلَا تَقْدُرُ عَلَيْكَ إِلَّا في أَشْهَرِ الْحُجَّةِ". عبد القيسي من ربيعة، القبيلة العربية المعروفة، قالوا: إن بنيهم وبين النبي عليه الصلاة وسلم قبيلة "مضر" أي قريبًا، وكانت لا تزال على الكفر، ولا يقدرون على الوصول إلى مكة أو إلى المدينة النبوية. إذا في الأشهر الحرم، إذ إن العرب كانت تحترم المقال فيها ويعتمد لها.

فقوله: "فَعَلَّنَا نَأَمَرُهُ وَأَنَا مَنْ وَزَاعًا، وَتَكْلَمَ بِهِ الحَجَةِ إِذَا تَخَلَّنَّ أَخْذًا

يه" فطلبوا منه أن يأمرهم بأمر جامع، وينهاهم أيضًا عما يضروهم، ويلعَّنون به قومهم.

فقوله: "فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: "أَبْرَكُمُ يَا رَزِيِّعًا، وَأَنْتَاهُمَّ عَنْ أَزْيَعٍ".
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

اعبديوا الله ولا تُشركوا به شALLERY، وأطيعوا الصلاة، وأطيعوا الزكاة، ووصووا
رَيْضًا، وأطيعوا النعم من الغنائم» وسبق الكلام على ذلك، وذكروا
السبب في عدم ذكر الحج هاهنا، وإنما لعدم الفرضية، وهذا هو
الأقوى؛ لأنه قد فرض في السنة التاسعة على الصحيح، كما قال الإمام ابن
القيم(1) وغيره، وإما أن يكون قد اختصره الراوي؛ لكن الأول أقوى.

فوله: «وَأَنَّهَا كَمْ عَنْ أَرَيْعٍ: عَنْ اللَّبَاءَ، وَالْحَشْمَ، وَالْمُزْرَفِ، وَالْقَبِيرِ»

وقد سبق شرحها.

فوله: «قَالُوا: يَا بنيٌّ الَّذِينَ عَلَّمَكُمْ بِالْقَبِيرِ؟» يعني ما الذي تعلمه عن
النمير؟ أو كيف علمت النمير؟

فوله: «قَالَ: بَلِي، جَدُّعْ نُقُروُنَّهُ، فَفَطِيقُونَ فِي مِنْ النَّقِيْعَاءِ» والقطيعاء
هو نوع من النمر صغير.

فوله: «قَالَ سَعِيدٌ: أَوْ قَالَ: مِن النَّمِر، ثُمَّ تَصَبَّوْنَ فِيهِ مِنَ النَّمَاء، حَتَّى
إِذَا سَكَّنَ غَلِيْانَهُ مرْتَفَعًا» أي أنه ي والسيل في الجذع المتقور كبيبة الجرّة أو
الوعاء; فذوقون فيه النمر، ثم تصبون عليه النماء، وإذا زاد على ثلاثة أيام،
فإنَّه يقف بالتربة ويغطي، أي تخرج منه الفقاع أو، كائنا وضعته على النار،
فيكون مسكراً بعد ذلك إذا سكن غليانه.

فوله: «حَتَّى إِن أَخَذْتُمْ أَوْ إِنْ أَخَذْتُمْ لَيْبَرْبَلَ ابْنِ عَمِّهِ بِالسَّيْفِ»

وهذا فعل المسكر في الإنسان، أنه يسكر فيضرب ابن عم وهو من أقرب
الناس إليه، وأحدهم له يضربه بالسيف، وهذه إشارة إلى ما يقع من فحيد
الحمر، وأنها تذهب بالعقول، وتوقع الإنسان في الآثام والذنبوب، حتى

(1) وازد الحديثة (101) 1/2، لكن قد اعتمر قبل حجته مرتين، ثم عمرة قرها مع حجة، ثم
عمروه من الجرأة لما خرج إلى حيث، ثم رجع إلى مكة. (المصدر السابق) 2/91.
شرح مختصر صحيح مسلم

سماها الشارع ب"أم الخبائث" فهي تجمع الخبائث كلها، ومن شربها قادته إلى ما يستنشع من الأعمال والأفعال، كما قال: "علي الصلاة والسلام: الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على الله، وخلاله، وعمته".(1)

فهي توقع الإنسان في مهالك عظيمة، ومن رحمة الله بعده، أن حرم عليهم هذا المسكر الخبيث. وتضافر أن كان:

في اللى مرجل أفواهها جزاءه كذيلك وجاء في رواية في ساقه.

كذلك، يعني بسبب الخمر.

فوله: قال: وكونت أخذه صيحة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذهبها لنفسا يراها النبي صلى الله عليه وسلم... وسأل عنها، استجواب منه.

فأما من عمه من الشرب في هذه الأسفية، قالوا: "فهم نشرب يا رسول الله"، قال: "في آثيمة الأقدام التي بلّت على أقوافها" الآدم يعني: الجلد، أي أوروبا في القدم التي تتكون من الجلد، والتي بلّت، يعنيovable link وربط على أقوافها، لترد المخاطب ما المقصود بالضبط، وهذا من زيادة البيان، كما قال: "فيماهم خليفة آدم في نافذ وسمعة إذا وجميعه يلفع" عصرة جميلة" [البقرة: 196]، زيادة في التأكيد والبيان.


فوله: "ولأ يبقى بها أضفحة الأقدام" لأنها تأكل الجلد بطبهها، فشكوا

(1) رواه الطبراني (1137/1149، 1137) من حديث ابن عباس.
إلى هذه القضية، وهذا وهو أن الأجر يأكل القرب، ويصعب عليهم حفظ الأسئلة في القرب.

فقوله: "فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: 'وَإِنَّ أَكْلَتُهَا الْجُرْدَانُ، وَإِنَّ أَكْلَتُهَا الْجُرْدَانُ'" قاله ثلاث مرات، تأكيدًا عليه في هذا الباب، وهذا كما ذكرنا في شرح الحديث الأول: أمر قد نسب بعد ذلك، وبين لهم - عليه الصلاة والسلام - "إن الأوعية لا تحرم شيئًا، فانبذوا فيما بدأ لكم، واجتنبوا كل مسكر".

وإذنا أمهم بذلك في أول الإسلام، لقطع هذه المعصية الكبيرة، وحتى يعتدوا على شرب ما يباح لهم من المشروبات، فلما رسم في قلوبهم الإيمان بعد ذلك، أمرهم بالشرب في جميع الأسئلة. وهذه الأوعية المذكورة - اليداء والاحتتم والمزفت والنفي - يسرع إليها التخمر إذا تُذْيَ فيها التمر.

فقوله: "وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: 'لَا أَسْحَبَ عَلَيْبَ الْقَبْسِ' وهو رجل منهم; بل سيدهم.

فإنَّك لَخَلَصْتَنِينَ بِعَضُوْمَا اللهِ: الْجُلْدَمُ وَالْأَنْثَةُ" وهذا الحديث أو هذا القول مدح في الوجه، وقد ورد عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنهما عايناهما للمحافظة، ومن مدح الرجل في وجهه، ولما سمع النبي - عليه الصلاة وسلام - بعض الصحابة ينشئون على رجل في وجهه قال: "ويحك قطعت عن صاحبك".

(1) حديث صحيح، أخرجه الطبراني عن ابن عباس، انظر "صحيح الجامع" 1088/1.
(2) أخرجه البخاري (106/1061)، ومسلم (2296) من حديث أبي بكر، وجاء من حديث أبي موسى أيضاً.

---

(1) حديث صحيح، رواه ابن ماجه (3743) من حديث معاوية.
(2) أخرجه مسلم (716، 717) من حديث أبي هريرة.
(3) أخرجه البخاري (6/368، ومسلم 1813/4)، وعن أبي هريرة، وثناه عن جابر (3262، 3263، 3264) ومسلم (4/1865).
(4) أخرجه البخاري (7/276، 3762، 4446)، ومسلم (4/1871) مطولاً من حديث سعد بن أبي وقاص.
باب: الإيمان بالله أفضل الأعمال

(16) عن أبي دَرْهَم قال: قُلْتُ: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟
قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله».
قال: قُلْتُ: أي الرضا أفضل؟
قال: «ألفشها عند أهلها، وأكثرها تمائماً».
قال: قُلْتُ:إن لم أعلم قال: "تغني صيامهم، وأضمه لأخرجهم".
قال: قُلْتُ: يا رسول الله! أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل، قال: "تتكفف شركًا عن الناس، فإنها صدقة بنك على نفسك".

5 الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ويُوبَّب عليه النووي (72/2) بباب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، وهنا أورد المنذر في هذا الباب حديث واحدًا.

أبو ذر هو الصحابي المشهور، واسمه: جُذُب بن جُنادة على الأصل، الغفاري، تقدَّم إسلامه، لكن تأخرت هجرته إلى المدينة، فلم يشهد بدراً، ومناقبه كثيرة جداً، مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان.

قوله: "قال: قُلْتُ: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟" هذه اللفظة أو هذا السؤال قد تكّرر كثيرًا في الأحاديث، أي الأعمال خير؟ أي الأعمال أفضل؟ أي الإيمان خير؟ وكان النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام يجيب باجوبة مختلفة، فقال العلماء: إن سبيل الجمع في ذلك: أن الرسول ﷺ عليه
الصلاة والسلام. كان يجب الناس على اختلاف أحوالهم وقدراتهم واستطاعتهم، فكان يجب كل قوم بما يستطيعون، أو بما يعلم أنهم عليه قادرون، أو أنه يستحسن منهم، فاختفت الأجوية بحسب السائل، والرسول  عليه الصلاة والسلام. قد أُوارى من القدَّسية بعد الوفي شيء عظيم، وللذِّا كان يعلم ما يصلح لكل إنسان، فكان ينصح بعض أصحابه بأن يتركوا بعض الأمور، ويذهلا قدرتهم وجهدهم في أمر آخر، كما قال لأبي ذر: «يا أبا ذر، إنى أركان صَبيِّبِكَ، فلا تَأْسِرْنَ على الثياب، ولا تَوَلِّينَ مال يثيم» (1)، فكان ينصح الناس ويوجههم إلى ما فيه الصلاح لديهم ودنياهم، فاختفت الأجوية باختلاف الأحوال، فأعلمُ كل سائل بما يحتاج إليه أو بما لم يكلمه بعد.

والوجه الثاني في الجمع بين الأحاديث: أن قوله: أفضل الأعمال، أو خير الأعمال كذا وكذا، لا يُرد به الأفضلية من جميع الروى.

وفي جميع الأحوال والأشخاص؟ بل هو في حال دون حال؟

 قوله: قال: الإمام بُلَّهَ، فالإيمان بُلَّهَ هو أفضل الأعمال على الإطلاق ولا شك في هذا؛ لأن الإيمان بُلَّهَ هو أصل الإيمان كله، وعليه تنبى أركان الإيمان كلها، الإيمان بالكتب، وبالبيتين، وباليوم الآخر، وبالرسول، وبالقدر، كلها مبنيَّة على الإيمان بُلَّهَ، يتراد بالإيمان هنا أيضًا: الإسلام؛ لأن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا في المعنى، لكن إذا دَكِّرْ أحدهما دل على صاحبه، كما يُرَد معنا يِرَارًا، فالإيمان بُلَّهَ

(1) أخرجه مسلم (452 - نووي).
(2) انظر شرح مسلم (77 - 78) للنووي.
أيضًا يدخل فيه جميع شرائع الإسلام؛ إقام الصلاة، وإيذاء الركاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وغير ذلك من أعمال الير والقوى، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويرت الوالدين، وما أشبه ذلك.

وقوله الجماعة في سيراب: وهو من أفضل الأعمال أيضًا، جاء في حديث معاذ وهو حديث قوي لطرفه: (أن الجهاد دروة سنة الإسلام)، وذريعة السنة لاشيء فوهة، فهي أعلى شيء في جسد البشر، وكذلك الجهاد أعلى شيء في دين الإسلام، لفضائله الكبيرة التي نطقت بها النصوص من القرآن والسنة، ولما فيه من الخير العظيم للخلق أجمعين، وهو سبب العز والإنصر والتمكين في الأرض، والعلو على الكفر وأهله، والدفاع عن الصلاة، وبه يبقى الإسلام عزيرًا يباب جانبه، وتتصان شرائطه والمتضمن إليها، إذا كان بشروط وضوابط الشرعية.


(1) أخرج من الترمذي (2762) وابن ماجه (3973).
وأحبه إلى نفسه، وهي بستانٌ بُرِّحاءٌ، ففضل الرَّقاب ما كان نفيًا عند أهله، مرتفع السُّرور عندهم، فأعترف لوجه الله تعالى.

قوله: «قلت: فإن لم أقم، قال: فيُعيين صائمًا، أو يُصْنَعُ لإخْرَق» الصانع: هو الرجل الحاذق الذي يعرف الصَّناعَة، يقول: رجل صانع، وامرأة صنُّع، أو رجل صنُّع وأمَرأة صنُّع، يعني تنفيذ الصَّناع كالأحجار والخزائن والخزائن وما أشبه ذلك، فالصانع يحتاج أحيانًا إلى المعونة، فإذا رأيت جارك بحاجة إلى من يُعيينه في شيء من أمور داره أو متعاه فأعنده، فإن هذا من الصدقة، ومن التعاون الذي يحبه الله، والإسلام دعا إلى التعاون والتكافل، وأن لا يُسلم الآخر أغهًا وينحلي عنه في وقت الحاجة، وإذا احتاج إليه وتخلى عنه فإنه يغضبه ويقطعه، وهذا ملموس مشاهد فمعونة الآخر لأخيه في وقت الحاجة، مما يبقي المودة والمحبة ويقوي الصلة.

قوله: «أو يُصْنَعُ لإخْرَق» رجلٌ أخْرَقٌ وامرأة خرقاء: هو الذي ليس بصناع، فإذا كانت المرأة لا تُجيد الخزائن مثلًا فتصير لها جارتها، فإن هذا من الصدقة، وكانت الصحابيَّات كذلك، كما قالت عائشة: «وكتَ لم أجد الخزائن، وكانت لي جارات من الأنصار يخبرنّي لي، وكَيْنَ نسوة صدق»(1)، فاعترفت بهذا الجميل الذي كانت تقوم به نساء الأنصار، من أن إحداهن كانت تخبر لجارتها وتُعين التي لا تجيد الخزائن.

قوله: «قلت: يا رَسُولُ الله! أرأيت إن صُنعَتْ عن بعض العِمل؟»

(1) آخره البخاري في مواضع كثيرة أولها في الزكاة (1461/4)، ومسلم في الزكاة (998/2) من حديث أنس.
(2) قطعة من حديث الإفك الطويل.
قال: "كَفُّ شَرَّكَ أَعْنَلَ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدْقَةٌ مِّنْكَ عَلَى نَفْسِكَ" إذا ضعف الإنسان عمراً سيق من العمل، عن الجهاد، أو الإنفاق في سبيل الله بتحرير الرقاب، أو إعانة الناس; فأقبل الأعمال التي يقوم بها: أن يكُف شَرَّه عن الناس، فيسلم الناس من شرته، فهذا أيضًا من الصدقة كما نص عليه النبي - عليه الصلاة والسلام - بقوله: "فَإِنَّهَا صَدْقَةٌ مِّنْكَ عَلَى نَفْسِكَ" فلذي لا يقدم الخير، فأقبل الأحوال أن يكُف شَرَّه عن الناس، فهذا من آخر المراتب.

إن من أعظم الناس شرًا: الذي لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره،

عُمْرَةٌ تَعَالَى مِن ذَلِكَ.
باب: في الأمر بالإيمان والإستعارة بالله عنده وسوسة

الشيطان

(17) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزال الناس يسألون الله حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟" قال: قبنا أنا في المسجد، إذ جاءني ناس من الأعصاب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصن يكتب قرامم به، ثم قال: فوموا، فوموا، صدقي خليلي.


الشرح:

في هذا الباب حديثان، وليس في أحدهما ذكر للاستعارة، وإن كان وقد جاء في روایات أخرى عند مسلم، يأتي ذكرها، وقد نبه عليه العلامة الألباني في تحقيقه لهذا المختصر.

* الحديث الأول:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزال الناس يسألون الله، عن الله حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟" وهذا الحديث له عدة روایات، ففي روایة: "لا يزال الناس يسألون من خلق كذا من خلق"
فقد حديث أبي هريرة أنه قال: «لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟» أي يستمر بهم السؤال، أو يكترون من السؤال، حتى ينتهي بهم الأمر أن يقولوا: فمن خلق الله؟! ومن وصل إلى ذلك فعليه أن يستعين بالله، يعني: يلجأ إلى الله تعالى في دفع شر الشيطان عنه، فإنه لا يزال يعوض له، ويستعين في خاطره وفكره الشّعائر والخواطر السبیئة؛ فعلبه أن يستعين بالله منه، ثم ليتيمه، يعني: لبعرض عن هذا الخاطر الشیطانی، والیفکر السبیئة؛ لأنه من الشیطان وهو يسعى بالفساد، ویرید أن يَعْقِب الإنسان، فعليه أن يَتَّبَعَ عن الاسترسال في هذا الخاطر، الذي يقطعه عن العلم النافع والعمل الصالح، وليستغل بغيره، بالنافع من العلم أو العمل؛ لأن الاسترسال مع الخواطر وقوع في حبائل الشیطان(1).

ثم قال العلماء: إن كان هذا الخاطر عبارة عن فكرة زائدة سیته، فعليه أن يَتَّبَعَ عنها ویترکها، ویستعين بالله من شرها، وفي رواية فیقل:

(1) وحنان الإنسان وضيق صدره وهمه وغمه، مما يحرص عليه العدو الله وعدوه، كما قال تعالى: «إِنَّ الْحُزَنَ مِنَ الْكَيْسِيَّةَ يَصِلُّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ مَثْلُهُ وَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ كَثِيرًا إِنَّ الْأَمْوَةَ إِلَّا يَبْنِيُّ الْإِنَسانِ» [المجادلة: 10]. وكان النبي ﷺ يستعين من: «الهم والحزن، والعجز والكل، والجن والبخل، ومن غلبة الدين، وفقر الرجال»، وکلها من القواعد عن العلم النافع والعمل الصالح، فتأمل!!
شرح مختصر صحيح مسلم

«آمنا بالله» وهي عبارة تدل على الرضا بالله والتسليم وعدم الاعتراف، وثبت النفس وتذكرها بالإيمان، وأن العبد لا يزال مقيما عليه، فذكر نفسه بهذه الكلمة حتى تنتهي عن الاسترال مع وسوة الشيطان.

ولا شك أن الشيطان قد يشح أن يعدل المصلون والمسلمون؛ ولهذا فهو ينكر عليهم بالوسواس لعجوزهم عن إغواءهم، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء، وتلاعاب به كيف شاء.

وإذا كانت هذه الخوارج بسبب شبهة عرضت له فعلي أن يتعلم كيف يرد عليها، ويسأل أهل العلم عنها؛ لأن نداء الشهادات العلم.


وإذا كان هذا السؤال قبيحًا، لخطئه وغلطة؛ لأنه لا يدُ أَن ينتهي كل مخلوق إلى خالق لا خالق له، كما قال الله تعالى: «أم خلقا من غير خلق؟ أم هم الخلقون؟ أَم خلقوا الأرض والأرض؟ بل لا يؤمنون!» [ال kull main]. فقوله: «أم خلقوا من غير خلق؟» يعني: هل يوجد من غير موجود ومن غير
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

خالق؟ والجواب: لا؛ لأن هذا يستحيل في العقول والفطر، أن يكون شيء من غير مكون، فأمَّمُ هُمُّ الكِبْرَاءَةِ يعني: هل هم خلقوا أنفسهم؟! وهذا أيضا مستحيل، يستحيل أن يخلق الإنسان نفسه أو أن يخلق شيء نفسه فأمَّمُ حَقَّقُوا الْكُرُونَ والْأَرْضَ، وهذا أيضا الجواب فيه: لا، إذا بقي أن هناك خلقًا خلق الخلق، وخلق السماوات والأرض، وهو جَلَّ وعلا، ولا خالق له؛ لأن التسلسل باطل، إذا قلنا: إن المخلوق قد خلقه هذا، وهذا قد خلقه هذا، وهذا قد خلقه هذا، لا بد أن تُصَلّ إلى أول ليس قبله شيء، وهو الله ﷺ.

وفي الحديث الثاني:

أن أبا عبيد جاء رجل فسأله مرة أخرى عن هذا السؤال، فقال: صَدِقَ الله ﷺ وَرَسُولُهُ يعني: وفق الأمر كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام، قد سألي واجد، وهذا التاني.

ومن الفوائد أيضًا في هذا الحديث: صَدِقَ مَيْتَى النبي ﷺ، ووقيع الأخبار كما أخبر. وفيه: أن من العلوم ما هو قبيح لا ينبغي الخوض فيه، وأن الخواطر إن كانت أفكارًا ردئة، أعرض عنها الإنسان واستعاذ بالله من شرها واشتكى بغيرها، وإن كانت الخواطر شهبات، طلب لها الجواب من الكتاب والسنة، وسؤال أهل العلم.

وفي الحديث أيضًا: أن الشيطان يُشِّعُ في التنكيد على المؤمنين لعجزه عن إغراقهم، ولذا قال ﷺ في الرواية الصحيحة في صحيح مسلم(1): ذلك محبس الإيمان يعني: كون الإنسان يكره هذه الوسومة,

(1) مسلم (153/2 - نوري).
هو دليل الإيمان، كونه يكره التصريح بما في صدره؛ فهذا دليل الإيمان.

وفي الحديث أيضًا: أنَّ من سأل سألًا قبِيحًا بجوز الإعراض عن جوابه، بل أبو هريرة حسبهم بالحصى لَمَّا كان السؤال في غاية الفحص، وأيضًا في الحديث: جواز طرد من تكلم بكلام سَبِيع من المجلس، لأن أبا هريرة قال: "قُوموا، قُوموا" فطردهم من مجلسه وأرضاه، وكان كثير من أئمة السلف يطردون أهل البذع والأهواء من مجالسهم، كما جاء أن الإمام مالك بن أنس سأل رجل فقال: "الرحمن على عصيَّ أَنتُوَُّكَ" [طه] كيف استوى؟ ففصل منها الإمام مالك حتى علاه الرحباء، يعني: حتى عُرِق من شدا السؤال على نفسه، وقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسَأل عنه بذعة، فأمر بعده بطرده من مجلسه، لأنه سأل سألًا لا ينطغي.

** ** **
باب: في الإيمان بالله والإستقامة


الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ويُبوَب عليه النووي (8/2) باب جامع أوصاف الإسلام.

سفيان بن عبد الله الثقفي الطائي، صحابي أسلم، مع الوفد، وسأل النبي ﻪـ عن أمر يعتصم به، وكان عامل عمر على الطائف (1).

فوله: ﴿قلت: ﴿يا رسول الله! ﴿قل لي في الإسلام قولًا لا أسامله عنك أحدًا بعدك، ﴿يغلي: ﴿قل لي قولًا جامعًا في الإسلام، بحيث أيُّه لا يحتاج إلى سؤال أحد بعدك، ﴿لكي يغلي هذا الجواب، فقال ﴿قلت: ﴿أمنتُ بالله؛ ﴿ثمَّ أستَقمُ. ﴿وهذا من بديع جوامع الكلام، والرسول ﻪـ عليه الصلاة والسلام، ﴿سنح عنه ألا قال: ﴿أتواتج جوامع الكلام، ﴿وجوامع الكلام هو: التعبير عن المعاني الجليلة الكثيرة، ﴿بعبارات قليلة أو قصيرة، ﴿أي هو قول العرب: ﴿عبر الكلام ما قلَّ ودلَّ، ﴿وهو دليل الفصاحية، ﴿ورود عنه ﻪـ عليه الصلاة والسلام، ﴿أنه قال: ﴿أتواتج فواتح الكلام، ﴿فواتح الكلام: ﴿يعني كيف يبدا الإنسان ويستهل كلامه، ﴿وخواتم الكلام: كيف ينتهي أي:

(1) ﴿انظر ﴿الإصلاح ﴾(2/54)، والتنقيب والتهذيب. ﴿
شروح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

بما إذا يختم: لأن فاتحة الموضوع فنً، وختام الموضوع فنً أيضًا، وكذلك جوامع الكلام.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: إن النبي - عليه الصلاة والسلام - می كان يتكلم بكلام كلامكم بكم، إن كان يتكلم بكلام القليل، الذي لو عدها العالم لم يعد، يعني يتكلم بكلام قليل لو أراد الإنسان أن يحبسه فعل.

وهذا فيه فوائد عظيمة منها: حفظ هذا الكلام بسهولة، فإن الكلام الكبير يصعب بعضه بعضًا، بخلاف الكلام القليل فإن يحفظ، ولهذا استحب العلماء أن تكون كلمات الإنسان في مجالسه ومعاوضته وتذكيره قليلة، خاصة يوم الجمعة، وأن تكون في موضوع واحد لكي يحفظ، أما التشعب في المواضيع، فإنه صمًا يضيع الفائدة على المستمعين، ويشتت أذهانهم.


قوله: «قُمْ أَسْتَقِيمْ» أي: الزم طاعة ربك وشريعته، ويشهد لهذا الحديث قول الله ﴿إِذْ آَمَنَكُمْ فَلَا يَقُولُوا أَنَّا إِلَّآ نَحُورُ وَلَا تَحَرُّسُوا إِلَّآ بِبَقِيَاءِ الْأَلْبَاءِ﴾ ؛ [فصليه]، وأخذ العلماء من قوله: «قُمْ أَسْتَقِيمْ» التعجيل بالطاعة بعد الإيمان، وعدم التأخير، وأن لا يكفن الإنسان بقوله آمنت باه، ويجلس وينام! بل يقول آمنت باه، ثم يستقيم، يعني: يلتزم طاعة الله ﴿بَلْ أَضْعَفْتُهَا عَلَى الْأَوَّلِينَ﴾؛ [فصله]، وترك المحرمات، ولهذا كثيرًا ما يذكر الله تعالى الإيمان مقرونًا بالعمل.
الصالح، ولا يكفي بذكر الإيمان وعده، فذا ذكر الإيمان ذكر أعماله،
كقوله: "إِنَّا لِلْمُؤَمِّنِينَ أَنَّنَا ذَكَرْتُمُ اللَّهَ وَرَضِيَّتُمُ عَلَيْهِ",
إِنْذَ كَيْبُ، رَبَّكَمَ ۖ وَعَلَى رَبِّكَ مَيْتُونَ ۚ أَلَيْكَ مَيْتُونَ ۚ وَمَا 
رَجَعُونَ ۖ أَلَيْكَ هُمُ الْمُؤَمِّنُونَ حَقًا" [الأنفال].
وقوله: "وَالْمُؤَمِّنُونَ وَالْمُؤَمِّنَاتِ بِضَعْمٍ أَوْلَٰٰٓيَ بَعْضٍ بَيْنَ يَدَيْهِ"،
ّبِيتُّهُمْ عَنَّكَ وَيَسْتَمِعُونَ ۖ وَيَسْتَمِعُونَ ۖ وَيَسْتَمِعُونَ ۖ وَيَسْتَمِعُونَ 
أَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ 
اللَّهُ ۖ وَقَدْ أَنَبَأْنَاكُمُ الْكِتَابَ بِالْبِنَائِنِ ۚ أَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ ۖ وَأَلَيْكَ 
بِاللهِ ۚ إِنِّي أَنَا عُمِّيْرُ حَكِيمٌ" [التهور].
فلابد إذاً من إتباع الإيمان بالعمل، وإلا كان الإيمان ناقصًا، لم
يصدق صاحبه في دعوته.
ثم هذه الاستقامة يجب أن تكون كما أمر الله تعالى، وأمر رسوله
عبد: "بِنَفْسِكُمْ كَمَا أَمَرَتُكُمْ وَمَا كَانَ مَعْلُوكَ ۗ وَلَا تَطَوَّرُوا" [核: 122]،
ومعنى "وَلَا تَطَوَّرُوا" يقول المفسرون: يعني استقم كما أمرك الله
من غير طغيان، والطغيان هو: مجاوزة الحد، ومجاوزة الحد يكون
بالإفراط، ويكون بالنفطرة، فالاستقامة لا بد أن تكون وفق الشرع، والمتبعة
للرسول ﷺ من غير انحراف عن السنة أو الرغبة عنها. وقال فعلي أيضًا
مؤكدًا هذا المعنى: "فَلَنَّفَلَّتْ قَاعَةً وَأَسْتَمِعْنَكُمْ وَأَمْرًا تَأْمُرُوهُ ۖ وَلَا تَبْعَثُ
أَهْوَاءَكُمْ" [الشورى: 15].
وكتيراً من الناس فيهم حسامٌ وعيرةٌ على الدين، ولديهم شدةٌ وقوة،
ولكن يُحرون التوفيق؛ لأنهم يسلكون غير سبيل الشريعة، وكهم من مريد
للخير لم يبلغه» كما قال ابن مسعود ﭺ وقال السلف: منْ عَيْبَ اللَّهِ بِهَا لم
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

يشرع؛ كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح، وقالوا: من عبد اللهkee فما أمر، فهو عابد لموهاء، ومن عبد اللهkee كما يشتهي، فهو عابد لهواء؛ لأن الله تعالى لم يأمره به، وإنما أمره به هواء وفِرأي، فالأستقاء لا بد أن تكون كما أمر الله تعالى، من غير طغيان ولا مجاوزة حد، بإفراد أو تفريط.

وثمرات الاستقاء ذكرها الله تعالى في قوله: "أَلَيْ نَفْتَرْ وَأَخْتَرْنَا اللَّهُ مَلَكِ الْمَرْحَبَةِ وَأَخْتَرْنَا وَحَمِيَّةً لِلَّهِ " [سنن]

تتنزل عليهم الملائكة قال المفسرون: عند موتهم "لا تخفوا ولا تصرحو" لا تخافوا على أولادكم، ولا تحزنا على فراقهم، أو فراق أهلكم، فإن الله عليل حسبهم، وهم في حفظ الله عليه، وطهرون عليهم.

أيضا عند قيامهم من القبر، "لا تخافوا ولا تصرحو" تطمنهم بهذا.

وقوله: "وَأَرْبَيْتُمْ بِالْحَقِّ أَيْ كَنْتُمْ تُؤْهِدُونَ" أي: يبشرونهم بالقدوم على الجنان، وهذا كما جاء في حديث الباراء، مرفوعا: أن الملائكة تقول لروح المؤمن: خرجي أيها الروح الطيبة، التي كانت في الجسد الطيب، اخرج إلى روح وريحان، ورب غير غضبان.

وقوله: "تَنْحَرُ أَوْلَيْأَوْمِمَ فِي الْحَيَاةِ الْدُنْيَا وَفي الآخِرَةِ" [نقلت: 31]، أي: تقول الملائكة للمؤمنين أهل الاستقاء عند الاحتضار: نحن أوليؤكم في الحياة الدنيا، ننذكاركم ونوقفكم، ونحفظكم ونؤديكم بأمر اللهkee، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤمن ونشكلكم، ونؤمن رويعكم ونوعكم يوم البعث والنشور، حتى نوصلكم إلى جنات النعيم.
وقوله: «ولكم فيها ما تستعينون» أي: في الجنة، من جميع ما تختارونه مما تشتهره الأنس، وتقر به الأعين. «ولكم فيها ما تشتهر» أي: ما تطلبون، فهمه طلبه من شيء، خَيْرَ بين أيديكم كما اشتهتم واخترتم. يُفْرَغُ مِنْ عُفُورِ رَحْمَةٍ {35} {ัสن} أي: هذا الإكرام والإنعام والإحسان، وهذه الضيافة والعطاء الواسع، من رب عفورة رحمة غفور لذنيكم، رؤوف رحيم لطيف بكم (۱).

فيالله ما أعظم ثمرات الإيمان، والاستقامة على دين الله تعالى، وما أكرم ثواب من سلك سبيل السنة ووقف عنها، ولم يتجاوزها، ولم يخالف سلف الأمة قولًا ولا عملًا، عقيدةً أو شريعةً، فإن السنة عصمة ونجاة، كما قال الإمام مالك: السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أنصار دينه، وسَنَّة نبه.

** ** ** **

(۱) انظر تفسير الحافظ ابن كثير (١٦٦).
باب: في آيات النبي ﷺ والإيمان به

(19) عن أبي مسعود ثعلبة رضي الله عنه قال: "أبا رسول الله ﷺ قال: "ما من الأنبياء من النبي إلا قد أعطى من الآيات ما يثله آمن عليه البصيرة. وإنما كان النبي ﷺ أولى وحيا أوحى الله إلى، فأرسل أن يكون أكثرهم تابعاً يؤمنون الفتناوات".

الشرح:

الحديث آخره مسلم في الإيمان، وبَب عليه النووي (2/186). باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ العمل بملته.

وتضمن هذا الباب ثلاثة أحاديث:

* الحديث الأول:

"عن أبي مسعود ثعلبة رضي الله عنه قال: "ما من الأنبياء من النبي إلا قد أعطى من الآيات ما يثله آمن عليه البصيرة". في هذه الجملة ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن كلنبي قد أعطى من الآيات، مثل من كان قبله من الأنبياء، فحصل إيمان البشر على ذلك، والآيات هنا التي يسميه العلماء: بالمعجزات، أي: الخوارج للعادات، أي: كلنبي قد أعطاه الله تعالى من المعجزات ما يكون على مثل الإيمان من البشر، وإنما كانت معجزتي العظيمة الباهرة الظاهرة هي القرآن العظيم، الذي لم يعط أحد من الأنبياء مثلها أبدًا، ولذا رجا النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام. أن يكون..."
أخرهم تابعاً يوم القيامة؛ لأن آية آتية فريدة في إخوانه من الأبراء عليهم الصلاة والسلام.

القول الثاني: أن معجزات الأبراء من قبله، كان يتطلق إليها التخيل بالسحر والشياطين، مثل: عصا موسى وغير ذلك، فكان يقوم بعض الناس بالتخيل والتشبيه بها، أما معجزة النبي ﷺ فلا يتطلق إليها تخيل ولا مقاربة; بل هي محفوظة من ذلك؛ لأنه كلما حاول الناس أن يتأوا مثل القرآن، كان كلامهم بعيداً جداً، مفضحًا مكشفاً لكل بصير.

القول الثالث: وهو أيضاً قول قويّ في تفسير هذا الحدث، أن معجزات الأبراء السابقة قد انقرضت بانقرض عصر النبي، ولم يشاهدها إلا من حضر بحضرة ذلك النبي، فمن جاء بعده لم يره، أما معجزة نبياً ففي القرآن المستمر إعجازه إلى يوم القيامة، فإذا القرآن يافي فيه التحدي، في أسلوبه وبلاغته وفصحته، وأخياره بالفيضانات، وأحكامه الشرعية، تحدى الله به الإنسان والجinn، متفقين ومتحتمين إلى يوم القيامة: ﴿قُلْ لا إِلَيْهِ اِحْتْصَارٌ إِلَّا هُوَ أَلْلَهُ الْحَقُّ وَهُوَ الْأَحْسَنُ عَلَيْهِ الْمَصَارِعُ﴾ [(الإسراء)]. وهذا إلى يوم القيامة.

ولهذا رجا النبي ﷺ أن يكون أكثر الأبراء تابعاً يوم القيامة؛ لأن مدة بقاء معجزته وآية أعظم المدّد، فهي باقية إلى قيم الساعة، بخلاف الآيات السابقة فإنها قد انقرضت.

وقوله: على الصلاة والسلام. «فأَرْجَعُ أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يُؤْمِنُ الْقِيَامَةَ» في دلالة من دلالات النبوة؛ لأن الرسول ﷺ قال هذه المقالة.
والصحابية يومئذ قليل، والمسلمون في أهل الشرك قليل، ثم نحقَّق ما قال
عليه الصلاة والسلام. فانتَصَّعت رُمْعا الإسلام، وكَرِّرت دولة المسلمين،
صار المسلمون كثرة في أهل الأرض؛ بل هم أكثر أمم الأنبياء يوم القيامة،
كما جاء في حديث ابن عباس مرفوعًا: "عُرضت علي الأمم، فجعل
يَمْرُّ اللَّهُ مَعِهِ رَجُلٌ، والنبي مَعِهِ الرِّجال، والنبي مَعِهِ الرَّحْط، والنبي ليس
معه أحد، ورأيت سواداً كثيرة سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتي، فقال:
هذا مُوسى وقومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيرة سد الأفق، فقال:
لي: انظر هكذا وهكذا، فأ保护 سواداً كثيرة سد الأفق، فقال: هؤلاء أمتك،
ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب...«(1).
(20) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بنبي له، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي، ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

الشرح:

هذا هو الحديث الثاني، أخرجه مسلم في الإيمان، وبوب عليه النووي باب وجب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ المطلب بعده.

فوله: «والذي نفس محمد بنبي له، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي، ولا نصراني» الأمة هنا المراد بها: أمة الدعوة، وأمة الاستجابة، وأمة الدعوة الأمة التي هو موجود في زمنها، ومن سمعت به إلى يوم القيامة، فكل أمة سمعت بدعوة النبي ﷺ إلى يوم القيامة فهي من أمة محمد ﷺ، يعني أمة الدعوة، أما (أمة الإجابة) فهي الأمة التي استجابت للنبي ﷺ على الصلاة وسلام، ودخلت في دين الله، وأعلنت إسلامها والتزمت شرائع الإسلام، وأول هذه الأمة: صحابة رسول الله ﷺ على الصلاة والسلام، ثم التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقوله: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة» ما معنى السمع هنا؟ هل مجرد السمع باسمه على الصلاة والسلام دون معرفة دعوته ودينه؟! أم لا بد أن يسمع بالنبي ﷺ على الصلاة والسلام، وبشريعته وبدينه وبدائل نبؤته، التي تقوم بها الحجة الرسالية؟ الصحيح: هو الثاني؛ لأن الله ﷺ لا
يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة الرسولية عليه، قال ﷺ: "وَمَا كَانَ مُذِيبًا حَتَّى نَعْمَتَ رَسُولًا (16) [الإسراء]، فالذاب والتعذيب لا يكون إلا بعد بيعة الرسول أو النبي.

مثاله: لو أن إنسانًا عربيًا قرأ القرآن على رجل أعجمي، لا يفقهه من العربية شيئا، فهل يقال: إن هذا قد أقام الحجة عليه؟ لا يصح ذلك؛ بل ذلك مثل من قرأ على من به صمم، فهذا لا تقوم عليه الحجة بذلك، حتى يفهم المراد من الكلام.

وقوله: "يهودي، ولا نصارى،" يعني: أي أحد يسمع به سواء كان يهوديا أو نصاريا، ولم خص اليهودي والنصراني بالذكر؟ والجواب أنه إذا كان اليهود والنصارى هم أهل الكتاب هدا شأنوهم، فغيرهم ممن ليس له كتاب أولى بالدخول في أمته، ووجب الأنيقيف لطاعته، فأهل الكتاب وغيرهم يجب عليهم أن يدخلوا في دينه - عليه الصلاة والسلام - بعد بعثته، لأن بعثته - عليه الصلاة والسلام - ناسخة لجميع ال cumpl التي قبله.

قوله: "لَمْ يَمُوتَ وَلَمْ يَوْمَ يُؤُمَّن بِالَّذِي أُرْسِلَ يُهُودًا إِلَّا كَانَ مِنْ أَصَحَابِ الآخَرَ" أي: كل من سمع بدعوة النبي - عليه الصلاة والسلام - ولم يؤمن بالذي أرسله وهذا يشمل العقائد والشرائع إلا كان من أصحاب النار، ويستفاد من هذا الحديث: نسخ جميع الملّل بعد بعثته - عليه الصلاة والسلام - فلا يجوز لأحد من أي أمة كان، من اليهود أو النصارى أو غيرهم، أن يتقّي على دينه بعد فتحة محمد ﷺ.

ويستفاد أيضًا من مفسر هذا الحديث: أن من لم تبلغه الدعوة فهو معذور؛ لأن الحديث يقول: "لا يسمع بي أحد... ولم يوم من الذي
أرسلت به إلا كان من أصحاب النار إذاً لم يسمع به فهو معذور.

وهذا الذي يتفق مع النصوص، كقوله تعالى: "وَمَا كَانَ مَعْذِبِينَ حَيْثُ بَعْضُ رُسُلٍ [الإسراء] ، وَمَا سَفَاتُ اللهِ لَيْسَ لَهُمْ بَعْضُ إِذ هَدَيْنَاهِمْ حَيْثُ بَيْتُكَ نُهْرٌ مَا يَنْفَوِكُمْ إِذَا اللهُ يُحَلِّلُ نَعْمَاهُ مَّلَكٍ [النبأ]" وغير ذلك من الآيات والأحاديث، كما سبق.

**   **   **
(21) عن صالح بن صالح الهيمدالي، عن الشعبي قال: رأيت رجلاً من أهل الجراح قالوا: سأل الشعبي فقال: يا أبا عمر! إن من فناء من أهل الجراح يقولون في الرجل إذا أتقن أثنتي ثم تزوجها فهو كالزكاة بذلته، قال الشعبي: خدّني أبو قرة بن أبي موسى، عن أبيه: أن رسول الله قال: "ثلاثة يؤمنون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب، ونبي، وأدركت الكتب من نافل عログ الرب". قال الله تعالى: "وكسبكم وصدقة". ممن أجازان، وعهد مملوكاً أدي حق الله تعالى عليه وحق قاتله فله جزاء، ورجل كان له أمية، فقدّها فائضن من عداهم، ثم أذن بها فاخسن أدبها، ثم أغتقتها وتزوجوها فله جزاء، ثم قال الشعبي للجراح: "خذ هذا الحديث يقدر شيء، فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة".

* * *

الشرح:

هذا الحديث الثالث: في هذا الباب، وأخرج مسلم في الموضع السابق.

قوله: "عن صالح بن صالح الهيمدالي" أبو حيان، قال أحمد: ثقة ثقة، روى له السنة.

قوله: "عن الشعبي" والشعبي هو عامر بن شراحيل، من علماء التابعين وأفضلهم. قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة، روى له السنة.
قوله: "رأيت رجل من أهل خراسان سأل الشعبي فقال: يا أبا
翁رووا!" وهي كتبة الشعبي.

قوله: "إِنَّ مِنْ قَبْلَنا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَان يُقُولُونَ" يعني الناس في خراسان
عندنا يتحدثون بأن قوله: "الرجل إذا أعترف أنه لم تروجها فهو كالزراء،
بُدِّته" إذا أعترف أنه يعنى جارية، ثم تروجها يكون كمن ركب بدنه،
والبندة: هي الهدهي الذي يهده للكعبة من الأيل، والإنسان إذا أدى هديًا
لكعبة لا يجوز له أن يركبها إلا إذا احتجاجه يعني إذا فقد الظهر ولم يجد
مركيًا له سواء، جاز له أن يركبها، فقد أعرب الشيخان: أن النبي - عليه
الصلاة والسلام - رأى رجلًا يسوع بدنة، فقال له: "اركبيها" قال: إنها بدنة
با رسول الله! قال: "اركبيها"، قال: إنها بدنة يا رسول الله! قال: "وبلك
اركبيها".

فالنبي - عليه الصلاة والسلام - علم أنها بدنة، ولكن الصحابي وقع
في خاطر أنه هدي للكعبة، فلا يجوز له أن يستفيد منها شيء؛ لكن النبي
- عليه الصلاة والسلام - بين أن هذا لا حرج فيه، إذا احتجاج إليها.

قوله: "فقال الشعبي: حذرتني أبو بردة بن أبي موسى وهو ابن أبي
موسى الأشعري، واسمه أبي موسى عبد الله بن قيس.

قوله: "عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة يؤذنون أجرهم مرتين: الرجل من أهل الكتاب من أبيه وأدرك النبي ﷺ قام به وتبعة وصدقة،
قلة أجراً" من أمن من أهل الكتاب بنيه قبل النسيج، ثم أمن بنيه محمد
، فله أجران، كما قال تعالى: "ألا أتينهم الكتاب من قلبهم مم هم بينهم
يؤمنون!" وإذا يبلع عليهم قالوا ماما، يعهد الله الحق من رزقنا إذا كنا من قلبيه!
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

الثاني من الذين يؤتون أجرهم مرتين هو:

قوله: "وعبد مخلوق أدى حق الله تعالى عليه وحق سبيله فله أجراً" يعني قام بما يجب عليه من حقوق الله تعالى، فقام بالواجبات وترك المحرمات، ثم أدى حق موالته من الطاعة لهم، والعمل بما يحبون، وحفظ عهدهم، وعدم خيانتهم، وحفظ أموالهم وما أشبه ذلك، فهذا يكون قد أدى حق الله، وأدى حق موالته، أو حق سبده، فتكون له الأجر مرتين بما صبر؛ لأن القيام بذلك كله يحتاج إلى صبر وإلى عزم، ولذا يؤتي أجره مرتين.

والثالث من الذين "يؤتون أجرهم مرتين" وهو موضع الشاهد الذي أراد الشعبي أن يفتح به هو:

قوله: "ورجل كان له أمه، فأحسس عذابها" يعني:

أطعمها ورباها فأحسنت غذائها.

قوله: "ثم أدتها فأحسنت أدبها" أي: علمها ما ينفعها من العلم النافع، وأمرها بالمعروف، ونهبها عن المنكر، هذا هو الأدب المطلوب، كما قال تعالى: "فَتَبَيَّنَّا لِلْذِينَ آمَنُوا مَا يَأْتِيَهُمْ مِنْ أَطْرَامٍ وَأَفْقَارٍ وَفُقُودًا وَمَيْتَانِ".

[التوبة: 6]

قوله: "ثم أعفتها وترك جها فله أجراً" يعني من فعل ذلك، بأن أطعم أمته فأحسن إليها، وأدبها فأحسن أدبها، ثم لما كبرت تزوجها، فله أجران.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

أجر على القيام بكفايتها وغذائها، وإحسان أدابها، والأجر الثاني: وهو أنه
يزوجها وحفظها بالزواج، فإن نعمة الزواج نعمة عظيمة، ولا يقدر قدرها
إلا من حرفها، ولذلك يكون قد أمنن عليها مرتين: مرَّة بالتربَّية والغذاء،
ومرَّة بالزواج، وهذا العمل ليس من الرجوع في الصدق في شيء، فناس
كانوا يتحدثون أن الذي يفعل هذا، كذالك يتصدق ويرفع في صدقته، لأنه
أعقده ثم تزوجها، لكن بين النبي - عليه الصلاة والسلام - أن هذا الفاعل له
الأجر مرَّتين بما عمل، وأن هذا الفعل إحسان إليها بعد إحسان.

قوله: "فَمَّا قَالَ السُّعْيِيْبِيُّ ِلِيُحْرَاسَانِيْيُ" ولم يذكر اسمه.

"هَذَا الْحَدِيثُ يُقْرَرُ شَيْئًا"، فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا
إلى المدينة، وهذا تحريف من الشعبي لهذا الرجل أن يحفظ حديث
الرسول أليفة، وهذا الدليل الواضح، فقال: هَذَا بَلَا تَعِبُ ولا تَفْسِبُ، فقد
كان الناس يرحلون إلى المدينة فيما هو أقل من هذا الحديث، وانت
أخذته بل تعبد بل غثيمة باردة.

ويستفاد من هذا الحديث: أن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يرحلون
في طلب الحديث، كما بين الشعبي هنالك، وورد أن جابر بن عبد الله
رحل إلى مصر من أجل سماع الحديث، وغير ذلك مما ذكره الخطيب
البغدادي في كتابه: "الرحلة في طلب الحديث".

وفي هذا الحديث: أن المدينة كانت دارًا للعلم والمحدثين والعلماء،
وأن الناس كانوا يقصدونها لطلب العلم، وسماع حدث النبي ﷺ، والله
 سبحانه أعلم.

** ** **
باب: ثلاث مث ما خلق فيه وجه حلاوة الإيمان

(22) عن آنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: "ثلاث من كنت فيه وجد بيئتي حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبت إليه وما سواهما، وأن يحب الآخرة لا يحب إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن ألقته الله منه، كما يكره أن ينفق في النار.

الشرح

تحت هذا الباب ثلاثة أحاديث، كلها عن آنس بن مالك.

الحديث الأول: أخرجه مسلم في الإيمان، ورتب عليه النووي.

(13/2) باب: بيان خصال من أئمة يبدون وجه حلاوة الإيمان.

قوله: "عن آنس بن مالك": هو ابن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، وأحد الصحابة الذين رزقا عن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام. فوق الألف من الأحاديث. مات سنة اثنتين وقبل: ثلاث وتسعين، وقد جاور المئة.

قوله: "ثلاث من كنت فيه": يعني ثلاث خصال، أو ثلاث خوار.

قوله: "وجه بيئتي حلاوة الإيمان": معنا أن يسند بالطاعات ويجد لها حلاوة، فتحمل التكاليف أو المشقة في رضا الله ﷺ، ويقدم طاعة إليه ومولاه على طاعة هواه، ويؤثر الآخرة على الدنيا; لما يجد من حلاوة الإيمان في نفسه وصدره.
شرح كتب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

فأولها: «من كان الله ورسوله أحب إلى يمين معا سواهم»: يعني أن يجب أن يحب الله تعالى، ويجب رسوله أكثر من كل شيء سواهما، ودليل محبة العبد ربه هو فعل أوره، وترك زواجه، وكذا محبة النبي عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: «قل إن كنت جنوناً أنت مجنون في بعينك» {آل عمران: 31}.

وأمر آخر: هو أن النفس البشرية تجب من يحسن إليها ويدفع الفضر عنها، فإذا تذكَّر العبد أن كل فضله وبره وإحسان، وكرامة، ونعمة في الدنيا والآخرة، إنما هي من الله، وكل شر يدفع عنه، وكل مصيبة ترفع عنه ونقمته، إنما هو أيضًا يفعل الله، فإن هذا يوجب محبة عظيمة لربه سبحانه، وكذلك إذا تذكَّر أن رسوله ثم على يديه أعظم إحسان بشري، فإنه يحب الصلاة والسلام. أنفره الله به من النار، وهداه إلى الصرط المستقيم، وبصره بعد العمي، وعلمه بعد الجهلة، فإذا تذكر هذه النعم العظيمة التي جرت على يدي نبيه، لا شك أنه سيكون أحب الخلق إلى قلبه.

الخصائص الثالثة: قوله: «وأَن يُحِبَّ النَّورَةَ لَا يُحِبَّ إِلَّا اللَّهُ»: المرء يعني الشخص، لا يحبه إلا الله.

قوله: «إِلَّا اللَّهُ»: يعني طاعة الله، يحبه طاعة الله، لماذا؟ لأن هذا الشخص من المطيعين الله، فهو يحبه الله، لا لقربته، ولا لنسبه، ولا لغرض دنيوي، وإنما يحب الإنسان الله، وهذا من الدين، فمن لوازم قوله: لا إلَّا اللَّهُ، محمد رسول الله، أن يجب كل إنسان قالتها في مشارق الأرض ومغاربها، هذا من لوازم الشهادة، فتوالى من يقولها.
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

وتعادي من يُعاديه، تحب من يقولها ويعمل بها، وتبحث من كان بضد ذلك؛ فإن الله سبحانه قال: "إِذَا أَلْمَعَتُونَ الْهَرَّةَ" (الحجرات: 10)، فحصر الأخوة في الإيمان.

ما الفرق بين أن أقول أحبب الله، وأحببه في الله؟

الحب لله هو العمل يتقرب به إلى الله تعالى، وليس لغرض دنيوي.
أما الحب في الله فهو ميل النفسي لبعضها، بسبب تمسكها بشريعة الله فليكن أي لاشتراكيهم في محبوب واحد.

ثالث الخصال: قوله: «وَأَن يَكُرُّهُ دُفْعَةًٓ في الْكَفَّّرِ بَعْدَ أَنْ أَنْفُقْهُ الله مِنْهُ »، كما يكُرُّهُ أن يَرْجَعَ في النَّارِ. وفي رواية لمسلم: "وَأَن يَكُرُّهُ أَنْ يَعْمَدَ فِي النَّارِ".

قوله: "وَأَن يَعْمَدَ" يعني: أن يرجع، فيكره أن يرجع كافرا بعد أن صار مسلما، كما يكره أن يقف في النار التي تشتعل، ولا يكون ذلك إلا لمن عرف فضل الهداية، وندمة الإسلام، وما فيه من الخير العظيم في الدنيا والآخرة.

وأما الذي لا يعظم الإسلام وندمة الإسلام والهداية؛ فإنه قد تضعف عنه كراهية الكفر، ويجعل إيمان العبد وقوته، تكون عنده كراهية الكفر وأهلها، لأنه يعظم عدته الموالاة لمن كان من أهل دينه، والمعاداة لمن خالف دينه وشرعته.

وقد ذكر أهل العلم هاهنا الأشكال الذي في قوله "علي الصلاة والسلام: "أَخْبَرْهُمْ بِمَعَاتِمَهُ" كيف النبي - عليه الصلاة والسلام -
شرح مختصر صحيح مسلم

جمع في الضمير، وقد نهى عن ذلك لما سمع الخطيب يقول: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال له: "بُسّ خطيب القوم أنت". وفي ذلك أجوبة للعلماء، منها: أن النبي ﷺ يجوز في حقه ما لا يجوز لغيره؛ فهو عليه الصلاة والسلام. لكونه معصوِمًا مأمونًا. الجانب أي: لا يقع في الشرك ﷺ، بخلاف غيره، الذي قد يعبر ببعض الكلمات التي تجرؤ إلى الشرك.

وقيل: لأن الخطبة يستحب فيها تبسيط القول ونشره، وعدم الاختصار، وهذا القول فيه اختصار، وقيل غير ذلك; لكن لعل القول الأول هو الأرجح.

*** ** **
شرح مختصر صحيح مسلم

(124) عن أنس قال: قال رسول الله: 

"أكون أحب إلي من والدي، والدي، والناس أجمعين".

الشرح:

هذا الحديث الثاني في هذا الباب، وهو عن أنس أيضا قال رسول الله: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إلي من والدي، والدي، والناس أجمعين".

فوله: "حتى أكون أحب إلي من والدي، والدي، والناس أجمعين".

ليس المراد حب الطبع بل حب الاحترام، يعني أن يختار حب الرسول ويقدمه على كل شيء، ويُныِب في طاعة رسوله، ويثور رضاه على هوي نفسه، فإذا دليل المحبة، كما قال تعالى: "قل إن كنت تجرون الله قل يعفو عني وعفوكم عظيم" (آل عمران: 27)، فأتباع الرسول يكون بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر، فهذا تظهر المحبة التي مقربة الباطن، وموقعها القلب.

فصالح الحوار وقيامها بما أمر رسول الله، وكيفها عمي نهى عنه; دليل على صلاح القلب، وعلى محبة القلب للرسول; لأن هنالك تلازما بين الظاهر والباطن؛ إذا صلح الباطن صلح الظاهر، وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن؛ إذا رأينا إنسانا يقول الفحش ويتكلم بالكفر، ويؤذي المؤمنين بنفسه، علمينا أن في قلبه رجسا وغلاء ودفعا، والعكس إذا رأينا منه صلاح الظاهر، وقيامه بما أمر الله تعالى كان هذا دليل من دلائل صلاح الباطن.
ورمن دلائل محبتة - عليه الصلاة والسلام - نورة سنته، ونشرها بين الناس، وتذكير الناس بها، وكذا الذب عنها وعن شريعته - عليه الصلاة والسلام - وأن يتنمى الإنسان أنه كان حيًا زمنه ، فيبذل دونه ماله ونفسه، ويفنى في طاعته - عليه الصلاة والسلام -.

وقال ابن بطال من المالكيّة والقاضي عياض: إن في قوله - عليه الصلاة والسلام - «حتى أكن أحب إليه من ولياه، ووالديه، والناس أجمعين» دليل على أن الحب تنقسم إلى ثلاث أقسام:

1 - محبة الإنسان لولده، وهي محبة شفقة ورحمة.
2 - محبة الإنسان لوالده، وهي محبة إجلال وتعظيم وإكبار.
3 - محبة الناس أجمعين، وهي محبة مشاكلة واستحسان.

فجمع محبة الإنسان بأنواعها الثلاث في محبته، فلا يؤمن الإنسان الإيمان الكامل، حتى يجمع هذه المحبة بأنواعها الثلاثة لرسول الله.
(4) عن أنس بن المغيرة قال: «والذي فَسَبَّبَ بَيْدَهُ، لا يُؤْمِنُ عَيْبَٰتِهِ حتى يُحِبَّ لِجَارِهَا، أو قال: لأَخِيهِ، ما يُحِبُّ لِفَسَبَّبِهِ». 

الشرح:

هذا الحديث الثالث.

يُفسِم النبِي ﷺ فقوله:

«والذي فَسَبَّبَ بَيْدَهُ» أي يُتَّبِعُهُ الله ﻪـ، فَهُوَ مَالِكُهَا وَمِدِّيَّرُهَا ومَصِرُّفُهَا كَيْفَ يُشَاءُ، وَكَبِيرًا ما كان النبِي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامَ يُقسم بهذا القَسْمِ، الذَّالِ على تَعْمِيزِ الله ﻪـ تَعَالَى المَحلِّفَ بِهِ.

قوله: «لا يُؤْمِنُ عَيْبَهَا» والمَرَادُ الإِيمَانُ التَّامُ الكَامِلُ، كَما سَبَقَ.

قوله: «حتَّى يُحِبَّ لِجَارِهَا، أو قال: لأَخِيهِ» هَكَذَا وَقَعْ في مَسْلِمٍ عَلَى الشَّكَ، وَوَقَعَ عِندَ البَخَارِيِّ دُونَ شَكُّ: «حتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ» دون ذِكر الجَارِ.

قوله: «ما يُحِبَّ لِفَسَبَّبِهِ» والمَرَادُ: أن يُحِبَّ لِأَخِيهِ أو يُحِبَّ لِجَارِهَا ما يُحبُّ لنفْسِهِ مِن الطَّعَامِاتِ والِمَبَاحِثِ، دُونَ الْمَحِرَّماتِ والَّفَوَاحِشِ؛ لَانَ بعضُ النَّاسِ قد يُحِبُّ نوعًا مِنْ المعاصِي، فَإِذَا أَحِبَّ ذَلِكَ لِأَخِيهِ لَيْكُنْ هَذَا مِنْ تَعَامِ الإِيمَانِ، بِلِ المرَادِ: لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الخَيْرِ، وَهَذَا مَا دُلَّتْ عَلَيْهِ رَوَايَةً عَنِ النَّسَائِيِّ: «حتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الخَيْرِ، ما يُحِبَّ لنفْسِهِ». 

المؤرِّخ: محمد
فهذه الخصلة بين النبي - عليه الصلاة والسلام - أنها من خصال الإيمان، ومن أخلاق أهل الإيمان: أن واحدهم يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه من الخير، وهذا سهل على النفس إذا كان القلب سليمًا، أمَّا إن كان القلب مريضًا بالحسد أو بالغل والحقد على المؤمنين، فإن هذا من أصعب الأمور، وأعرضاً، ولذلك ذكر الله تعالى في دعوات المؤمنين: {وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ ۖ وَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَاتَّعْذِبْنَا إِلَّا مُّثَانِيًا} [الأحقاف:36].

فصاحب القلب السليم يسهل عليه أن يتميَّز لأخيه من الخير مثل ما عنده، لكن إن كان بينهما عدواً، أو كان بينهما حسد أو غلٌّ أو حقد، فإنه يكره له الخير، نعوذ بالله من هذا العرض.
باب: ذائق طعم الإمام من رضي بالله رباً

(2) عن العباس بن عبد المطلب، قال: "أنا سمع رسول الله ﷺ يقول: "ذائق طعم الإمام من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبحمص رسلًا".

5 الشرح:

الحديث خرج مسلم في الإيمان، وبوّب عليه النووي (2/2) باب: الدليل على أن من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولًا فهو مؤمن، وإن ارتكب المعاصي الكبائر.

قوله: "عن اليمام بن عبد المطلب" عم النبي ﷺ المشهور، مات سنة الثمانين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمان وثمانين.

قوله: "أنا سمع رسول الله ﷺ يقول: "ذائق طعم الإمام من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبحمص رسولًا"، يعني رضي: أي فنع به وافتي، ولم يطلب منه غيره، فمعنى الحديث: أن المؤمن لا يطلب غير الله ﻷ، بل يرضى به، ولا يسعى في طريق غير طريق الإسلام، ولا يستك شريعة محمد ﷺ، بل هو قد رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولًا، وهذا لما لصحته عمه وإيمانه، لأن الإنسان الذي يسوي إيمانه، تطمئن نفسه بالإسلام، يرضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولًا، ولئن رضاه بهذه الأمور الثلاثة دليل على ثبوت علمه ومعرفته، وأن الإيمان قد خالف بشاشة قلبه، وذلك تسهيل عليه الطاعات والقربات، ولا تشغله عليه، بل يرضى بها وتحمل مشاقها.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

ومن فوائد هذا الحديث: أن علم الإنسان بالله ﷺ وآياته وصفاته

فما يزيده إيمانًا، لأنه كلما علم من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى

شيئًا؛ ازداد رضاً بذلك، ولم يطلب غير الله تعالى رازقًا ولا كافٍ ولا

ناصرًا، فالعلم بالله تعالى وآياته وصفاته يوجب الرضا به والله قادرًا

عالمًا رازقًا قديرًا حكيمًا رحيماً، وكذا علمه بالإسلام وشرائعه، فإذا علم

ما في دين الإسلام من التشريعات والأحكام، التي هي في غاية الكمال

والإعجاز، وغاية الإحكام والإنفعال، لم يشع سواها، ولم يتطلب ديناً

غيرها.

وكذلك علمه بالرسول ﷺ، وما كان عليه من السجايا ومكارم

الأخلاق، من الجود والشجاعة، والقوة في دين الله تعالى، والصبر على

البلاء، والصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، وما كان عليه من

الرحمة بالأثنا، ومن التدبير لها، والسهر على راحتها، كل ذلك مما يوجب

له الرضا بشخص النبي ﷺ، واتخاذه إمامًا يلتزدي به، وقائدًا يسير خلفه،

فهذه الأمور لها تعلُّق عظيم بالعلم النافع، فهذا الحديث يبين: أن العلم بالله

وبدعه وبرسه ﷺ، يوجب الرضا بهذه المذكورات العظيمة، وأن من

جهل هذه الأمور، فقد نقص من إيمانه بقدر جهله بها، فالعلم طريق إلى

الإيمان.

** ** **
باب: أربعٌ من طُرق فيه يكال منافقًا خالصًا

(26) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربع من كُنْيَهَا كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه حلة ينهم كان فيه حلة من يقاف حتى يدعها: إذا حَدَث كذبَبَ، وإذا عاهد غير، وإذا وعد أخلف، وإذا خاضم فجر، فَغَيَّرَ أن في حديث سُبُنان: "وَإِنَّ كَانَتُ فَيَدَّعَا الَّذِي نَهَى كَانَتُ في حَدِيثِ مَنَافِقٍ".

الشرح:
في الباب حديثان، خرجهما مسلم في الإيمان، وبَوَّب عليهما النوري

(4/26) باب: بيان خصال المنافق.

* الحديث الأول:

حديث ابن عمر قاله: "أربع من كُنْيَهَا كان فيه منافقًا خالصًا".

خالصًا: يعني لا شائبة فيه، أو شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.

قوله: "وَمَنْ كَانَ فِي حَلَّةٍ يَنْهَى كَانَ فِي حَلَّةٍ مِن يَقَافٍ حَتَّى يَدْعُهَا: إِذَا حَدَثَ كَذَبَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا عَدَّ ألَفَتْ، وإذا خَاضَمَ فَجَرَ".

والحللة: هي الخصيلة والصفة، والفجور: هو الميل عن القصد، يَحْبِر الرسول في هذا الحديث بأن هناك أربعًا من الخصال أو الخلال أو الصفات، إذا كانت في الرجل واحدة منهون كان منافقًا، وإن كانت فيه هذه الخلال الأربع كان منافقًا خالصًا، يعني منافقًا لا شك فيه، أو شديد الشبه.
بال المناققين، وهذه الخصال: "إِذَا حَدَّثَ كَذَّبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَّرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَقَ، وَإِذَا حَاضَمَ جَحَرَهُ" هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بال المناققين، متخلق بأخلاقهم؛ لأن النفاق إظهار خلاف الباطن، وهذا المعنى موجود في هذه الخصال العملية "إِذَا حَدَّثَ كَذَّبَ" الكذب يخالف الحقيقة في باطن الأمر.

وكذا قوله: "وَإِذَا عَاهَدَ غَدَّرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَقَ، وَإِذَا حَاضَمَ جَحَرَهُ" كل ذلك فيه إظهار خلاف ما يبطن، وقد اختالف أهل العلم في معنى أن هذه الخصال خصال نفاق، والراجح أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بال المناققين ولم يُرّ النبي ﷺ أن صاحبها منافق نافقًا بخلده في نار جهنم على كل حال مع المناققين الكفار الذي قال الله ﷺ: "فَإِنَّ الَّذِينَ فِي الْجَحْرِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْأَكَثَّرِ وَلَنْ يُحَدَّدُ لَهُمْ تَحْصِيرًا الناصِرَةَ" [النساء]، بل نقل الترمذي عن أهل العلم فقال: إنما معنى هذا عند أهل العلم: نفاق العلم، أي أن هذا نفاقًا عمليًا، وليس عقليًا مخرجًا من الملة.

وقوله: "حَالَصًا" يعني شديد الشبع بال المناققين، ولا يعني أنه خارج من الملة.

** ** ** **
(27) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «آية المُنافقين ثلاث: إذا خلت كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا افتين حان».

* * *

5 الشرح:
ولا مُنافة بينه وبين حديث عبد الله بن عمر السابق الذي فيه: "أَرْبَعَ مِنْ مَنْ عِنْدَهُ، كَذِبَاءَ وَعَدَاءَ وَأَخْلَفَانَ حَانَانَ." وقوله هنالك: "آية المُنافقين ثلاث" فإن الشيء الواحد قد تكون له عدة علامات، وهذه العلامات قد تكون شيئًا واحدًا، وقد تكون عدًا أشياء، وقال النوري: فإن قوله: "وإِذَا عَاهَدَ عَادَ" داخل في قوله: "وإِذَا افْتَيْنَ حَانَ"؛ لأن الغدر في العهد خيانة.

ومعنى: "آية المُنافقين" يعني علامته ودلالته، يعني أن هذه الأمور الثلاثة من علامات المُنافقين: "إِذَا خَلَت كَذِبَ، وإذا وعد أَخْلَفَ، وإذا افْتَيْنَ حَانَ" في الحديث فيْتُن هذه الذنب، وهي: الكذب، والخيانة، وإخلاء الوعد.

ومعنى قوله ـ عليه الصلاة والسلام: "وإِذَا خَاصَصَ فَجَرَ" يعني إن حصلت بينه وبين أحد من الناس خصومة ـ أي خلاف ـ فجر في خصومة، يعني مال عن الحق إلى الباطل والكذب؛ لأن الفجور هو الميل عن القصد.

وفي الحديث: أن النفاق نوعان: نفاق عملي، ونفاق عقدي، والنفاق العملي لا يخرج من الملة، بخلاف النفاق العقدي الذي قال الله عن...
أخصبيه أنهم: في الدّرِّ الإرسالي للأشكال من آثابه (السناع)، وهذا يعني أنه قد يوجد في بعض المسلمين من يكون فيه بعض خصال النفاق، وهذا يستفاد منه فائدة، هي دليل لأهل السنة، وهي أنه يمكن أن يجمع في الرجل إسلام ونفاق، أو إيمان ونفاق، أو إيمان وشرك، وقال بعض أهل العلم: إن إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام وجدت فيهم هذه الخصال، ولم يكونوا بذلك كافرين، فهذا دليل لمذهب أهل الحق من السلف، أنه لا يكفر من أئمة كبيرة من الكبار، ولو كانت له خلة وخلصة ملاحظة، يعني لو لازم الإنسان هذا الخصلة طول حياته، لا يكون بذلك كافرًا، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: "ومّن كان فيه خلة منه كان فيه خلة من يقى حتى يدعها" إذا هو لا يكفر ولو أصر على هذا الذنب طول حياته، خلافًا للمخرج والمعتزلة الذين يقولون: إن العبد إذا أصر على فعل المعصية حتى مات، دخل النار خالدة مخلدة فيها أبدًا، أما أهل السنة فيقولون: إذا أصر على خصلة محرمة، أو كبيرة من الكبار، فإنه إذا مات عليها، كان أمره إلى الله تعالى: إن شاء عفوه، وإن شاء عقوته، وأسقط عنه العقوبة، وهكذا.

عشرة أنواع من مكثفات العقوبات، ذكرنها غير مرة.
باب: مثل المؤمن بـكالزرع، ومثل المنافق والكافر بـكالإرزة

(28) عن كعب بن مالك. قال: قال رسول الله ﷺ: «متلك الإمام في الخانة من الزرع، ثقيله الزرع، تصرفها مرة، وتعدلها أخرى حتي تهيج، ومثل الكافر كمثل الأرزة المغذية على أصلها، لا تغيير لها، حتى يكون النجمة مرة واحدة».
وفي رواية: «وتغيلها مرة حتي يتأينه أجله، ومثل المنافق مثل الأرزة المغذية التي لا يصيبها شيء».

 الشرح:

تحت هذا الباب حديثان، وقد أخرجهما صلِّي الله عليه وسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، أما الصناعي فقد أوردهما هنا في كتاب الإيمان من مختصره.

عن كعب بن مالك، هو الأنصاري السلمي المدني، الصحابي المشهور، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، مات في خلافة علي ﺭ، روى له السنة.


وقوله: «الأرزة المغذية» الأرزة: هي الشجر المعروف، يكون بالشام.
وفي لبنان خاصّة، وهو شجر فوق الجذع والأغصان، أما المُغليّة فيها
الثابتة المنتصبة «حتى يكون انحافها»: الانبعاث: الانقلاب.

ومعنى الحديث: إن المؤمن يبَلّ في نفسه وأهله وماله، فتكَرَّر
سيته، وتُرَفع درجاته، وبكِر أجره، فتكَّلّه كمثل الزرع الذي تغلبه الريح
هيمنًا وشمالًا، وهذا مثل الابتلاعات عليه.

وأما الكافر: فلا يَرَأ في شيء إلا قليلاً، وإذا أصيب لم يُرّج فيلقى
الله تعالى بذنوبه كاملة، فهو كالآرة التي لا تتميل حتى تقلعها الرياح مرة
واحدة، كالزرع إذا يبَس انقلب مرة واحدة.

ولهذا كان النبي - عليه الصلاة والسلام - لا يُحَب أن يكون الإنسان
لا يصاب بشيء من الابتلاع، جاء أعرابي أو أعربية فقالت: إن عيندي ابنة
من أحسن الناس، وعرَضت عليه أن يتزوجها، فكان النبي ﷺ قيل، ثم
ذكرت أنها لم تصدع في حياتها، فقال ﷺ: (لا حاجة لي فيها) كأنه - عليه
صلاة والسلام - أخذ هذه علامة على أن هذه المرأة ليس من فتيه في خير;
لأن الله تعالى (من يرد به خيرًا يُصيب منه) »(1).

إذا كانت هذه المرأة ما أصبحت بصداع في حياتها، فكانها ليست من
المؤمنين الصالحين، ولذلك اجتنيها ﷺ، والحديث صحيح في مسند
الإمام أبي عيَّة وغيره.

مع هذا فالمؤمن لا يسمى البلاء، وإنما يسأل الله ﷺ العافية، ولكن
إذا أصيب بشيء فليصبر، وليسأل الله ﷺ النجاة أن يعافيه وليعلم أن في الصبر على
ما يكره خيرًا كثيرًا، كما قال - عليه الصلاة والسلام -.

*** *** ***

(1) كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عند البخاري كتاب المرض (103/10).
شرح مكتاب الأيمن من مختصر صحيح مسلم

(29) عن عبد الله بن عمر قال: كنت عند رسول الله ﷺ فقال:
أخبروني بسجيرة شبه أو كالرجل المسلم، لا ينتحب ورقها. فأخبرتك أنك كله جين. قال ابن عمر: ينتحب في نفسك أنها النخلة، ورأيت أنك بكر وعمر لا يتكلمان. فأخبرت أن أنكلم وأنقل مني، فقال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي إلى كنتا.

شرح:

قوله: "عن عبد الله بن عمر قال: كنت عند رسول الله ﷺ فقال:
أخبروني بسجيرة شبه أو كالرجل المسلم، لا ينتحب ورقها" يعني لا يستغل ولا يستغفر.

قوله: "فأخبرتك أنك كله جين" قال ابن عمر: ينتحب في نفسك أنها النخلة، يعني حدث نفسه وأليق في رؤه، كما جاء في الرواية: أنها النخلة، عرف الجواب، لكن قال: "ورأيت أنك بكر وعمرا لا يتكلمان، فأخبرت أن أنكلم وأنقل مني، فقال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كنتا.

هذا الحديث فيه فوائد جمة، منها: استحب أن ينقي العالم المسألة على طالبه ليختبر فكره وذكراه، ويرفعهم في إعمال الفكر والعقل، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ألقى المسألة على أصحابه، وقال: "أخبروني بسجيرة شبه المؤمن" فسألهم ابتداء وهذه طريقه من طريق التدريس فيها جذب الانتباه وتشغيل الفكر، وقال: إن هذه الطريقة كان يعتمدها الإمام أبو حنيفة ﷺ، فإنه كان يطرح المسألة الفقهية على تلاميذه.
ويطلب منهم الجواب، فإذا سمع أجوبتهم جميعاً، وجه الجواب الصحيح، ودلل عليه بالدليل.


وفي الحديث: تظهر الكبار، وأن هذا كان علماً معروفاً عند الصحابة، فكانوا يحترمون الكبير، ولا يتحدثون بين يديه، يعني لا يسبقونه بالكلام، فإذا حصل سؤال تركوا الكلام للاكبر، لكن ينبغي لمن يعرض جواب مسألة أن يجيب ولو كان صغيراً، إذا لم يتكلم الكبار؛ لأن عمر قال لابنه لما انتفض المجلس: «لأن تكون قلبتها أحب إلي من كذا ونكذا»، فأخبره أن كلامه كان أحسن من سكونه.

وفي الحديث أيضًا: فضل النخل، وأن النبي - عليه الصلاة وسلم - شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، والنخلة شجرة عجيبة في كثرة الخير، ودوامها، ثمرها دائم، بمعنى أنّ ثمرها يُؤكل من حين يطلع إلى أن يبسط، وهو ينتفع به ولا يفسد إلى الحول التالي، فثمرها دائم، كذلك ينتفع بكرها وأوراقها ومعفها في الحطب، وفي صنع الحصير والسلاسل والحبال، وبدونه فإنه يكون علما للدواب، ثم جماهها وهو مناسبة الحديث، فإن الرسول - عليه الصلاة وسلم - جيء له بجمار فذكر هذا السؤال، والجمار: هو ما يكون في قلب النخلة، وستخرج بعد قلعة النخلة وهو أطيب طيب الطعام.
فالمخلة فيها من المنافع ما ذكرنا، بالإضافة إلى جمال الشكل، وحسن الهيئة والصوره، وكذلك المؤمن خير كله، في كثرة طاعاته، ودوام صلاته وصيامه وزكاته، وذكره وقراءته، وسائر طاعاته، ولهذا شبه النبي النخلة بالمسلم؛ لدوام الخير وكثر المنافع.

** ** **
باب: الحياج من الإيمان

(30) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان يضع ويبعد أو يضع ويسعون شعبية، فأفضلهم قول لا إله إلا الله، وأدنى إمتاع الأذى عن الطريقة والحياء شعبية من الإيمان».

الشرح:

في الباب حديثان، خرجهما مسلم في الإيمان، ورَوِّب عليهما النور، (30/2) باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدنىها وفضيلة الحياة، وكونه من الإيمان.

* الأول: حديث أبي هريرة ﷺ.

وهذا الحديث فيه فوائد عظيمة، وهو من الأحاديث التي يكثر ذكرها وتكرارها على الألسن، ووقع في أكثر الروايات كما قال القاضي عياض: «الإيمان يضع ويسعون شعبية» ولذلك صوّب هذا اللفظ على غيره واختاره وأعلته رواية: «يضيع ويسعون» بأنها شكل من سهيل بن أبي صالح، الراوي عن أبيه عن أبي هريرة، والخراز ﷺ اعتمد رواية: «يضيع ويسعون شعبية».

 قوله: «يضيع» بكسر الباء وفتحها هو للعدد، أما بالضم (الضبط) فهو للحم أو قطعة اللحم، (والضبط) ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: إلى العشر، وزاد بعضهم ما بين الاثنين عشر إلى العشرين.
شرح مختصر صحيح مسلم

و"الشَّعَبَة" هي الفئة من الشيء، وهنا عنوان الخصلة، فيكون المعنى:
أن الإيمان بضع وسبعين خصلة، أو بضع وستون خصلة، وقد اجتهد بعض العلماء في عد هذه الشعوب، وصنفوا فيها مصنفات، من أبرزها فائدة كتاب أبو عبد الله الحليبي واسمه: "المنهج في شعب الإيمان" مطبوع في ثلاث مجلدات، وعلى منواله سنَّت الإمام أبو بكر البهذي، في كتابه الجليل الحفيلة "شعب الإيمان"، وفيه روايات ضعيفة، لكنه كتاب عظيم، فيه من الفوائد والفرائد الشيء الكثير. وقال أبو حاتم بن حيان: "عددت الطاعات فوجدتها أكثر من بضع وسبعين، ثم أُحصيت عدد الأحاديث التي ذكرها فيها الأعمال التي ربطت بالإيمناً فوجدتها تنقص عن بضع وسبعين، ثم أُحصيت ما في الكتاب فوجدته تنقص عن بضع وسبعين، فلما جمعت ما بين الكتاب والسنة صارت تسعة وسبعين لا تزيد ولا تنقص، وذكرها في كتابه المعروف بـ " الصحيح ابن حيان"، والرسول ﷺ لم يعد أو يسرد هذه الشعوب، ليجتهد الناس في العمل بخصائص الإسلام كله، وأعظم تلك الخصائص التوحيد فقال هنا: "فأفضلها قول لا إله إلا الله" فالتوحيد متعين على كل أحد، لا يصح بالإيمان إلا به، ولا تصح شعبة من الشعوب إلا بعد صحة الإيمان، فأعلى درجات الإيمان التوحيد، وما جاء في الكتاب من عِرْض الوالدين والإحسان إلى القراءة والإحسان إلى الجار، وإلى الصاحب، وإلى المسكين والبيت والمملوك، والصدقة والعفاف والجهاد والشجاعة، وكل ما مدح في الكتاب والسنة من خلق، ومنه الحياة، فهو من خصائص الإيمان.

وقوله: "والّذى أنت شعب الإيمان وخصائصه: 
"إِماَّتَةُ الآدَى عَنَّ الطَّرِيقِ" يعني: أن ينحى عن طريق المسلمين كل
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

شجر أو مدر أو شوك يؤدي المسلمين، وهذه من خصائص الإيمان التي يغفل عنها الناس اليوم، فنجد بعض الناس بضاقت المسلمين في طرقهم، إذا بسارته، وإذا بأن يُصَب ماءً في طريقهم فيتأذون به، وربما يُلقي القفامة في طريق المسلمين، وربما يكون عنده بناء أو شيء فعلي الزكام من التراب والصخر في طريق المسلمين، وربما بعضهم يبني بناءً أو يضع سورًا يقطع به طريق المسلمين بحجة أن هذا أمام بيتهم، وهذا كله مما نهت عنه الشريعة؛ إذ لا يجوز للمسلم أن يؤدي المسلمين في طريقهم، ومنه ما جاء في الحديث الصحيح في النهي عن قضاء الحالة في طريق المسلمين؛ لأن هذا مما يجلب للإنسان اللعنة، وهو قوله تعالى: "اتقو اللعنتين" قالوا: وما اللعنان يا رسول الله؟ قال: "الذي يتحلى في طريق الناس، أو في ظلهم"(1).

وفي الحديث الآخر: «من آخذ المسلمين في طريقهم، وجبت عليه لعنهم»(2).

قوله: "والحياة شُعبة من الإيمان" الحياه يعرف العلماء بأنه: خلق بيعث على ترك البش، ويعن من التقصير في حق ذي الحق، فمن له حق عليه، الحياة يمنعك من التقصير في حقه، والحياة مشتّ من الحياة، ولذلك يصح أن يقال: يستحي ويستحي، وهذه أصح، وله نزل القرآن: "إِنَّ آللَّهُ لَا يَسْتَحِي، أَن يُصَبَّ مَثَالًا مَا بَعْضُهَا فَمَا فِيهَا؟" (البقرة: 26).

(1) رواه الإمام مسلم في الطهارة (277/1)، وأحمد (372/2).
(2) حديث حسن، رواه الطبراني في الكبير (6507) من حديث حديث بن أبي سفيان. وله شاهد من حديث أبي ذر مرفوعًا، رواه أبو نعيم في تاريخه (129/1) وحسنين الألباني في الصحيحه (2294).
والحياة من صفات الله - تبارك وتعالى - اللائقة به، وكل صفة ثبتت
الله تعالى وثبتت للمخلوق، فإننا نثبت الله ﷺ أعلى هذه الصفة، من غير
تمييز ولا تأويل، أما الأشاعرة وغيرهم فقالوا: الحياة المراد به: الترك!!
يقولون: إننا نفسُر صفات الله التي فيها انفعالات، بنهاية تلك الانفعالات
وهي المفعل! فقالوا: الحياة انقباض في النفس، وهذا انفعال في داخل
الإنسان، لكن الله ﷺ يتزعم عن هذا! هكذا يقولون، فما هو نتيجة هذا
الانقباض؟ قالوا: الترك، فيكون معنى الحياة في حق الله الترك! والرحمة:
قالوا هي رقة في القلب، وهذا انفعال، مفعوله ماذا؟ قالوا: الإحسان
والصلة، فأتى إذا رحبت إنسانًا، أحسنت إليه وأثبته، ففسروا الصفات
بنتها!!

وهذا كله مما يخالف القرآن؛ لأن الصحابة ﷺ تلقوا هذا بالقبول،
وهل يتكلمون فيه، ولم يؤلوها أو يحرفوها.
وقوله: «والحياة شمعة من الإيمان» يعني خلق من أخلاق الإيمان،
ودقة روي الحاكم في مستدركه أن الرسول ﷺ قال: «إن الحياة والإيمان
قرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر».

ولهذا: فقليل الحياء من الناس قليل الإيمان، وقليل الإيمان قليل
الحياة؛ لأن الحياة خلق من أخلاق أهل الإيمان، فإذا زاد الإيمان زاد
الحياة.

وما أعظم الحياة؟ أعظم الحياة أن تستحي أن يراك الله على مقصدة،
هذا هو أعظم الحياة، كما قال ﷺ: «ليستحي أحككم ربه، كما يستحي
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

الرجل الصالح من قومهً (1)، أو كما قال - عليه الصلاة والسلام - يعني لو كان في المجلس رجل صالح، فإنك تستحي أن تصنع أمامه شيئاً فيث، فاستح من الله مثل ذلك بل أعظم؛ لأن الله تعالى يراك على كل حال، وقد أحسن من قال:

وإذا خلوت بريعة في ظلمة النفس داعية إلى العصيان فاستحي من نظر الإله وقل لها: إن الذي خلق الظلام يراني وفي الحديث قال ﷺ: ألا تستحيون؟ قالوا: إننا لستحي يا رسول الله، قال: ليس ذلك من استحيا من الله حق الحياة، فليحفظ الرأس وما في البطن وما حوي، ولذكر الموت والملل، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حق الحياة (2).

*** *** ***

(1) حديث صحيح رواه أحمد في الزهد (466)، والطبراني في الكبير (537)، والبيهقي في الشعب (3) بلفظ: أوصيك أن تستحي من الله.

(2) حديث حسن رواه أحمد (387/1) والمرتضى (427/4)، وغيرهما، انظر: تحقيقنا لكتاب "الورع" لابن أبي الدنيا (59).
(31) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: "كُنْتُ عِندَ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَجْهَطٍ، وَفِيتَا بِشَيْرٍ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ: "فَحَدَّثَنَا عُمَرَانُ بْنُ يُوسُفُ، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهُ ﷺ: "الْحَيَاةُ الْخَيْرَةُ كُلُّهَا"، أُوْلَئِكَ الْخَيْرُوتَا أَهْلُ الْكِتَابِ. إِنَّمَا تَجْدَى فِي بَعْضِ الْكِتَابِ أَوْ الْحُكْمَةِ أَنْ يَكُونَ عَلَى سَبِيعِ إِنْ سِيَّةٍ وَقَوْاً رَبَّهُ، وَمَثَّلَ ضَعْفُ".

قاتِبَ عُمَرَانَ حَتَّى احْمَرَتَا عَيْنَاهُ فِي رَجْهَطٍ، وَقَالَ: "أَنَّا أَوَّلَيْنِي أَهْدَكُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَعَارَضْنَ بِهِ، قَالَ: "فَحَدَّثَنَا عُمَرَانُ الْخَبْرِيَّةَ، قَالَ: "فَحَدَّثَنَا بِشَيْرٍ بْنِ كَعْبٍ، فَقَاتِبَ عُمَرَانٍ، فَقَالَ: "فَمَّا زِلَّتَا تُقُولُ فِي: إِنَّمَا يَنْتَجِهُ إِنَّهُ لَا يَتَبَسَّأِ يِهَا".

الشرح:

الحديث الثاني في هذا الباب.

حديث أبي قتادة واسمه: الحارث بن ربيء السلمي، وشهد أحداثاً وما بعدها، وهو فارس من فوارس الأنصار، ومات سنة أربع وخمسين.

و عمران بن حصن هو ابن عبيد الخزاعي، أسلم عام خبر، وصحب رسول الله ﷺ وكان فأضل، وقضي بالكوفة، ومات سنة 52 هجرية بالبصرة.

"عن أبي قتادة قَالَ: "كُنْتُ عِندَ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَجْهَطٍ، الرهط: ما دون العشيرة، من الرجال خاصة، ولا يكون فيهم امرأة.

وَفِيتَا بِشَيْرٍ بْنِ كَعْبٍ، فَحَدَّثَنَا عُمَرَانُ بْنُ يُوسُفٍ، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْحَيَاةُ الْخَيْرَةُ كُلُّهَا"، أُوْلَئِكَ الْخَيْرُوتَا أَهْلُ الْكِتَابِ. إِنَّمَا تَجْدَى فِي بَعْضِ الْكِتَابِ أَوْ الْحُكْمَةِ أَنْ يَكُونَ عَلَى سَبِيعِ إِنْ سِيَّةٍ وَقَوْاً رَبَّهُ، وَمَثَّلَ ضَعْفُ". فَقَاتِبَ

ال péث:
شرح كتب الإسلام من مختصر صحيح مسلم

«عُمَّرْانٌ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُا» هذه لغة صحية على لغة من يقول: أكلوني
البراغيث، والأصل: حتى احمرت عيناه، وهي رواية لأبي داود.

وقال: ألا أزراني أخذتك عن رسول الله ﷺ وتعرض فيه، قال:
فأعاد عمران الحديث، قال: فأعاد بنشهر، فقضب عمران، فما زلت تقول
فيه: إنه ممنا بما أتى نجده، إنه لا يأصل به، هذا الحديث فيه أن الرسول ﷺ عليه
صلاة السلام، قال: "الحياة حَيْزٌ كُلُّهُ" لماذا؟ لأنه كما فلنا: خلق يبعث
على ترك الفبيح، ويم تلك في التقصير في حق ذي الحق، فإن قال قائل:
إذا بعض الناس يترك الخير حياةً، مثل أن يترك الآمر بالمعروف، أو النهي
عن المنكر، أو التعليم، حياة من الناس، فقول له: إن هذا ليس بحياة،
وإن تعرض بعض الناس على تمسكه حياةً، بل هو كما قال العلماء: ضعف
وتحور ومهانة، لأن القوي في إيمانه، لا يضعف عن تلبية الدين، والآمر
بالمعروف والنهي عن المنكر.

فإن قيل: إن الحياة أمرٌ فطري، فكيف يكون من الإيمان؟

فالتجاب: إن الحياة وإن كان فطريًا، فإن توجه هذا الخلق وجعله
في الموضع الذي يصح الله تعالى ويرضاءه، يحتاج إلى مجاهدة وتربية.

قوله: "فقال: بَسَّّرْ بِنَّ كَعْبٍ: إِنَّا نَجِدُهُ فِي بَعْضِ الْكُلْبِ أو الْجَهَمْ
لعله يقصد النوراة.

قوله: "أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةٌ وَوَقَآرَةٌ اللَّهُ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَفَضْبَ عِمَّرْانٌ" هذا
الكلام يعارض قول النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام: "الحياة حَيْزٌ كُلُّهُ"،
المعارضة أن تتكلم بكلام يخالف ما يتكلم به المتكلم، فقضب عمران مئة
وما زال الصحابة والجالسون بهدئته ولقولون: "إِنَّهُ لَا يَأْصَلُّ بِهِ" يعني: أنه
ليس من أهل النفاق، أو الزندقة، أو البدعة، أو الهوى؛ بل إنه رجل صالح مستقيم، وهذا يبين لنا أن الصحابة كانوا يغضبون من معارضة حديث الرسول ﷺ، ولا يرضون لأحد أن يسلك هذا المسار، لأن هذا يخالف الإيمان، قال تعالى: "فَلَا يُؤْمِنُواَ بِحَقِّ رَبِّهِمْ إِلَّا مَنْ سَأَلَهُمْ أَيَّ ذَٰلِكَ الْيَدَٰثُ ۚ فَتَكُونُواْ نَظَّارِيُّمْ" (السماء). فمن تعظيم الله تعالى، وتوفير رسوله ﷺ، أن لم تعارض ما ورد في الكتاب الكريم أو السنة المطهرة؛ بل تسلم وتفقد وتسجب، وإذا وجدت في نفسك حدثًا يعارض حدثًا أو آية؛ فاسأل عنها أهل العلم إذا لم تستطع حل الأشكال ومعرفة الجواب، فتعلم أن النصوص ليس فيها اختلاف ولا تعارض إلا بحسب ما يقع في نفوسنا، وإلا ففي حقيقة الأمر ليس هناك اختلاف ولا تعارض، ومن أعظم الناس تقديسا للنصوص: أهل السنة والجماعة؛ لأنهم لا يقدمو مبادئه على قول الله تعالى ولا قول رسوله ﷺ، لا قياسًا، ولا رأيًا، ولا سياسة، ولا عقلًا، ولا فلسفة، بعضهم من أهل الأهواء، فأول الفلسفة والكلام يقدمو العقل على النقل، ويقولون: إذا تعارض العقل والكلام قدموا العقل، وأول السياسات الجائرة قاموا: إذا تعارضت السياسة والدين، قدموا السياسة! وأول التصوف قاموا: إذا تعارضت النصوص مع الوجد والكشف والذوق، قدموا الوجد والكشف والذوق، وأول الرأي إذا تعارضت عندهم النصوص مع آرائهم، قدموا آرائهم وأهواءهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

أما أهل الحديث - أهل السنة والجماعة - فإنهم لا يقدمو مبادئه على كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ قول أحد، كائنًا من كان.
باب: من الإيمان حسن الجوار وإكرام الضيف

(22) عن أبي سُرَّاح الخزاعي: أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله وَلِيْبَحْسَينْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَلَيْبَحْسَينْ الآخر؛ فَلَيْكِنْمُ ضَيْقًا، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَلِيْبَحْسَينْ الآخر؛ فَلَيْكِنْ خَيرًا أو لَيْكِنْكُت».

شرح:

الحديث خرج مسلم في الإيمان، ويؤدب عليه النووي (18/2)。

باب الحديث على إكرام الجوار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن خير، وكون ذلك كله عن الإيمان.

أبو سُرَّاح الخزاعي، والكمي، اسمه: خويلد بن عمر أو عكسة، وقيل غير ذلك، صحابي نزل المدينة، مات سنة 18 هجرية على الصحيح.

قاله الحافظ، أخرج له السنة.

فوله: «من كان يؤمن بالله وَلِيْبَحْسَينْ الآخر؛ فَلَيْكِنْمُ إِلَى جَارِهِ» وفي رواية البخاري، وهي أيضًا رواية لمسلم: «فَلَيْكِنْمُ جَارِه».

معنى: «من كان يؤمن بالله وَلِيْبَحْسَينْ الآخر» أنه من كان عنده الإيمان والإسلام، فإن أخلاقي الإيمان والإسلام تستوجب أن يكرم الجار، وحسن إليه.

والرسول - عليه الصلاة والسلام - في هذا الحديث، لم يُعد أنواع الإحسان الذي ينبغي أن يكون إلى الجار، وورد في بعض الأحاديث.
وفيها مقال : أن النبي - عليه الصلاة والسلام - عدّ هذا الإحسان، فقال:

"يُقَرُّضهُ إِذَا أَسْتَرْضَى، وَيَعْصَمهُ إِذَا أَسْتُرَكَ، وَيَعْقُبُهُ إِذَا أَصَابَ، وَيَبْتَغُكَّهُ إِذَا طَبَقَ مَرَّةٌ فَلا يَبْحَرُهُ، وَلا يَعْلَمُهُ إِلَّا شَيْءٌ، وإِذَا دَخَلَ فَاكَّهَةُ يُدْخِلُهَا سَرًا، وَلا يَخْرُجُ نِلَذْهُ بِهَا لِيُؤْدِي وَلَدَ جَارِهِ.

وَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِينَ فِي كِتَابِهِ فِي قُوْلِهِ:

"وَأَعْلَمَّهُ أَنَّ اللَّهَ رَحْمَةً عَلَى عِبَادِهِ وَغُفُوًّا فِي الرَّحْمَةِ وَغُفُوًّا فِي النُّفُورِ".

فُوْلِهُ:

"وَإِلَّا مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَتَّبِعُ الْحَقَّ قَلِيلًا".

فَالجَارُ ذُو الْقَرَاءَةِ هُوَ الْجَارُ الَّذِي يَنْتَكِهُ الْقَرَاءَةُ، وَالْجَارُ الْجِنَبُ:

فَالجِرَانَ ثَلَاثَةٌ: فَجَارُ لَهُ حَقُّ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْجَارُ الْمَشْرِكُ الَّذِي لَا رَحْمَةَ لَهُ.

وَجَارُ لَهُ حَقَّانِ: وَهُوَ الْجَارُ الْمُسْلِمُ، لَهُ حَقُّ الجَوارِ وَحَقُّ الإِسْلَامِ.

وَجَارُ لَهُ ثَلَاثَ حُقُوقٍ: وَهُوَ الْجَارُ الْمُسْلِمُ ذُو الْقَرَاءَةِ، لَهُ حَقُّ الجَوارِ، وَحَقُّ الإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْقَرَآءَةِ.

وَالإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ مِنْ شَعْبِ الْإِهَمَانِ المَذْكُورِ في حَدِيثِ أَبِي

فُوْلِهُ:

"وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَتَّبِعُ الْحَقَّ قَلِيلًا".

فَهُوَ الْجَارُ الْمَشْرِكُ الَّذِي لَا رَحْمَةَ لَهُ.

(1) وَقَدْ وَرَدَّ مَعْنَى ذَلِكَ مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ، أَخْرَجَهُ البَزَّارُ (۱۹۶۱) زَوْنِيدَةَ، وَالْكُلُّوَيْنِيَّ، وَأَبُو نُعْمَانِ فِي "الْحَلَّةِ" (۵/۸۰۲) مَعْلُومًا، وَأَيْضًا "قَلِيلًا" (۲۷۶۳) مَعْلُومًا.

(2) مَنْ تَفْقِيْحُ عَلَيْهِ.
عـلى الجملة الأولى، وهو أيضًا من خصال الإيمان وشعـه.

وكـرام الضـيف من أدب الإسلام، وهو خـلق كان مـشهورًا في الجاهلية،

فـجاء الإسلام وأفـقره وـحث علىـه، وـبـين أنـه من أـخلاق النبيين والصـالحين،

وذكر الله تعالى قـصـة إبـراهـيم عليه الصلاة وسلم، وكـيف أكرـم ضـيفه،

وـجـاه لـهـم: «مـهـل إـلـى جـنـين» وـلـم يتأـخّر عـلىـهم في إحضاره بـحـيث يتركـهم

يـجـوعون، ثم وضـعـه بـين أـبـيـهم، وـغير ذـلـك من أنـوع الإحسان والإكرام

للضـيف المذكورة في قصة إبراهيم عليه الصلاة وسلام.

وـظـاهر قـوله: «فَلَيَكُمْ ضَيْفَهُ» يـدل عـلى الوجوب، لأنـه أمر،

والـأـمر يقتضي الوجوب كـما هو معلوم، وـقـال كثير من الفقهاء: إن إكرـام الضـيف من مكارم الأخلاق، وـليس من الواجبات، لـكن يـزدـر عليهم بـهـذا

الـحـديث: «فِئِكُمْ ضَيْفُهُ» وـيُزدـر عليهم أيضًا بـحديث عقـبه مـرفوعاً: «إـن نـزلهم بـقى فـأماموا لـكم بـحــق الـضـيف فـأقبلوا، فـإنـ لميفـعلوا، فخـذوا منـهـم

حق الـضـيف الذي ينبغي لهم»(1) يعني يأخذون منهم قـضـرًا ما ينبغي للضـيف

أـن يـكرـم به مـن الطعام، وـهل هو واجب على الحاضر والبادي، أو أـنـه يـجب

على أـحـدهم؟ قال الشافعي: أنه يـجب على الحاضر والبادي إكرـام الـضـيف، وـقـال الإـمام مـالك: إنه يـجب على البادي فقط، وأـنا الحاضر فإـنه

سيـجـد في الـفـنادق وـفي الأسواق مـن الأـطعمة ما يغنيـه عـن النـزول عـلى النـاس.

والأـصل أن يـبقى الـلفظ على عـمومه؛ لـأنـه لم يأت ما يخصـه هـذا

الـلفظ، وـما قالـه الإـمام مـالك لـه وـجه: مـن حيث إنه يـزداد تأكـدًا عـند افتـطاع

الإنسان، يعني إذا علـمت أن هذا الإنسان منقطع، وإذا لم تـُعـطـه ولم تـكرـمه

(1) منطق عليه.
ربما يهلك، لا شك أن هذا أوجب وآكد من الوضيف الذي يُقرر على الاستغناء عن النزول على الناس.

واحتج من قال بأنها من مكارم الأخلاق بقوله: "عليه الصلاة والسلام". في رواية البخاري: "فليكريم ضيفه جائزة" قالوا: الجائزة هي الصلاة والعطية. وهذه الصلاة والعطية ليست واجبة بل هو من الاختيار، وقال غيرهم: إن الجائزة هنا بمعنى أن يجيءه، بمعنى يعطيه ما يستطيع به الجواز والمرور.

وترجع إلى قوله: "عليه الصلاة والسلام". "فليكريم ضيفه جائزة يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما زاد بعد فهو صدقة، ولا يحل له أن يبقى عنه حتى يخرجه" فقوله: "عليه الصلاة والسلام": "فما زاد فهو صدقة" دليل على أن ما كان قبل ذلك واجب، وهذا أيضًا من حُجَّج من قال بوجوب الضيافة، وهو قوي متوجه، ونصره الإمام ابن القيم تعالى وغيره. فإكرام الضيف يوم وليلة جائزة، يعني زيادة في التكلفة في الاستقبال وفي الطعام وفي الحديث معه. والضيافة ثلاثة أيام، وهيل يدخل معها اليوم والليلة؟ أو ثلاثة أيام غير اليوم والليلة؟ قد قال يكُلّ القولين طائفة، ولعل الراجح أن إكرام الضيف الجمع، ثلاثة أيام، منه يوم وليلة جائزة، وما كان بعد ذلك فهو على عادته من غير تكلف، وما زاد على الثلاثة أيام فهو صدقة. ولا يحل له أن يبقى عند مضيفه حتى يخرجه، يبني يُوبعه في الحرج أو في الإثم، ولا يحل له أن يبقى حتى يتكلف صاحب البيت الاستدانة أو الاستراض، من أجل أن يضيفه.

قوله: "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُقبل خيراً أو لينسكب"
ومن خصال الإيمان: أن يتمتن الإنسان عن الكلام إلا في الخبر، وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة، منها: الحديث المتفق عليه: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه وبده» فالمسلم هو الذي يسلم الناس من شر لسانه، فعلى الإنسان إذا أراد أن يتكلم أن يفكر في كلامه، فإن كان فيه خير فليفسك، وإن كان فيه شر فليفسك، وإن كان مباحًا فالأفضل له أيضًا أن يسك، لأن الكلام إما أن يؤول به إلى الخبر، وإما أن يؤول به إلى السحر، ويُوجب من المباحات يكره التوسع فيها، لأنها تخرج إلى الحرام أو إلى المكروه، ولذا يتحب الإنسان الصمت إذا كان لا مجال للكلام في الخبر، لأن يسك من الخبر، كان يسك من الأمر بالواجب، فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس، كما قال أبو علي الدقاق: «من غد كلامه من عمله، قل كلامه فيما لا يعنيه»، وقال الإمام الجليل أبو محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي صاحب كتاب «الرسالة»: "جماجم آداب الخبر يتفرع من أربعة أحاديث: قول النبي ﷺ: 'من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت' وقوله ﷺ: 'من حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه' وقوله ﷺ للذي أختصر له الوصية: 'لا يغضب' وقوله ﷺ: 'لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخي ما يحب لنفسه'.

---

(1) شرح النووي (19/2)
باب: لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوايتة

(33) عن أبي هريرة ﭼ: أن رسول الله ﭻ قال: لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوايتة.

الشرح:

الحديث خرج مسلم في الإيمان، ووبع عليه النووي (17/4): باب بيان تحريم إيداء الجار.

الصحابي الجليل أبو هريرة ﭼ مثبت ترجمته.

فوله: أن رسول الله ﭻ قال: لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوايتة

معنى الحديث: أن الإنسان الذي لا يؤمن جاره بوايتة، ويومئته ودوايته، لا يدخل الجنة، وهل هذا على الإطلاق؟ أم أنه يؤثر عن دخول الجنة بسبب هذه الكبيرة؟ الثاني هو الصحيح. فالمقصود يقوله على الصلاة والسلام: لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوايتة يعني يؤثر عن دخول الجنة بسبب هذه الكبيرة، ويحرم أن يكون مع أول الداخلين، جمعًا بعنه وبين نصوص الكتاب والسنة الكثيرة التي فيها مثل هذا التعبير، كقوله: لا تدعوا حتى تحلوا(1), يعني: لا يكون دخولكم مقطوعًا به في أول الداخلين حتى تحلوا، وهذا يدل على أن هذا الفعل من كبار الذنوب، إذ

(1) رواه مسلم في صحيحه.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

من الإنسان من دخول الجنة ابتداءً، نعوذ بالله مولانا من ذلك، فالمؤمن الحق هو الذي يأمنه جاره، كما قال ففي الحديث المشهور: "المؤمن من آمن الناس على أنفسهم، وأموالهم"، فالمؤمن جانبه، ويؤمن شره هو المؤمن، والذي يستأمنه الناس، ويؤمن بيه هو المؤمن، وكان الرسول - عليه الصلاة والسلام - قال الإسلام، وقبل عصر النبوة والرسالة، كان الناس يأتونه ويؤمن به، ويستعونه أموالهم، وكان يسمى بالصادق الأمين؛ لثرة ما يأمنه الناس، فهذه من خصال الخير العظيمة، والإسلام جاء بالبحث على التخلق بها.

*** *** ***

(1) حديث صحيح رواه أحمد، والترمذي (2672)، والسني (8/105) من حديث أبي هريرة.
باب: من الإيمان تغيير المنكر باللسان والقلب وقلب

(24) عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخطبة يوم اليمين قبل الصلاة مروان، قام إلى رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة، قد ترك ما كهلك، فقامت أبو سعيد: أما هذا فقد فصى ما أوكله، نصيتو رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا قضية يبينه، فإن لم يستطع قيسانه، فإن لم يستطع فقيلبه، وذلك أضعف الإيمان».

الشرح:

في الباب حديثان: الأول: أخرجه مسلم في الإيمان، وواب عليه التوزيع (21/2): باب كون النبي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

«عن طارق بن شهاب» هو الأحمسي، وعلى الراجح أنه صاحب له رؤية، مات سنة 82 أو 83 هـ، أخرج له السنة.

قوله: «أول من بدأ بالخطبة يوم اليمين قبل الصلاة مروان» أي مروان بن الحكم، وكان ينتسب أمير المدينة، وقد جاء أن عمر كان قد بدأ بالخطبة قبل الصلاة، ويرى عبود عن عمر، وعن ابن الزبير، ولكن هذا كله لا يصح، والله أعلم؛ لأنه قد ثبت أن الخلفاء الراشدين كلهم كانوا يبدؤون بالصلاة قبل الخطبة يوم العيد، وهو شيء إجماع منهم، وعلى هذا سار المسلمون على مر العصور، فقول طارق بن شهاب: أن أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة مروان بن الحكم.
قوله: "قُلْ إِنِّي رَجُلٌ قَالَ الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخَطْبَةِ" يعني أنكر عليه، لماذا بدأ بالخطبة قبل الصلاة؟ بل الصلاة قبل الخطبة.

قوله: "قُلْ فَلَمْ تَرَكْتَ مَا هَنَاكَ" يعني قد ترك هذا الأمر.

"قَالَ أَبُو سُعْيَدُ أَنَا هَذَا فَقِيتُ قَصْيًا مَا أَعْلِيَهُ" وقد يقول قائل وما السبب الذي منع أبا سعيد من أن ينكر على مروا بن الحكم؟ في ذلك عدة احتمالات منها: أن أبا سعيد الخدري لم يكن حاضرًا عندما بدأ بالخطبة قبل الصلاة، أو ربما كان حاضرًا لكن بادره هذا الرجل وسبقه إلى الإنكار، أو ربما كان أبا سعيد الخدري يخبئ من عواقب إنكاره على هذا الإمام، وقد جاء في رواية للصحيحين: "أن أبا سعيد الخدري أنكر على مروا وجده بردائه" ففعل الأمر قد تكرر، يعني أن هناك أكثر من حادثة في هذا الباب.

أما قوله: "قَالَ أَبُو سُعْيَدُ أَنَا هَذَا فَقِيتُ قَصْيًا مَا أَعْلِيَهُ" يعني من الواجب، فالواجب الذي على هذا الإنسان أن ينكر بلسانه، وهو قد قام بذلك، فقط ما عليه من الواجب.

قوله: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَبِيًّا قَالَ "مِنْ رَأَى يَنْكَرُونَ مَنْ كَرَّهُ مَانِعًا" بَيْنِي عِندَ فَيَلاً وَكَلَّا أَصَفُّ الأَمْنَاءِ".

هذه درجات إنكار المكر، أنها تكون باليد الذي يزيل به الإنسان المكر الموجود، كأن يُهَرِّقَ الخمر، أو يكسر الصلب، أو يكسر آلة الله، والطرف، هذا كله من تغيير المكر باليد، وإما أن يكون ذلك باللسان، أن ينكر بلسانه كما فعل هذا الرجل، فذكر بأمر الله تعالى أو أمر رسوله ﷺ ويعتَ وَيَعْفَ: "إِنَّ لَمْ يَسْتَطِعْ تِقْلِيَهُ فَوَذَاكَ أَصَفُّ الأَمْنَاءِ" يعني أقوله، ثمرة أن ينكر الإنسان بلسانه، لأن ثمرة الإيمان في هذه الحالة تكون قليلة.
وعانده على الشخص نفسه فقط، وهو آخر مراحل الإيمان، وإن لم يوجد في القلب ذلك دل على انتقاء الإيمان بهذه الفرصة من القلب. وهذا الحديث في الحقيقة فيه مباحث طويلة لا تستطع أن نفصلها في هذه العمّالية، لكن لا أستقر إلى أمهما أو إلى روئيها:

أولاً: ذلِك هذا الحديث على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "إِنْ رَأَيْتُ فَلْيُمُرْ عَلَى مَنْ رَأَيْ تَأْتِيَ فَلْيُذْكِرْهُ" فهذه اللام لام الأمر، وهي نفي الوجوب، ودل على وجوب أيضًا الكتاب، وإجماع المسلمين، ليس بينهم اختلاف في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وأما قول الله ﷺ: "يَا بُنيَا الْقُبَّةِ، مَّنْ يَتَّقِمُ مِنْ صَلَّى إِذَا أَهْتَدَىْ" [القصص: 95] فمعنى هذه الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه لا يضركم علالاً لم يقابل منكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله تعالى كلفنا بالأمر والنهي ولم بكفينا القبول، كما قال تعالى: "إِنَّكَ لَقَالَ قَالُوا: نَحْنُ مِنْ آخِبَاتِ الْجَهَالَةِ، فَلَبِنْعَ اللَّهِ يَهْدَيْنَّ مِنْ يَهْدِيهَا" [القصص: 95].

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به من يكفي، سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يقم به أحدِهم جميعًا، وإذا كان في موضع لا يعلم به إلا أنت؛ فقد تعين عليك مثل: أن يكون هذا المنكر في بنيك، أو في زوجتك، أو في ولدك، ولا يعلم به أحد من الناس إلا أنت، ففي هذه الحالة يتعين عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه لا يمكن إزالته إلا عن طريقك، ومن رأى في أهل منكراً فإنه لا يكفي أن يغيره بلته ولا بلسانه، بل لا بد أن يغيره ببهجة، مثل: من رأى في يدي ابنه
شرح مختصر صحيح مسلم

ابْن صَبْرَة: وَجَبَ عِلْمَهُ أن يَكُرِّهَا، لَا يَكُفُّي عِلْمَهُ عِبَادَةً، وَمِن
سَنَمِ في دَارِ مُمَرْازِهَا أو رَأَى فِيهَا صُوْرَةً أو مُصِلِّيًا؛ وَجَبَ عِلْمَهُ أن يَغْيِرَهُ
بِهِ وَلَا يَكُفُّي عِلْمَهُ التَّغيِّرُ بِاللسانَ بِقَدْرِهِ عَلَى إِزالَةَ بَالِيدَ وَالْفَوَّةَ.

ثَالثًا: وَمِنِّ المَسَأَلَةِ: أَنْ مَجِرَّدَ الظَّنُّ أَنَّ الأَمْأُورَ لا ْيَنْتَهِي مَعَ الْمَعْرُوفِ، وَلا مَنْهِي عَنِ الْمَنْكِرِ، لَا يَقْتِضُ عِنْكَ هِذِهِ الْفَرَيْضَةِ؟ لَوْنَ اللَّه
نَتَابِعَ وَتَعَالَى قَدْ أَوجَبَ عَلَيْنَا الأَمْرَ وَالْمَنْهِيَ، وَلَمْ يَوجَبْ عَلَيْنَا الْقِبْولَ، كَمَا
ذَكَرَنَا.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ عَلَى الصَّالَةِ وَالسَّلَامِ: {إِنْ قُلْتُواْ إِنَّمَا عَلِيَّ}
الْأَلْبَانُ الْلَّهِيَّةُ [النَّحلِ] فَالرَّسُولُ عَلَى الصَّالَةِ وَالسَّلَامِ مُكَلِّفٌ بِالبَلَاغِ
وَلَا لَيسَ مُكَلِّفًا بِأن يَنْبِلْ مُنْهِيًا، لَكِنْ إِنْ غَلِبَ عَلَى ظَنِّكَ أَنَّهُ لَا يَتَفَعَّلُ (أَي
الأَمَأُورَ)، كَانَ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالْمَنْهِي عَنِ الْمَنْكِرِ مَسْتَحِبٌّ؛ لَقَوْلَ اللَّهُ تَعَالَى
{فَذَٰلِكَ إِنْ لَغَبَّا إِلَيْكُمْ} [الآمِرِ].

رَابِعًا: وَمِنِّ المَسَأَلَةِ: لَا يَشْرَطُ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ مَمْتَلَأً لِلَّمَا
يَأْمُرُ بِهِ، وَالنَّاهِي عَنِ الْمَنْكِرِ أَنْ يَكُونَ مَنْتَهِيًا عَنْ يَنْهَى عَنْهُ، لَا يَشْرَطُ
ذلِكَ؛ بَلْ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْمُرَ بِالمَعْرُوفِ وَلَوْ كَتَبَ نَخْالَهُ، وَيَنْهَى عَن
الْمَنْكِرِ وَلَوْ كَتَبَ تَأْتِيهِ؛ لَأَنَّ تَرْكَ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالْمَنْهِي عَنِ الْمَنْكِرِ
مَعْصِيَةً، وَقَبَائِلٌ بِفَعْلِ النَّحرِ أو تَرْكِ الواجبِ مَعْصِيَةً أُخَرَ.

فَوُجِّهَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَن يَنْهَى عَنِ الْمَنْكِرِ، وَيَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلَوْ كَانَ مُقَضِّرًا، ثُمَّ إِنْ هَذَا الشَّرْطُ صَبْعُ التَّحْقِيقِ، وَلَوْ قَلْناً: لَا يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمَنْكِرِ، إِلَّا مَنْ أَفْتَقَ أَوْامِرِ اللَّهِ، وَتَرْكَ نَوْاهِي وَزَوْاجِهِ، لَمْ يِقَ
مَنْ يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمَنْكِرِ، كَمَا قَالَ الْقَابِلُ:
إذا لم يعظ الناس من هو مذنب 
فمن يعظ العاملين بعدد يا محمد 

فمن ذا الذي يخلو من الذنب والمعصية؟!

خامسًا: ومن المسائل: أن الأمر بالمعروف لأدب له من علم، يعني أن يكون الأمر بالمعروف عالماً بما يأمر به، عالمًا بما ينهى عنه، لكى يأمر بالمعروف، وينهى عن معروف، أما المسائل الظاهرة كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، وكحمة الزنا والخمر والربا وما أشبه ذلك، فهذا كل الناس تسوؤ في معرفته، وأما دقائق الأفعال والأقوال؛ فإن المرجع في الأمر بها والتنهي عنها إلى العلماء؛ فإن كانت المسائل دقيقة؛ فلا يتعجل الإنسان، حتى يثبت ويتأكد من صحة ما يأمر به أو ينهى عنه.

سادسًا: لا يد للامر بالمعروف من التزام الرفق واللين مع من يأمره أو ينهيه؛ لأن الله تعالى قال لموسى: {ادْعُ إِلَىِّ الْحَقِّ يَمْنُونَ إِلَّاً فَلْعَلَّيْنَّ أَلْيَهُ مُسْتَدْرَكِينَ أَوْ نَخْفَفَ عَنْهُمْ} [هود: 26]. 

وقال سبحانه عن رسول الله ﷺ: {فَكَيْما أَرْحَمْنَا بِكُلِّ نَفْسٍ لَّهُمْ وَلَوْ كَتَبْنَا فِي قُلُوبِهِمْ لَا يَتَّبِعُونَهُمْ} [ال عمران: 159]، فاللين من قلوب البشر، فإذا تكلمت مع الإنسان بلين؛ فالغالب أنه يقبل منك، أما العنف فإنه يحرم الإنسان الاستجابة في الغالب، إلا إن كان في موضعه؛ لأن العنف في موضع من الحكمة، والرفق في موضع من الحكمة، ولابد لذلك من فقه للدعاي، والامر بالمعروف، والناهي عن المنكر.

سابعًا: ومن المسائل أنه لا إنكار في مسائل الإجتهاد؛ يعني إذا اختلف العلماء في مسألة، فقامت طائفة بأن هذه جائزة، وطائفة قالت بأنها حرام؛ فإنه لا إنكار فيها إن كانت المسألة سائعة الاختلاف، فهذه ليست

ملخص: 

إذا لم يعظ الناس من هو مذنب، فمن يعظ العاملين بعدد يا محمد؟!

خامسًا: ومن المسائل: أن الأمر بالمعروف لأدب له من علم، يعني أن يكون الأمر بالمعروف عالماً بما يأمر به، عالمًا بما ينهى عنه، لكى يأمر بالمعروف، وينهى عن معروف، أما المسائل الظاهرة كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، وكحمة الزنا والخمر والربا وما أشبه ذلك، فهذا كل الناس تسوؤ في معرفته، وأما دقائق الأفعال والأقوال؛ فإن المرجع في الأمر بها والتنهي عنها إلى العلماء؛ فإن كانت المسائل دقيقة؛ فلا يتعجل الإنسان، حتى يثبت ويتأكد من صحة ما يأمر به أو ينهى عنه.

سادسًا: لا يد للامر بالمعروف من التزام الرفق واللين مع من يأمره أو ينهيه؛ لأن الله تعالى قال لموسى: {ادْعُ إِلَىِّ الْحَقِّ يَمْنُونَ إِلَّاً فَلْعَلَّيْنَّ أَلْيَهُ مُسْتَدْرَكِينَ أَوْ نَخْفَفَ عَنْهُمْ} [هود: 26]. 

وقال سبحانه عن رسول الله ﷺ: {فَكَيْما أَرْحَمْنَا بِكُلِّ نَفْسٍ لَّهُمْ وَلَوْ كَتَبْنَا فِي قُلُوبِهِمْ لَا يَتَّبِعُونَهُمْ} [ال عمران: 159]، فاللين من قلوب البشر، فإذا تكلمت مع الإنسان بلين؛ فالغالب أنه يقبل منك، أما العنف فإنه يحرم الإنسان الاستجابة في الغالب، إلا إن كان في موضعه؛ لأن العنف في موضع من الحكمة، والرفق في موضع من الحكمة، ولابد لذلك من فقه للدعاي، والامر بالمعروف، والناهي عن المنكر.

 سابعًا: ومن المسائل أنه لا إنكار في مسائل الإجتهاد؛ يعني إذا اختلف العلماء في مسألة، فقامت طائفة بأن هذه جائزة، وطائفة قالت بأنها حرام؛ فإنه لا إنكار فيها إن كانت المسألة سائعة الاختلاف، فهذه ليست
شرح حكواتي الإيمان من مختصر صحيح مسلم

من مسائل الإنكار؛ لكن هي من مسائل الدعوة والإرشاد، والتباحث والتناغش.

ثامنًا: لا ينبغي للإنسان أن يهاب مما يكره عليه، ولو كان رفع المنزلة، فهذا الرجل أثك على الوالي في حضرته، هذا هو الواجب، لا أن يتكلم في مجالس الناس وبغتاب، وإنما من أراد أن يأمر أو ينهي، يذهب إلى أو يذهب إلى من يوصى إليه الكلام؛ ليحصل التفع المطلوب، فالمراد هو النصح وتحقيق الخير، والنهي عن الشر، لا التشكي في الكلام والطعن والاغتياب.

قال الله تعالى: "وَكُنْتُمْ رُكُوبًا مَّنْ يُصَرُّهُمْ (الحج: 40)"، قال تعالى: "وَلَاتُبْنِبُوا فِي مَا لاَ يُهْدِيهِمْ مِنَ الْكَانَاتِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحَمِّدُ الْمُظْهِرِينَ (المكرون)"، ولا شك أن أجر الإنسان على قدر نصحه ويتبعه، ووجه في الحديث: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" (1)، في هذا من أفضل الشهداء عند الله.

نافعًا: وكما أنه لا يترك الأمر بالمعروف لمهابة الناس، كذلك لا يترك لصداقته ومحبه للإنسان، فيعض الناس يسكت عن الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر إذا صدر من حبيب أو قريب له، ويذهله، يعني يسكت عن باطله! وهذا خلاف الصداق المحقق؛ لأنه لو كان صادقًا في مجبه لحبه، ومن الخير له أن ينتهي عن الشر، لأن في ذلك إصلاح الدين والدنيا والآخرة.

(1) حديث حسن، أخرجه الحاكم (195/3)، والخطيب البغدادي في "تاريخه" (376/6)، انظر "الصحيحة" (274).
عاشراً: ومن المسائل في هذا الباب: أنه ليس على الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يبحث ويقر عنا المخالفة، أو يتبصى على المنكرات في البيوت وغيرها، فهذا ليس من واجبات الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر من المتنوعة، وإنما هذا من أعمال المحاسب، أي: المعفي من قبل الدولة أو الوالي، والذي أمر بأن يُعْتُرف المنكرات في الأسواق وفي البيوت، وأن يبحث عنها، لكن إن وصل إلى علم الإنسان أن رجلًا قد اختل برجل ليقتله، أو اختل بامرأة ليستيها، فهل عليه أن يُبادر إلى الذئاب إلى ذلك الموضوع؟ قالوا: نعم; لأن هذا يفوت لو تركه الإنسان، وربما لا يصل هذا الأمر إلى المحاسب، فإن لم يقدر على منه، أبلغ رجال الحسبة.

الحادي عشر: ومن الفوائد هنالك قول الإمام ابن القيم: إن إنكار المنكر أربع درجات:

الدرجة الأولى: أن تذكر نفسًا بالكلية، وهذا محبوب إلى الله ورسوله.

الدرجة الثانية: أن تذكر ولا يزول بالكلية، لكن يزول بعضه أو أكثر، وهذا أيضًا محبوب إلى الله ورسوله.

الدرجة الثالثة: أن يزول ويخففه ما هو أكبر منه، وهذه درجة محبومة.

يعني إذا علمت أنك إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، تحقق ضرر عظيم، ففي هذه الحالة يحرم عليك الإناكار، ويحرم عليك الأمر بالمعروف، ومن ذلك أن شيخ الإسلام ابن تيمية: كان مع بعض أصحابه، فمرّوا على طائفة من النمر، فرأوه يشربون الخمار، فهذا بعض أصحاب الشيخ، فقال له الشيخ: اتركهم، فإنهم إذا صحوا قتلوا الذريه
وضفكوا الدماء، وانتهوا الأعراض، لذا يقول العلماء: إذا رأيت إنسانًا مشغولاً بمنعك بسيئ، فلا تتهي حتي تتحول إلى خير؛ لأنك ربما لو نهيه عن هذا المنكر اليسير، تحوّل إلى منكر أكبر وأشدّ، وهذا خلاف مصالح العباد.

الدرجة الرابعة: أن يزول هذا المنكر ويخلقه مثله، وهذه محلّ اجتهاد العلماء، يعني يحتاج فيها إلى الاجتهاد.

هذه بعض المسائل التي تيّر بحثها الآن في هذا الحديث(1).

---

(1) راجع للاستدلال: «الأمر بالمعروف» للخلال، «الحبة» لشيخ الإسلام ابن تيمية بحقيقنا، «الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» له أيضًا، والكنز الأكبر من الأمر للمعروف والنهي عن المنكر للصالحي.
الحديث الثاني في هذا الباب:

(35) عن عبيد الله بن مسلم، قال: "أنا رسول الله ﷺ قال: "ما من نبي بعثه الله في أمور قبلي إلا كان له من أئمة خوارج و أصحاب بأخذون يسبين، ويفتدوون بأمو، ثم إنها تخلف من يبديهم خلق، يقولون ما لا يعقلون، ويفعلون ما لا يؤثورون، فمن جاهدهم يبيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم يليه فهو مؤمن، ومن جاهدهم يقتله فهو مؤمن، ومن جاهدهم يقتله يقذفها فهو مؤمن، وليست وزراء ذلك من الإسلام حجة خيرًا". قال أبو زائج: "حدثت عبد الله بن عمر فأنكره علي، فقدم ابن مسلم قرأ بتقاطع قاتلة تأتيني إليه عبد الله بن عمر يعوده، فقالت عبد الله بن عمر قانطلت معه، قالما جعلت سألت ابن مسلم عن هذا الحديث، فحدثته كمس حديثه ابن عمر.

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، وبواب عليه النووي (٢٧/٢)

الباب السابق.

فوله: "عن عبد الله بن مسلم، هذا الحديث من اللطائف في إسناده: أنه من رواية أربعة من التابعين، بعضهم عن بعض: فرواه صالح بن كيسان، عن الحارث بن فضيل، عن جعفر بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن مسعود، وهؤلاء أربعة كلهم من التابعين، جاؤوا في سند واحد.

ومعنى حواريون: هم أصفياء الرسول وخواصهم، وهم الذين تقولو أنفسهم من كل عيب. وقيل: الحواريون هم: الأنصار، أنصار الرسول، والمجاهدون
شرح مختصر صحيح مسلم

عنهم وعن من سيتهم، وقول النبي ﷺ: على الصلاة والسلاف: "ما من نبي بعثه
الله في أموم قبلي" من صبيك العاموم.

وقوله: "إلا كان له من أمته خوارجون وأصحاب يأخذون فشيئه
وبقاؤون بأمره" السنة: هي الطريقة والهدى والسمت، أي: كل نبي كان له
أصحاب وأتباع وخصاص وأنصار، يقدونه بسته، ويعملون بها، يأخذون.

وقوله: "لما إنها تخلف من بينهم خلفون" الخلف جمع خلف،
والخلف يسكن اللام هو الخلف ينكر، وأما الخلف بخبر فيقال له:
خلف، كما قال الله تعالى: "قل من بينكم خلف أضعاكم الصلاة واتبعوا
الله قوماً فسوف يلقون غياباً" {سورة مريم}.

والمعنى إنها تحدث بعد الأنصار وأتباع الرسول، خلفون
الرسول ينكر، يتغيرون عنهم قبلهم من الأنصار والأتباع، إذ أنهم:
"بقولون ما لا يعقلون" يعني: يقولون بأنستهم، ولا يصدقون
بأعمالهم.

وقوله: "وإيقوون ما لا يؤمنون" أي: أنهم يشغلون بفعل أشياء ما
أموروا بها، وهذا دليل على مخالفتهم للرسول إذ اشغلو به غير ما وصيتهم به
الرسول، وفعلوا أمرًا ما أيمروا بها، ومن أشغلو ببدعة أوهله عن سنتها، كما
قال علماء السلف رحمهم الله: ما أُحية ببدعة إلا أُحية سنتها، لأن
الإنسان له قدرة وطاقة ووقت، إذ شغل ذلك بأعمال لم يؤمر بها، ترك ما
أمر به، ولا يمكن للإنسان أن يجمع بين الاثنين في الغالب، ولهذا قالوا:
ما أحبت ببدعة إلا أُحية سنتها، ولهذا تجد أن أهل الأهواء والبدع أقل
الناس اتفاقًا إلى السجن، لأنهم شغلا لأنفسهم بما لم يشرعه الله ﷺ، وهذه
من آثار البعد السيئة.
وحوله: "فَقَمَّ جَاهِدَهُمْ يَبْلِهِ فُؤُودُهُمْ، وَمَنْ جَاهِدَهُمْ يَقْلِلْهُ فُؤُودُهُمْ" أي: إن الناس كانوا على درجات في مواجهة هؤلاء النائرين للرسول ﷺ، كما سبق تفصيله في الحديث السابق.

وهذا الحديث وإن كان في مسمى سباق من الأمم، فهو أيضًا واقع في هذه الأمة كما هو معلوم.

وحوله: "وَلَيْسَ وَزْوَاءَ ذَلِكَ مِنَ الأَئِمَّةِ حَبْثَ خُزَاَلٍ" يعني إن كراهية القلب للمنكر، هي آخر درجات فعل الإيمان في هذا الباب، وليس معنى الحديث: أنه من لم ينكر بلقه؛ لا يكون في قلب إيمان مطلقًا! ليس هذا هو مورد الحديث، وإنما آخر فعل يقوم به العباد في هذا العمل الذي هو من الإيمان هو أن ينكر المنكر بقلبه.

قوله: "قَالَ أَبُو رَافِعُ" وهو الراوي عن عبد الله بن مسعود، عبد الرحمن بن مسعود يرويه عن أبي رافع، وهو أسلم مولى النبي ﷺ، الذي كان الرسول بين الرسل ويبين ميمونة في الزواج، كما جاء في الحديث، قبل: إن اسمه أسلم، وقبل غير ذلك.

قوله: "قَالَ أَبُو رَافِعُ: فَحَدِّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرُ فَأَنَّكُرْهُ عَلَيْ" يعني أنكر علي هذا الحديث.

قوله: "فَقَدْمُ ابْنِ مَسْعُودِ قَتَلَ يَقَةَةً" قناة: وادي من أودية المدينة.

قوله: "فَاسْتَيْسَبَعَهُ إِلِيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ" يعني طلب مني أن أتبعه إلى عبد الله بن مسعود، فلما جلسنا سأل بن مسعود عن هذا الحديث، فصدّق ابن مسعود أبا رافع، وحدثت به كما حدث أبو رافع.
في الحديث من الفوائد: أن الأصحاب والخلصاء هم أكثر الناس عملاً بين المرسلين، فأصحاب النبي وآخاؤه الذين في عصره هم أكثر الناس عملاً بسَبَبِه، وأنه تخلف من بعد أولئك خُلُوف يخالفونهم، فيقصرون عن العمل بسَبَبِه.

والحديث أيضًا: في الحديث مبتدأ المبتدأ المبتدأ للفتنة، المشيئين للبدع، باليد واللسان، ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلًا، وحيث لا يلزم ذلك إثارة فتنة، أو ترتيب مفسدة أكبر من مصلحة إنكار المنكر، كما مرّ معنا في الحديث السابق.

والحديث أيضًا: يدل أن الإنكار بالقلب هو آخر درجات الإنكار، وأنه إذا لم يوجد في القلب، دل على أنه لم يُبق فعل من أفعال الإيمان في هذا الباب.

وفي الحديث أيضًا: تثبت الصحابة ممن يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في دليل على ردٍّ خبر الآحاد، وإنما في التثبت، فالصحابة كانوا يتثبتون من الأحاديث النبوية، خشية أن يتجرأ الناس على رواية ما لا يصح عليه.

*** *** ***
باب: لا يجب عليه إلا مؤمر ولا يبغيه إلا منافق

(36) عن زر بن حبيب قال: قال علي بن أبي طالب: والذي فلق الحية، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلى: أن لا يجيب إلا مؤمن، ولا يبغيه إلا منافق.

شرح:
الحديث أخرجه مسلم في الإمام، وبوّب عليه النووي (6/424): باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإمام، وعلامائه وبغضاهم من علامات النفاق.

 قوله: «عن زر بن حبيب» الأدبي الكوفي أبو حريم، ثقة جليل، مخضّر، والمخضرم: من أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يزده، مات سنة إحدى أو أثنتين أو ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، روى له السنة.

قال علي بن أبي طالب: والذي فلق الحية، وبرأ النسمة، فلق الحية: يعني شقها وأخرج منها النبات، كما قال: «إن الله كريم كليم، والموت» (الأنام: 93)، قالوا إذا وضعت في الأرض وجاءها الماء، انفلقت وانشققت وخرج منها النبات، وهذا بقدر الله ﷺ، ومن الأعجوب التي تذكر عن النمل: أنه إذا خُزَّن الحية كسرها لتلّا تُصَيبها رطوبة الأرض فتنفق وتبت.
والسمة: هي النفس والروح، ومعنى برأ السماة: يعني خلقها، وكل دابة في جوفها روح يقال لها: نسمة
فيخبر علي ‏< vấnكأ كلما بالقسم بالله ‏< الذي فلق الحبة وبرأ السماة.

قوله: "إني لمعهد النبي الأمي ‏< إلّي" يعني أخيه وأبان له.
قوله: "أَلَّا يَحْيَى إلّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَمْتِنُّ يَدَّ كُلُّ مُتَّقٍ" لأنَّ عليا
من الساقيين الأولين إلى الإسلام، ومن عرف علیا وفِرُضه من رسول الله ‏<، وحبَّ الرسول ‏< له، وجهده وقتله بين يدي رسول الله - عليه الصلاة والسلام -. أحبه رضي الله عنه وأرضاه، كيف لا وهو أبو السبطن، ورابع الخلفاء الراشدين، الذي أعر الله بهم الإسلام والمسلمين.

*** ** ** **
باب: آية الإيمان حسب الأنصار وبحضور آية النفاق

(47) عن عدي بن قايت قال: سمعت البراء، يحدث عن النبي ﷺ، أنه قال في الأنصار: "لا يُبيّنهم إلا مؤمنون، ولا يُغصضهم إلا منافقون من آخِرَهُم، أحبب الله تبارك وتعالى، وأحببهم الله، ومن أحببهم أحبب الله، ومن أحببهم أحبب الله".

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وهو في الباب السابق نفسه.

عدي بن ثابت هو الأنصاري الكوفي، ثقة، رمي بالتشريع، مات سنة 116 هـ.

البراء هو: ابن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي، صحابي، صحابي، استصحب يوم بدر هو وابن عمر، نزل الكوفة ومات سنة 72 هـ.

توبيث المنذر هو نظر للحديث رواه مسلم من طريق آخر بلفظ: "آية الإيمان حسب الأنصار، آية النفاق يغصض الأنصار". وفي نظر آخر له أيضاً أن النبي ﷺ قال: "لا يُغصض الأنصار رجل يؤمن بالله والله اليوم الآخر" ومن عرف مريحة الأنصار وما كان منهم من نصرة الرسول ﷺ، والدفاع عن الإسلام والدين، وإيوائهم للمهاجرين، والسيء في إظهار الدين، وتحملهم عداوة العرب أجمعين؛ لأنهم لمنما بابوا النبي ﷺ، عليه الصلاة و السلام، قال لهم أسد بن زرارة: "اعلموا أنكم تابعونه على حرب العرب جميعًا" ومع ذلك تحملوا عداوة العرب جميعًا، وأووا النبي ﷺ ونصره وما ينصرون"
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

منه أنفسهم وأمهاتهم وأموالهم، وكانوا يحفظون حُبًا شديدًا، وكان النبي ﷺ يحب حُبًا شديدًا، وبذلا مالهم وأنفسهم بين يديه، رضوان الله عليهم أجمعين، ولذا لا يبغضهم إلا منافقون، يكره ما قاموا به من نصرة الإسلام وأهله، وينغض رفعه الإسلام وعلو كلمته في الأرض، كما قلنا في شأن علي ﭼ; لأن هؤلاء بذلوا ما بذلوا في سبيل الله ﷺ، ولذلك جعل النبي ﷺ حبهم "آية الإيمان" يعني: علامة الإيمان، ومن هاهنا قال أئمة الحديث: إنه لا يبغض الصحابة إلا من يُلقّب بالكفر، أما المؤمن فلا بد أن يحبهم، فمن علامات الزندقة الطعن في الأنصار، أو الطعن في الصحابة عمومًا، ومن علامات النفاق الاعتقادي بغضهم، فمن جرح الصحابة؛ عرفنا أن له مقصداً خليقاً في إيطال الإسلام، والعمل به، لأن الصحابة هم الذين نقلوا لنا الإسلام، كما جاء عن الإمام أبي زرعة أنه قال: إنما نقل لنا الدين والقرآن صحابة رسول الله ﷺ، وهم يريدون أن يحرقوا شهودنا، وهم بالحرج أولى، وهم زنادقة.

لأنك إذا أردت أن تبطل شهادة إنسان، تجرح عدالته، فسقط شهادته، والذي أدى إلينا القرآن والسنة هم الصحابة، فإذا طعن فيهم، سقط ما نقلوا! ها ما لاحظت أئمة الحديث رحمه الله في هذاباب، فتأمل!

** ** **
باب: إن الإيمان ليُأَرِز إلى المدينة

(38) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "إِنَّ الإِيمَانَ لَا يُأَرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأَرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحَرَهَا".

هـ الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبوَّب عليه النووي (2/175): باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسبعود غريبًا، وأنه يُأَرِزُ بين المسجدين.

قله: "عَنْ أَبِي هَرْبَةَ - رضي الله عنه - أنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلم - قَالَ: "إِنَّ الإِيمَانَ لَا يُأَرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأَرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحَرَهَا" تأَرِزُ يعني تأوي وتتضم وتتجمع، وهذا الحديث رواه مسلم بزيادة في أوله، وهي قوله: "إِنَّ الإِيمَانَ لَا يُأَرِزُ غَرَبًا، وسبعود غريبًا كما بدأ، وهو يُأَرِزُ بين المسجدين كما تأَرِزُ الحيَّةُ إلى جَحَرَهَا، فالإِيمَانَ كمَا تعلمون قد بدأ غريبًا في مكة، وكذلك بدأ غريبًا في المدينة، والرسول - عليه الصلاة والسلام - يخبر بأن هذا الإسلام، وهذا الدين سبعود غريبًا في آخر الزمان كما بدأ.

ثم أخبر أن الإسلام يُأَرِزُ إلى المدينة، يعني يتضم إلى المدينة كما تأَرِزُ الحيَّةُ إلى جَحَرَهَا، أي: كما ترجع وتتضم إلى جَحَرَهَا، وفي الرواية الأخرى: "وَهُوَ يُأَرِزُ بِنَسْبِهَا - بين المسجدين - يعني المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، يعني: أن الإسلام يكون بينهما، فالإِيمَانَ أولاً وآخَرَا بِهِذَهَا الصفة؛ لأنه في أول الإسلام كان كل من خُلص إيمانه وصح إسلامه، وبالنسبة إلى أهل.BOTTOM️
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

أتي المدينة إما مهاجرًا، وإما مُستوطنًا، أو مُشوقًا إلى رؤية الرسول ﷺ، وقاصدًا المدينة للتعلم منه، والاقتداء به - عليه الصلاة والسلام -.

كذلك الحال في زمن الخلفاء الراشدين، فإن الناس كانوا يهاجرون إلى المدينة من أجل لقاء الخلفاء، ورؤية سيرهم، والأخذ عنهم، والاقتداء بجمهور الصحابة الذين كانوا يسكنون المدينة النبوية، ثم من بعدهم أيضًا من التابعين كانوا أئمة المسلمين، الذين يقتدي بهم، فكان الناس أيضًا يهاجرون إلى المدينة وينخدعون عنهم السنن، ويهتدون بهديهم الصالح.

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - يخبر أنه كما كان الحال في أول الإسلام بهذه الصورة؛ فإنه في آخر الزمان سيرجع إلى هذه الصورة، فيكون أهل المدينة محلاً لتوفير أهل الدين وأهل الخبر عليهم، وأنهم يكونون قدوة يقتدي بهم الناس، وأن الإيمان يرجع إليها كما بدأ منها، فإن «طيبة» هي مطلع الإيمان، ومكة هي مهبط الوفي، وكذلك ستكون في آخر الزمان مقرًا للإيمان، وموئلاً لأهل الإسلام يرجعون إليه.

** ** **
باب: الإيمان بِمَا وَالحِكْمَةُ يِمَانِيَةٌ

(۳۴) أَنَّ أَبا مُحَرَّرٌ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أُقْرَىٰ أُفْقَيَةٌ، وَأُعْفَىَ قُلُوبُهُمْ، الإِيْمَانُ يِمَانٌ، وَالحِكْمَةُ يِمَانِيَةٌ،

السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْقُرْنِ، وَالْفُخْرُ وَالْخِيَالُ فِي الْفَتَّادِينَ أُهْلُ الْبَيْتِ قَبْلَ مُطْلُعِ الشّمْسِ.

الشرح:

في الباب حديثان: الأول: أخرجه مسلم في الإيمان وبوّب عليه النووي في "صحيح مسلم" باب: تفاضل أهل الإيمان في ورحان أهل اليمن فيه، وأورد فيه الإمام مسلم أحاديث من روایات متعددة، منها: رواية أبي هريرة التي أوردها المنذرى هكذا: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أُقْرَىٰ أُفْقَيَةٌ، وَأُعْفَىَ قُلُوبُهُمْ، الإِيْمَانُ يِمَانٌ، وَالحِكْمَةُ يِمَانِيَةٌ، الْسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْقُرْنِ، وَالْفُخْرُ وَالْخِيَالُ فِي الْفَتَّادِينَ".

فهم الذين يرفضون أصواتهم في إيلهم ومواساتهم، وفي خيلهم وحروتهم، 

"أُهْلُ الْبَيْتِ قَبْلَ مُطْلُعِ الشّمْسِ" يعني جهة الشرق.

واختلف العلماء في قول النبي ﷺ: "الإِيْمَانُ يِمَانٌ، وَالحِكْمَةُ يِمَانِيَةٌ".

فقال بعضهم: إن النبي ﷺ قال "الإِيْمَانُ يِمَانٌ" نسبة إلى مكة، حيث إن مكة عن تهامة، وتهمة من أرض اليمن، وأن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام.

قد قال هذا يتبور وأشار إلى ناحية اليمن، وهو برود مكة والمدينة.

وقول آخر: إن المراد بقوله: عليه الصلاة والسلام: "الإِيْمَانُ يِمَانٌ".
هو الأنصار؛ لأن الأنصار أصلهم من اليمن، وهذا وجه رجحه الفقيه أبو عبيد بن القاسم بن سلام، لكن الراجح في هذه المسألة، ما رجحه أبو عمر وابن الصلاح ومال إليه النووي: أن الحديث على ظاهره، وهذا كله صرف للحديث عن ظاهره وتأويل; لأن الرسول ﷺ قال: "جاء أهل اليمن"، فمعناه أنه يريد غير أهل المدينة وغير أهل مكة؛ لأن اليمن علم على البلد المعروف، والقول بخلاف ذلك، خلاف الظاهر المتباير للذهن.

ثم الذي يُساعد على هذا: قول الرسول ﷺ: "أتاكم أهل اليمن" وفي هذه الرواية: "جاء أهل اليمن" ولا شك أن يريد بهذه غير الأنصار.

وقوله: "علي الصلاة والسلام: "الأئمة يغظان" إشارة إلى إيمان من أئمة من أهل اليمن، فنسب الإمام إليهم إشاعًا بكمال إيمانهم، من غير أن ينفي الإيمان عن غيرهم.

وفيما مذق بكمال إيمان من جاءه من أهل اليمن، وتمييزهم به كمال حالهم فيه، قال العلماء: هكذا كان أهل اليمن في وقته، فقل الواقفين من اليمن في حياة الرسول ﷺ كانوا على هذه الصورة، فمدحهم ﷺ، وهذا لا يقتضي أن يكون أهل اليمن في كل زمان بهذه الصورة، كما هو واضح، والواقع يدل على هذا؛ فإنه جرت أيام وفتن وصعقت على اليمن، وأهلهم، وتعتبر فيها الناس، فهذا ليس على الإطلاق ولا على الدوام.

فقوله: "هم أرق أقينة، وأضعف قلواً" المشهور أن القلب والغواء شيء واحد، ولهذا قال أهل العلم: إنه من باب تكير اللطف مرتين، وهو أولى من تكيره بلفظ واحد، وقيل: الغواء غير القلب، قيل: إن الغواء هو التجويف الذي يكون فيه القلب، يعني محل القلب، ويستدل لذلك بقول
شرح مختصر صحيح مسلم

الله تعالى: "أقولهم هؤلاء إبراهيم" [إبراهيم] قال بعض أهل التفسير: إن قلوبهم تصعد إلى حناجرهم، فيكون محل قلوبهم هواء، والرسول عليه السلام والسلام. وصفها بالرقة واللين والضعف، بمعنى أنها مصنفة بالخشية والاستكانة وسرعة الاستجابة، والتأثر بالذكر والإنذار، وهذه الخصيلة لا تزال موجودة في أهل اليمين إلا من شدة عين ذلك، فالرقة واللين وسرعة الاستجابة وصُف النبي عليه السلام والسلام بها قلوب أهل اليمين، وأنها

بخلاف غيرها التي تميز بالغلظة والشدقة والقوة التي وصف بها الآخرين.

قوله: "الإيمانُ يمنانَ، والحكمةُ يمنانية" المشهور أن الحكمة هي الفقه في الدين، والعلم بالقرآن والسنن والأحكام العملية، وأنواع ما ذكر الله تعالى في كتابه من المواضع والذكير، ولكن بعد ذلك صار العلماء يخصصون الفقه بالأحكام العملية، ولا يقيد كلمة جيدة في هذا يقول: كل كلمة وعظتك وزجرتك، أو دعك إلى مكرمة، أو نهلك عن فسوق، فهي حكمة أو حكم، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر حكمة"(1).

يعبني منه ما يدعو إلى مكارم الأخلاق، وينهي عن فواحش الأمور، ويدكر ويصنع، فإن من الشعر ما يكون كذلك.

ومعنى قوله: "الإيمانُ يمنانَ" يعني في أهل اليمين، والألف قالوا مزيداً عوضاً من ياء النسب، بدلاً أن يقول: يمن: قال: يمن، فهي عوض من ياء النسب المشددة، فلا يجمع بينهما.

قوله: "السكينةُ في أهل الفنْم" يعني: أن فيهم الطمأنينة والسكينة والتواضع، والبعد عن الخلاء.

(1) رواه البخاري في كتاب الأدب (١٦٤٥).
قوله: "وَالْفَخْرُ وَالْخَيْلَةُ فِي الْقَدَادِينِ" الفخور: هو الافتخار بما أورد الآباء، يعني بمناكم الآباء هذا هو الفخر، والخيلة معناه الكبير، واحترام الناس.
قوله: "في القدادين" قلنا: إن الفدادين هم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم.
قوله: "أهل اليم و البئر" كما تعلمون يختص بالإبل، وجاء في رواية: "أهل الخيل والوبر".
قوله: "قيَّل مطَلَع الشَّمس و في رواية: "حيث يطلع قرن الشيطان". والمعلوم أن الشيطان يكون عند طلع الشمس حين يسجد له الكفار، فيجبون له، وأشار هنا بأنه قيل مطلع الشمس يعني: قٍيل المشرق، وهذا يستفاد منه أن الإنسان يتأثر بهم يعيشون، فلما كان من طبع الغنم وجلبها تواضعها وسكتتها وضعفها، فإن أهلها الذين يعاورونها ويربونها يكتسبون منها ذلك، ولم كان من طبع الإبل النفرة والغزلة والفسحة، فإن من أكثر تربيتها ومعاصرتها يكتسب منها مثل هذه الخصال، وهذا في الغالب.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

(40) جابر بن عبد الله ﭼ يقول: قال رسول الله ﭼ: «غلظ القلوب والجفاء في الشرق، والإيمان في أهل الحجاز».

الشرح:

الحديث الثاني: عن جابر بن عبد الله ﭼ قال: قال رسول الله ﭼ: «غلظ القلوب والجفاء في الشرق».

فسرح بذكر المشرق أي مشرق المدينة، فكان المراد اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان والكفر، وجاء في الأحاديث أن الدجال يخرج من قبل المشرق، وورد في حديث عند الإمام أحمد: أنه يخرج من أرض يقال لها: خراسان، وذكر النروي ﭼ: أن المشرق فيما بين ذلك يعني من بعد النبي عليه الصلاة والسلام إلى خروج الدجال. هو منشأ الفتن العظيمة، وأيضًا ذكر أن منه الكفرة من الترك الغاشمة(1).

قوله: «وأهل الإيمان في أهل الحجاز» وهذا أيضًا منقبة ومائرة لهم، وصفهم بالإيمان كما وصف به أهل اليمن، وهو أيضًا يؤيد قوله من قال: إن المراد بذلك هو: أهل مكة والمدينة، ولكن الصحيح: أنه لا مانع من أن يكون هذا منقبة لأهل الحجاز، وذلك منقبة لأهل اليمن، لصراحة اللغة فيها، والأصل أن الإنسان لا يؤول اللفظ، وإنما يحمله على ظاهره.

********

(1) شرح مسلم (2/434).
باب: من لم يؤمن لم ينفعه عمل صالح

(41) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! ابن جذعان كان في الجاهلية ي빈 الرحم، ونطيحون ينكره، فهل ذلك نافع؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

الشرح:
أورد النووي رحمه الله تعالى تحت باب: الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل
"عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله! ابن جذعان اسمه عبد الله بن جذعان، وهو من تعميم بن مرة، يعني من أقرباء عائشة; لأن أبا بكر الصديق من تعميم بن مرة، وكان عبد الله بن جذعان رأساً من رؤوس قريش، وكبيراً من كبيرائهم المشهورين بالانفاق والتصدق والاطعام.
"كان في الجاهلية الجاهلية هي الفترة التي سيقت الرسول ، هذه هي الجاهلية المطلقة، أما بعد مبعث النبي - عليه الصلاة وسلم - فلا توجد جاهلية مطلقة، إنما توجد جاهلية في بدر دون بلدة، وفي شخص دون شخص، وقد توجد بعض أخلاق الجاهلية في بعض المسلمين، كما قال عليه الصلاة وسلم: "أربع في أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونه: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والباحة". (1)

(1) رواه مسلم في الجائز (144/2).
هذه من أخلاق الجاهلية التي هي باقية في كثير من المسلمين إلى أن يشاء الله تعالى.

قال أبو ذر: «إنك أمر فيك جاهلية» لما عجب أحدهم بهم.  

 قوله: «ربُّ الْغَفُرُ لِلهُ دُنْيَا وَآخِرَتِهِ» يعني أنه لم يكن مصدقاً بالبحث، والذي لا يصدق بالبحث يكون كافراً، والله تعالى قد حكى عن الكفار هذه المقالة، قال تعالى عليهم:  

«وَفَأْلَنَا مَا هِيَ إِلَّا أَشْرَكَانَا أَلْدَيْناَ مَتَنُّهُ وَمَقَامُهُ وَمَا يَدْعُونَ إِلَّأَ الْخَلْقَيْنِ»  

(النازلة: 24)، وقال تعالى: «فَمَنْ أَقْرَرَ أَنَّ هَذَا الْكَفَارَةَ فَعَلَىٰ هَذَا» فقل على زمان تبعث:  

[الغافر: 7]. فهذا يبين أن إنكار البهث من الكفارات.

ويستفاد من هذا الحديث: أن الإنسان إذا لم يكن مؤمناً لم تفعاه صلة الرحم، وإطعام الطعام للمساكين، وما أشبه ذلك من الأعمال الصالحة، وهذه فاعلة قد دل عليها القرآن:  

«فَمَنْ يَعْبُدُ صَلِيلًا مِّنْ دَحْثٍ أَوْ أَنْثى»  

[البقرة: 97]. وهو مؤمن، فتبعاهه جزئة طيبة.  

[ال والنزلة: 95]. فمُنْ يَعْبُدُ مِّنْ أَنْثى أَوَّل ذَكَرِ أَوْ أَنْثى  

أَلْدَيْنِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ هَذَا كَفَارَةٌ لَّهُمْ.»  

[الأنبياء: 40]. واما غير المؤمنين فإن أعمالهم تكون يوم القيامة هباء مئوماً، كما قال تعالى:  

«وَقَدْ أَقَلَّ مِنْ عَمَّامٍ فَجَعَالَهُ فَهَكَأَنَّاهُ مَنْ تَحْيَهُ»  

[الفرقان: 22].  


قال الفاضل عياض: إن الذي مات على الكفر لا ينفعه عمل صالح.

(1) رواه البخاري في الإيمان (481) باب المعاصي من أمر الجاهلية لا يكفر صحابها باركابها إلا الشرك، ومسلم في الإيمان (1283/2).
لا في تخفيف العذاب، ولا في الخروج من النار.

وحكى على ذلك إجماعاً بيهقي، ففي البث والنشر يقول: إن الذي يعمل من الصالحات وهو كاهن لا يدفعه عله بحيث يخرج من النار؛ لكن ذلك يخفف من عذابه في جهنم، كما أن من كثير وصد عن سبيل الله، وحارب المؤمنين، يكون أشد عذاباً من الكافر فقط، كما قال تعالى: {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله رأيتم عذابهم فواعظ أشعرتكم} [النحل: 88].

فالكفر بالله ذنب عظيم، لكن الصد عن سبيل الله أعظم.

وهذا القول فيما يظهر أقرب إلى الحق والصواب؛ لأن الله تعالى لا يظلم الناس شيئاً، وما يشهد لهذا المعني: حدث الرسول ﷺ لما قال له العباس: إن عمل أبا طالب كان يهوى وينصر، فهل نفعته شيء؟ قال ﷺ: {هو في ضحى الناس من النار يغلي منه دماغه، ولولا أنا لكان في الدرب الأسهل من النار} فهذا يستدله به على أن عمل الكافر يسألهم في تخفيف العذاب عنه، كما أن زيادة الكفر والصد عن سبيل الله تزيد في عذابه.

وسأني مزيد بيان لهذه المسألة عند حديث: {وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها}. ** ** **
باب: لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا

(42) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تعلمونا حتى تحابوا، أولاً أذلكم على شيء إذا علمتم تحابكم؟ أفسوا السلام بينكم".

الشرح:

هذا الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ويوبوب النووي عليه باب: لا يدخل الجنة إلا المؤمنون.

"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تدخلون الجنة"

هكذا بإقناع الالباب، ويدفع أن يقول: لا تدخلوا الجنة بحذف الالباب، وهو لغة صحية ورواية صحية أيضًا.

قوله: "حتى تؤمنوا، ولا تعلمونا حتى تحابوا، أولاً أذلكم على شيء إذا فعلمتم تحابكم؟ أفسوا السلام بينكم" أفسوا يعني انشروا، فالإنشاء معناه الظهور والانتشار.

هذا الحديث يستفاد منه: أن إلهامه بدل على أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا" فإذا لم يؤمن الإنسان لا يدخل الجنة.

معنى: لا تؤمنوا حتى تحابوا يعني لا يكمل إيمانكم، ولا يصح

حالكم في الإيمان، إلا بالتحاب في الله تعالى.
فوله: "أولاً أذْكُرُوك على شيء إذا فعَّلتْمُوه تَحَابْبَتْنِي؟ أفْسَخوا السَلام، يَبِينُكُم" فيه: أن السلام أول أسباب المحبة، ومفتاح التأليف بين المسلمين، وباب الدخول إلى التعازف والتحاب والمودة في الله تعالى تقليداً كما أن في إنشاء السلام رفع النقاط والتهاجر، فمن سلم عليه لم يقطعك ولم يهجرك؛ لأن المتهاجرين لا يسلم بعضهما على بعض، ففي إنشاء السلام رفع النقاط والتدابير، كما أن في السلام إصلاح ذات البيين؛ لأنه إذا رفع النقاط والتدابير والتهاجر، وجد صلاح ذات البيين، فصلاح ذات بينكم أيها المؤمنون بالسلام.

وفي الحديث: الحَتُّ على إنشاء السلام وبيذله للمسلمين لمن عرفت ومن لم تعرف، وقد روى البخاري في كتاب الإيمان من حديث عبد الله بن عمر قال: قلت يا رسول الله: إن الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف". فمن خصال أهل الإمام: أنهم يسلمون على العالم جميعاً، على جميع المسلمين، وجاء أيضاً في كتاب عمار عليه السلام، الذي أورده البخاري أيضاً في كتاب الإمام: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإمام، أو كان بهن مؤامرة: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، وفي رواية بكسر اللام للعالم، والإلفاق من الإقتدار، فهذه خصال من خصال الإمام.

والمؤمنون من صفاتهم أنهم يحب بعضهم بعضاً في الله تعالى: "فَإِنَّا أَمَرْنَاهُمْ إِلَّا لِيَوْمَ الْقِيَامَةِ" [الحجرات: 10]. فحصر الأخوة في الإيمان، وثرَّ معاً حديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وفي رواية النسائي: "من الخير".
وكان هذا أول ما أوصى به النبي ﷺ أصحابه حينما قدم المدينة، فقال لهم: "أيها الناس، أفضوا السلام، وأطعوا الطعام، وصلوا بالليل والناس نياً، تدخلوا الجنة بسلام" (1).

فهذه وصايا عندما وصل إلى المدينة النبوية الشريفة، ثم إن السلام شعار المسلمين، فالمسلمون يتميزون عن غيرهم من أهل العصر والكفر بهذه النحية، وهي: السلام عليكم، فهذا شعار أهل الإسلام. وهي تجربة الرسول ﷺ في الجنة، كما قال تعالى: "سلم فَجَّالَ مَرْصَدُكَ يَا بَكَرَى" (78:84)، وهي تجربة الملائكة للمؤمنين قال تعالى: "والملائكة يستغفرُونْ علىِّم مَّن كَانَ بَيْنَ يَدٍ وَيَدٍ سَلَمَ عَلَيْكُمْ يَا صَرْحَمُ" (الرعد: 23:24)، وغيرها من الآيات.

السلام في خير كثير، ففضل عظيم كما سمعتم.

سماعكم في أسماء الرحمن ﷺ.

---

(1) حديث صحيح، رواه أحمد (451/5)، والترمذي (2603) وصححه، وابن ماجه (1334)، (2251) من حديث عبد الله بن سلام ﷺ.
باب: لا يزني الزاني حيي يزني وهو مؤمن

(43) قال أبو حنيفة قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حيي يزني وهو مؤمن، ولا يشرق السارق حيي يشرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حيي يشرب وهو مؤمن». وكان أبو حنيفة يلحن مذهبه: (ولا ينتبه النهاة ذات شرف يزفع الناس إليها فهي أغصانهم حيي ينتبهها وهو مؤمن). وفي حديثه همّام: (يزفع إليه المؤمنون أغصانهم فيها وهو حيي ينتبهها مؤمن)، وزاد: (ولا ينقل أحدكم حيي ينقل وهو مؤمن، إياكم إياكم)

 الشرح:

حديث الباب أخرجه الإمام مسلم في الإيمان، وبَّب عليه النووي:

«باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتحب بالمعاصي على إرادة نفي كماله» هكذا بَّب على الإمام النووي.

ومعنى النهاة: من النهاب، وهي السلب والغارة.

والغلاط: الخيانة، وأكثر ما يطلق الغلاط على الأخذ من الغنيمة قبل القسمة، وهو أعم من ذلك، فطلق على كل خيانة.

وأي هذا الحديث القول الصحيح في معناه: أن المؤمن لا يفعل هذه المعاصي، فمن فعلها فهو ليس بمؤمن كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، وبراد به نفي كماله، كما تقول: لا علم إلا ما
لفليس المراد نقية الشيء من أصله، وإنما يراد به نقية الكمال.
والذي يدل على هذا القول أكلة الكتاب والسنة الكثيرة، وكنا قد ذكرنا شيئًا منها في الأحاديث السابقة، فمن ذلك: قول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يُفْخِرُ بِأَاشْتَرَكَ بِهِمْ﴾ (النساء: 48)، فدل على أن ما سوى الشرك مغفور، وأن الشرك هو الذي يخرج صاحبه من الإيمان بالكلية، أما الكبائر فلا تخرج من الإيمان بالكلية.

ومنها: حديث أبي ذر في «الصحيحين» أن النبي  عليه الصلاة والسلام قال: «من قال: لاأله إلا الله، دخل الجنة» قال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق، فقال: ﴿وَإِنَّ ذَنِي وَإِنَّ سَرَقَ﴾ فأعادها، فآUDAها عليه، حتى قال في الثالثة: «على رغم أنف أبي ذر».

ومنها أيضًا: حديث عبادة بن الصامت أن النبي  عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه: «بابعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزناوا، ولا تعصنوا في معروف» إلى أن قال: «عليه الصلاة والسلام»: ﴿فَمَنْ فِي مَنْكَمْ فَأَجْرِهِ عَلَى اللّهِ مِنكُمْ فَمَا فِي ذَلِكَ شَيْئًا فَعَوْبُهُ﴾: فهـ; فهو كفارة له، ومن فعل من ذلك شيئًا فلم يعاقب؛ فأمره إلى الله تعالى: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه».

كما أن هذا إجماع أهل الحق من أهل السنة والجماعة، أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر والذنوب، لا يكفرون بذلك.

(1) رواه البخاري ومسلم (2/942، نووي).
(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (14/10).
فقول النبي ـ عليه الصلاة والسلام: «لا يزني الذئاب جبين يزني و هو مؤمن» يعني: وهو كامل الإيمان.

وكذا قوله: «ولا يشرق السارق جبين يشرق و هو مؤمن». قوله: «ولا يشرب الحارج جبين يشربها و هو مؤمن» يعني وهو كامل الإيمان، بل إذا فعل ذلك، فله نقص إيمان.

وكان أبو هريرة بلحق معهن: «ولا ينتبهته نهية» يعني لا يسلب شيئاً.

ذات مشروع يعني ذات قدر عظيم.

يرفع الناس إليه فيها أبصارهم جبين ينتبهتها و هو مؤمن» فالنهبة ذات الشرف، يعني ذات القدر العظيم، إذا أخذها سليماً و نهياً و إغارة، والناس يرفعون إليه أبصارهم فيها، فإن هذا دال على نقص إيمانه وأنه مرتكب لكبيرة، وهذا الفعل وإن كان قد يظهر أنه مُدرَّج من قول أبي هريرة، لكنه قد جاء مرتفعًا من طرق أخرى (1) أنه من كلام النبي ـ عليه الصلاة والسلام.

وفي حدث همام: «يرفع إليه المؤمنون» بدل: يرفع الناس إليه.

أًعذبهم فيها و هو جبين ينتبهتها مؤمن» وزاد: «ولا يفعل أخذهم جبين يغل و هو مؤمن». إذا هذه الذنوب والمعاصي من يقترفها دل ذلك على نقص إيمانه، وأنه ليس بتقاس كامل.

(1) أخرجها مسلم (427 - نووي).
ثم قال: «إليك وفد من أصحابنا يرغبون في الخروج وراءك.» فهكذا يحتاجون إلى خروجهم. 

أحزروا هذه المعاصي والذنوب الكبيرة، وبدلاً من أسلوب التأكيد والمبالغة في التحذير.

فزاد أيضاً في رواية لسلم: «والنشوة موعودة بعد» يعني أمام المسلم، أن يرفع وان يرجع إلى الله وجد، وقد أجمع العلماء على أن توبة العبد مقبولة ما لم يغفره الله، لقوله: «إليك وفد من أصحابنا يرغبون في الخروج.»

ما لم يغفره الله: ما لم تبلغ الروح إلى الجسد، وبصلى إلى حد الغرخة عند خروج الروح من الجسد، والنوبة لها ثلاثة أركان: الإقلاع عن الذنوب، والندم على فعله، ويعزم على أن يعود إليه أبداً، فإن تعلقت بحق مخلوق زادت رابعاً وهو: أن يرجع الحقوق إلى أصحابها.

وزاد بعض أهل العلم: الإخلاص، وهو مطلوب في كل عبادة.

ويقول العلماء كما نقل الفاضل عياض(1): إن هذا الحديث فيه تنبيه على جميع أنواع المعاصي، فيه بكلامه على جميع أنواع الشهوات، ونهي بالرقابة على الرغبة في الدنيا، والحرص على جميع الأمور من الأذى، ونهي بالخمر على جميع ما يصد من ذكر الله تعالى، ونجم الغفلة عن حقوقه جل وعلا، وبالانتهاب نهى على الاستفادة بعداد الله طه. لأن الانتحاب أن تأخذ مال الإنسان وهو نظر إليك، يخلف السرقة، فالسرقة أن تأخذ ماله في حال غفلة وعدم انتباه، أما الدهان أن تأخذك عياناً كما يقولون: عينك عينك، هذا هو الانتحاب، ومن فعل ذلك دل على أنه.

(1) رواه الترمذي في الدعوات (657) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وقال: حسن غريب.

(2) شرح مسلم للنور (2/45).
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

مستشفىً بعباد الله ﷺ، قد ترك الحية من خلق الله ﷺ وترك توقيرهم، وأيضًا ينضم إليه أنه جمع الدنيا والمال من غير وجهها المشروع، فهذه الذنوب فيها تشبه على جميع أنواع الشهات أو الذنوب المحرومة، التي من فعلها لم يكن كامل الإيمان، بل لا يفعلها المؤمن بإطلاق، المؤمن صاحب الإيمان المطلق لا يفعل هذه، أما من معه مطلق الإيمان ففعل، يقع في مثل ذلك.

وقال بعض العلماء: معنى: "لا يُبْلِغُ الذئابيَّةَ جَيْنَ يَبْتَغُي وَهُوَ مُؤْمِنٌ" يعني: إذا زنى لا يقال له مؤمن، بل يقال له: زاني، وإذا سرق لا يقال له مؤمن، بل يقال له: سارق، وهكذا يعني هذا اللفظ لفظ التشريف والإيمان يزول عنه إذا ارتكب هذه المواقف.

** ** **
باب: لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين

(44) عن أبي مُباذة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "لا يُلَدَّغ المؤمن من جحر واحد مرتين".

الشرح:

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد، ويوُب عليه النووي: "باب في أحاديث مئرقة" قال الإمام مسلم ﷺ لم يخرج هذا الحديث في كتاب الإمام، ولكن هذا الحديث كما لا يخفى له علاقة بكتاب الإيمان: لأن النبي ﷺ، عليه الصلاة وسلام، قال: "لا يُلَدَّغ المؤمن من جحر واحد مرتين" فإن إيراد الإمام المنذري ﷺ لهذا الحديث ها هنا له وجهة ظاهرة.

فقوله عليه الصلاة وسلام: "لا يُلَدَّغ" بضم الغين، في روايتان الأولى: بضم الغين على الخبر: أي: أن هذا القول خرج مخرج الخبر، فيكون معنى الحديث: أن المؤمن الكيس العاقل الحازم لا يستغل فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفتتن إلى ذلك، فهذا نفي لوقوع مثل ذلك من أهل الإيمان الصادقين المصدوقين.

والوجه الثاني: بكسر الغين "لا يُلَدَّغ المؤمن من جحر واحد مرتين" أي: على النبي ﷺ، أن يكون قد خرج مخرج النهي، فالرسول ﷺ ينهى المؤمن أن يؤتي من جهة الغفلة، يُلَدَّغ من جحر مرتين.
فيستفاد من هذا الحديث أنه ينبغي لمن تآل الضرر من جهة أن يتنبجها؛ لأنها يقع فيها مره ثانية.

ويستفاد منه: أن المؤمن الممدوح الكامل الإيمان، الحازم العاقل، وأن تمام العقل والحزم من تمام الإيمان، وأن من تمّ له عقله وحذمه كمل له إيمانه؛ لأنه لا يؤدي من جهة يتضرر منها مرتين.

ويستفاد منه أيضًا: أن المؤمنين درجات؛ لأن من أهل الإيمان من يلدغ من جحر مرتين، وهذا بسبب نقص إيمانه، ونقص عقله وحذمه، وأما الكامل الإيمان العاقل الحازم فلا يلدغ من جحر مرتين.

وأيضًا في الحديث فائدة وهي: ضرب الأمثال لتقريب المعاني، فالامثال المحسوسا تقرب المعاني، فالجحر هو موضع الهوى والحيات، فإذا أدخل الإنسان يده في جحر فلدغ من هذا الجحر، فالعقل والحزم يقضي بأنه لا يدخل يده مرة ثانية في الجحر نفسه.

فالرسول - عليه الصلاة وسلم - كان يضرب الأمثال ليقرب المعاني للأفهام والعقول، وضرب الأمثال في الحديث النبوي كثير ومتعدد، وقد جمع فيه بعض أهل العلم كتابًا "كأمثل الحديث" للراحمري وغيره، شرح فيه الأمثال النبوية الشريفة، كما ذكرنا سابقاً.

** * * **
باب: في الوسوسة من الإيمان

(45) عن أبي رضيّة قال: جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ:

الشرح:

الحديث في الإيمان من صحيح مسلم وثب على النوري (153/2): باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجوها.

وقد مر معنا الكلام في معنى هذا الحديث تقربياً في باب: في الأمر بالإيمان والاستعادة بالله عند وسوسة الشيطان.


فقال: عليه الصلاة والسلام: «وقد وجدتهما؟» قالوا: نعم، قال: داً صريح الإيمان» معنى هذا الحديث: أن استuumىكم لهذا الكلام الذي يخطر في النفس، هو صريح الإيمان؛ لأن استuumי هذا الخاطر وشدة الخوف منه ومن النطق به، فضلًا عن اعتقاده، دليل على أن صاحبه مؤمن، ولولا أنه مؤمن ما خاف من هذا الخاطر وما استuumي الكلام به ولكنه مؤمن قد اتفقت عنه الريبة والشك، ولذلك فهو يستعمل ما يسوس به الشيطان في
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

صدره، كما جاء في بعض الروايات عن الإمام أحمد: «لأن يكون حممة أحدهم من أن يتكلم به» يعني: أن يحترق حتى يكون فحمه، أحدهم من أن يتكلم بمثل هذا الكلام، ولا شك أنه لا يكره الكفر إلى هذه الدرجة؛ إلا من وجد حلاوة الإيمان، كما قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاثة من كن فيه، وجد يهن حلاوة الإيمان..." فذكر منها: «وأن يُقذف في النار أحدهم من أن يعود إلى الكفر»(1).

وقيل إن المراد: إن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من كفر ورده، فمن أيس منه الشيطان أن يكفر ويرتدي فإنه يوسوس في صدره; لأنه عاجز عن أن يفعل أكثر من ذلك، وأما الكافر فإن الشيطان يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة؛ بل سلطانه أعظم من الوسوسة، فإنه يضله ويغويه ويتلاعب به كما يتلاعب الصبيان بالكرة، نعود بالله وحده مولانا من ذلك.

وهذا لا يعني أن الإنسان يستسلم للوسواس، بل عليه أن يستعيد بالله. وإن بنته، ولا يستسلم. وإن يقول: أميت بالله، أو يقول: لا إله إلا الله، وفي الحديث ابن عباس: «أن يقرأ كل هو الله أحد والمعتدين» وما أشبه ذلك من الأذكار التي تطرد الشيطان، أما الاسترسل مع الوسواس وفتح الصدر لها، فإن هذا ينافي استعمال الكلام؛ لأن الإنسان إذا استعمل الكلام أعرض عنه. وهذا الخاطر الذي يمرض، والطائف الذي يرضع لا ينبغي له القرار عندك، بل ينبغي لك أن تدفعه وتفر منه حين تشعر به كما قال الله تعالى: "وإذا غزوك ذو الزيتون نجي، فاستعد، بإذن الله سيمع" (الأعراف).

(1) قد مرّ معنا شرح هذا الحديث قريباً.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

أي: إذا أحسنت بوسوة الشيطان وإغواءه، أو حطّة على الشر والإزعاج إليه «فاستنجد بالله»: أي: البتجئ إليه، واعتصم به، واحتم بحمائه. «سمع عليهم سمع لقولك، علمين بحالك وينتبك، وسيحميك من كيده وشره وفته.

ثم قال: «إِنَّ الْذِّيْنَ أَفْتَرَأَوْا إِذَا سَمَّمُوهُمْ طَلَقَفَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَدْزَعُونَهُمْ إِلَّا هُمُ مُّمِيزُونَ» [الأعراف: 62] أي: إذا حصلت لهم غفلة، ونال منهم الشيطان شيئًا على حين غرة، وأصابوا ذنبًا، تذكروا ما يجب أن يكون عليه من الإيمان والطاعة والعبادة، وتعظيم الله وعافوا وتابوا، واستندركوا ما فائيهم من الحسنات.


*** ** * **
باب: أكبر الكبائر الشره.

(46) عَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بُكْرَةٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ۗ كَانَ عِندُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَنْبِيْكُمْ ۖ أَكْبَرُ الْكِبَارِ ۗ قَلُّوا: الإِخْرَاجُ بِاللَّهِ، وَعَفُوَّ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهادةِ الزُّورِ، أَوْ قُولُ الزُّورِ،» وَكَانَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ مُكْتِبًا، فَجَلَّسَ، فَقَمَّ رَأَى بَكْرَةً حَتَّى قَالَ آيَةُ سَكَتِهِ.

5 الشرح:

تحت هذا الباب حديثان: الحديث الأول: هذا الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، ووبعده النووي (81/2) باب الكبائر وأكبرها.

قوله: «عَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بُكْرَةٍ عَنْ أَبِيهِ» وعِند بُكْرَة هو نفع.

من الحارة التفتيشي.

قوله: «كَانَ عِندُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَنْبِيْكُمْ ۖ أَكْبَرُ الْكِبَارِ»».

فهذا من أساليب التشويق، أن العلامة يشوق تلاميذه لمعرفة الشيء، يقول: أَلَا أَنْبِيْكُمْ، أَلَا أَنْبِيْكُمْ، ففيه جذب لانتباه الساعمين.


وذكر أشياء غيرها التي ذكرت في هذا الحديث، كحديث ابن مسعود.

والكبائر اختلفوا في ضبطها اختلافًا كثيرًا، وفي عدها أيضًا، فسألت ابن عباس فقال: الكبائر سبع؟ فقال: هي إلى السبعين أقرب.

ما ضابط الكبيرة؟ قال بعض أهل العلم: كل ذنب ختمه الله بنار، أو بلعنة أو غضب، أو بطرد من رحمة الله، أو نحو ذلك فهو من الكبائر، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس، وانتهاء الحسن البصري.

وذهب آخرون إلى أنه: ما أعهد الله عليه بنار في الآخرة أو حذف من الدنيا، وهذا قال به الإمام أحمد، كما ذكره أبو يعلى عنه، وكذا الماوردي من الشافعية، وعلى كل حال فالضابط في هذا: أن الذنوب التي تختم بنار أو بلعنة أو بطرد من رحمة الله أو يحفظ في الدنيا، فهذه لا شك أنها من الكبائر، والإمام الواهدي له كلمة طيبة في هذا، إذ يقول: «ما لم ينص الشارع على كونه كبيرة، فالحكمة في إخفائه أن يمنع العبد من الوقوع فيه، خشية أن يكون كبيرة، وكأنه ليلة القدر، وساعة الجمعة، والاسم الأعظم».

يعني: من الحكمة أن الله لم يحصر الكبائر بنص واحد، لأن لا يتجزأ الناس على وما سواها يقولون: هذه هي الكبائر وما سواها ليست من
شرح عثمان الايمان من مختصر صحيح مسلم

الكيان، فجعل الأمر فيه خفاء لئلا يتمجرًا الناس على مقصود الله، ولذا قال بعض السلف: لا ننظر إلى صغر المعاصية، وإنظر لمن تعصي.

والحديث يدل على أن الذنوب تنقسم إلى كبار وصغار، كما هو مذهب الجمهور من أهل العلم، وحجتهم هذا الحديث وغيره، من الأحاديث والآيات، كقوله تعالى: «إن تجَّهُوا تَجَّهُوا مَا نَهَوْنَ عَنْهُ نَكْفَرُ عَنْكُمْ سَيْنِيَّاتُكُمْ وَتَخْلُصَتْكُم مِّنْ خَلْقِكُمْ كَرِيماً» [النساء: 33] هذه الآية نص على أن في الذنوب ما هو كبير.

وذهب طائفة وشدّت فقتال: ليس في الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى عنه الله فهو كبر، وهو قول طائفة من الأشعراء، كالباجيلاني أبي الطيب، وأبي إسحاق الإسفرايني وغيرهم.

وإحتجوا قولهم: بأن كل مخالفته لله فهي بالنسبة إلى جلالة كبراءه.

ولكن الآيات والأحاديث ترد على هذا القول.

شرح حكایت الإمام من مختصر صحيح مسلم

أن الشرك لا يغفر الله تعالى لصاحبه إذ مات عليه، ولقيه به، وقال:

۳۳۳۹ من أصحاً (33) [الاندعاء]، فنص على أن الشرك صاحبه يحرم من الجنة وما أهلها، وغلت الله آيات تلو الآيات في أمر الشرك، حتى في خطوره مع الرسول صلوات الله وسلامه عليهم. كان يقول:

۳۳۴۰ والله أوجى إلته

وألي للدينين متقربتك ليحيط بالعمل، ولتكون من الخشتين (4).

[الزنبر]، وهذا خطاب للأنبياء فما بالك بغيرهم؟

قوله: "وَعِكَلَ الْوَالِدَيْنِ" العق في اللغة: القطع، فعقاول الوالدين يعني قطعهما، أو قطع صلتهم، وهو ضد بُر الوالدين، وبر الوالدين معنا الإحسان إليهما بكل وجه الإحسان، بالقول وبالعمل، فلا تندو وجهها من وجه الإحسان إلا قدمته لوالديك، وأن تصاحبهما في الدنيا موعوضة، فلا تغلبهما أبداً، ولا ترفع صوتهما عليهما، ولا تخرج إلا بإذنها إلى الجهاد وما أشبه ذلك، فتحصن صحبتهما ما استطعت، حتى إن العلماء جعلوه من أعظم ما يقرب به العبد إلى ربه بعد التوحيد.


(1) أثر صحيح رواه البخاري في الأدب المفرد (4) وصححه الألباني رحمه الله.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

وقد أمر الله تعالى بير الوالدين بعد أمره بالتوحيد، فقال: «وقَلْنَا

والآيات والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة تطول سردتها.

وقوله: «وَشَهَادَةُ الزِّورُ، أوْ قُوَّلُ الزِّورُ» الزور: هو الكذب، وهو خلاف الواقع وشهادة الزور سبب عظمي للفساد بين الناس، يقول الفرقان: «شهادة الزور هي الشهادة بالكذب، ليتوصل بها إلى الباطل، من إلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، فلا شيء من الكبائر أعظم ضرراً منها، ولا أكثر فساداً بعد الشرك بالله» انتهى.

وقوله: «قَوْلُ الزِّورُ» أقل من شهادة الزور، وقول الزور هو قول الكذب، شهادة الزور أعم وأعظم، إذ أن شهادة الزور يضمر بها الآخرون في الغالب، قوله الزور ربما يكون ضرره أقل من شهادة الزور، وقد ذكرهما جميعاً في الكبائر.

وقوله: «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْتَكِئاً، فَجَلَّسَ فَمَا زَالَ يُكَرَّرُهَا أَيْ:»

وقال: «أَلاَّ وَقُولُ الزِّورُ وَشَهَادَةُ الزِّورُ» كان مُنْتَكِئاً فجلس حين قال هذه الكلمات، ليس لأن شهادة الزور وقول الزور أعظم من الشرك بالله، وأعظم من العقوب، لا، ولكن لأن شهادة الزور وقول الزور هما الأكثر وقوعاً، ويكون فيهما كثير من الناس، ومفسدتهم عظيمة، قالوا: ولأن الشرك بحدره المسلم، وينبغي عنه ويكرهه، وعقوبات الوالدين أيضًا الإنسان بطبعه يستقبله، أما قول الزور فإن الدواوين إليه
 Kerr جكاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

كتير، ولذلك اهتم النبي بتدبيه عليه لخطرته على المرأة المسلم.
أما قول الصحابة: "فقال رأي يُكرِّرُنا حتى فلنا لينه سكك" يعني
إشفاق عليه، لما رأوا من انزعاجه وغمضه لهذا الأمر، نتخليصاً من حديته
- عليه الصلاة والسلام - وإنما لشفقته عليه، وحبهم له.

نقول: هذا الحديث فيه فوقان: منها: أن الذنوب تنقسم إلى كبار
وصغير. وأن الكبار ليست بربتة واحدة؛ لأنه قال: "لا أبتسم بأكبر
الكبائر" فالكبائر والمحرمات درجات، ولست على درجة واحدة.

وأيضاً: يستفاد منه التكرير في التنبية على الشيء، إذا كثر التهان
فيه؛ لأن النبي - عليه الصلاة والسلام - كرر هذا الأمر على الصحابة في
المجلس الواحد.

وأيضاً: تكرير الشيء يكون للتنبية عليه لحفظه، أو لبحضر السامع
قبله، فعند التكرير ينتبه الإنسان الغافل.

وفي أيضاً: إشفاق التلميذ على المعلم إذا رأى منزجاً، وتمى عدم
غمضه؛ لأن الغضب يتغير المزاج، وربما يحرم التلميذ الفائدة، فأتى إذا
أغضبت شيخك، ربما ينقطع عن الحديث ويرك الكلام لفيغ حاله،
فالصحابه كرهوا لهذا غضب النبي.

وفي أيضاً: أنه لا بأس أن يظهر الخطيب أو المعلم أو المرشد غضب
ونزعاجه من الشيء، إذا كان من حرمات الله التي تنتهي، لببين أهمية
الشيء للناس وخطرته.
(47) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اجتبوا السبع المويقات» قبل: يا رسول الله! وَمَا هَٰذَا؟ قال: السُّؤُلُ بِاللَّهِ، والسُّؤُلُ، وتُقَلِّل النَّفَسُ الذِّي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَرَّمِ، وَأَكْلُ الْرِّيْبَةِ، وَأَكْلُ مَالِ الْبَيْتِ، وَالْعَلَوْىُ بَيْنَ الْرَّحْفِ، وَقَدْفُ المُحَصِّنَاتِ القَفَائِلِ المِّؤُومَاتِ».

5. الشرح:

هذه هو الحديث الثاني في هذا الباب، وأخرجه مسلم في الإيمان، وبَوَّب علی النوری (82/2): باب الكبائر وأكبرها.

قوله: «المويقات» أي المهلكات، وسِمِّيت بذلك؛ لأنها سبب إهلاك مرتكبها في الدنيا والآخرة، أي: اجتربوا هذه الكبائر السبع، لزيادة بحراً وفجاعةها.

قوله: «الصُّرُكُ بِاللَّهِ» قد فَرَّض معنا بياناً أنه أعظم الكبائر، وأظلم الظلم، ولا يغفره الله تعالى لمن سافر عليه أبداً.

قوله: «السحر»: السحر في اللغة: عبارة عن مَغْفِرَة وطَفِيف سبب.

وقد قال تعالى عَنْ يَحْيَى الْحَارِثِي، فَلَمْ يَحْرَمْ الْسَّاحِرُامَرَاءَتَهُمَا لَمَّا كَانَتَا حَرَّمَةً إِلَى الرَّسُولِ مُصْحَفُ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَنْ يَفْخُرُ بِمَا نَزَّلَ إِلَيْهِ وَمَتَابِهَا إِنَّ الْبَلَاءَ مَرْتَعٌ [البقرة: 102].

أي: ما له من نصيب أو حظ.

وهو محرّم في جميع الأديان، كما قال تعالى: لا يُفْتَحُ الرَّبُّاهُ وَلَا يُفْتَحُ الرِّجَالُ [البقرة: 49]. واحتج العلماء: هل يكفر الساحر أم لا؟ فذهب أبو حنيفة، ومالك، وأحمد إلى تكفيره، وقال الشافعي: لا يكفر إلا أن يكون في سحره شريك فيكفر.

واستدل الأولون بقوله تعالى: إِنَّا نَعِينَكُمْ فِي نَقْصٍ فَلَا تَخْفُرُوا إِنَّ الْبَلَاءَ مَرْتَعٌ [البقرة: 102]. وقوله: وَمَا صَحَّرُ شَيْكِينُ وَلَكِنَّ الْشَّيْكِينُ كُرَّمُوا بَيْنَ الْمُنْسَبِينَ [البقرة: 102].

ورد في مسند أحمد (190/1 ـ 191) وأبي داود (2043): أن عمر بن الخطاب  أمر بقتل كل ساحر وساحرة. وإسناده صحيح.

فقال: وَقَتِلْ النَّفْسِ اللَّيْنِ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا يُقَاتَهَا أي: قتلها عمدًا وعذابًا لا خطأ، وهو من الكبار العظيمة، قال تعالى: مَنْ يَقْتِلْ نَفْسَ أُمَّاَةَ مِنْ بَعْدِ إِتِّجَاهٍ أَلْآَمَةً فَبَعْدُ يُجَرَّ أَحَدَهُمَا إِلَى أَحَدِهَا وَيُحِبَّ اللَّهُ وَأَعْفَاهُ وَيُؤْمِنُ مَعَهُ [الأحزاب: 36]. وقال : «الزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم».(1)

وقال [رواه البخاري]: لا يزال الرجل في فسحة من دينه، ما لم ينصب دمًا حرامًا.

(1) حديث صحيح، رواه الترمذي (1395)، والمناهي من حديث ابن عمر .
قوله: "وأخذ العضرب" أي: أخذه بأي وجه كان، وعبر بالأسفل لأنه أمره
وجه الانتفاع. وقد أدن الله تعالى آكل الربا بالمحارة، فقيل: "أنتَ أنتِ... نَٰمِيْنَا أَنْعَمْتَا... دَرُّوا ما بِيْنَّا مِنْ أَزْيَا... إنَّا نَعْمَنَا... فَأَذَّنْنَا بِحَرْبِيْنَّا وَسُوْيُهَا... إِنَّ تَسَرُّرُ ثُقَافُهَا وَرُوسُهَا عَلَى غَنُومُهَا لا ُظَلَّمُونَ... وَلَا ُظَلَّمُونَ" ([البقرة])

روى ابن جرير: عن ابن عباس: قال: يقال يوم القيامة آكل الربا:
خذ سلاحك للحرب!! ومن الذي له طاقة بحرب الله تعالى؟ أو حرب
رسول الله ﷺ؟!

وآكل الربا يريد الزبادة في ماله، فيعاقبه الله تعالى بنقيض قيده، قال
- عليه الصلاة والسلام: "... الربا وإن كثر، فإن عاقبه تصرى إلى قل" (1).

وقال ابن دقيق المبتدأ: وهو مخرج لسورة الطائف (2).

قوله: "وأخذ مال الليم" يعني: التعدي عليه، وأخذه بغير حق، أو
بتذهير فيما لا فائدة فيه للطيب، وعبر بالأسفل كما قلت في الربا؛ لأنه أعم
وجه الانتفاع.

وقد عظم الله تعالى هذه الكبيرة، فقال: "إِنَّ الْهَيَّانَ يَأْكُلُ أَمَوَّلَ... الْيَمِينَ تَطَيَّرَتْ لَهُمُ النَّاسُ" ([النساء])

وقد كانت العرب في الجاهلية تظلم الينامى، وتكأ أنموالهم بغير وجه حق،
وهكذا فعلهم مع كل مستضعف، فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم وعدم
قهرهم، فقال: "فَأَمَّا الْيَمِينَ فَلا ُقَهْرُ" ([المصلى])، وأباح الله لوالي الليم إذا
كان فقيرا محتاجا أن يأكل بالمعروف من ماله.

(1) رواه الحاكم (2/272) بسنده صحيح عن ابن مسعود ﷺ.
(2) فيض القدير (1/153).
قوله: «وَلَا يَذْكَرُوا يَوْمَ الْيَمِينِ»: أي: يُفِرِّقُونَ مِن وَجْهِ الْكَفَّارِ. يَوْمُ الْيَمِينِ: يَوْمُ الْإِنْتِجَاعِ. إنَّ عَلَمَ اللَّهُ إِن شَئَ قَبَلَ بِغِيرِ نِكَاحٍ فِي الْعَدُو، وَكَذالِكَ لَوْ قَالَ إِنَّهُ إِلَى جَهَّازٍ الْمُؤْمِنِينَ: قَالَتْ الْمُؤْمِنَاتِ: اِنْكَثَرْنَا عِنْدَ اللَّهِ، لَيْنَا إِلَى سَبِيلِهِمُّ أَلَّا تَقْبَلُوا مَنْ قَدْ كَفَرَ وَكَلَّمَاهُمُّ الْكَافِرُونَ. وَمَنْ كَفَرَ فَكَجْرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَمَلَكَتْهُ جَهَّازُهُ وَقَلَبَ الْمُلَمِّحِ. فَإِلَيْهِ يَنْفَعُهُ فَقْدًا، يَنْفَعُهُ أَلَّا يَقْبَلَ اللَّهُ مَّعَكَ (١).»

[الأنفال]، قال الخزيمة بن عبد السلام: وأشد منهما ما لو كل الكفار على عورة المسلمين، عامةً بأنهم يستأبونهم، ويشبون حرمةهم (٢).

قوله: «وَقَدْ أَفْتَقَ اللَّهُ عَلَى النِّسَاءِ عَلَى الْبَيْتِ»: الحديث: أي

الحرائر العنيفة المحفوظات من الزنا والقذف هو رميهم بالزنا أو اللواط.

وقوله: «الْمُؤْمِنَاتِ»: اختصار عن قذف الكافرات، فإنه من الصغار، ولا يجب به الحد، لأن حرمهم نافقة، ولذا فلا يجب الحد على قاذف الكافر والمملوك والافاجر (٣).

وقد لا يجب الحد على قاذف المجنون، والصغير الذي لا يجامع مثله؛ لأن زناهما لا يجب الحد عليهما، فلا يجب الحد بالقذف به؛ لأن قاذف الصغير يتقين كنيته.

وقوله: «الْعَفَايَلَاتِ»: عن النواحي وطرفيها، وما فلؤن به، فهو

كتابة عن البراءة، وكل غافل بريء مما بُعَيْت به.

(١) فيض القدر (١/١٥٣).
(٢) لكن قاذف المملك بنال عقوبته في الآخرة، قال: «فَمَنْ قَذَفَ مَرْحَةً بِالْزَّنَا يَقُومُ عَلَى الْحَدِّ يُؤْمِنُ الْقِيَامَةَ، إِلَّا أَنْ يَلْبِسَ كَمَا قَالَ رَوَاهُ البَخْرَيْيُ وَسَلَّمُ وَلَفَظُهُ» (٢/٢٦٩) من حديث أبي هريرة. (٣)
باب: لا تُرِجِعُوا بعجّةٍ بعُجَّةٍ بعَجّةٍ، يَصْرِبُ بعَضُكمُ رَقَابُ بعَضٍ (48) عن عبد الله بن عُمَرّ عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوُداع: "وَبِحَمَّامٍ، أَوْ قَالَ: وَبِغَمَّامٍ، لَا تُرِجِعُوا بعِشْدَي كَفَارَةٍ، يَصْرِبُ بعَضُكمُ رَقَابُ بعَضٍ"

5 الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وقد بَوَّب عليه النووي (55/2):

باب: بيان معنى قول النبي ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفارةً، يضرب بعضكم رقاب بعض".

"عن عبد الله بن عُمَرّ، عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوُداع".


قوله: "وَبِحَمَّامٍ، أَوْ قَالَ: وَبِغَمَّامٍ" وَبِحَمَّامٍ، وَبِحَمَّامٍ، استعمل العرب بمعنى التَّجْجِب والتَّوْجِج، وقال سيبو: إن "ويل" كلمة لمن وقع في همكة، وأما "ويل" فهي كلمة ترحيم، فويل فيها تهدئة ووعيد، وأما ويل فهي ترحيم لمن وقع في شيء مؤذي أو مهلك.

قوله: "لا ترجعوا بعدي كفارةً، يضرب بعضكم رقاب بعض" قوله:
شرح مختصر صحيح مسلم

الكافرون، فتكون الكفاح في بعضهم، فكلٌّ إذا كفر، فكان دارًا، فكان كفاحًا، عيني لا تعلموا فئل الكافرين، حيث إنهم يستخلقون داءًا، بعضهم ببعضًا، وهذا القول هو الذي اختاره النووي، ورجحه، وذكر أنه اختيار القاضي عياض، وهو قولٌ قويَ قريب، ويلتبَ مع الأحاديث المذكورة، التي مررت معاً، كحديث: «لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن» وقلنا: إن المراد به هو أن هذا الأفعال تنافس الإيمان وأعمال أهل الإيمان، وليس المراد أنه يخرج من الإيمان بالكلية، ونقل الحافظ أيضًا: أن الخبراء قالوا بهذا الحديث على ظاهره، فقالوا: إن المقاتِل كافر يخرج من المخلة على مذهبهم في أن فئل الكافر

ما يخرج من ملة الإسلام; لأنهم يكفرن بالذنوب.

وجاء في رواية الحنفية: «لا يتردوا بعدك كفارة» فإنهم تذكير من الشرك والكافر، وتحذير من الارتداد عن أهل الإيمان، إلى أهل الكافرون، وفي رواية أيضًا: «لا ترجعوا بعدك كفارًا» كلهًا في الصحيح، والحديث مخرج في البخاري في موضع: في الحج، وفي النيابة، وفي الفتنة.
ومن فوائد هذا الحديث: أن حجة الوداع اصطلاح كان معرفا عند الصحابة، فالصحابية سُمّوا حجّة النبي ﷺ الوريدة: حجة الوداع؛ لأن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام، دع الناس فيها، وعلمهم في خطبته في تلك الحجة أمرّ دينهم، مما فيه فلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وأوصاه بتبليغ ذلك لمن غاب عن موقفهم هذا، فقال: "فُلبِّلَ الشاهِدُ مَنَّى الغانِب"، فحملهم على تبليغ وصياء إلى الناس، وقد ذكر علماء الشير وفَتَّكِلَ في عدة أسماء الصحابة: أن تلك الحجة جَمَعَت ما يقرب من: مائة ألف أو أكثر من الخلق، كلهم سُمِّعوا كلامه، وأخذوا عنه، وجهاء في الحديث: أن الصحابة لما حَظِقَّ بهم النبي ﷺ في يوم "الفزّ" الذي هو بسبق يوم النور، يعني: اليوم الحادي عشر؛ لأن اليوم الثاني عشر يحق للإنسان أن ينظر فيه، قال: ففتحت أسماعنا حتى سمعنا كلامه ونحن في منازنا في مَنْى، فكان كلامه - عليه الصلاة والسلام - بلاغًا للجميع، وسمعه الجَمْع الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم.

ومن الفوائد في هذا الحديث: أن من الأعمال ما يُجْرَب إلى الكفر؛ لأن من شؤم المعاصية، أنها تُجْرَب إلى معاصية أخرى، فالمعاصي تتواجد، كما أن الحسنات تتواجد، وقد يجمع لصاحب المعاصية بسوء بسَبب معاصيته.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام، كان يستخدم بعض أساليب اللغة في الترغيب والترهيب، والوعيد والوعيد، تأكيده لكلمة ﷺ عليه الصلاة والسلام، قصة بالقَسْم، وتارةً بما غارف الناس على استعماله من الألفاظ، كما في هذا الحديث أنه قال: "ويلكم أو قال: ويحكم" وهي من الأساليب العربية المعروفة.
باب: من رغب عن أبيه فهو بكفر

(49) عن أبي عثمان قال: لَمَّا اذْعَمَ رَبِّيَّة، أَلْبَسَ أَبا بَكْرَةٍ فَقُلْتُ لَهُ: ما هَذَا الَّذِي صَنَّعْتُ؟ إِنِّي صَنِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ يَقُولُ: سُمِّعَ أَبُو نَاثِرٍ بِمَرْأَةٍ عَلَى بَكْرَةٍ. وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا أَذْعَمُ أَبا فِي الإِلْمَ حَتَّى أَبُو، يَعْلَمُ أَنَا أَذْعَمُ أَبا بِكْرَةً. أَبُو، فَأَلْبَسْتُ عَلَيْهِ حَرَامٌ، وَقَالَ أَبُو بَكْرَةٍ: أَنَا سُمِّعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ويُوبَ عليه النووي (51/6).

باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو علم.

«عن أبي عثمان» وهو النهاي من رجال الشيخين، واسمه: عبد الرحمن بن مل، مخضرث ثقة بن ثابت.

و قوله: «لَمَّا اذْعَمَ رَبِّيَّة» وفي رواية: «لَمَّا أَذْعَمَ» فالرواية الأولى أن الأذّاع.

كان من غير زياد، وفي الرواية الثانية أن الأذّاع كان من زياد نفسه.

«زياد» وهو المعروف بزياد بن أبيه، وزياد بن أمه، وهو أخو أبي بكر للنبي، أمهما سُمِّيتُ أمه الحارث بن كَلْدَة، الطبيب العربي المعروف في الجاهلية، وكان قد أدعه معاوية لأبي سفيان، فألفته بأبيه، وكان زياد متميم إلى علي، وكان عالجاً، ثم استماله، وألفته بأبيه - أبي سفيان - فصار يسمى: زياد بن أبي سفيان.

«أَبَا بَكْرَةٍ» وهو نفع بن الحارث، وجاء في النسَب أنه سمي: أبا
شرح كتب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

بكره؛ لأنه تدل على حصن الطائف ببكرة إلى النبي ﷺ، فسمي أبا بكره.
قوله: "قُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ؟" أبو عثمان نكر على أبي بكره، يعني ما هذا الذي صنعتم، وهو ادعائه زيد إلى أبي سفيان، إنكارًا عليه، وعله أبو عثمان لم يبلغه إنكار أبي بكره، لأن أبي بكره كان قد نكر على أخيه لأنه وهو زيد، و haciق أن لا يَكَلِّمه آبًا و هجره، فعله أبو عثمان لم يبلغه إنكار أبي بكره، أو يكون المراد بقول أبي عثمان: ما هذا الذي صنعتم؟ يعني: ما هذا الأمر العظيم الذي صنعه أخوك؟ أي: زيد، وهو أمر عظيم فيجح؛ لأن النبي ﷺ عليه الصلاة وسلم حرَّم الجنة على فاعله.
قوله: "إِبُنِي سَمِعْتُ سَعَدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ نَّفْوَلُ: صَنَعَ أَذْنَابِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ أَدْعَى أَبَا في الإِسْلَامِ غَيْرَ أَبِيهِ، يُشْهِدُ أنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ؛ فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَراَمٌ.« وقال أبو بكره: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ، فهو أيضًا من رواة هذا الحديث.

ومعنى هذا الحديث: كما مر معنا من الأحاديث الناظرة، في قوله: "الجنة على حرام"). أي: إن الجنة حرام عليه إن استحل ذلك، أو: إن الجنة حرام عليه أن يدخلها مع السابقين، بل يؤخر عنها وينظر حاله، إما أن يعاقب وإما أن يعفي عنه فيدخلها، فالتحريم هنا تحريم مؤقت، بخلاف تحريم الجنة على المشركين، الذي جاء ذكره في الكتاب والسنة، كقوله ﷺ: "إِنَّمَا يَبْعَثُنَا عَلَيْكُمْ جَعَلْنَاهُ مَا نَحْنُ أَنْصَارًا لِلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَمَاتَوْهُ اْلْقَاطِعُونَ، وَمَا إِلَّا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْجَلِيسُ.» [المائدة].

فالتحريم هنا مؤقت، وأما تحريم الجنة على عصاة الموحدين فهو تحريم مؤقتة، إما يزول بعفو الله ﷺ ومحفرته وصفته ابتداءً، وإنما أن يكون
بعد أن يدخل صاحب المحبة النازر، فتظهر منها ويدخل بعد الجنة.

ومن فوائد الحديث: أن الجمل الأول من الصحابة ومن لقائهم من التابعين، كانوا آمنين بالمعروف ناهين عن المنكر، لا يخافون في الله لومة لائم، فأبو عثمان النهدي وهو التابعي الجليل الذي لقي عددا كبيرا من الصحابة، يتكرر هنا على أبي بكر رضي الله عنه، من انتساب زيد لغير أبيه، ثم يهدده بما سمع من سعد بن أبي وقاص في هذا الأمر.

وفي الحديث: أن الآدباء إلى غير الولد مع العلم بذلك من الكبار العظيمة، التي يستوجب فاعلاه النار، إلا أن يعنون في العلم، وأنه يحرم على الإنسان أن يدفع لغير أبيه، وقد جاء في الصحيحين أيضًا وصف هذا الفعل بالكفر، فقال: «كثر بالرجل، أدباه إلى غير أبيه»، وكان العرب يشيع فيها هذا الفعل، فيدفع الرجل إلى غير أبيه طلبًا للتجابة ولرفعة الشأن، وكان في الصحابة رجال نصبوا إلى غير آبائهم: كالمقداد بن الأسود، فالأسود هذا، ليس أبيه، إنما هو المقداد بن عمرو، ونسب إلى الأسود لتبنيه له، وصار يعرف به، وهو بلا شك لا إثم عليه؛ لأنه ليس من فعله وإنما من فعل الناس في الجاهلية.

وهذا الفعل وصفه الشارع بالكفر; لأنه كفر لنعمة الولد، فالوالد هو الذي كان سببا في إيجاده، وهو الذي تربى عليه، وفي بيته، وغذاه.
بأنواع النعم والطعام، فإذا جَعَلَ هذه النعمة كُلها، وانتسب إلى غير أبيه يكون قد كَفَّرَ هذه النعمة، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، ولهذا جاء في الكتاب شكر الوالدين بعد شكر الله، فقال سبحانه: "أَلَمْ يَسْتَكْرِرِ لِوَلَدِيَّكُمْ؟" (الأنفال: 14)، لأن أعظم الناس حقاً عليك هما الوالدين.

وفي الحديث: استعمل الراوي ما يؤكد كلامه، وهو قول سعد بن أبي وقاص: سمع أذنай من رسول الله ﷺ، وهذا تأكيد للكلام.

نبهت: قد يقول قائل: كيف يفعل معاوية مثل هذا الأمر؟ نقول: نلتمس له العذر في ذلك بعدم العلم، فمعاوية ﷺ فعل ذلك وهو لا يعلم حَرْمَة هذا الأمر، وهو كما قلنا أمر كافٍ كان شائعًا في الجاهلية، والله ﷺ يقول:

"وَمَن جَعَلَ أَدْيَانَكُمْ أَسْبَابًا فَقَدْ كَفَّرَ مِنَ الْخِطَابِ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ الْبَيِّنَ الْغَيْبِ الْكَبِيرِ (60) "أَنََّهُمْ لَمْ يَفْتَقَرُوا مَنْ تَعَلَّمَ مِنْهُمْ، ثُمَّ رَكَّزْتُهُمْ فِي الْأَلِينِ وَمَيْلِكُمْ" (الأحزاب).

وقيل: إنَّهُ قد شهد أناس بنسبه لأبي سفيان، فألحقه معاوية به ﷺ.

وهذا أقرب، والله تعالى أعلم.

** ** ** **
باب: من قال لأخيه بكافر

(50) عن أبي داود، عن سمع رضوان الله عليه يقول: "ليس من رجلين
ادعى ليقين أبه وهو بعلم، إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له قليلين
وليتنا مبعث من النار، ومن ذهنا رجلًا بالكرفر أو قال علم الله وليس
بذلك إلا خار عليه.

الشرح:

هذا الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبوء عليه النووي.
(2/49) باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر.

يعني: ما حال إيمان من قال: لأخي المسلم يا كافر؟

قوله: "وليتنا" يعني: ليتخبد منزلًا، أو ليتبني منزلًا.

قوله: "خاز عليه" يعني: رجع عليه لكنه.

وقوله: "على الصلاة والسلام: "ليس من رجلين ادعى ليقين أبه وهو
بعلم، إلا كفر" تقدم شرحه في الحديث السابق، وبني أن هذا الفعل من
كبار الذنوب، حيث إنه أطلق عليه لفظ "الفكر"، وذكرنا المراد بمعنى
الفكر في هذا الحديث.

وقوله: "على الصلاة والسلام: "ومن ادعى ما ليس له قليلين متينًا،
وليتنا مبعث من النار" الدعوى إضافة الإنسان إلى نفسه شيئاً، ملكًا، أو
استحقاقاً، أو ما أشبه ذلك، وهي في الشرع: إضافة إلى نفسه استحقاق
شيء في ذمة غيره، أو في يد غيره، وما أشبه ذلك.
والنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول هنا: "وَمَنْ أَدْعَىَ مَا لَيْسَ لَهُ" 
وهذا يعم جميع الأشياء سواء كانت، كما قلنا ملكاً أو استحقاقاً أو صفقةً، أو ولداً، كل ذلك يدخل في الحديث.
فقوله: "قَلِيَّتُمُ بَنَائٍ" يعني: ليس على ستّتنا وجميل طريقتنا، ولا هو على ستّة محمد ﷺ، وليس في ذلك إخراج له من الإسلام، وإن كان ظاهره التكفير، وأنه ليس من أمة محمد ﷺ، لكن ظاهره غير مراق، وإنما المراد: أنه ليس على ستّتنا ولا على جميل إخلاقنا وهدّيتنا، وقد جاء في الدعاوى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: "لو أعطى الناس بدعواهم، لأدعى رجال دمّاء القوم وأموالهم، لكن البيئة على المدعى" يعني: لو أن الإنسان يعطي بدعوا، بمجرد أن يدعى أنه يملك هذا المنزل، أو هذا العقار، أو أن هذا الولد له، بمجرد الدعوى، لو يعطي الناس بدعواهم، ربما يدّعي الإنسان مال الإنسان، أو كنه، فيتهمه بقتل أو نحو ذلك، لكن البيئة على من أدعى، واليمين على المدُعى عليه.
وفي فنظ آخر: "البيئة على المدعى، واليمين على المدعي عليه".
فمن أدعى ما ليس منه، ف"أنْيَبْتُمُ مَفْعَلاً مِّنَ النَّارِ" يعني: ليتخذ له منزلًا في النار والعيان بله، وهو مما قال العلماء: إما أن يكون دعاء عليه من النبي - عليه الصلاة والسلام -، أو أن يكون خيرًا بلفظ الأمر، واستطراه النووي، وقال: هو أظهر القولين، ومنه: هذا جزاءه، فمن أدعى ما ليس منه، فجزاؤه أن يكون له منزل في النار والعيان بالله.

(1) رواه الترمذي (1364) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا.
ولأن كثيرًا من الناس إذا قيل له: يا فاسق، أو يا عدوُ الله، أو ما أشبه ذلك، تأخذه العزة بالإثم، ويُغربه الشيطان باللهب، فيقول: نعم أنا كذلك! ويتهم في الفعل، لاسيما إذا كان الأمر دون الأمور في المنزلة، إما بالسَّبب أو بال منزلة عند الناس، كالجاه والمنصب، في ينبغي النتبة عند استعمال هذه الكلمة.

وأما إذا كان قصده بقوله: يا فاسق، تنيره مما يفعل من الذنوب، أو
شرح مختصر صحيح مسلم

نصحه، وصح غيره من هذا الفعل الذي يتعاطاه، كان صادقًا، ومأخوذًا في نفس الوقت.

وقوله: "عليه الصلاة والسلام: "إِلَّا حَارَّ عَلَيْهَا" هل يكون كافرًا بهذه الكلمة.


ومنهم من قال: "إِلَّا حَارَّ عَلَيْهَا" يعني: أن هذا ذنب يُجزَّى إلى الكفر، يعني: من وقع في أعراض المسلمين، وكفر بغير حق، جُرَّه هذا الذنب إلى الوقوع في الكفر والعياذ بالله؛ لأن المعاصي والكبائر تجر إلى الكفر.

فعلى كل حال ينبغي الحذر من التسرع في إطلاق لفظ الفسق والكفر
وما أشبه ذلك على المسلم؛ لأن الكفر حكم شرعي يتوقف على النصوص، فلا يجوز إلا من كفر الله تعالى ورسوله، فلا يكفر الإنسان إلا بدليل، فالكفر ليس لي ولا لك، ولا يجوز لي أن أكفر أحدًا من الناس لأنني اختفت معه، أو لأنني لنفسي؟! فهذا لا يجوز، بل هذه كبيرة من الكبائر كما نص الحديث على ذلك.

كما لا يجوز أن يقول ذلك عند الغضب، فإذا غضب على أحد قال له: يا كافر، يا عدو الله، يا فاسق! لأن هذه كبيرة من الكبائر، فالكفر إذا لابد أن يكون عليه دليل شرعي من كتاب أو سنة أو إجماع، ثم لا بد فيه من العلم بانتقاء الموانع التي تمنع من تكير الشخص؛ لأن التكير حكم شرعي له شروط وله موانع، فإذا توافرت الشروط في العبء، بأن كان عالمًا بأن هذا العمل كفر، وأتاه من غير إكراه، لا جهل ولا تأويل، وإنما كفر طائعًا مختارًا عالمًا، وانتقت الموانع في حقه، فإنه يكفر ويحكم عليه بالردة فليس كل من وقع في الكفر يكون كافرًا، ولله هذا تفصيل في موضوع آخر، والله يعصمان من الخطأ والزلزل والتسريح، إنه سبحانه مجيب.

** * * *
باب: أي الخذب أحب

(51) عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مِسَعَودِ رَضِيَ الَّذِينَ آيَتَهُمُ اللَّهُ بِالرَّحْمَةِ أَيُّهَا النَّبِيُّ اِبْنِ رَبِّكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنُّذِكُرُ اللَّهَ يَدًا وَهُوَ خَلقُكَ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورُ عَلَى أَنفُسِهِ وَغَيْبُهُ أَيَّامَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْ تَفَقَّلُ بِزَيَاءَ مَحَالَةَ أَنْ تَنْطِمَ مَعْكَ» قَالَ: ثُمَّ أَيُّهَا النَّبِيُّ هلْ تَذَاوِّرُ بِلِحْلِيَّةِ جَاثِكَ فَأَنْزِلْ اللَّهُ عَلَى هَذَا تَصِيَّقِهَا: {وَلَا تَبْنِئُونَ النَّفْسَ أَلِيَّ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَوْ نَزِقْتَ} وَمَنْ يَعْقَبُ ذَلِكَ لَيَبْقَ أَكْبَارًا [القرآن].

* الحديث الأول:

هذا الحديث آخره مسلم في الإيمان، وبُعِب عليه النووي (79/2)

باب كون الشرك أفيذ الذنوب، وبيان أعظمها بعده.

* الشرح:

قوله: {علي الصلاة والسلام}: {أَنُّذِكُرُ اللَّهَ يَدًا وَهُوَ خَلقُكَ} النَّبِيُّ هو المثل، وقيل: هو الضَّد، يقال: فلان يَدُ فلاَن وَنَدَيْدِه، يعني: مثيله، وقد جاء في الكتاب في قوله تعالى: {فَلَا يَجَابُوا يَوْمَ الْآخَرَ} [البقرة] والمشركون قد جعلوا الله تعالى آلته، سموها أسمائه، وأعطوه صفاته، ونسبوا لها ما لا يليش نسبته إلى خلقهم، فجعلوها مثل الله تعالى في إجابة الدعاء، وال تعالى ورفع البلا، وغيره مما يختص برب الأرباب سبحانه، فأعظمzhن الذنbi: أن تدعوا للَّهُ إذا وَهُوَ خَلقُكَ، أي: أعظم الذنوب الشرك

المؤرجح
بالله، وأكبر الكبائر الإشراك بالله، كما جاء في حديث أبي بكر وغيره: "أكبر الكبائر الإشراك بالله".

قوله: "قال: ثم أي؟" وفي رواية قال: "إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: ان تقتل ولدك خشية أن يطعم ملك، يعني: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل ملك ويشارك في طعامك وشرابك، في نفس من رزقك شبيهًا، وهو معنى قوله تعالى: "وَلَا تَضْرِبُوا أَوْلِيدَكُمْ خَشْيَةَ يُعْدَجُ" [الإسراء: 31]، يعني: خوفًا من الفقر، وهذه أحد أسباب الزراعة في الجاهلية، أنهن كنننا بدون أولادهم خشية الفقر، فبين الله تعالى أن الزراعة للوالد والولد هو الله، ونهى عن قتل الولد خوفًا من الفقر، وبعض المسلمين اليوم قد يقع في هذا المعنى، فيمنع أهل من الحمل خشية أن يكثر ولده ففضيض معيشته، وهذا لا شك اعتقادات جاهليّة، ولا يجوز للإنسان أن يقتل ولده، أو يمنع الحمل بالعزل أو يغيره خوفًا من الفقر، وإلا يكون قد شارك أهل الجاهلية في اعتقادهم الفاسد هذا، الذي رده الله تعالى عليهم.

وقال في رواية: "إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني، حيلة جارك الحيلة هي الزوجة، ستُبيِّن حيلة؛ لأنها تجلُّ للرجل، وقيل: لأنها تجلُّ معه، يعني: تسكن معه، وتجلس حيث يجلس، ومعنٍّي تزاني يعني: أن تزاني بها برضاؤها، وهذه كبيرة من الكبائر، التي عظمها النبي - عليه الصلاة وسلام -، وذكرها بعد الشرك والقتل، وهي: الزنى بزوجة الجار، وفيه مفسدان: فقيه أولًا الزوجة الذي حرم الله، وفيه أيضًا: إفساد زوجة الجار، وإفساد قلبه على زوجها، وعامتها إلى الزنى، فلا يزال قلبه متعلقًا بهذا الزناني، وهذا ذنب على ذنب، وأمر آخر:"
أن الجار يتوقي من جاره حماية بيته، والذَّب عن حريمه، ويأمن بوائقه، ويطمئن إليه في الغالب، وقد أمر أن يحسن إلى جاره، كما مرّ معنا في الحديث، "من يؤمن بالله والإيمان الآخر فليحسن إلى جاره"، وقال: "عليه الصلاة والسلام. في حديث الصحيحين، "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سبورله" يعني: سيجعل الجار وريثا لجاره، من شدة القرابة.


فولى: "فأقول الله تعالى تصديقًا: {وَالَّذِينَ لَا يُشْعَرُونَ مَعَ اللَّهِ إِنَّهُمْ مُّعَلَّقُونَ} {النجم}، فكلمه عليه الصلاة السلام. بوحو من الله، فأنزل الله تعالى تصديق كلام رسله، {هَيْنَا وَالَّذِينَ لَا يُشْعَرُونَ مَعَ اللَّهِ إِنَّهُمْ مُّعَلَّقُونَ} {النور} {السفين}، وأحيانا النبي - عليه الصلاة السلام - يتكلم بما يوافق الكتاب، وأحيانا كأنوافته الكتاب على كلامه، وهذة من الأحاديث التي
ووافق الكتاب فيها السنة، فأنزل الله تصديق كلام نبيه ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَيۡتَّفَقَنَّ عِنَّكَ إِنَّكَ حَرِيمٌ﴾ يعني: لا يعبدون، فالدعاء بمعنى العبادة، وقد قال - عليه الصلاة والسلام -: «الدعاء هو العبادة» (1)، والدعاء المقصود به: نوعى الدعاء: دعاء الثناء، ودعاء المسألة والطلب، فالذين لا يدعون مع الله إلّا آخر، أي: لا يبعدون مع الله إلّا آخر، بل يخلصون لِهِ العبادة.

قوله: ﴿لَا يَقُولُونَ الْنَّفْسُ أَلَّى حَرَمٍ ﷺ إِلَّا بَيْنَيْهِ﴾ أي: لا يقتلون النفس المعصومة، التي حرَّم الله تعالى قتلها إلا بالحق، وهو إما بكرفر بعد الإسلام، أو بزنى بعد إحسان، أو النفس بالنفس، فهذا صوّرُ قتل النفس بالحق، فهم لا يقتلون النفس التي حرّم الله تعالى إلا بالحق.

قوله: ﴿وَلَا يَبْقَى وَمَن يَقْبَلُ ذَلِكَ يَبْقَى أَنَا﴾ أي: يَّلَقَ جَزَاء إِلَهِهِ، فيلَق من عذاب الله تعالى وعقابه ونكاله، ما يكون جزاء إلهه الذي ارتکبه، ثم فعل وشرح فقال: ﴿وَيُصَيَّدُهُ لِلْمَعَذَّبِينَ﴾ (الفرائض)، أي: يمكث في العذاب دهورًا أبدية لا تنقطع، وهو مع ذلك العذاب مهان محترق، إضافة إلى تعذيبه.

ومن فوائد الحديث: سؤال الصحابة وحرضهم على معرفة النور لتوقيقه، فالصحابة ﷺ كانوا يسألون النبي ﷺ على الصلاة والسلام، عن النور، كما كانوا يسألون عن الخير، يسألون عن الشر لاجتنابه، كما قال القائل: عرف الشر لا للشر ولكن لتوقيقه ومن لا يعرف الشر من الخير يعقه فيه.

فتقد حديث يقول: كان الناس يسألون النبي ﷺ على الصلاة والسلام.

(1) حديث صحيح رواه الإمام أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» وأصحاب السنن من حديث النعام بن بشير.
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

عن الخبر، وكنت أسأل عن الشرك مخافة أن يذركني، وجاء عن عمر أنه قال: إنما تُنقض عَرُوَّة الإسلام عَرُوَّة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الشرك.

فالذي لا يعرف الشرك يقع فيه وهو لا يشعر، ولهذا فلا يعترض على من عَلَم الناس التوحيد، وحذره من الشرك، ولو كان في وسط ديار المسلمين، لا يعترض عليه ويقال له: نحن مسلمون موحدون مصلون صائمون، فكيف تذكر لنا الشرك وأنواعه وأحكامه? نقول: الذي لا يعرف الشرك يقع فيه من حيث لا يشعر.

وفي الحديث: أن أَكَر المعاصي الشرك بالله، ثم قتل النفس المعصومة ثم الزنى وأعظمه الزنى بحيلة الجار، كما بحق الكلام فيه، وأن الكبائر تفتاوت في الكبير والعظم، وليس على درجة واحدة، وهو دليل لأهل السنة على أن الذين منها عظيم ومنها ما هو دون ذلك، وأنها كبار وصغار، وفي الحديث أيضًا: أنه كلما سهله المعصية زيد في التشديد والتخدير منها، فكلما عظم اقتراب الإنسان من المعصية، زاد الشارع التعظيم والتشديد في العقوبة على الفاعل، وهنا الزنى بحيلة الجار لأنه سهل قريب ضوعفت العقوبة، وصارت أعظم عشر مرات من الزن بالاجنبية البعيدة.

وفي الحديث أيضًا: أن السنة صنُوْر الكتاب، وأن النبي عليه الصلاة والسلام أُوْتى الكتاب ومله معه (1)، وهي السنة المطهرة، وأن نصوص الكتاب والسنة يُصْدِق بعضها بعضًا؛ لأنهما يخرجان من مشاكاة واحدة.

(1) كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد (131/4)، وأبو داود (4264) من حديث المقداد بن ملعم كتب.

المصدر: مختصر صحيح مسلم
وفي الحديث أيضًا: أن من رد السنة فكأنما رد الكتاب، إذ لا فرق بينهما؛ لأنه هذا من عند الله، وهذا من عند الله، كما قال ﷺ: "رونا يطبع عين الموت (٤) إن هو إلا رحمتي ورحمتي (٥)" (الجم)، وقال ﷺ: "من يطبع الرسل فقد أطاع الله" (النساء: ٨٠).

** ** **
باب: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة

(52) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أي النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما المَوْجِيجَان؟ فقال: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار.

5 الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبوَّب النوري عليه الصلاة والسلام. 

الحديثين (2/42) باب: الدليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، وأن من مات مشركًا دخل النار.

الحديث الأول: عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أي النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما المَوْجِيجَان؟ يعني: ما الخِضْطُان اللتان توجبان دخول النار، ودخول الجنة.

شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

أدخل النار وعذبه، ثم أدخل الحوتة وخلد فيها، ففيَّ رَدٌّ على الخوارج:

الذين يخرجون صاحب الكبيرة من الملة الإسلامية.

وأما الخصلة الثانية، الموجهة للنار والعياذ بالله فهي: من مات يشرك بالله شيئاً داخل النار، وهذا يؤديه قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَارَكَ يَهُودَ وَزُرْقِيَّ "[النساء: 86]، وقوله سبحانه: "فَلَنَّاَن مِّن يُشَارَكَ يَهُودَ وَزُرْقِيَّ" [التوبة: 108]، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَ إِلَيْكَ إِلَى الْأَلِيْمِينَ مِن قَبْلِكَ لِيَنْشُرَ لَهُمَا غَيْبَ الْغَيْبِ وَيُّنَكِّرُونَ مِنْ أَحْكَامِنَا" [الزرار: 72]، وذكر الله تعالى جملة من الأنباء ثم قال: "فَوَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَتَّى عَنْهُمَا مَا كَانُوا يَتَبَيْنُونَ" [الأنعام: 88]، فهذا فيه بيان أن الشرك يحب العمل، ولا ينفع صاحبه يوم القيامة حسنة عملها في الدنيا، ولا فرق في ذلك بين الكافر الكبائري (اليهوي والنصراني) وبين المشرك الوثني، وسائر الكفرة، فحكمهم واحد وهو الخلو في النار، إن لم يتوبوا ويسلموا قبل ذلك، وقد بسطنا الكلام على هذا في الأبواب السابقة.

** ** **

الشرح:

هذا الحديث الثاني: أخرجه مسلم في الموضوع السابق.

فوله: "عن أبي الأسود الدبلاء" أهل الحديث يقولون: الدبلاء (بكسر الدال وسكون الياء) نسبة إلى الدبل، وهم بطن من كنانة، وأهل العربية يقولون: الدبلاء، على وزن الجهد، وهو من ثقات التابعين، ويقال: أنه هو الذي أشار على علي ﭼ، أن يدرك هذه الأمة لما فشلا فيها اللحن، فأمره علي أن يضع قواعد العربية (علم النحو).

فوله: "آن أبا ذر" واسمه جندب بن جنادة العنقاء، من بني غفار، صحابي شهير، تقدم إسلامه، وتأخرت هجرته، فلم يشهد بدرًا، ومناقبه كثيرة جداً، مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان ﭼ.

فوله: "قال: آتى النبي ﷺ وهو نائم، عليه نوب أبيض، ثم آتاهه فإذا هو نائم، ثم آتاهه وقد استيقظ" ما فائدة قول الرواه: آتى النبي ﷺ.
وهو نائم، أتيه وعليه ثوب أبيض، حدثي وهو قائم؟ قال العلماء: هذا لتحقيق الرواية وتأكيدها، وأن الراوي يذكر حال تحدث النبي صلى الله عليه وسلم إلى كيف كان؟ وهذا مما يؤكّد كلام الراوي، ومن الشواهد على صدقه.

فوله: "غلب رحمّ أنّف أبي ذرّ" يفتح الراة وضمها وكسوا، ثلاث لغات في الراة، ذكر ذلك الوجهي.

فأجاب ذكر: إنما قال: "وإن رأي، وإن سرقاً؟" لأنه استبعد ذلك، لحديده: الآخر: "لا يرمي الراعي حين يرمي وهو مؤمن..." فسمع من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث، وهنا يسمعه عليه الصلاة السلام، يقول: "ما من عبيد قلآ علَّل الله إلا أنهم لم يأتوا، فإذ ذكر الحجة، فاستبعد ذلك، وأيضًا كان ذلك من أبي ذرٍّ لشدة نفرته من الذئب وكراهته للمعصية، وكرر لتعجب، فأتكلم هذا يدٌ على شدة التعجب من أبي ذرّ.

ومعنى: "وإن رحم أنف أبي ذرّ" يعني: على ذلٍّ منه، أو: وإن كره هذا، وكره وقوعه، فإنه واقع، لأن الله تعالى يغفر لمن قال: لا إله إلا الله ومات على ذلك، وإن زنى وإن سرق.

فالحديث فيه حقيقة لمذهب أهل السنة: أن صاحب الكبيرة لا يخلد في النار، ما دام مات موحيًا.

وفي أيضًا: أن صاحب الكبيرة يغفر كبرته في الآخرة، وإن مات مصيرًا عليها، وذلك إذاً يغفر الله عنه ابتداء، وإما أن يغفنه ثم يدخله الجنة، وإن أصحاب الكبائر لا ينقطعون من رحمة الله، قال الله تعالى: "فقل يجمعون أليتَن أسرَّورًا على أنفسهم لا تستظلوا من رحمته، إنه يغفر الذنوب جميعًا إنه هو ال Açَرَفُ الرحمن" {الزمر}.
وفي: أن أصحاب الكبار إن ماتوا مصرين عليها لا يقطع لهم بدخول النار، يعني: من مات على كبيرة لا يجوز لنا أن نقطع أنه دخل النار، فربما الله يعفو عنه أو يتجاوز عنه لعمل صالح، والمكترات للذنوب أكثر من ذلك، بل هي عشرة أسباب كما جمعها العلماء: المصاب في الدنيا، عذاب القبر، وأهوال القيامة، والتوية، والاستغفار، والأعمال الصالحة، وشفاعة النبي، وشفاعة المؤمنين، ودعاؤهم له، وإعداؤهم له الأعمال الصالحة، ثم عفو أرحم الراحمين، هذه كلها من أسباب الغلامة والتوبة، وقد تدفع عن العبد عقوبة ما وقع فيه من السينات.


ومن فوائد الحديث أيضًا: استحباب لباس النبي، فإن النبي - عليه الصلاة والسلام - كان يلبس البياض ويحفظ على لبسه، كما قال - عليه الصلاة والسلام - في حديث الترمذي، والسناوي، وابن ماجه، وأحمد:

«البسوا النياض البيض، فإنها أظهر وأنبي، وكتاب فينا موتاكم».

وفي الحديث أيضًا: حرص الصحابة على مجالس النبي - عليه الصلاة والسلام -، وحرصهم على إيتاه والأخذ عنه، فلاحظ أن أبا ذر جاء إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو نائم، ثم ذهب فغاب فترة فرجع إليه مرة أخرى حرصًا على أن يجلس إليه ويسمع منه - عليه الصلاة والسلام -، وهكذا يؤخذ من أن الصحابة كانوا طلبة علم من الدرجة الأولى، في
شرح حكم الإمام من مختصر صحيح مسلم

حرصهم على الخير وحرصهم على التعلم، مع أن كثيرًا منهم أسلم وقد كتب باللغة، رضي الله عنهم وأرضاه، في ينبغي أن يكونوا لنا قدوة في الحرص والدأب في طلب العلم، فمثلًا إذا قرأ كتابًا مرة واحدة، ورأيت أنك لم تنفعه إلا شيئًا سبيلاً، وهو كتاب عظيم يوصي به أهل العلم، فكرّر قراءتك، ولا تفسّل، ولا تتسلل، ولا تفتر عزيمتك، بل كرّر مرة، ومرتين، وثلاثًا حتى تفهم مسائل الكتاب، وتحيط به علمًا.

وفي الحديث أيضًا أن إثبات الكبائر لا يخرج من الملة ولو ترك، خلافاً لطائفة من الخوارج الذين قالوا: إذا تكرر الذنب من الإنسان، أخرجوه من الملة، أي: إذا أصر عليه ذلك على أنه ليس بمؤمن بالكلية!! وهذا التخصيص باطل؛ لأن النصوص جاءت عامّة، أن من زنى وسرق لا يخرج من الملة، ولم يذكر النبي ﷺ ولم يذكر الله تعالى: هل وقع منه ذلك مرة أو مرتين أو ثلاث، فمن قال: إن الإصرار على الكبائر يخرج من الملة، فهذا يكون قد خصص نصوص الكتاب والسنة بغير مخصص، وله قول من يقول: إن من حكم يخير ما أنزل في قضية أو قضيتين أو ثلاث، ليس كمن حكم بمائة وألف، وقول هنا أيضًا: فقل كنا ثم كنت كم، فإن النصرانيون كانوا يقولون إنك في سائر صديقتكم ([البرزة]) ما هو الدليل على التفريق بين هذا وهذا؟ لأن نصوص الكتاب عامة، صحيح أن تكره فيه أهل الإسلام وضعه ومخالفته لصفات أهل الإيمان، لكن هذا لا يجرئ إلى الحكم عليه بعيد ما يستحق، من الإخراج من الملة.

والآية السابقة تؤيد ذلك: {قل يُبيِّنُما أَيْكُمْ أَشْتَرَا} [الزمر: 53].

ومعلوم معنى الأسراف، وسبب نزول الآية كما جاء في الصحيح: أن قومًا قالوا للنبي ﷺ: إن الذي تدعو إليه لحسن، لو تخبرنا إلى إنَّما صنعنا
توية، وكانوا قد زنوا فأكروا، وقلوا فأكروا فنزلت هذه الآية.
وفي حديث جابر هذا أيضًا: دليل لمذهب أهل الحق: أن الله ﷺ قد أوجب على نفسه: أن يدخل الجنَّة من مات لا يشرك به شيطانًا، خلافًا لقول المعتمدة الذين قالوا: لو شاء الله ﷺ أن يدخل أهل الإيمان النار لفعله!
ورأوا أن هذا ليس بظلم! وقوله القائل:
وجاز للمولى أن يعذب المرى من غير ما ذنبا ولا جرم جرى فكل ما منه تعالى يجمل لأنه عن فعله لا يسأل.
فهذا ليس من قول السلف ولا من أئمة التأثث في الكتاب والسنة.
على الله تعالى، بل هذا في الحقيقة من الظلم الذي حرمه الله ﷺ على نفسه، وهو جل وعلا يكتب على نفسه، ويحرم على نفسه، ولا أحد يكتب عليه، فقول أهل الحق في هذه المسألة: أن الله ﷺ ثابك و تعالى كتب على نفسه أنه مات لا يشرك به شيطانًا أدخله الجنَّة، وهذا وعَدَّ، والله لا يخلف الميعاد، وأن من مات يشرك به شيطان فقد حرمه الله ﷺ على الجنَّة، لكن من مات هو مستحقًا للعقوبة، فله تعالى أن يخلف إبادته لأصحاب الكبائر، لأن إخلال الوعيد قبيح، أما إخلال الإذار والوعيد فكرم ورحمة وفضل وإحسان، فهذا يجوز في أفعال الله ﷺ ثابك و تعالى، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في المسألة.

** ** ** **

(1) من نظام العقيدة السفارتية، انظر شرحها (ص141) للعلامة محمد بن عبد العزيز المانع، تحقيق أشرف عبد المقصود، ط أضواء السلف 1418 هـ.
باب: لا يدخل الجنة من يكلٌف في قلبه مثقال ذرة من كبر

(45) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون نقيض حسنات، ونثعل حسنات، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبير بطر الحق، وغمثل الناس.

شرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبوَب عليه النووي (89/2)

باب: تحرير الكبر وبيانه.

عبد الله مسعود الصحابي الجليل المشهور، سبقت ترجمته.

قوله: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» ذكر الخطابي فيه وجهين:

أحدهما: إن المراد: التكبر عن الإيمان، فصاحبه لا يدخل الجنة أصلا إذا مات عليه.

والثاني: أنه لا يكون في قلبه كبر حال دخوله الجنة، كما قال الله تعالى «وَرَأَى مَا كَانَ غَلِيظًا» [الأعراف: 43].

قال النووي: «وهذا التأويلان فيهما بعد؛ فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف، وهو الارتفاع على الناس، واحتفارهم، ودفع الحق.»
ثم رجّح ما اختاره القاضي عياض وغيره من المعطين: أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جاء به، وقد ينكر عليه بأن لا يُجازيه، وقد يعذبه كما يعذب أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصيرين عليها، نعود بالله مولانا من هذا المرض.

وقال بعض العلماء: لا يدخل الْجَنَّةَ «معناه: لا يدخلها مع المَتَّقين» أول ما يدخلونها.

معنى: [[مَتَّقِئُ ذَرَّةً]]، أي: وزن ذرة، والذرة واحدة الذر، وهو صغر النمل، وفي القاموس: إن مئة منها تزن حبة شعير.

قوله: "قال رجل "قيل: هذا الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوي، قاله القاضي عياض، وابن عبد البر، وأبو عبيد. وقال ابن بشكال: هو أبو ريجانة، وقيل غير ذلك.

قوله: "إن الرجل يقول أن يكون توضى حسنة، وتعلع حسنة «أي: فهل هذا من الكبار الذي حرم الله تعالى.

وهذه المتجّلة للتجمل وإن كانت طبيعية جليلة، إلا إنها بعد ورود هذا الحديث صارت شرعية، فستحب للمسلم أن يتجمل في بدنه بالتنظيف والتطهير، وفي ثوبه بالغسل والتطهير، لاسيما عند لقاء الناس، وعند إرادة الصلاة وغيرها.

قوله: "إن الله جميل يحب الجمال، في وصف الله تعالى بالجمال، فإن تعالى هو الجميل على الحقيقة بلا كيف نعلمه، وجماله بالذات والأوصاف والأسماء والأفعال، لا شيء يماثله في ذلك، كما قال في نفسه: "تَسْتَفْتُنَّ
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

كِرَّهَهُمْ ۖ وَقَطَّرَ الْكَفَّارَ ٱلْأَفْلَقُ (۶۷) [الشورى]، وقال سبحانه: ۖ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ أَحَدٌ مِّنۡ أَعۡظَمۡ أَحَدٖ [الإخلاص].

فالجميل من أسمائه: جل وعلا. الحسنى، هذا قول السلف رحمهم الله.

وقال الإمام ابن القيم في تونية مبينا ذلك:

وَهذَا الَّذِي عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجْمَالُ سَائِرُ هَذِهِ الأَكْوَان

من بعض آثارجميلُ، فَرِبْهَا أُولِيَآ وَأَجَدَرَ عَن دِيْرِ الْعَرَفَانِ

فَجَمَالُهُ بِالْحَدُّ وَلَوْ أَصَافَ وَالْأَفْصَافَ وَالْأَسْمَاءَ وَالْبَرَاءَانَ

لَا شَيءٌ يَشْهُدُ ذَاتَ وَصَافَتِهِ صَبَاحَةً عَشَّنَ إِفْكَ ذِي الْبِهْتَانِ (۱)

وأما قول من قال: إن هذا الحديث من الآحاد! وحديث الآحاد لا

تثبت به العقائد، ومنها: أسماء الله تعالى وصفاته!! فإنه نزعة اعتزالية،

صان الله تعالى عنها سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من

أمنة الهدى، فإنهم كانوا يعتقدون ويعملون بكل حديث صَحِحٌ إِسْناده، لا

يَفْرَقُونَ هَذَا التَّفْرِيقَ المَحِينَ والمبّينَ! وقد أطلق الإمام الشافعي في الزّد

على هذه البدعة الحادثة في كتابه الرسالة.

وَقَولَهُ: «الْكِبْرُ بَطُورُ ٱلْحَقِّ» أي: دفعه وإيقاره، ترقعًا وتكتيرًا وتجبريًا.

وَهذَا تَأْرِخُ يَكُونُ كُفْرًا، وَتَأْرِخُ يَكُونُ كِبْرَةً مِّن الكبائر أو دون ذلك.

وَقَوْلَهُ: «وَغَفْنِطُ ٱلْمَآسِي» بالطاء، وفي رواية أبي داود والترمذي:

(۱) وقد قال بعضهم: الجميل هو المجمل كمكرم، وقال: كل أمر جميل! وكل ذلك من

لوازم الجميل، انظر الرد على هذه التأويلات في "المهج الأسمى" (۳/۳) و"إبطال

التأويلات" للفاضل أبي يعلى (۴۶۵/۲).
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

غمص الناس بالصاب، وهما بمعنى واحد، ومعنى: احترارهم وازدراؤهم.
ففي هذا الحديث من الفوائد، منها: تحريم الكبر والإعجاب بالنفس،
وأنه داء عظيم، ومن كبار الذنوب.
وأن الكبر أنواع: فمنه ما هو كثير أعظم، كالاستكبار عن الإيمان
وأتباع الرسل، كقوله تعالى: {إِنَّمَا يَجَابُ بِصُدُورِكُمْ رَسُولُ اللَّهِ يَا مَلِكَةَ الْمُجَسَّدِينَ} {المغفرة}.
وقال تعالى: {إِنَّمَا يَجَابُ بِصُدُورِكُمْ وَكُلُّ فَتَحٍّ كَبِيرٌ} {المغفرة}.
[الصافات]، وكاستكبار إلقاء اللعين عن طاعة ربه; فاستحقَّ عليه الطرد من
رحمة الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّمَا أَتَى الَّذِينَ آمَنُوا أَتَى أَبَا سَمُّرٍ وَأَبَا كَفِيَّةٍ} {البراءة}.

ومنه ما هو دون ذلك، إذا كان تكيرًا وتعظيمًا على الخلق؛ لكنه لم
يستكر عن عبادة ربه عظيمًا، فهذا من الكبار التي يستحق عليها العذاب.
ويأخذ من هذا الحديث أيضًا: أن التوأسم وهو ضعيف الكبر، خلق
يحبه الله تعالى ويمنح عليه، ويكب فاعله، فإن الجنَّة دار المتواضعين،
والنار دار المستكبرين.

وإن الله سبحانه من أسمائه الجميل، والجمال صفة من صفاته، وهو
واهب الجمال لمن يشاء، والله سبحانه يحبُّ التجمل في غير إسراف، ولا
مخيلة، ولا بطر، ولا كبير.

***    ***    ***
باب: الجُفَر في النَّسب والَّليْجَة من الكفر

(5) عن أبي مُحَرَّر، قال: قال رسول الله ﷺ: "أَنَّ النَّاسَ فِي النَّاسِ هَمَا يِمْهَمْ كُفُّرُ: الطَّنْٰمُ في النَّسَب، وَاللَّيْجَةُ عَلَى المَجَرََّبِ".

5 الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ويُوب عليه النووي (57/2).

باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والليجة.

قوله: "أَنَّ النَّاسَ فِي النَّاسِ" هذا في الحقيقة ليس حصرًا؛ لأنه قد ورد في أحاديث أخرى ما يدل على أن خصال الكفر أكثر من خصال، كما بياني في حديث أبي مالك الأشعري في شرحنا، وهو: "آري في أمي من أمر الجاهلية لا يتكونهن"، والرسول ﷺ قد خصَّهما هنا بالذكر لعظم خطورتهما.

ولأنهما خصَّمان باقيتان في الأمومة على الجملة، إلى أن تقوم الساعة.

قوله: "على الصلاة والسلام: "أَنَّ النَّاسَ فِي النَّاسِ هَمَا يِمْهَمْ كُفُّرُ" لا يعني أن هاتين الخصائصين في كل واحد من الناس، وإنما هو في عموم الناس.

قوله: "هُمَا يِمْهَمْ كُفُّرُ" قد مَرَّ معنا مِثْل هذه التعبيرات النبوية، وقدنا:

إن المقصد أن هذه من خصال الكفر، كما قال على الصلاة والسلام: "لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يَضْرِب بِعَضْمِ رِقَابٍ بَعْضٍ" فهذِه من خصال الكفر والجاهلية ومن شعب الكفر، فكما أن الإيمان شُعَب، فكذلك الكفر شُعَب، وليس كل من قام به شعب من شعب الكفر يكون كافِرًا خارجًا من
الإيمان، كما أن ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يكون مؤمناً بكم.
فإن الإيمان شعب، والكفر شعب، حتى يقع الإنسان في أصل الكفر أو العبىذ بالله، كالتكذيب لله تعالى ورسوله ﷺ، أو الجحد، أو العناى، أو الاستكبار، أو الإعراض، أو الشك، هذه أنواع الكفر المخرج من العلة، كما أوضحها علماء السلف قديمًا محققًا، وهذا التنوع يسبب اختلاف مواقف الناس تجاه الحق الذي أرسه الله به رسله، وأنزل به كتبه.
والمؤمن قد يكون قولاً باللسان، وقد يكون اعتقاداً، وقد يكون عملاً، كما أن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجثان، وعمل بالأركان.

قوله: "الطعن في الشبه" هذا بيان الخصلة الأولى، وهي الطعن في النسب، يعني: الوقوع في أعراض الناس من جهة النسب، وكما تعلمنا أن الناس مؤتنمون على أناسهم، ومن ثبت نسبه بظاهر الشرع، فلا يجوز لنا أن نطعن فيه، وأن نقول: فلان ليس ابناً لفلان! أو أن نقول: فلان ليس من القبيلة الفحلياء! ما دام أنه نسب إلى أبيه، وهذا هو ظاهر الحال، أو أن ننسب إلى قبيلة ما؛ فالآصل أن هذا الظاهرة لوزول إلا بما هو أقوى منه من البنات.

قوله: "والتبية على المبتي" التبابة محرمة، ومن أعمال الإجاهية، ومن أعمال الكفر، ولو كانت بغير يد، ولو كانت بغير شن جيب، ولا تلمح خذل؛ لأن التبابة هي الندب ورفع الصوت ببتداد فضائل المبتي.
وقد قال بعض أهل العلم: إن هاتين الخصائصتين فيما كفروا للنعم=tة، أما الطعن في الأنساب: فإن الذي يطعن في أنساب الناس يكون قد كفر نعمة سلامة نسبه من الطعن.

المؤرخ: أحمد بن عبد الله
وأما النية: ففيها كفر نعمة الرضا بقضاء الله ﷺ؛ لأن الذي يتوج
ويُعَدّ فضائل الميت، عمله هذا بظاهره اعتراض على قضاء الله ﷺ،
المحي المميت، الذي له الأمر كله، إليه يرجع الأمر كله.
وقد روى الإمام مسلم في «صحيحه» أيضًا ما يدل على حزمة الطعن
في الأنساب والنفحة: من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول
الله ﷺ: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونه" وهذا في الجملة،
ولا يعني هذا أن كل واحد من الأمة تكون فيه هذه الخصلة، وإنما هذا في
الجملة، والسّالم من الناس قليل، وهي "الفخر بالأحساب، والطعن في
الأنساب، والاستقاء بالنجوم، والنفحة على الميت".
والفخر بالأحساب: الأحساب هي مفاخر الآباء.

** ** **
باب: من قال مطرونًا بالنواء فهو كافر

(56) عَنْ زَيْدِ بْنِ حَالِدِ الجَهَّليِّ قَالَ: صَلِّي الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَلَاةُ اللهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: "أَقْلِبْ بِنَاطِرْ عَمَّا قَالَ رَجُلُ أَخَاهُ؟" قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ أَغْفِلُهُ أَعْفَأَمُ. قَالَ: "إِنَّكَ أَصْحَبْتَ بِنِعْمَتِي مِنْ هَذِهِ الْمَجَالِدَةِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِالْحَقِّ الْقَدِيمِ، وَعَلَى هَذَا، وَلَيْسَ كَذَٰلِكَ كَافِرٌ.

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبَوْب عليه النور (59/2).

باب بيان كفر من قال: مطرونًا بالنواء.

زيد بن حالد الجهلي صاحب روى إحدى وثمانين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على خمسة وانفرد مسلم بلتلاة، توفي سنة 78 هـ، وله 85 سنة، روى له الرازي.

النواء: بمعنى النجوم، وأصل النواء من: نَامَنَ نَوْؤُ، وقال: نَامَنَ النَّجَمُ بِعَنْيِهِ: سَقَطَ وَغَابَ، وقيل: نَامَنَ بِعَنْيِهِ طُلُعَ وَبَانَ، وَكَانَ الْعَرَبُ تَنَسَبُّ الخَضْرَةِ وَالرِّيَاحِ وَالأَطْمَارِ إِلَى النَّوَؤَ، أي: النجوم، فِي قِولِهِم: إِذَا غَابَ النَّجَمُ الْفَلَانِي حَصَلَ كَذَا، وَإِذَا طَلَعَ النَّجَمُ الْفَلَانِي جَاءَ كَذَا، وَهُذَا الْحَدِيثُ فِي مَنْ قَالَ: مُطَّرُنَا بَنُوَءُ كَذَا وَكَذَا.
شرح مختصر صحيح مسلم

قوله: {عن زيد بن حاليد الجهمي،} نسبة إلى جهينة - القبيلة العربية المعروفة. وهو صحابي مشهور شهيد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، مات سنة 68ه أو 70ه.

قوله: {قال الله ورسوله أعلم} يعني: أن الله تبارك وتعالى قد أوعى إلى بوحي قريبًا.

وقوله: {هل تدرون} هذا يستخدمه العلماء والمعرفي والمدرس لجذب انتباه السامعين. فيقول: {هل تدرون؟} ففيضلون ويستجبون، وتتفتح أسماعهم لسماع العلم الجديد، فهي وسيلة من وسائل التعليم قديمًا وحديثًا، وقد استعمل هذه الوسيلة وأكثر منها الإمام أبو حنيفة حديثًا مع أصحابه، فكان يطرح المسائل على أصحابه ويسمع منهم الأجوبة، ثم يُصوَّب الجواب الصحيح ويستدل له بالأدلة.

{الالحق وبالحق}
شرح كتب الإمام من مختصر صحيح مسلم

والصحابة، هنالك قالوا: «الله مُرَسَّولُ أَجْمَعُ» فلم يتكلموا بغير علم، وإنما وقعنوا عندما غفلوا وعلموا، وهذا من أدبهم.

قوله: «قال: أُصِبَّ مِنْ عِبَادِي مَوْجِبٌ يَبِينُ وَكَافِرٌ» يعني: على أثر هذه النعمة التي حصلت من الليل، أُصِبَ من عباد الله من هو مؤمن به، ومن هو كافر.

قوله: «فَأَمَّا مِنْ قَالَ: مَطَرَّنا يَقْضِلُ اللَّهُ وَرَحّمَهُ، فَذَلِكَ مُوَلِّدُ بَيْنَ الْكُوَّابِ» اختلف أهل العلم في هذه الكلمات، فالنبوية وطائفة من الشافعية: يرون أن من قال ذلك معتعدًا أن الكوكب فاعل مذب، ينشيء المطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعمون، فهذا شريك أكبر، لا شك في كفري قائله، لأنه لا خالق إلا الله ﷺ، وهذا قد زعم أن مع الله خالقًا آخر.

وأما من قال: إن هذا المطر من رحمة الله، وأنه من فضله وحثاه على عباده، لكن الكوكب والنجوم مباقط لهذا المطر وعلامة، فهذا لا يكفر، واختلفوا في كراهية هذه الكلمة، ورجح النوني: أن الأظهر كراهته، فبُهِر أن يقول مثل ذلك كراهية تنبيه، وسبب الكراهية: أنها كلمة متردة بين الكافر والإيمان، فِيْصَاء الظن بصاحبها، وأنه يعتقد أن الكوكب هو الذي نزل ذلك ودبره، فهده من الكلمات الموهمة التي ينبغي أن يتجنبها الإنسان.

وفي «الفروع» لابن مقلح: أن الخلاف واقع في مذهب الإمام أحمد في ذلك أيضًا: ورجح صاحب «تيسير العزيز الحميد»: أن العرب لم تكن تعتقد أن الألوه هو فعله بنفسه، والدليل قول الله تعالى: «ولَيْن سَأَتَنَّهُمْ مِنْ نَّزَلَ مِرْبًى اسْتَقْلَى مَا فَأْجَبَهُ يُبْرِرُونَ اللَّهُ»
 마련كت: 323، فهذا دليل على أن العرب في الجاهلية، كانت تعتقد أن ينزل البطر هو الله تعالى، إذا لماذا كَوْرَ الشاعر هذه الكلمة وتنهي عنها؟ قال: لأنها كلمة موجهة، وقد تجزى إلى الشرك، مثل قول القائل: ما شاء الله ونشئ، ولأن هذه الكلمة شعار الجاهلية، فلذلك كرهها الرسول عليه السلام.

كفران العشير، يعني: كفران نعمة الزوج، وهو لا يُخرج من الملة.
وفي الحديث الذي ذكرناه في السابق: "أربع في أمر الجاهلية لايركونهم: الفخري الأدباء، والطعن في الأسباب، والاستسقاء بالنجوم، والناقة": الاستسقاء بالنجوم يعني نسبة الشُفَّاق إلى النجوم.
والله لا يزال موجودًا في الأمة، فلا يزال هناك من ينسب المطر إلى النجوم.
وهذا القول الذي قاله الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان في وجاهة، وأنه يمنع من هذه الكلمة ولو كان قد صدر عن ذلك مجرد علامة، خشية الوقوع في الشرك، ولأنها كلمة موعودة قد يُساء الظن بصاحبه، ويُخشي على صاحبها من الوقوع في كلمة الفضل إلى غير أهله.
ويستفاد أيضًا من الحديث: أن الرسول ﷺ كان لا يُؤَخِّر البيان إلى عن وقت الحاجة، وكان أيضًا يستغل المناسبات للتذكير والتثبيث على الأخطاء، ولا يُؤَخِّر ذلك؛ لأن التأخير يفوّت الفائدة.
ويؤخذ منه أيضًا: أن الصحابة ﺔـ، كانوا لا يتقذعن بين يدي الله ورسوله بقول ولا عمل، وأنهم كانوا يقفون عند علمهم، متأمرين بقول الله ﷺ: "فَإِنَّمَا أَنْتُمْ بِالْبُطُورِ وَالْأَمْوَالِ كُلُّهَا لِلْوَالِدِينِ" [الإسراء].
باب: إذا أبيق العبد فهو بكفر

(۷۵) عن الشعمي، عن جربير بن عبد الله، سمعه يقول: أَيْنَ أَيَّدَ أَبَقَ من مواليه، فقد كفر حتى يرجع إليهم. قال متصور: قد والله، روى عن النبي ﷺ، وليكن أشد أن يزور عني هَذَا بالصَّرْحَة.

الشرح:

في هذا الباب حدائق:

الحديث الأول: بوَّب الإمام النووي على هذا الحديث
(۷۵/۲) باب: تسمية العبد الأبقى كافرًا.

قوله: «عَنِ الشَّعَمِي» وهو عامر بن شراحيل الشمسي، من علماء التابعين، وثقائهم المبرزين. قال مكحول: «ما رأيت أفقه منه». مات بعد المائة، روى له السنة.

قوله: «عَنِ جَرَبِير» هو ابن عبد الله البجلي من بعيلة عربية، صحابي مشهور، مات سنة ۵۵۱.


قوله: «أَيْنَ أَيَّدَ أَبَقَ» يعني: أي عبد هرب من سببه، هذا الهروب...
يعكون حرامًا وقفرًا بشرط ألا يكون سيده قد خُذبه، أو كلهه بعمل لا يقدر عليه، أو ظلهه وضره، يعني: ألا يكون مظلومًا، إنما هرب من سيده بغير ظلم منه، فإن هذا العبد يكون قد كفر.

ما معنى فقد كفر في هذا الحديث؟ الجواب: هو شيئًا بما جاء في الباب الذي قبل السابق، وهو قوله: عليه الصلاة والسلام: "الاثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنباحة على الميت" وقنا: إن هذا العمل كفر يعني: ليس من أخلاق المسلمين، ولا من أعمالهم، إنما هو من أعمال الكفار وأخلاقهم، وأخلاق أهل الجاهلية، هذا معنى الكفر في هذه الأحاديث وأشباهها.

وقال بعض العلماء: أي أن هذا العمل يؤدي به إلى الكفر، يعني: أن هذا من الكبائر التي قد تقوم إلى الكفر، وقال آخرون: الكفر هنا هو كفر النعمه؛ لأن العبد ما دام عند سيده، فهو في ضمانه، وفي حمايته، وفي رعايته، قد ضمن طعامه وشرابه وماواه، فإذا هرب من سيده بغير ظلم منه، يكون قد كفر هذه النعمه، وهذا أيضًا قول ووجه.

فوله: "قد كفر حتى يزوج إليهم" يعني: حتى يرجع إلى مواليه، والمولي من كلمات الأضداد، المولي يطلق على السيده، ويطلق على العبد، وله إطلاقات كثيرة غيرها: فباطلق على الناصر، وعلي ابن العبد، والمعنى، والمعنى وغير ذلك، فهو في كفر "حتى يزوج إلينهم" يعني: حتى يتوب من هروب وإباحة، ويرجع إليهم.

فوله: "قال منصوص" وهو أحد رواه، ابن عبد الرحمن الغداني الأشل، والله ابن معين، وأبو داود، وقال الحافظ: صدوق يهيم، وم.
قوله: "قد والله روى عن النبي ﷺ" يعني جرير قد روى هذا الحديث مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

قوله: "ولكي أن روى عن هنثا بوضرة" يعني: كرى أن يروى عنه هذا الحديث في ذلك الزمن بالبصرة، والسبب: لأن هناك من أهل الأهواء من يستدل به على ضلالة، ولقد كان الذي ضل في أسماء الإمام والذين طائفتان: الخوارج والمرجئة، وأسماء الذين والإيمان هي: مسلم، كافر، فاسق، عاص، هذه هي أسماء الذين والإيمان، وهي التي سمي الله بها الناس، يعني: الله ﷺ في كتابه لم يقسم الناس إلا إلى هذه الأقسام، لا تجد في كتاب الله تعالى اسمًا لقبيلة، ولا اسمًا للجنس، ولا اسمًا لثرب، وإذا تجد أسماء الذين والإيمان: المسلم، المؤمن، العاصي، الكافر، الفاسق، الظالم، هذه هي أسماء الدين، وهي التي يجيب أن يربط بها المسلمون، وأن يفرق لأجلها الناس، فإن الدين فوق بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، فقال سبحانه: "أنجعل الساعة كتعتيمين مكرونين [المائدة]، وغير ذلك.

فإحالة أنه قد ضل في هذه الأسماء طائفتان: المرجئة الذين قالوا: لا يضرو مع الإمام عمل، فما دام أن الإنسان مؤمن مسلم لا يضره ما عمل من الكبائر!

والطائفة الثانية: هم الخوارج والمعتزلة: الذين أخرجوا صاحب الكبيرة من الإمام! ولذلك كرى منصور أن يروى هذا الحديث عند أهل الأهواء، خشية أن يستدلوا به على باطلهم.
(58) عن جبرير بن عبد الله ﺑﻦ ﺑن سعيد، عن النبي ﷺ قال: "إذا أتبعت أيبًة
لم تقبل له صلاة".

الشرح:

الحديث الثاني: حديث جابر

قوله: "لم تقبل له صلاة" هل المعنى: أنه يخرج من الدين بالكلية،
فيعتبر كالكافر الذي لم صلى لم يقبل الله له صلاة؟ هذا قول له بعض أهل
العلم، لكنه ليس هو المراد بهذا الحديث على القول الصحيح، وإنما
المقصود أن هذا عبد الذي هرب من مواليه وهو ظالم، لم يؤده ولم
يظلموا ولم يضربوه ولم يحملوه من العمل ما لا يتحمل، وإنما هرب وهو
ظلم، فإن هذا العمل كبيرة عظيمة فيها كفر للنعم، وهي منعه لتراب
صلاة ولو صلى، أي: هذا العمل يمنع قبول صلاته؛ لأن صلاته مفترضة
بفعضيته، بصلي وهو في حالتين، يعني: بصلي وهو مرتقب للمعصية،
والصلاة إذا استجابت شروطها، وانتفت عنها منعواها، فهي صلاة
صحيحة، والكلام هنا ليس عن الصحة وعدم الصحة، وإنما الكلام عن
القبول وعدم القبول، فالرسول ﷺ قال هنما: "لم تقبل له صلاة" يعني: أنه
إذا صلى سقط عنه إثم المؤاخذة بترك الصلاة، لكن لا ثواب له في صلاته؛
لأنها مفترضة بمعصية تمنع عنه اللباب، وهذا هو ظاهر في الأحاديث منها:

ما أخرجه مسلم أيضاً في صحيحه: وهو قوله: "عليه الصلاة والسلام";
من أيه عرفاً أو كاهنًا فسالم عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا"
معنى: إذا سألت الكاهن الذي يدعى معرفة الغيب، كمن يدعى معرفة المكان الذي وضع فيه المال المسروق، أو الكاهن الذي يدعى أنه يعرف الخير لك أو الشر، لم تقبل لك صلاة أربعين يومًا، عقوبة لك!

ومثل هذه المسألة: مسألة الصلاة في الدار المغوصية، فمن غصب بيتًا مثلاً، دون الورثة، واستأثر به، كما يحصل في كثير من الأحيان، يموت النبي عبنت وأملاك، ولكن أحد الورثة كبار في السن بالغالب، والباقيون صغار، فاستأثر بالملك دونهم، ونأخذ الميراث، ويسكن في الدار، ويبقى الآخرة الباقيون لا شيء لهم، فطائفة من العلماء رأوا أن الصلاة في الدار المغوصية: غير صحيحة، ليست غير مقبولة؛ وإنما غير صحيحة، والسبب كما قالوا: لأنها تتكرر بالمخصصة، إن كان يقوم ويركع ويسجد ويقعد وهو عاصٍ كيف تقبل صلاته؟ وكيف تكون صلاته صحيحة؟ وهذه رواية عن الإمام أحمد: أنه رأى أن الصلاة في الدار المغوصية باطلة، وهو معيب الظاهرية كاين حزم، فقال: كل من صلى وهو متلقيٌ بمعصية، صلى باطلة، مثله: رجل صلى وهو يلبس خاتم الذهب أو صلى وهو يلبس الحرير فهو في صلاته مقترن بمعصية، لكن الصحيح الذي عليه الجمهور الفقهاء والعامة: أن الصلاة لها شروط وموانع، فإذا استج معروفة شروطها، وانتفت عنها مواجعها، فإنها صلاة صحيحة بالنظر إلى وجود الشرط وانفاء الموانع، أما عدم القبول في هذا أمر آخر، وهو لا شك شديد؛ لأن الله تبارك وتعالى قال: "إِنَّمَا يَتَّقِبُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (المائدة)، يعني: القبول للأعمال الصالحة فإنما يحصل للذين اتقوا الله في أعمالهم، والله يقول: "كُلُّ مَا أَطْلَقْتُ وَأَخَذْتُ وَأَنْفَقْتُ مَا قَدَّمْتُ لِفَرْعَوْنَ وَلَنَفْعَلْ مَا أَنْفَقْتُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْفَعْنَا اللَّهَ إِلَّا مَا عَلَّمَنَا اللَّهُ غَيْرَ ذَاتِ يَدٍ" (الأعراف).
شرح كتاب الإمام من مختصر صحيح مسلم

فأمر بتعويز الله قبل العمل، فقبل أن يدخل إلى العمل: نظر هل عدنك مصيبة تمنحك من ثواب العمل الصالح، فليس كل من صلص صلصاً. متى؟ ولا كل من صام فقد صام؟ ولا كل من صبت أو جاهد أو طلب العلم حصل له الآخر والثواب؟ فقد يوجد من الكبار ما يمنع ثواب هذه الأعمال الصالحة.

إذا صلالة الآمن إذا استجفت الشروط، وانتفت الموانع فهي صلاة صحيحة، لحن غير مقبولة لأفرائها بالمعصية.


ويستفاد من هذين الحديثين: أن بعض الذنوب تكون مانعة من حصول الآخر والثواب، ولو قام الإنسان بالعمل الصالح وفق الشروط وانتفاء الموانع.

وفي الحديث أيضًا: أن للذنوب والمعاصي شؤمًا، ومن شؤمها:

حرمان رحمة الله وثوابه.

وأيضاً: أن للإنسان أن يكتم بعض العلم، إذا رأى أنه يُفهم مهمًا سيئًا عند بعض الناس، وهذا مره معنا، وقلنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال له عمر: لا تبشرهما فيكلاوا، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله...»
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

صادقًا بها قلبه، دخل الجنة فقال: «لا تبشرهم» فوافقه، فمن العلم
إذا ما يفهم خشية أن يقصر عنه فهم بعض الناس، فليس كل ما يقول،
هذا والأمر كما قال عبد الله بن مسعود: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا
تبلغ عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة». فلو جئت إلى عوام وحدثتهم بأمور
من الشبهات أو من الاختلافات، ربما يكون لبعضهم فتنة تعظم في قلبه،
وربما يحمله ذلك على الإتحاد في دين الله! أو الشك والريبة.

*** ** **
باب: إنما ولي الله وصالح المؤمنين

(59) عن عمورو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارًا غَيْر
سيّر يقول: «اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَيْهِ يَتَوبُونَ. إنّي أُذنِبُكُمْ، إنّي لأَلَا اللَّهُ وَلَيْلَيْ الله،
وصالح المؤمنين».

الشرح:

الحديث يُبَوَّب على الإمام النووي في كتاب الإيمان من الصحيح، باب: موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، أي في
الولاء والبراء.

عمرو بن العاص هو ابن واثِل السهيمي، الصحابي المشهور، آصل عام الحدبيبة، وولي إمرة مصر مرتين، وهو الذي فتحها، قال فيه النبي ﷺ: «أسلم الناس، وأمن عمرو بن العاص» رواة أحمد، والترمذي، وهو حسن.

مات بمسير نيف وأربعين، وقيل: بعد الخمسين.

يخبر أنه سمع النبي - عليه الصلاة و السلام -: «جهارًا غَيْرِ صَرِّحُ» وهذا وصف لحال الكلام الذي تكلم به النبي - عليه الصلاة و السلام -. ووصف الكلام أو الحالة، من الشواهد على صدق المتحدث، والأمامات على أنه
مُحَفَظ ولم ينصل؛ لأنه إذا تكلم بالكلام ولم يذكر له قربة ولا حال، فقد
يطرأ الشك إلى حفظه، لكنه هنا ذكر قربة تدل على استحضاره للمجلس
الذي حدث به النبي - عليه الصلاة والسلام. هذا الحديث، وأن ذلك كان
في حال الإعلان والجهار.
قوله: «يُغَيِّبُ فَلَانَا» هذه من بعض الرواة، وليس من حديث النبي ﷺ. فالرسول ﷺ قد سأله، لكن الرأي ترك تسميته، خشي أن يسميه فتترتب عليه فساده، إما في حق نفسه، وإما في حق غيره، فكأنه ولم يذكر اسمه، وهذا من حكمة، فالرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام. كان من هده أن يُجَدَّر من المعاصي، ومن الأحداث، ومن الذنب، من غير أن يُشَّعِّي أصحابها، فكثيرًا ما تسمع في الأحاديث أن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام قال: «ما بال أقوام يقولون كذا...»، «ما بال أقوام يفعلون كذا...» ولا يسيئهم؛ لأن ترك التسمية فيه عدء منافع وفوائد، منها: أنك إذا سقّيت صاحب الحدث أو صاحب المعصية والذنب، تكون قد شاركت به، الناس، والإنسان إذا اشتهي الناس بمصيبة يصعب عليه أن يرجع عنها، ولأن في ذلك أيضًا: إعانة للشيطان عليه، فإنه يقف له بطريق التوبة، إذا أراد أن ينوب، يقول له: كيف تترك، وأن ي求め بكذا وكذا بين الناس؟ وهذا أيضًا يُؤخذ من حديث الرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام. لما أرضي له برجل كان يشرب الخمر كثيرًا، فلم يجَلَّد سبب أحد الصحابة، قال: عليك لعنته الله، قال: عليك الصلاة والسلام: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيك»(1)، وأيضًا: في ترك التسمية ترك لفظة قد تعق، فإنه إذا سمع الذي ذكر اسمه على المنبر، أو في الدروس، أو في الموعظة، وهو ذو سلطان، أو ذو جاه، أو ذو نسب وعشرة، فقد يجر ذلك إلى شنف، فيستعدي عليك بنو قومه أو قبيلته، أو يستعمل سلطانه واجهه في الإضرار بالمتكلم، أو يمنعه من الكلام على المنبر أو الدروس، كما حصل أن كثيرًا من الخطايا. هداهم الله. لما تكلموا

(1) رواه البخاري في الحدود (67، 75) من حديث أبي هريرة ﺭ.
بأسماء بعض العصاة، كان سببا في إيقافهم عن الخطابة، أو منهم من الدروس، لكن إذا كان الرجل المشهور بالإلحاد أو باللفاق، قد تزود على الكثير والتفاق والإلحاد، ولا مفسدة في ذكره باسمه، فهذا لا حرج
بتسميته، كما قال عليه الصلاة والسلام: "من لكبر بن الأشراف؟ فإنه آذى الله ورسوله فذكره باسمه، لأنه كان رأسًا من روؤس اليهود، ومنافقًا
من منافقينهم، وكان يؤدي النبي عليه الصلاة والسلام، وبذيب بنساء
المسلمين.

أما أهل الإسلام، فالأحسن والأولى أن لا يذكروا بأسمائهم، وإنما
تذكر المعصية التي انتشرت، دون نسبتها إلى شخص معين، لذلك الراوي
هنا قال: "آلا إن آلل أبيب" وسكوت، ولم يذكر الذي ذكره النبي عليه الصلاة
والسلام، وقد قال: إنه قد تمسكًا من عقيل، من بني عمته، لأن
عقبلا كان أعلى لعليه، لكن الراوي ترك تسميته للمصلحة.

قوله: "لُبسَوا لي يأولِيَة" أي: لست وليًا لهم، ولا هم بأولئك، مع
أنهم يشتركون معه في النسب والقربة! لكنه - عليه الصلاة والسلام - تبرأ
منهم، وقاتله جهارًا غير سرح، ليبين أن القريب عنده وعند الله تعالى،
والرفع في المنزلة، إنهما هو صاحب الإيمان والعمل الصالح، وأما من يبطأ
به عمله، فإنه لا يسرع به نفسه، كما صح عنه ذلك. أي: من كان يبطأ
عن طاعة الله تعالى ورسوله، فإن نبى لا يقره إلى الله زلفى، وهاهنا
الرسول يبرأ من قريب له.

قوله: "إِنْمَاِ وَلِيَّ اللَّهُ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ" يخبر الرسول - عليه الصلاة
والسلام - أن الله تعالى ولي له، والولي بمعنى الناصر والمحب، فله تعالى

لمَّا يُلْعَبَ
يحب أولياءه من المرسلين وأتباع المرسلين، وهو ناصرهم، وهو الذي يدافع عنهم، وصالح المؤمنين أيضا أولياء الله تعالى، ولو كانوا بعيدين منه في النسب، فمن كان من الصالحين فهو من أولياء الله تعالى، وأولياء رسول الله، ولو كان بعيدا منه في النسب، وأما من كان بعيدا عن العمل الصالح والإيمان، فإنه ليس من أولياء الرسول ولو كان قريبًا منه في النسب.

ولا يخفى عليكم أن الله تبارك وتعالى قد أنزل في عهد العزي بن عبد المطلب الشهر بأبي لهب، أنزل في ثله وذمته سورة تعلى إلى يوم القيامة، وهو عم من عمائه - عليه الصلاة و السلام - أنزل قوله تعالى:

{إِنَّ الْيَوْمَ لَيَوْمٌ ثَالِثٌ مَا أُنْفِقَ مِنْهُ مَأْتِينَ وَأَتَى الْحَدِيثُ لَا يَضِلُّ عَنْهُ حَدِيثٌ ثَانِيٌّ}

[المد.]  
والمؤمن أيضًا يجب عليه موالاة المؤمنين، ولو كانوا بعيدين منه في النسب، ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا قريبين له، أبو أو أخا أو أبى، وهذه من أصول الإسلام العظيمة: الولاء والبراء، أن تحب في الله، وأن تبغض في الله، وقال علی الصلاة و السلام - في هذا: - من أحب الله، وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمال الإيمان).

وفي رواية: (وأنكح الله)، فهذه يدل على أن الإنسان إذا ارتبط أعماله بالإيمان، فأحب أهله وأبغض أعداءه، فقد استكمال الإيمان.
وقال عليه الصلاة والسلام - أيضًا في الحديث: (أولث عرى

(1) حديث صحيح، رواه أبو داود (4681/15) وغيره من حديث أبي أمانة عليه.
شرح كتب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

الأيمان: الحب في الله، والبغض في الله (1)، وفي رواية: "والموالاة في الله والمعاداة في الله" (2).

فتنول من تولى الله ورسوله المؤمنين، وتبثروا من أعداء الله تعالى، وأعداء رسول الله ﷺ والمؤمنين، هذا هو الموقف الإيماني الذي يحبه الله تعالى ويرضاه من المسلمين، والآيات في هذا كثيرة في التحذير من مخالفة هذا الأصل، فقد ذكر الله تعالى موالاة أهل الإيمان لبعضهم البعض في قوله:

"والموالاة والموصى بِبعض أُولِيَائِكَ بعضًا يَأْمُرُونَ بِالْإِصْلاَحِ وَيَنْهَوْنَ" (النور: 71).

وقوله: "إِنَّ أَلَٰٓيَةَ مَاتْوَوْاَ وَهُمْ جَاهِرُوا وَمَتَّعُواْ أَمَّاَوَاهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ فِيِ سَيِّئِ اللهِ وَأَلَٰٓيَةَ مَاَوَوْاَ وَحَيَّزُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ" (النور: 72).

وقال تعالى بعد ذلك: "وَأَلَٰٓيَةَ كَفَّارٌ بِبعض أُولِيَائِكَ بعضًا إِلاَّ مَعْلُومَ" (النور: 73) [الأنفال]. يعني: إن تركتم الموالاة، ولم تنصروا إخوائكم المسلمين، وأسلمتموكم الكفار الذين هم أولياء، بعضهم لبعض، وهذا مشاهدُ الكفر في كل زمان، ينص ببعضهم بعضًا على المسلمين، فإذا أتم أسلمتم المسلمين البعدين عنكم الكفار، كان في الأرض فتنة وفساد كبير، أي: تَتَسلَّخُ الكفار على إخوائكم الضفءاء، كما هو حاصل في بعض البقاع اليوم، ولا حول ولا قوة إلا الله، وإننا الله وإليه راجعون.

***

(1) حديث صحيح لطربق، رواه أحمد (4/386)، وابن أبي شيبة في الإيمان (11).

(2) رواه الطيالسي (8/276) والطبراني في الكبير (11537) وغيرهما، ونظر الصحيحه (724).
باب: جزاء المؤمر بحساناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكفار في الدنيا

(60) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطف بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر: قيظيم يحسنات ما عمل بها في الدنيا، حتى إذا أفتش إلى الآخرة، لم تكن له حسنات يجزي بها".

الشرح:

هذا الحديث أوردته هنا المنذر في مختصر مسلم الذي هو من صنعه في كتاب الإيمان، ولكن الإمام مسلم ﷺ، إنما أخرج هذا الحديث في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، وأوردته النووي تحت هذا الباب نفسه.

فوله: "عن أنس بن مالك" الصحابي المشهور، وهو أحد الصحابة السبعة الذين رواوا عن النبي ﷺ فوق الألف، كما قال الناظم: سبع من الصحاب فوق الألف قد روا من الحديث عن المختار خير مضي

أبو هريرة سعد جابر أنس صديقة

وابن عباس كان ابن عمر

وسعد هو أبو سعيد الخدري، والصديقة هي عائشة ﷺ.
وأنشأ قد دعا له النبي عليه الصلاة والسلام: بطول العمر ومئة المال والولد، فإنما أكثر من مائة سنة، وهو من أخر الصحابة المشاهير موتاً، إلا أنه قد تجب بعده: الطفيل بن عمرو الدوسري هو آخر الصحابة موتاً، لكن أنس آخر مشاهير الصحابة موتاً، وكان قُرر نخله يمر في السنة المئتين، ببركة دعا النبي عليه الصلاة والسلام، وبلغ ولده أكثر من مائة ولد، روى له السنة.

قوله: إن الله لا يظللم مؤمناً البطل يأتي به عنى: النفس، وحقيقة الظلم على الله تعالى مستحيلة، كما قال: إن الله لا يظلم الناس شيكًا [يونس: 44]. قال مهاجر: إن الله لا يظلم قائلًا ذروة وإن الله حسنًا يصنع له وقوته من له لأمره عظيمًا [النساء]: فله تعالى لا يظلم، يعني: لا ينقص الناس شيء ولا مثال ذروة، بل إن كانت حسنًا يضاعفها، وفي الآية الأخرى: فئن يظلم يظلم ذروة سهيلة [الرازق].

فإن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطي بها في الدنيا، يعني: أن المؤمن يعطي من سعة الرزق، وانتشر الصدر، وقوأة البدن، والعافية في الولد والأهل والمال، وحسن السمعة والسيرة بين الناس، وغيرها من أسباب السعادة، ما يجعل الله تعالى بها حيائه طيبة، كما وعد قال: من عقل سليماً شيكًا أو أبي أني ويوه مؤمن فنفرغره حيزة عيشية ولونجرغره أجريهم باحسن ما صمدوا يعتمدون [النحل]. فمن الخطا إذا أن نظن أن غير المؤمن أحسن عيشًا من المؤمن! وهو خطاً شائع عند كثير من الناس.

نقول: هذا خطأ! لأن الله تعالى قد بَن بأن الحياة الطيبة إنما تكون
لأهل الإيمان، وأما أهل الكفر والص镳، فقد تتبعهم الله بالضيق والشدة والبلاء، والقحط والسنين، والصائب والكوارث في الدنيا، قال تعالى: (أصابهم سينانًا ما عملوا وحاق بهم ما كانوا أتقنوا) [المت]. وقال: (وَمَا أَصْبَحْنَكُمْ فِينَ ٱلسَّيِّمَا ۖ كَسَبَّبَتُ أَمْيَلْكُمْ) [المدّد: 30]. وغير ذلك من الآيات التي ندل على أن الكافر يضيق عليه عيشه، كقوله: (وَمَا أَعْرَضْ عَنْ ذَٰلِكَ ۖ إِنَّ ٱللَّهُ ٱمْيَدِدَهُ صَدَقًا وَعَتَّٰهُ) [الله].

لكن لا يمنع هذا أن نرى بعض الكفار أكثر مالًا من المسلمين، أو أكثر ودًا، أو أعيرًا جامًا، لكن ليست هذه هي السعاده ودحاها، فليست هي بجمع المال ولا بكثرة الولد، فما لم يكن هناك انشراح صدر، وطمأنينة بالر، وسكون قلب، لا تصلح الحياة، وإلا فله الله علية بماذا تضرر انتحار بعض أصحاب الملاليين؟ مع أنهم أوعسي الناس رقأً، ومع ذلك يقدمون على الانتحار، فهل هذا إلا دليل واضح على أنهم ليسوا بحياة طيبة! لإعراضهم عن الإيمان والعمل الصالح؟

فوله: (وَيُخَرِّبُ يَّاهَا ٱلْآخِرَةُ) قد يمنع المؤمن بعض آثار حسناته، ليجري بها في الآخرة، فلا يعني كل شيء في الدنيا، ولذا قال: (الدنيا سجن المؤمن وجنينة الكافر) (1)، فالدنيا بالنسبة للآخرة سجن المؤمنين، إذا قُسِّمت الدنيا المومن إلى آخرته فإنها سجن، أما إذا قسمت الدنيا الكفار بالنسبة لآخرتهم، كانت نعيمًا وجنينة.

ويذكر العلماء في هذا المجال قصّة الحافظ ابن حجر، وقد كان كبير

(1) رواه مسلم (4/2772) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
فداء مصر وكان له موكب، عظمي إذا خرج إلى مجلسه، فمشى يومًا في السوق فلعل به يهودي زيات، فقال: أنتم ترون عن نبيكم أنه يقول: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"، فانظر إلى ما أنت فيه، وإلي ما أنا فيه! فقال له الحافظ ابن حجر عليه السلام على البديهة: ما أنتم فيه الآن بالنسبة إلى الآخرة جنوة، وما أنا فيه من الخير والنعم سجن بالنسبة إلى الآخرة.
فعتقد ذلك شهد شهادة الحق وأسلم، لهذا الكلام العجيب.

وهكذا الحجة إذا توجهت من إمام عالم بالشريعة أفتحم خصوم الإسلام وأعداءه، وجزاء المؤمن في الآخرة أعظم وأدوم وأعلى بلا شك من جزائه في الدنيا.

فوله: "وأنَا الكافر: قِتْطُّونِي يَحُسنَاتِي ما عَمِلْتُ بِهَا اللَّهُ في الدُّنِيَا" الكافر
بمقتضى اعتقاده في بعض الأحيان أنه يعمل هذه الأعمال الله، لا يريد من الناس جزاء ولا شكرًا، مثل: صلة الرحم، والعتق، والصدقة، والضيافة، وتسهيل الخيرات لبعض الناس، فإذا فعل الكافر مثل هذه الحسنات، فإن الله يُطمبه بحسنات ما عمله في الدنيا، فيعطيه الله ثمرات هذه الحسنات في الدنيا كله، فلا يبقى له في الآخرة حسنة، ولهذا يُمسح عليه في رزقه، ويبارك له في أمره، ولكن في الآخرة ليس له حسنة.

وقد أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفر لا ثواب له في الآخرة، ولا يُجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا، ولو عمله متفرغًا إلى الله، ما دام أنه لم يؤمن، والسبب الذي منع هذا الكافر أن تكتب له حسنة في الآخرة هو: أن العمل قد شرطًا لقبوله، وهو الإيمان، وهذا مقرر في كتاب الله سبحانه، قال الله تعالى: "وَمَنْ عَمِّلَ صُدْرًا كُنْتُمْ فِي نَّجْحِكُمْ أَوْ"
Χρήση ιστοτόπου Μουσουλμάνου με Μικρό Κρυμμένο Σωστήγεν

أَمَّنِ يُقَلُّ مِنْ الصَّالِحِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَحَافِزُ عَلَّمَا وَلا هَضْسَا (69) [VIDIA], فَغَيْرُ الصَّالِحِينَ لا يَكُن لَّهُمُ حُسَنَتَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. أَوْلَٰٓيْهِ الْأَلَّذِينَ لَيْسَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَسْتِرْهُمْ وَكَيْفَ مَا صَنَعَُهُمْ وَبَعْضَ مَنْ أَكَابَاهُمْ (36) [مواد].

وَمَعْنَا حَدِيثِ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَانِ الَّذِي كَانَ يَتَصَدَّقُ وَيَطَّعُ وَيَعْتَقُ،

فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ: "هَلْذِكَ نَافعُ فِي الْآخِرَةِ؟" فَقَالَ: "لَا، إِنَّهُ لَا يَقِلُ يَوْمَهَا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِينِي يَوْمَ الْبَيْنِ", يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ ثَوابِ عَمْلِهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَفِي رِوَايَةِ زَادُ: "وَأَمَا الصَّالِحُ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ لَهُ حُسَنَتَهُ فِي الدُّنْيَا،

ويَعْقِبُ رَزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ.

أَمَّا إِذَا فَعَلَ الْكَافِرُ هَذِهِ الْحُسَنَتَ كَصَلَةِ الرَّحْمٍ، وَالْمَدَةُ، وَالإِنْفَاقٌ

عَلَى الْعَفَا، ثُمَّ أَسْلَمْ، فَإِنَّهُ يَثَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، كَمَا سَيْأَتُي إِن شَاءَ اللَّهُ

فِي حَدِيثِ حَكِيمٍ بْنِ حُزَامِ، إِذْ قَالَ: يَا رَسُولُ اللَّهِ، أَرَأَيتُ أُمَّامًا كَتَبَ أَنْ تَحْتُ البِيْتِ بِالجَاهِلِيَةِ، مِنْ صِبْرِ الرَّحْمَةِ وَالْجَعَلَةِ، فَقَالَ لِهَا: "أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَمْتَ مِنْ خَيْرٍ", فَإِذَا أَسْلَمْتَ الْكَافِرُ فَإِنَّ الأُمَامَاتِ الصَّالِحَةِ بِالرَّحْمَةِ وَبِعَبْدِهَا، وَهُوَ يَغْفِرُ لَهُمُ الْعَبَادُ.

فَيَسْتَفْدَاءُ مِنْ هَذِهِ الْحُدِيثِ: أَنَّ الصَّالِحِينَ شَرَطُ لِكُلِّ عَمَلٍ الصَّالِحِ.

وَأَنَّ غَيْرَ الصَّالِحِينَ لَا يَأْجُوُنُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا يَعْجُلُ لَهُمَّ
طياتهم في الحياة الدنيا، ومن هناثا خاف بعض السلف من الصحابة وغيرهم
من كبرة الأموال وسعة الأزراق في الدنيا، كما جاء في حديث البخاري:
أن عبد الرحمن بن عوف كان صائمًا فحضر وقت إفطاره، فجلس على
المائدة فرأى فيها ما طاب من الطعام، فذكر حام الصحابة، فقال: "منا من
مات ولم يأخذ من ديناه شيئاً، منهم مصعب بن عمير، فقد قال يوم أحد,
وما وجدنا ما تكفيه فيه إلا بردة، إذا غطينا رأسه برد رجلاه، وإذا غطينا
رجلية بدأ رأسه، ومنا من فتحت له الدنيا فهو يقطعها، ثم يكي، وقال:
أخشي أن تكون قد عجلت لنا طياتنا في الحياة الدنيا، ثم قام وترك الطعام
وأرضاه.

وفي هذا الحديث: أن الظلم حقيقة مستحيلة على الله ﷺ؛ لأن
الرسول ﷺ عليه الصلاة وسلم - قال: "إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة.".
وفي أيضًا: أن المؤمنين أحسن الناس عيشًا في الدنيا، وأطيبه، بله
 الآخرة.

** ** **
باب: الإسلام ما هو؟ وبيان خصائصه


الشرح:

هذا الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ووبع عليه النووي.

(116/1): باب الصلاوات التي هي أحد أركان الإسلام.

وفي هذا الحديث من العرب:

قوله: «من أهل نجية» وهي المنطقة المعروفة في وسط الجزيرة.

قوله: «تأثر الرأس» يعني: منتفش الشعر أو قائم الشعر.

وقوله: «سمع دوي صوته» دوي الصوت: بعد الصوت في الهواء، أي أنهم يسمعون لصوته فوهة وشدة، ولكن لا يفقهون ما يقول؛ لأن الرجل كان أعراضاً من نجد.
وهذا الرجل جاء إلى النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام. وقد سمع بالإسلام، فسأله ﷺ وقال له رسول الله ﷺ: "connexion... صلوات في اليوم والليلة" سأله عن الإسلام، ماذا يجب عليه فيه، فأخبره الرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام أن عليه خمس صلوات في اليوم والليلة، وهي الصلوات المكتوبة.

قال الرجل: "هل عليّ غير هؤلاء؟" قال ﷺ: "لا، إلا أن تطوع".

تطوع أصلها: تتطوع، فأدغمت إحدى التامين في الطاء. وقوله ﷺ عليه الصلاة والسلام: "إلا أن تطوع" استثناء منقطع، يعني:

لكن يتحب لك أن تتطوع، خمس صلوات فرضهن الله عليك في اليوم والليلة يجب عليك القيام بهن، لكن يتحب لك أن تتطوع، وبعض العلماء جعله استثناء متصلًا، واستدلو به: على أن من شرع في صلاة نافلة أو صوم نافلة فإنه يجب عليه اتمامه، وضعوا إلى ذلك حجة أخرى، وهي قوله ﷺ:

"لا يتقبل أعملك" [يضاف]

[محمد]، لكن الراجح في المسألة: أن من دخل في صلاة نافلة أو صيام نافلة يتحمل له اتمامه ولا يجب، وهذا مذهب الشافعي والإمام أحمد رحمهما الله تعالى، ما عدا الحج والعمرة، لقوله ﷺ: "فأُنشئ蜗" [البقرة: 196]، ثم قال له ﷺ: "علي الصلاة والسلام: "فوصينام... شهير رمضان" فقال: هل علي غيره؟

قال ﷺ: "لا، إلا أن تطوع"، وذكر له رسول الله ﷺ الركاء، فقال: هل علي غيرها؟ قال ﷺ "لا، إلا أن تطوع"، قال: فأدب الرجل وهو يقول: والله لا أريد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله ﷺ: "أفلح إن صدق".

وفي رواية: "أفلح وأبيه إن صدق، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق". 

المصدر: قلعة أنس محمد بن سعد
هذا الفلاح، هل هو راجع إلى الجمع، كما هو ظاهر في قوله: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص؟ أو هو راجع إلى قوله: ولا أنقص؟! ظاهر الرواية أنه عائد إلى المجموع، بمعنى: أنه إذا لم يزيد ولم ينقص كان مفضلًا؛ لأنه أثى بما وجب عليه، ومن أثى بما وجب عليه فهو مفضل، لكن هذا لا يعني أنه لو جاء بزيادة لا يكون مفضلًا، بل هذا معروف بالضرورة، فإنه إذا أفلح بأداء الواجب، فهل لا يفلح إذا أدى الواجب وزيادة من المستحب؟ بل من أفلح بالواجب وحده، أولى بأن يفلح بالواجب والمندوب.

فإن قيل: كيف قال له الرسول - عليه الصلاة والسلام -: "أفلح وأبيه إن صدق"؟ وهو قد قال: لا أزيد على هذا، والحديث ليس فيه جميع الواجبات التي في الإسلام، ولا كل السنن!

فالجواب: أنه قد جاء في رواية هذا الحديث في البخاري، زيادة توضيح المقصود: قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشروط الإسلام، فأذبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد ولا أنقص، مما فرض الله تعالى عليّ شيئاً.

فهذا فيه الجواب.

فأولئك: أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كما في الرواية: أخبره بشروط الإسلام، أي: أخبره بجميع الواجبات.

ثانيًا: قوله: "بما فرض الله عليّ" يزول به الإشكال في الفرائض؛ لأن هذا يعني أنه شمل جميع الواجبات والفرائض في الإسلام.

ولا شك أن هذا الحديث بهذه الرواية لم يأت فيه ذكر الحج، وجاء في بعض الروايات عدم ذكر الزكاة، وفي بعضها ذكر صلة الرحم، وفي
بعضها ذكر أداء الخمس، ولم يذكر في بعضها الإيمان، فهذه الأحاديث متفاوتة في تحديد حلال الإيمان، زيادة ونقصًا وحذفًا.

وهذا التفاوت هل هو صادر من رسول الله ﷺ أو هو من اختلاف الرواة؟ الصحيح: أنه من تفاوت الرواة في الحفظ والضبط.


وهذا الحديث ليس فيه أنه يقوم بالتوافل، مع أن التوافل لها أثر عظيم، كما جاء في الحديث القدسي أن الله ﻟه تعالى يقول لملاكنته: (انظروا هل لعبد من تطوع؟ فكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك) (1).

فيكمل النقص الذي وقع في الفريضة بالتطوع الذي هو تبع للفرض، ولو نظرنا إلى فرائض الإسلام لوجدناها قد حُفت برواتب وتوافل وسمن، تكمل النقص الذي يقع فيها، وهذا من رحمة الله ﻟه تعالى بعباده، لكن الرجل قال: (ولأريد على هذى ولا أنتقص منه) فإذا هو قد اشتراط على نفسه شرطًا أنه لا يزيد على الفرائض.

والشرط الثاني: أنه لا ينقص منها شيئًا، والرسول - عليه الصلاة وبارك الله عليه.

(1) حديث صحيح، رواه الترمذي (414)، وابن ماجه (1426 – 1445).
والسلام. قال: "اقلح إني صدقة" فهو قد اشترك على نفسه على أن لا ينقص من الفرائض شيئاً، وما دام أنه لا ينقص من الفرائض شيئاً، يكون قد أتى بجميع الواجب الذي عليه، وإذا كان الإنسان قادرًا على هذه الخصلة أفلح، أي إذا كان مثلًا قادرًا إذا قام يصلي الفريضة لا يسهو ولا يلهو، ولا يدخل في موضوع غير موضوع الصلاة، فهذا لا شك أن به يجب عليه، ومن أجل بما يجب عليه فليس هو بمطالب، لكن يعرف الإنسان من نفسه أنه لا بد أن يقع منه خلل وقصير في آداء الواجب، فلذلك جعلت السنن الروابط والتوافل جواباً للفرائض، تجبر ما يقع فيها من النقص والخلال.

وأما قسمه في قوله: "اقلح وأبيه إن صدقة" فمشكلة!!
فالرسول عليه الصلاة والسلام. قد صحب عنه أنه قال: "لا تحتلقوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت"(1)، وقال: "إن الله ينهاكم أن تحلقوا بآبائكم".

الجواب عنه: أن قوله: "عليه الصلاة والسلام: "اقلح وأبيه إن صدقة" ليس حلفًا، وإنما هي كلمة جرت على لسان العرب من غير قصد لحقيقة الحلف والقسم، والنهي إنما ورد فين قصد الحلف والقسم. هذا جواب يذكره كثير من المحدثين والشراح.

وجواب آخر وهو أقصى: أن يكون هذا قبل النبي عن الحلف بغير الله، أي أن هذا قبل أن ينها النبي عليه الصلاة والسلام. عن أن يحلف الرجل بغير الله تعالى.

(1) رواه البخاري ومسلم.
وبعض الشراح قال: "فأللَّه وأبيه أصلحها. فتحملت على بعض النساخ، لكن هذا في الحقيقة يحتاج إلى إثبات ودليل.

ومن القوائد: أنه يستدل بهذا الحديث: أن صلاة الليل منسوخة
الواجب في حق الأمة، وهذا مجمع عليه عند العلماء، لكن اختلافوا في
صلاة الليل في حق الرسول عليه الصلاة والسلام. فمنهم من قال: إن
صلاة الليل في حق الرسول عليه الصلاة والسلام. واجبة لقوله تعالى:
"وَفِي الْيَتَّلُعَانِ فَهَمَا نَادَىَهُ ثَلَاثًا أَنجَاهُهُمَا أَنْ يَبْتَغُوهُ أَمْكَانًا تَمْحَورَانِ"   (الإسراء)، فقالوا: هذه الآية تدل على وجود صلاة الليل في حقه. على
صلاة والسلام.

واستدلوا به أيضًا على أن صلاة "الوتر" ليست بواجبة، وأن صلاة
العيد أيضًا ليست بواجبة، وهذا مذهب الجمهور، وخلاف في ذلك أبو
حنيفة، فذهب هو و طافته إلى وجود صلاة الوتر، وذهب أبو سعيد
الاصطخري من الشافعية إلى أن صلاة العيد فرض على الكفاية، وهو
مذهب الحنابلة. وقال أبو حنيفة: إنها فرض عين، وهي رواية عن أحمد
واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي الصواب، والله أعلم.

وفي الحديث أيضًا: أنه لا يجب صوم شيء سوى رمضان، وهذا فيه
إجماع الله الحمد، وليس فيه خلاف، وصح أنه صوم عاشورة، كان واجبًا
قبل فرض رمضان، كما في البخاري وغيره أن الرسول عليه الصلاة
والسلام. أرسى إلى من كان قد طعم فليسك، ومن كان لم يطعم فليسك
بقية يومه. وفي هذا إجاب لصوم عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، ثم صار
بعد ذلك على الاستحباب.
وفي الحديث أيضًا: أنه ليس في المال حقٌ بضعة الزكاة، وقد تعقب.
وفي الحديث أيضًا: تعليم النبي - عليه الصلاة والسلام - الإسلام للناس، إهتمامه بالجميع، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - كان يهتم بجميع الأمة، حتى بالجهلة، والأعراب، والنساء، والأطفال، والغرباء الذين كانوا يبتدؤون إليه، وهذا لعموم بعثته - عليه الصلاة والسلام -، فإن الله أرسله إلى الأبيض والأسود، والأحمر والأصفر، والعرب والعجم، والإنس والجنان، فكان - عليه الصلاة والسلام - لا يأبى أن يعلّم من جاءه، كائنًا من كان.
وفي الحديث: أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يكن له جماع يجتمع به عن الخلق، بل هذا الغريب الذي لم يكن معروفًا عند الصحابة، دنا من الرسول - عليه الصلاة والسلام - في مجلسه، حتى علمه هذه الكلمات.

***  ***  ***
باب: بُنيَ الإسلام على خمس


الشرح:

بُني الإسلام على خمس: على أن يُوحَى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج.

و فيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ: على الصلاة والسلام - أربع روافد عند مسلم.

قوله: "بُني الإسلام على خمس: على أن يُوحَى الله"، وفي رواية: "بُني الإسلام على خمس"، فرواية "خمس" المراد بها: خمس خصال، أو خمس قواعد، أو خمس دعائم، وفي رواية "خمسة" المراد بها: خمسة أشياء، أو خمسة أركان.

وفي رواية: "أн يعبد الله ويكفر بما دونه"، وفي رواية: "أн يعبد الله ويكفر بما دونه"، وفي رواية: "بُني الإسلام على خمس"، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وهذه الروايات - وإن كانت مختلفة الألفاظ - إلا أنها متفقة المعاني، فمعانيها ترجع إلى معنى واحد؛ لأن قوله هاهنا "بُني"
شرح صحيح مسلم من مختصر صحيح مسلم

الإسلام على خمس يعني: هذه هي أركان الإسلام، وأسس ودعاته التي يبنى عليها، فهي خمسة أركان عظيمة، أولها: قوله: "آن یُوحَدُ الله" يعني: أن يُعبد وحده جل وعلا لا شريك له، ويكفر بما دونه، وهذا معنى شهادة: أن لا إله إلا الله، فالله هو المعوب، فقولنا: لا إله إلا الله، يعني: لا معبود بحق إلا الله، فمن عبد أو لله غير الله فقد ظلم نفسه، فاتخاذ الله غير الله، من أبطل الباطل وأظلم الظلم؛ لأن العبودية الحقة إنها هي الله وحده لا شريك له.


هذا هو الركن الأول، وهو مكون من الشهادات: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

قال العلماء: وإنما كانا ركنا واحدًا مع أنهما من شقين؛ لأن العبادات تتبنى على تحقيقهما معًا، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله، وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن يُوحَدُ الله، وهو ما تتضمنه شهادة أن محمدًا رسول الله.
قوله: "وَقَامَ الصَّلَاةَ" أي: أن يُقيم الصلاة نائمة بأركانها وواجباتها وشروطها، ولم يقل: ويصلي، وإنما قال: "وَقَامَ الصَّلَاةَ" يعني: أن يأتي بها تامة مستقيمة ليس فيها نقص ولا عِجْج، وكم من الناس من يصلي لكنه لا يُقيم الصلاة، كما ورد أن رجلًا جاء إلى مسجد النبي - عليه الصلاة والسلام - فصلى في ناحية المسجد، ثم جاء وسلم على النبي - عليه الصلاة وسلم عليه، وقال له رسول الله ﷺ: "ارجع فصل فإنه لم تصل" فرجع الرجل فصل مرة أخرى كما صلى، ثم جاء فقال له رسول الله ﷺ: "ارجع فصل فإنك لم تصل"، ثلاث مرات، حتى قال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أحسن غيرها، يعني: هذا الذي أعرفه عن الصلاة، ولا أحسن غيره، فعله النبي - عليه الصلاة والسلام - كيف يُقيم الصلاة(1).

وهذا أمر خطير! أن لا يلفت العبد إلى كيفية صلاته، هل هي كما أراد الله تعالى، وكما شرع رسول الله ﷺ، من التكبير وقراءة القرآن كما نزل، وإقامة الركوع والطمأنينة فيه، والسجود والطمأنينة فيه، والجلوس بين السجدين والطمأنينة فيه، فتترب هذه الأركان، والإيتان بها كما أحب الله ﷺ، وبين رسوله، هو إقام الصلاة.

قوله: "وَإِبْتَغَيْتَ الزَّكَاةَ" يعني: إعطاء الزكاة، فالزكاة إعطاء، وهذا أحد ما احتج به العلماء، على أن من كان له في ذمة رجل دين، ثم عجز عن أدائه، وحلت الزكاة، فلا يجوز للإنسان أن يسقط ما في ذمة هذا الإنسان المستدين على أنها زكاة، وهذا يفعله بعض الناس، فقوله له: الدين الذي لي عليك قد أسقطته، ويحسب ذلك من الزكاة وهذا خطأ! لأن الزكاة(277/2).

(1) الحديث في الصحيحين، البخاري في الأذان (277/2).
شرح مختصر صحيح مسلم

إعطاء وليس إسقاط، قال الله تعالى: «وَأَلْتَمَّوْا الْصَّلَاةَ وَأَلْتَمَّوْا الرَّكَّةَ» [البقرة: 43]، فالزكاة إعطاء.

الأمر الثاني: أن هذا المال قد خرج بغير نية الزكاة، وإنما بنيّة السلف والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «إذا الأعمال بالنية فلا يجزئ، والعبادة لا بد فيها من النية ولا يتم تعب».

وقد قرر الله بين هاتين الفريضتين في مواعظ كثيرة جدًا من كتابة، تنبيها للعباد على عظم شأنهما عندن، وتشير ذلك لقبول إسلام من أسلم فقال: «إِنْ تَأْيَدُواْ وَأَكْثَرُواْ الصَّلَاةَ وَأَكْثَرُواْ الرَّكَّةَ وَعَنَّىٰ الْحَجَّ يُجْهَزُوهُمْ فِي الْيَتِينَ» [النور: 5]; وفي الآية الأخرى: «كَأَنْ تَأْمُرَهُمْ لِيُسْلِيمُوهُمْ» [النساء: 5].

قوله: «وَصِبَارُ رَمَضَانٍ» رمضان هو الشهر الفقري والمعرف، تارة يكون يسعًا وعسرون، ونترة يكون ثلاثين يومًا.


قوله: «فَقُولِنَّ رَجِلَ: الْحَجُّ وَصِبَارُ رَمَضَانٍ» عطّله على الحديث.

وإنما الزكاة...

قول: «أَيُّهَا الْأَيُّامُ» 

وقد سماه الخطيب البغدادي في كتابه «الأسماء المبهمة» يزيد السكسي.

وقد ورد عن ابن عمر نفسه أنه رواه كذلك، أي كما قال الرجل في إحدى الروايات الأربعة التي في «صحيح مسلم».
ويحمل قول ابن عمر ﷺ: "لا، صيام رمضان، والحج" على أمرين:

الأول: أن يكون قدص ابن عمر أي سمعته من النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام، بهذة الصورة في أحد المرات، فلا أعطى ما سمعته، يعني: فلا تزود علي ما لا علم لك به ولا تعبث.

الثاني: أن ابن عمر حدث بهذه الرواية ثم نسيها، ولذلك أنكر على الرجل.

وذكر ابن الصلاح: أن في هذا الحديث حجة لكون الواو تفضي الترتيب؛ لأن ابن عمر حافظ على ما سمع وأنكر على من عكس، وهو مذهب كثير من الفقهاء الشافعيين، وشذوذ من النحوين.

ومن قال: إن الواو لا تفضي الترتيب هو قول الجمهور، وإنما أنكر ابن عمر ﷺ على الرجل؛ لأن صوم رمضان سبق فرض الحج؛ لأن صوم رمضان فرض في السنة الثانية من الهجرة، وأما فرضية الحج فقبل سنة ست وقيل: سنة تسع، وهو الذي اختاره ابن القيم وقواه على غيره، ولو كان الحج قد فرض على النبي ﷺ سنة ست، لما تأخر النبي ﷺ على الصلاة والسلام، عن الحج إلى السنة العاشرة! لكن الحج فرض في السنة التاسعة، وما استطاع النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام أن يحج في السنة التاسعة؛ لكون مكة بها كثير من المشركين، وكان بعضهم يطوف بالبيت، وهو عريان، فأرسل عليه في سنة تسع يبلغ الناس في الموسم: "ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان")1)، ثم حج في السنة العاشرة، ومن حق الأول أن يقدم في الذكر.

1) روایة البخاري في الحج (483/3) ومسلم (982/2) من حديث أبي هريرة ﷺ.
وفي رواية لمسلم: أن رجلاً قال لابن عمر: ألا تغزو؟! فقال: ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس...»

الحديث يعني: أن الغزو والجهاد ليس من فرائض الأعيان التي تجب على كل واحد من المسلمين بعينه، ولذا لما اعترض عليه هذا الرجل قال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس...» الحديث، ولم يذكر في الجهاد ولا الغزو؛ لأن الجهاد الأصل فيه أنه فرض على الكفاية، إن قام به من يكفي من المسلمين سقط عن الباقين.

*** *** ***
باب: أي الإسلام خير؟

(٦٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَروِ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّهُ الْإِسْلاَمُ خَيرٌ؟ قَالَ: "تُطَعِّمُوْنَ الْطَعَامَ، وَتَفْرَأُوْلَاكَ الْسَلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفَتْ وَمَنْ لَمْ تَعْرَفِ".

٦ الشرح:


وقد وقع اختلاف في جواص النبي للسائلين في مثل هذه الأسئلة لاختلاف حال السائلين والحاضرين، فكان عليه الصلاة والسلام، إذا رأى إهمالًا أو تساهلًا في شيء نبأ عنه، ولقت الأنظار إليه، ولا فالإسلام خصاله كثيرة.

قوله: "تُطَعِّمُوْنَ الْطَعَامَ" في حُث على إطعام الطعام والغدود، وذلك يشمل الزكاة، والصدقة، والهدية، والضيافة، وغيرها، كما قال تعالى: "وَيَطَعِّمُوْنَ أَطْعَامَ عَلَى حَيْبِهِ" (الأنس٢: ٨). أي: يطعمون الطعام مع أنهم يحبونه، لكنهم قدوموا محبة الله على محبة أنفسهم، ويتلوون أولا الناس وأبحوجتهم إلى الطعام، لذلك قال: "فيونكموُّا وَأَطْعَامَ يَطِمُّوْنَهَا" (الأنس).
قوله: "وَتَقُرَّ أَلَآ يُنُذَّرُ وَأَلَآ يُنُذَّرُ" أي: تسلم على كل من لقيته من المسلمين، سواء عرفته أم لم تعرفه، ولا تخص به من تعرفه، كما يفعله كثير من الناس.

ولماذا خصصنا المسلمين بذلك؟ لأن عموم هذا الحديث مخصوص بقوله: "لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام"، فلا يسلم على الكافر ابتداء، لكن لو سلم علينا سلامًا صحيحًا، رددنا لقوله تعالى: "ما أنتمو على شيء إذا فعلتموه تحابين! أفسوا السلام بينكم".

وقد مر في الحديث معنا الحث على إنشاء السلام، وأنه من أسباب المحبة بين المسلمين، وهو قوله: "الانخرالا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا! ألا أذكروني على شيء إذا فعلتموه تحابين؟ أفسوا السلام بينكم".

ويلغ من محافظته على الصلاة والسلام على ذلك، أنه كان إذا مر على العلماء سلم عليهم -كما في الصحيحين- فضلًا عن غيرهم، وهو من تواضع أيضًا إنشاء السلام، وكشف الأديان من حق الطريق، كما جاء في الحديث: "فأعطوا الطريق حقه" قالوا: وما حق الطريق إلا رسول الله؟ قال: "غرض البصر، وكشف الأديان، وردد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" متفق عليه.

وقال النووي: "وفي هذه الأحاديث جمل من العلم، ففيها الحث على إطعام الطعام، واختيأ ب-flyف المسلمين، والكف عن ما يؤديهم بقول أو فعل بمباشرة أو سبب، والإمساك عن احتقارهم.

(1) رواه مسلم.
(2) هو الحديث رقم (42) من هذا المختصر.
وفيها: الحث على تأليف قلوب المسلمين، واجتماع كليتهم، وتوادهم، واستجلاب ما يحصل ذلك.

وقال عياض: والألفة إحدى فرائض الدين وأركان الشريعة، ونظام شمل الإسلام.

*** *** ***
باب: الإسلام يهجم ما قبله والحج والهجرة

(24) عن ابن شهاب المهمري قال: حضرنا عمر بن العاص وأهو في سماع عذبة المؤذن، فتبكي طولا وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أباها! أما يا رسول الله ﷺ كذا؟ أنا يا رسول الله ﷺ كذا؟ قال: فأتقي بوجه فقال: إن أفضل ما نُعْدَ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد ﷺ رسول الله ﷺ، وإن كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضها لرسول الله ﷺ مثلي، ولا أحب إلى أن أكون قد استمتعت من فقتلكه، فلما مات على ذلك الحال كننت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في تليلي أثبت النبي ﷺ فقال: ابتعد بيميك فأس拜ك، فقصمت تبتي، قال: ما لك يا عمر؟ قال: فقد أردت أن أشترط، قال: "فتخرت بماذا؟ فقال: أنا مُخْرِقِي، قال: "أنا علمن أن الإسلام يبهم ما كان قبلة؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبلة؟" وما كان أحب إلى يمن رسول الله ﷺ، ولا أحب في غنيب ومنه، وما كنت أطيق أن أسلمه من النبي ﷺ إن أصبحة ما أتقبله، فلما ألم بملته في يمن، وقلت مثلي على ذلك الحال: لхожره أن أكون من أهل الجنة، ثم ولبنا أشياء ما أدرى ما خالي فيها، فإذا أنا مثلي، فلا تضحي نبتغها، ولا تزور إذا دفعته، فقدنا على التراب سنها، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تحيز جزؤهم، ونفسهم نخصها، حتى أستطيع يكم، وأنظر ماذا أراح به رسول ربي ﷺ."
شرح مختصر صحيح مسلم

5

أخرج الإمام مسلم هذا الحديث في الإمام وياوَب عليه النووي.

(1/2) باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج.

وهو من رواية عمرو بن العاص، وعمرو بن العاص كان من دُهاء العرب رأياً وعقلًا، ويقال: إن عمر بن الخطاب كان إذا تعجب من إنسان قال: سبحان من خلقك، وخلق عمرو بن العاص! وقد وَلِي مصر أكثر من ثمانية عشر سنة لعُمِر ثم عثمان ثم معاوية، ومات سنة ثمانية وأربعين عن تسعين سنة.

فوله: «في سِيَافِيَةِ الْمُوت» في حال حضرته.


فوله: «يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ» يسقط ويمحو ما قبله.

فوله: «قُسُوْٰا عَلَى الْتَرَابِ سَنَّةً» صبه صبًّا، وروى بالمعجمة: {شَيُوْا علي النراب سانًا} أي: صبه صبًّا رفيعًا وفقي تفريق.

فوله: «جَزَأُوهَا» هِي الواحدة من الإبل؛ لأنها تجزر.

فوله: {قَبِكَى طَوْلًا وَحَوْلٌ وَجَهَّزَهَا إِلَى النَّجْدَاء} وهذا من شفته على نفسه من ذوته، رضي الله عنه وأرضاه.

فوله: «فَجَعَلْ إِيْتَهُ بِقُولٍ: يَا أَبَا بُنَائِتِ أَنَا بَشَرْكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»؟ أما بُشَرْكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَذَّبَ؟! وهذا يستفاد منه: استحبب تذكر من حضره الموت بما عمل من أعمال حسن، ليحسن ظله الله تبارك تعالى ويموت...

الحبر: يُقَارِبَ
وهو على ذلك، فذكر بآيات الرجاء وأحاديث الفواد، وبيما أعد الله نبّاك و تعالى للمسلمين عنده، كما قال - عليه الصلاة والسلام: «لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه» (1)، فإذا مات على ذلك؛ فرجي له الكريم.

قوله: «قال: إن أفضل ما تُبدِّل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحمَّد رسول الله» وهذا من باب هضمه لنفسه، وتحفيزه لعمله، مع أنه كان له جهاز، ونصرة للإسلام والمسلمين، لكنه استصغر أعماله وغلب على نفسه الخوف من الله، والتقسيع بحفظ جل وعلا، أو في حب بعض عباده، ولهذا عد أفضل أعماله هو الشهدتين.

قوله: «إِنِّي كَنْتُ عَلَى أَطِبَابِ رَبِّي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَمَا أُحَدَّ أَنْذِرُهُ لِلرَّسُولِ الْدِّينِ مِنْيَنِي، وَلَا أَحْبَبُ إِلَّا أَنْ أَكُنَّ أَكُونَ قَدْ أَتَمَّتْهُ مَنْهُ قَتَلْتُهُ» هذا قبل أن يسلم، أخبر أنه كان يغضب النبي - عليه الصلاة والسلام - عظيماً، وأنه تمنى لو أنه استمكّن من الرسول - عليه الصلاة والسلام - في قتله.

قوله: «قلو: مَعَ أَنَّكَ يَدُ اللَّهِ لَكُمْ مِنَ أَهْلِ الْقَارَ» أي: لو مت على تلك الحال، من البغض والكراهية لرسول رب العالمين، لدخلت النار.

قوله: «قلِّمَا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قُلُوبِ أُمِّيْتِهِ النَّبِيِّ، فَقَطِبَتْ ابْنُهُ بُعْلِهِكَ» أي: على الإسلام والدخول في الدين.

قوله: «قَبَضَتْ بُيُشْبِكَ، قَبَضَتْ بَيْدَيْكَ، قَالَ: مَا لَكَ بِعَمْرَوُ؟» أي: لماذا قبضت يدك؟

(1) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيهما وأهلها (4/620) من حديث جابر.
قوله: "قلت: أردت أن أشرط، قال: "يشترط پياة؟" هكذا جاءت في الرواية بإثبات (الباء). في "ماذا"، وهذا للتأكيد أي: ما هو الذي تشترطه؟

قوله: "قلت: أنت يغفر لي" وهذا يدل على أنه أقبل إلى الله تبارك وتعالى بإخلاص، وأنه يخاف أن يسلم ويبقى عليه شيء من النعمات من أعماله وهو مشرك، إذ كان يعادي الرسول عليه الصلاة والسلام.

قوله: "قل: أما علمت أن الإسلام يهدي ما كان قبلاً؟ أو الهجرة تهدي ما كان قبلاً؟" أي: أن هذه الثلاثة تهم ما قبلها من التفسير في حق الله تعالى، وكذا في حقوق عباده بالإجماع، فمن أسلم؛ سقطت عنه المؤاخذات فيما بينه وبين الله، وكذلك إن كان قد أخذ مال أحد أو وراثة، أو اغتصب مالاً في الجاهلية قبل الإسلام، فإنه إذا أسلم؛ سقطت عنه جميع النعم.

وختلف في من أسلم وفي يده مال مغصوب! فالإمام مالك ألحقه بما سبق، وقال: لأن الإجماع منعقد على أن من أسلم فإن الإسلام يهدي ما كان من تفسير في حق الله، ومن اعتداء في حقوق العباد، فلا يضمن شيئاً، ولا يقتضى منه إذا كان قد ظل أدي واحد أو اعدى، فإن الإسلام يهدي ما قبله، وهذا الأمر مستحب بما سبق، وقال الشافعي: إن كان قد أسلم وكان في يده مال مغصوب لأحد، وجب رد، وهو خلاف ظاهر هذا الحديث.

قوله: "وأنا الهجرة" يعني: الله تعالى، من هاجر من بلد الشرك إلى ديار الإسلام مهاجراً إلى الله ورسوله، فإن هذه الهجرة تهدي ما كان قبلها من الذنوب والخطايا، وتسقط عنه النعمات.
قوله: "وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا "، والحج أيضاً يُسقط ما كان من تقصير، ويُسقط ما كان من ذنب بئته وبين الله نبارك تعاوين، ويشهد لذلك قوله: "من حج البيت فلم يرث ولم يفسق؛ رجع من ذنوب كيوم ولدته أمه" (1)، وهذا على أحد القولين، في أن الحج يهدم جميع الذنوب صغيرة وكبرها، والقول الآخر: إن الحج إنما يهدم صغار الذنوب، لقوله تعالى: "إِنَّبَصَبَّيْناَهُمْ رَبَّهُمْ ٌإِنَّهُ قَبْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ" (النساء: 32)، وقوله: "الصلوات الخمس، والجامعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن، إذا اجتبت الكبائير" (2)، لكن ظاهر الحديث أن الحج يهدم جميع ما قبله من الذنوب، صغيرة وكبرها.

قوله: "وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحْبَبَ إِلَيْنِمِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ولا أَجِلٌ فِي غَيْبِهِ"، وهذا بعدما أسلم، يقول: ما كان أحد بعد ذلك أعظم في عيني من رسول الله ﷺ.

قوله: "وَمَا كُنْتُ أَطْلُبُ أَنْ أَأْمَلَ أَنْ أَعْلَمَ غَيْبَهُ مِنْ إِجَالَانِهِ اللَّهُ ﷺ. وهذا ما كان عليه الصحابة من توقيع لرسول الله ﷺ وإجلاس، حتى إن أحدهم ما كان يستطيع أن يضع عينه في عين النبي ﷺ - عليه الصلاة والسلام -، أو يجلل عينه منه إجلاسان له.

قوله: "وَلَوْ سَيَلَتْ أَنْ أَعْلَمْ مَا أَطْلُبْ" أي: لو قال له رجل: صف لنا رسول الله ﷺ ربما قصر في الوصف؛ لأنه ما كان يطبق النظر إليه، وعالج عينيه منه، وهذا أيضاً فيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من المهابة، فقد كان - عليه الصلاة والسلام - مهيباً، عظيم الجلال في نفس وعين من رآه، حتى

(1) رواه البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة ﭼ.
(2) رواه مسلم في الطهارة (20/1) من حديث أبي هريرة ﭼ.
إن كان الرجل ليبره، فترعد فرائضه من هيهته، مع ما كان عليه من المحبة في القلوب، فما كانت مهابته مقررة بالبغض ولا بالفزع، بل كانت مقررة بالمحبة له والتقدير والاحترام، وكل من آتته - عليه الصلاة والسلام - على دينه وثقوبه في رسالته، وما جاء به من عند ربه; فإن الله تبارك وتعالى يلبس ثوبًا من المحبة والمهابة في قلوب الخلق، كما ذكر ابن القيم: "إن الله يلبس علماء السنة من المهمة والمحبة في قلوب الخلق، بقدر ما عندهم من العلم والإقبال على الله تبارك وتعالى".

وهذا شيء مثير ومعناني.

قوله: "ولو مات عليه يملك الخالق لرجعون أن أكون من أهل الجنة".

يعني: لو مات في العهد النبوي، لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

قوله: "فتم لنسرن أشياؤنا ما زورنا، فل_rng في غد" إعادة إلى ما حدث بين الصحابة من أخلاق وتقنيت، وقد كان عمرو بن العاص أحد الحكّميين الذين كانوا بين معاوية وعلى رضي الله عنهم أجمعين، وهذه الأمور جعلت هذا الصحابي يخف أن يكون قد قصر في حق الله أو في حق عباده; لأنها أمور عظيمة، تمنى كثير من الصحابة لو أنه مات قبلها، فنقل عن علي بعد "وقفة الجمل" أنه قال: يا ليتي متو فقبل هذا اليوم بعشرين سنة، وسُل ذلك أيضًا عن عائشة وغيرها من الصحابة، أنهم كرموها ما وقع بينهم من اختلاف وقتل وفتن، لهذا خاف عمرو بن العاص من هذه الأمور التي تقدمت.

قوله: "فإذا أنا مات، فلا تضحي نائحة"، أما النائحة فقد ورد في الصحيح تحريم فعلها، ومر معنا أن النباحة من أمور الجاهلية، وأن النائحة
إذا لم تتب تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب، نسأل الله العافية.

قوله: «وَلَا تَحْزَنَا» قيل: إن هذا كان من شعار الجاهلية، أنهم كانوا يتبعون الجنائز بالنار، وقيل: كراهية أن يكون ذلك فيه تفاوّل بدخول النار.

قوله: «إِذَا دَفْنَتُمْنَى، فَسَكُنَّا عَلَيْنِ الرَّبَّ الْغَفُورُ رَبُّ الْعَفَاوِينَ» صبى على صب في سهولة متنقرًا.

قوله: «ئِمَّ أَقِيمُوا حَيْثُ قُلْتُنَّ» قال: ما نُنْخُرُ جِهرُ وَمُشْتَهَرُهَا، وَيُقَبِّلُهَا» أبقوا حول فوري قدر ما ينحر الواحد من الإبل من الوقت، ويقرب من عشرة دقائق إلى ربع ساعة تقريبًا.

قوله: «حَتَّى أَسْتَأْسِسَ يَكْرِمَ; وَفُلْنَ أُرِاجُعُ بِهِ رَجِبًا زَرِيًا». وفي هذا فوائد:

منها: إثبات فتنة القبر وسؤال الملوكين، وقد جاء في أحاديث كثيرة، وقد كان - عليه الصلاة وسلام - لا يصلي صلاة إلا استعاذ بالله من فتنة القبر، فقوله: «اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر...» فكان دائما يستعذب بالله من ذلك، وفي الحديث الذي في الصحيح: لما حضر جنازة رجل من الأنصار قال: «استعينوا بالله من عذاب القبر ثلاثاً»، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

ويقول أيضًا: استحباب المكث عند القبر بعد الدفن قدر ما ذكر من ذبح الجزر وقسمة لحمة، حتى يستأسس البيت، وكان - عليه الصلاة وسلام.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

من هديه أنه إذا وضع العنب في قبره لم يفاجأه مباشرة كما يفعل كثير من الناس، وإنما يقول لأصحابه: "استغفروا لأخيكم، وسألوه لنا التثبت، فإنه الآن يسأل". 

يعني: بمجرد أن يوضع في قبره ويدفن، يأتيه الملكان في جلسانه ويسألانه.


وقد يقول قائل: وهل هذا يعارض قول الله تعالى: "إِنَّكَ لَشَيْعُ الْمُوَتَّى" [النمل: 80].

والجواب: أنه لا معارضة لأن السماع المنفي في الآية هو سماع الانتفاع، وسماع الاستجابة، يعني: أن الميت لا يبتلع بما يسمع من وعظ وتذكير، ولو أراد أن يرجع ويعمل صالحًا لم يُعطُ ذلك، وإذا سماع هذا ليس في الانتفاع؛ لأنه انتقل من دار العمل إلى دار الجزاء، وهذا لا تعارض بينه وبين قول الله تعالى: "إِنَّكَ لَشَيْعُ الْمُوَتَّى".


(1) رواه الحاكم (1/11) عن عثمان بن عبيد.
 واستفاد العلماء من هذا الحديث: جواز الاشراك في الجزور، فيشرك جماعة في شراء جزور وينقسمونه بينهم بالسوية مثلًا، وينظر تفصيله في كتب الفقه.
باب: من أحسن في الإسلام فلا يؤخذ بما عمل في الجاهلية

(65) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال أنس لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! أتأخذ بِمَا عملتما في الجاهلية؟ قال: "أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤخذ بهما, ومن آتكم أخذ يعمد في الجاهلية والإسلام".

الشرح:

هذا الحديث قد رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، ووبَّ عليه النووي (136/2)، باب: هل يؤخذ بأعمال الجاهلية.

قوله "يا رسول الله! أتأخذ بِمَا عملتما في الجاهلية؟" يعني: أتأخذ بما كان من عمل وقول وسِينات في الجاهلية.

قوله "أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤخذ بهما" المراد بالإحسان هنا: الدخول في الدين والإسلام ظاهراً وباطناً، أي: من يدخل في دين الإسلام بقلبه ويسانده وجوارحه، فيكون مسلمًا حقًا، فهذا الذي يغفر له بنص القرآن الكريم، والحديث الصحيح، وإجماع المسلمين.

* فأما من الكتاب العزيز:

قال ﷺ: "قل ليدين صَفِّرْوا إن بنينوا يُفْخَرُوا نَمَّى فقد سَلَفَ" [الأنفال: 87]، وقال ﷺ: "إِن كَانُوا أَكَامُوا الزُّكَاْةَ وَاتَّخَذُوا الرُّزْقَ لَيْفَوْكُمُ في الْيَوْمِ الْأخِيرِ" [النساء: 11]، وأما من الحديث: فهما مر عليه في الحديث السابق: "أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله".
إذا من دخل في دين الله ظاهرًا وباطنًا جميعًا؛ فإنه لا يؤخذ بما عمل في الجاهلية.

أما من أساء، يعني: لم يدخل في الإسلام بقليبه، بل ظاهرًا فقط، فهو مظهر للشهادتين غير اعتقاد لمعناهما، فهذا منافق باقٍ على كفره والعيان بالله - بإجماع المسلمين، فيؤخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام؛ لأنه لم يدخل في العمل الذي يكثر عنه ما سبق منه قبل الإسلام.

** ** **
باب: سبب المسأل فسوق وقتاله كثير

(66) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: "سبب المصل فسوق، وقتاله كثير".

الشرح:

رواء الإمام مسلم في كتاب الإيمان، وثبب عليه النووي (53/2) باب: بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم فسوق وقتاله كثير.

قوله: "سبب المسأل" السبب من السبب وهو الشتم، والشتم هو التكلم في عرض الإنسان بما يعيه، وعرض الإنسان موضع الدم والمحم، ويتناول ذلك أيضا: الآباء والأجداد؛ لأنهم أيضاً موضع المحم والدم من الإنسان.


أما في الشرع: فالفسوق والفسوق: الخروج عن الطاعة الله تبارك وتعالى.

وهاهنا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحظر الفسوق، وهو حرام بإجماع الأمة، فثبب المسلم بغير حق فسوق، أما سبب من يستحق، أو ذم من يستحق الدم فلا يدخل في الفسوق، بل هو داخل في...
شرح جزئيات الإيمان من مختصر صحيح مسلم

التعزير المباح، يعني: للإمام أن يعرض ابنه بكلمة توجهه ويبسه بها، إذا رآه مقصراً، وكذلك له أن يعرض أمرته إذا رأى منها تقصيرًا في طاعة الله، والإمام له حق التعزير؛ لأن من الناس من يكيفه في التعزير كلمة، لو قلت له: ما كنت أظنك تفعل مثل هذا، ربما كنت في تعزيره.

بل من الناس من تكيفه النظرية، إذا نظرت إليه شرحاً، عرف أن غضبان عليه انتهى وترك العمل، فعليه مثلًا أعطاه النبي ﷺ حلّة ديرتاء من الحرير فليسها، فرأى فيه النبي ﷺ الغضب، فرجع من توجه إلى البيت وقسمها بين نساءه.

وكما قبل: الولد يثير بالعصا، والحرَّ تكيفه الإشارة.

فالتعزير ربما يكون بكلمة، ولا يؤخذ الإنسان بها؛ لأنها بحق، أما إذا سُبِّ الإنسان أخاه المسلم بغير حق، فهذا الذي قال عنه النبي ﷺ أنه "فُسُوقٌ" يعني: خروج عن طاعة الله تبارك وتعالى، وهذا خلاف ما تقتضيه الأخوة الإيمانية.

قال ﷺ: "وكونوا عباد الله إخوانا"، وقال ﷺ: "إني آليمون إيمانكم" [الحج: 10].

قوله: "وَقَالَتَا كَفُّرْتُمْ قتلاه بغير حق كفر؛ لأن قتال المسلم بحق جائز، بل قد يكون واجباً، قال تعالى: "وَهُمْ نَفْقَانِ السَّيْءَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمْ إِنْ بَلُغْتُ إِخْتِلَافُهُمَا عَلَى الأَخْرَى فَقَتِلُوا أَليِّ بَيْنَ يَدَيْ حَتَّى حَقَّتْ نَيْبُهُمُ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ" [الحجرات: 9] فأمر الله تعالى بقتل الطائفة الباغية، فالتقات هنا ليس كفرًا؛ لأن الله تعالى أمر به، وهو قتل الطائفة التي بُغِت على أختها، فقتال المسلم بحق لا يدخل في هذا الحديث.
ورغم قتال الخوارج، الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه، وقاتلهم بأمر النبي - عليه الصلاة وسلم -: "أينما وجدتموه، فقاتلهم"، لأنهم يخرجون على الأئمة ويتjudulون العصيان، ويكون لهم شروة، ويحرون السبيل أحيانًا ويعطونه، كما هو معلوم ومعروف عنهم قديمًا وحديثًا.

و"الكفر" هنا، هل هو الكفر المخرج من الملة؟ الذي عليه أهل الحق أهل السنة: أن الكفر هنا، ليس هو الكفر المخرج من الملة، ولا يكون كفرًا بخرج صاحبه به من الملة، إلا إذا استحلّه. فإذا رأى أن قتل المسلم خلاله، فقد ذلك كفرًا أكبر.

إذاً فما معنى: "وفتاله كفر"؟ أي: أي أساس الكفر؟، كما ترَ معنا في الحديث لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بهم ضربًا، فقتاله كفر. يعني أنه كافناء الكفار، لأن الكفار يقاتل بعضهم بعضًا، ويقاتلون المسلمين، ويستحللون دمائهم.

وأيضًا من الأقوال القوية هنا: أنه فعل تؤكَّل صاحبه إلى الكفر.

وقيل أيضًا: كفر لنعمة؛ لأن الأخوة الإيمنية نعمة عظيمة بين المسلمين، فاذَّ يبَّل ذلك بالكفر، يكون قد كفر هذه النعمة، والإحسان الذي ينبغي أن يكون عليه الأخوان.

** ** **

(1) الحديث في الصحيحين.
باب: إذا أحسن أحدهكم إسلامه ف khắp حسنة يعملها تكتب بعض أعمالها

(67) عن أبي مُرْيَزَة قال: قال رسول الله ﷺ: "قال: "قل "إذا تحدثت عندي بأن بعثت حسنة، فأنتم أثبتوها للحسنة ما لم يعملوها، فإذا عملوها، فأنتم أثبتوها بعشر أعمالها، وإذا تحدثت بأن بعثت سبعة، فأنتم أثبتوها للسبعة، وقل بعشرها على ما لم يعملوها، فإذا عملوها، فأنتم أثبتوها للسبعة"، وقال رسول الله ﷺ: "قال الله ﻟَهُمْ: رَبَّ ذَاتِ الْعَبْدِ يَرِيدُ أَن يُبَعْثَ سَبْعَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ يَهُ. قَالَ: ادْخُلْوهُمْ، فَإِنْ عَلِمَتْهُمْ فَكُتُبَ مَا لَهُمْ بِهِ، وَإِنْ تَرَكَتْهُمْ فَكُتُبَ مَا لَهُمْ حَتَّى، إِنَّا تَرَكَتْهُمْ بَيْنَ جَزَائِرٍ،"، وقال رسول الله ﷺ: "إِذَا أُخِزِّنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامًا، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يُعْمَلُهَا تَكْتُبُ بعشر أعمالها إلى سبعة مائة ضعف، وكل سبعة يُعْمَلُهَا تَكْتُبُ بعشر أعمالها حتي يَتَلَقَّى الله ﷺ.

(68) عن أبي مُرْيَزَة قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الله ﻟَهُمْ: إِنَّ الْهَيَّارَةُ وَتَعَالَى
تَجاوَزَ لَا أَنْفَقُ مَا حَدَّثَتْهُ إِنْ أَنفَقْتِهَا، مَا لَمْ يَكُنْ حَكَمُهُ، أو يَعْمَلُوا إِلَّآ".

الشرح:
الحديثان أخرجهما مسلم في الإيمان، وبوَّب عليهما النووي (2/144): باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، وبيان أنه ﷺ لم يكلف إلا ما يطاق، وبيان حكم الله ﷺ بالحسبة وبالسخية.
حديث أبي هريرة الأول، حديث شريف عظيم، بين في الله تبارك
وعحال مقدار تفضله على خلقه، ورحمة وبره بهم، وهو حديث قدسي.
والحديث يدل على أن الله تعالى يكتب الحسنات والسيئات على عزم
القلب وهمه، وإصراره على العمل، فإذا حدث العبد نفسه بأن يعمل حسنة
وعزم على ذلك، ووطّن نفسه عليها، فإنه يكتب له حسنة، فإن عملها كتب
له حسنة كاملة إلى عشر أمثالها. وإذا حدث العبد بأن يعمل سبحة، يعني:
حَدَّثَ نَفْسَهُ وَهُمْ بِهَا، فإنها تكتب عليه سبحة، وإذا همّ بها ولم يعملها،
وكان المنع من ذلك هو خوف الله ﷺ، فإنها تكتب له حسنة، كما جاء في
الرواية التي بعدها: فَأَفْكَبَهَا لِهُ حَسَنَةً، إِنَّما تَرَكَهَا مَن جَرَّتِ. 

هذا الحديث يدل على أن الإنسان يؤاخذ بعنصر القلب وإصراره، ولو
لم يعمل، وهذا الراجح من قول العلماء في هذه المسألة.
فإن من العلماء من قال: إنه لا يؤاخذ ولو عزم بالقلب على فعل
المعصية أو السيئة، ما لم يعمل.

لكن الصحيح أن النصوص تدل على مؤاخذة الإنسان إذا عزم على
فعل الشيء، وأصر عليه بالقلب، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا أَلْقَيْتُمْ مُجِيبًآٰ
أنْتُمْ تَجْعَلُونَ فِي الْأَلْبَابِ عُمُّوًآ فَمَّا تَعْمَلُونَ َينْبِئُونَ﴿ [النور: 19]، ﴿إِذَا أَلْقَيْتُمْ مُجِيبًآٰ،
وَالْحَبِّ عَلَى الْقُلُوبِ، وَمَنَّاؤُهُ ﻋَلَى ﺍ لْهَ، وَفَكَرُوهُ شَرِعَ اللَّهُ
١٥٧﴾ [محمد]، فكرهوا شرعت الله
١٥٧، فأحبط أعمالهم، والكراهية عمل قلبي.

ومثله قوله ﷺ: ﴿وَأَعْظَمْنَا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ مَثَّلَهُمْ﴾
[المبهر: ٢٣٥]، وهذا يدل على أن الإنسان يؤاخذ بما في نفسه وصدده، وفي
فوله تعالى: {كَأَنَّ لَهُمَا أَذْيَانَ مَا خَالَتَا كَثِيرًا مِنَ الْأَلْفِينَ إِنَّكَ بَعْضَ الْأَلْفِينَ لَيَسْتَمِعُونَ}.

[الحجراط: 12].

أن الأذن بالمسلم الدين المستقيم شرًا، يأمّ عليه المسلم، ومثل ذلك الحسد، حسد الإنسان لأخيه المؤمن في قلبه واحتقاره له في قلبه، كل ذلك من أعمال القلوب ويؤخذ عليها الإنسان إذا استقرت في القلب، وأما إذا كانت مجردة خواطر ألمت بالقلب، ومرّت دون استقرار، فإن هذه الخواطر لا يؤخذ بها الإنسان.

وهذا هو الجمع بين هذا الحديث، وبين الحديث الذي بعده وهو: قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَفَادَكُوا لِأَمْنٍ مَا حَدَّثْتُهُ بِإِنْفُسَهَا}، ما لم يتكلموا أو يعضلوه، قوله تعالى: {حَدَّثَهُ بِإِنْفُسَهَا} يعني: مجردة خواطر وأفكار، نعم في النفس من غير أن تستقر فيها، فإن هذه الخواطر والوساوس إذا دفعها الإنسان، فإنها لا تؤثر فيه، ولا تكتب عليه، وقد مرن معنا حديث أن الصحابة لما اشتكوا إلى النبي ﷺ من بعض الوساوس التي يجدونها في صورهم، قال لهم: ذاك محض الإمام، يعني: هذا هو الإمام الخالص، إذا كان الإنسان يترك بقلبه منها، ويعضها ويكرها.

فوله تعالى: {فَإِذَا عِمَّلَهَا، فَلَا أَكْتَبْهَا بِعَصْرٍ أَتَابِيًا}.

أي: إذا عمل العبد حسنة ضاعفها الله تبارك وتعالى بعشر أمثالها، وهذا في كل عمل، كما قال تعالى: {مَنْ حَسَنَ فَلَتَضِعَ فَلْيُضِعَهَا وَمَنْ جَاهَثَ فَلَتَبْقِي فَلْيَبْقِいَ}، لكن هناك أعمال قد جاءت النصوص بمضاعفتها أكثر من عشر مرات، كقول الله ﷺ:

{فَمَّا ذَلِكَ الَّذِينَ يُفْعَلُونَ أَمْوَلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَّلُ حَبْسٍ أَثْبَتَ سَيْنَ بَيْنَ سَبِيلِي}.
شرح مختصر صحيح مسلم


وهناك أعمال لا يعلم قدر مضاعفتها إلا الله تبارك وتعالى كالصيام، فقد جاء في الحديث قوله تعالى: «الحسنة بعشر أمثالها» إلى سبعماثة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به»، وقال العلماء: ذلك لأن الصوم صبر على الطاعة، وصبر على المعصبة، وصبر على القدر المؤلم الذي هو الجوع والعطش، وقد قال تعالى: 

وَيَوْمَ يَسْتَقِبْلاَنِّكُمْ مَايَحْمَدْهُمْ وَيَجْبَرُكُمْ (10) [النور].

ومن ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: من حديث ابن عمر: "من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويبيع وهو حي لا يموت، بيد الخير وهو على كل شيء قادر، كتب الله له به ألف ألف حسنة، وجعل عليه به ألف ألف سنة، ورفع له به ألف ألف درجة، وبنى له بيتاً في الجنة" لأنه هذا الذكر وقع في وقت غفلة، فأناس يبيعون ويشترون ويدعون وترفع أصواتهم بالبيع والصفق.

ولهذا فمن ذكر الله في موضع الغفلة كان أجره عند الله عظيماً.

وتكون أيضًا مضايقة الحسنات بحسب إخلاص العبّد وحسن نيته، وصدقه، وحسب فضل العمل أيضًا، وحسب وقت إيقاع هذا العمل،
وهذا ما أشار إليه ﷺ في الرواية الثالثة: "إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يكتب لها تكيةٌ بعشر أثاثها إلى سبعمائة ضعف.

هل هذا واقع لكل شخص أم للذين أحسن إسلامهم؟ الجواب: للذين أحسن إسلامهم، كما في الحديث الذي مر معنا من رواية عبد الله بن مسعود: "أنّا من أحسن منكم في الإسلام" يعني إحسان الإسلام: أن يدخل فيه ظاهرًا وباطنًا، يعني: يكون مخلصًا صادقًا في إسلامه، هذا هو معنى إحسان الإسلام.

وتضاففت الحسنات أيضًا كما قلنا، بحسب فضل العمل وزمن إيقاعها، فصلاة في أول الوقت، أجرها أعظم من الصلاة التي تكون في آخر الوقت، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - سُبّل: أي العمل أفضل؟ قال: "صلاة على وقتها"، وفي رواية: "صلاة في أول وقتها"، يعني: المبادرة بها ما لم تكن صلاة العشاء، فإن وقتها الأخير أفضل من وقتها الأول بالنصر.

* أما السينما:

فслиسة تكتب حسنة، إذا تركها العبد خوفًا من الله، لأن الحديث: "قال فارغو: يا عدلها فاكتبوها له وعيلها" وهذا من فضل الله أن السينما لا تضاعف، إلا في بعض الأحيان، وسياقي ذكر ذلك.

فوله: "إذا تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركوها من أجل خوف منها ورعاية لمقام، مما قال تعالى: "فأولى من حافين مقام".

(1) رواه البخاري (597) من حديث ابن مسعود ﷺ.
(2) حديث صحيح، رواه أبو داود (426) والتوorida (170) عن أم فروة ﷺ.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

(1) الفتح (328/11).
(2) رواه أحمد وغيره (140/1، 155، 158).

وكذلك إذا هم بالمعصية وحل بيئة وبينها القدر، كشخص جاء لسرق
فوجد الباب مغلقاً، فهذا حال بينه وبين المعصية القدر، فذلك تَكُتب عليه
سِبَتة، لكن ليست كِتَبَة من باشر السرقة بالفعل جَسَّاً، وهذا اختيار الحافظ
ابن حجر (1)، وحكى عليه الاتفاق في توجيهه لحديث الرسول ﷺ: «إذا
التقي المسلمان، بيِفْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَكْطُولُ فِي النَّارِ»، قَالَوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ
هذا القاتل، فما بال المكثول؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قُتْلِ صَاحِبِهِ»،
وَهَذَا دِلْلٌ أِيْضًا عَلَى أَنَّ الإِنسَانَ إِذَا عَزَمَ عَلَى السَّبِيَّةَ وَالمعصية، تَكُبَّت عليه
وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْهَا، لَنْ كَمَا ذِكَّرَهَا لَا يُعَاقِبَ عَقَابًا مِن باشر القتيل جَسَّا، بَل
عَقَابُهَا أَقْلُ وَإِنَّهُ كَانَ حَرِيضًا عَلَى قُتْلِ صَاحِبِهِ، وَهُوَ دِلْلٌ عَلَى عَزْمِهِ عَلَى
الوقوع في هذه المعصية.

وَالسِّبَتَاتَ الْأُصُلِّ فِيهَا أَنَّهَا لَا تَتَضَاعِفُ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَبَارَك
وَتعَالَى، وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَبَارَك وَتعَالَى أَنَّ السِّبَتَاتَ لَا تَكُبَّتِ عَلَى ثَلَاثَةٍ، كَما
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «رُفِعَ الْقَلمَ عِنْدًا ثَلَاثَة: عَنَ الصَّبِّيِّ حَتَّى يَحْتَلم، وَعَنَ النَّائِمِ
حَتَّى يَمْسِكُ، وَعَنَ المَجِنَّ حَتَّى يَفْقِهُ» (2).

(1) رواه أحمد وغيره (140/1، 155، 158).
(2) الفتح (328/11).
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

فهؤلاء لا يكتب عليهم شيء من السيئات, لكن يكتب لهم حسنات,
فالصحي إذا حج مع أبيه وأمه تكتب له الحسنة, كما في حديث المرأة التي
رفعت صبي وقالت: ألي هذا حج? قال: نعم, ولك أجر
(1) ولهذا من كرم الله وفضله, أنه يكتب للصبيان الحسنات, ولا يكتب عليهم
السيئات.

والسيئات لا تضاعف إلا بأسباب:

 منها: شرف الزمان, كالأشهر الحرم, قال الله تعالى: [إِذَا عَدَّلَ
الشَّهَرُ عَنْ الْأَمْرِ أَثَّرَ عَنْهُ شَرَأَ في سَيِّبٍ اللَّهُ يُؤُوْدُ حَلَقَ الْجِبَّالَ وَالْأَرْضَ.
وَمَا أَرْسَلْتَ حَرِيمًا مَا ذَلَّكَ الْحَيَّ الْقَدَّرُ] فلا تظليموا فين أنفسكم.
[النور: 32].
فظهر النفس بالمعاصي والقتل غير المشروع حرام في سائر السنة,
لكنه في الأشهر الحرم وهي: [محرم, رجب, ذو القعدة, ذو الحجة]
أعظم إمامًا من غيرها, وكذا سائر المعاصي.

وعنها أيضا: زمن الحج, [فَمَنْ وَهَبَ فِي هِيَدَتِ الْحَجِّ فَلَا رَجَّهْ وَلَا فُسُوق]
ولأ جيدان في الحج.
[البقرة: 197], مع أن الرفظ والفسوق والجدل في غير
الحج أيضا حرام, كذلك في شهر رمضان, المعاصي فيه أشد من غيره,
فمعاصية الإنسان وهو صائم أشد من معصيته وهو مفتر.

ومنها: شرف المكان, كالبيت الحرام, والأرض الحرام, فالمعاصية
في الحرم ليست كالمعاصية في الجل, قال الله تعالى في ذلك: [فَمَنْ يُؤَدِّ
فيه بإحكام يُظَلَّل نُفُوقُهُ من عَذَابَ الْآَبِير] (الحج), فمن أراد فيه المعاصية
لله فهو عذاب مؤلم, فكيف ينبع باسرها؟!

(1) رواه البخاري وغيره.
ومنها: مكانة الإنسان، فالإنسان إذا كانت له مكانة مرفوعة عند الناس، صاحب فضلٍ أو صاحب علمٍ، أو صاحب مكانة كريمة، كانت
المعصية منه أشد من غيره، يقول الله تعالى في نساء النبي: {فينسينا أن يخرجني شهيداً بعظمه يصلى عليه المئات، وساقط كل ذلك على الله
رضاً} [الإحزاب 73] ومن يقترب من مكانه الله ورسوله وجعله صبيحاً فتوفاه أجزاها مرتين
وعموداً لما رضيت سنة} [الإحزاب 35]، فالذين به وعلي وفازل يضاف لهم لو
جرى منهن، والأجر يضاف لهم، لزداد حذرهم، وشكرهم لله تعالى.
ولهذا السبب من العالم أفق من من الجاهل، فالجالل العامي الذي
لا يعرف، لو رأى الناس يعصي الله في السوق جهاراً نهاراً، لقالوا: هذا
جاهل، ولكن لو رأوا الناس الإمام الذي يصلي بهم يصلي الله أمامهم في
السوق، أو في الجهر، لكان ذلك من أعظم الأمور عندهم، فالسبيبة منه
أعظم من السبيبة من غيره كما لا يخفى.
وفي الحديث أيضاً من الفوائد: سلوك النبي الشرير بالأخلاق الصالحة، والتهيُّب من الأعمال السبحة، فرسول رضي الله عنه الصلاة والسلام، لرغب الصحابة بما ذكر لهم من الخير الذي يكتب لهم إذا هم
أجهم بالحسنة، وأنها تضاعف إلى سبعمئة ضعف، ثم حذرهم في الوقت
نفسه من السباب، وهكذا أكثر نصوص القرآن والسنة، إذا ذكر فيها
التربة فرن معها التربة، إذا ذكرت منزلة أعلى الجنة ذكرت منزل أعل
التربة {فإني أحب إليك أن أقعِر الرجيم} [الإيذان 54] وأن عذاب هو العذاب
الأول} [الحجر] كي يذكر الإنسان التربة والتهيُّب، فلا يفرط في
خس الظن إلى أن يصل إلى الغيور، ولا ينقطع من رحمة الله تبارك
وع تعالى، يبقى في ناس والحمرة وترك العمل.
وإذ يقال: "إذا تحدثت عبدي بأن يفعل حسنة؛ فسألها...".

و فيه فائدة لغوية وشرعية أيضًا: أنه يجوز أن ينبس الشخص لنفسه فعل شيء لم يباشره بنفسه؛ إذا كان هو الأمر به، فله تبارك وتعالى قال:

"فلا أكتب لها حسنة، وللكاتب هو الملك، كما قال تعالى: "إِنَّ رَسُولَ ﷺ يَكْتُبُهُ مَا يَكَتِبُونَ " (البقرة).

فألفذي يكتب هم الحفظة، لكن الله يكتب نفسه إلى نفسه لكونه هو الأمر بذلك، كما لو قال القاتل: ضرب الأمير اللص، والذي يضرب هو الجلاد، بنى الأمير قصرًا، والذي يبني هو البناة، لكن نفسه إلى نفسه لكونه هو الأمر بهذا.

وقال بعض العلماء: فيه دليل على أن الله تعالى يطلع الملك على ما في قلب العبد، إذ يعطي الملك قدرة على معرفة هم العبد في صدره، فإذا تحدث في نفسه أن يعمل حسنة علمها الملك وكتبها له حسنة كاملة، وهذا يكون بالطريقة التي شاء الله تبارك وتعالى أن يعلم بها الملك، والله أعلم.

** ** **
باب: المسلم من سلم المسلمون منه

(29) عن عبيد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: إن رجلاً سال رحول الله ﷺ: أيَّ المُسلمين خير؟ قال: فَنَسَمَّى المُسلمون بن لجافته وديثه.

 الشرح:

هذا الحديث الأول، وأخرجه مسلم في الإيمان، وبَوَّب عليه النووي.

«عقد الله بن عمرو بن العاص» من صغار الصحابة. ومن أقر الرواية عن النبي ﷺ، وهو أحد العبادعة الأربعة من الصحابة، وهم: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص رابعهم. مات سنة تسعة وستين، قاله البخاري، وقيل غير ذلك.

فقوله: «أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْر؟» يعني: أي المسلمون خيرًا، أي المسلمون أفضل، أيُّ المسلمين أجمل.

فقوله: فَنَسَمَّى المُسلمون بن لجافته وديثه» وهذا الحديث من جوامع كلية البخاري وقصيبة، فإنها كلمات جامعات لخير كثير، بلغ قليل.

فقوله: فَنَسَمَّى المُسلمون أي: سلم المسلمون من شرته، فلم يؤذ المسلمون، لا يقول ولا يفعل، وخص الصنان واليد بالذكر، لأن معظم الأكثاب بهما، كما قال: فَمَنْ تَسَهَّد عَلَى أَلَيْسَهُم وَيَدُهُم وَيَبْعِثُهُمْ يَا كَانَوْا يُصَلُّونَ إِلَى الرُّؤِيَةِ [النور]، وقال: فَذَلِكَ يَا قَدْحَتُ يَدَاكَ [الحج: 10]،
شرح مختصر صحيح مسلم

فأضاف الأكثاب إلى اليد؛ لأن معظم الأعمال بها، وكقوله: "إني يُبَدِّلُ أَيُّهَا الْأَمْيَةَ رَكْبَتَيْكَ" [الأنصار]، فندخل في ذلك بلا شك: جميع الجوارج، فكل ما يمكن أن يؤدي به الإنسان من جوارجه يدخل في هذا الحديث.

 فالرسول عليه الصلاة والسلام، يبين أن المسلم أي الكامل، "مُسلمُون من لنا وليد"، فالمسلم ها هنا يقصد به: المستمتع لأوواد الإسلام والإيمان أيضًا؛ لأن الإسلام والإيمان افترقا جمعاً، وإذا اجتمعا افترقا، فإذا قيل: المسلم، فالمراد به أيضًا المؤمن المعين، وإذا قيل: المؤمن، قيلوه: أياً المسلم بجوارجه، الذي يقول كلمة الإسلام يدخل في الإسلام ظاهرًا، ويعصم دمه وماله، وإذا اعتقى بقية صار مؤمنًا.

وقالوا أيضًا: المسلم هو المستمتع لأقدر الله، وأمره، وحكمه، كما قال: "لا تبت عني إبراهيم القديس" [الشعراء]: فإنه قال: "ما نُبِينَهُ، أُسْلِمَتْ آيَةُ الْكِتَابِ" [البقرة]، فلا يعترض على حكيم الله، ولا على أمره، لأنه مستمتع خاضع، متقاعد مطيع.

أما من كان معتربًا على شرع الله، أو معتربًا على حكم الله أو قدره.

واقضاً، فإن هذا ينافي الاستسلام لله.

فالمسلم المراد به هنا: الكامل، كما يقال: العلم هو ما نفع، ويا قال كذلك: العلم هو فلان؛ لأنه استكمال العلم، والناس هم العرب، والعالم هو الأول، فالذي يريده العرب بهذه الكلمات هو التفاضل لا الحصر.

ويقول الحسن البصري: "الأبراء هم الذين لا يؤذون الذر بانحلال". وعله هذا مأخوذ من الحديث الشريف: "أن نبي قرصته نملة،
فأمر بقربة النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: في أن نملة قرصتك، أهلكت أمة من الأمم تسُبّحُ (1)، فالنزل يترك حتى أذية النمل والذر، ومن عظم حق المسلمين، ضبط جوازه عن أذينهم، ومن كان معظمًا لحق المسلمين فهو من باب أولى أن يعظم حق الله ﷺ؛ لأن حفظ حق الله ﷺ أسهل، مع أنه أعظم إلا أنه أسهل على الإنسان.

وقوله: على الصلاة والسلام: «من سلِم المُسلمون» هل يدخل فيه النساء؟ نعم؛ لأن جمع المذكر السالم هنا للتغلب، يدخل فيه النساء، وهذا كثير في نصوص الكتاب والسنة، كما في قول الله ﷺ: «يا أيها الذين آمنوا» (2) فيدخل فيه المؤمنات؛ لأن جمع المذكر السالم يدخل في النساء، أما جمع المؤثث السالم فلا يدخل فيه الذكور، كقوله (المسلمات) أو (المؤمنات).

وقوله: «من سلِم المُسلمون» أما الكفار؛ فلا يسلمون من يد المسلم.

ولا من لسانه فالكفار لا يسلم من لسان المؤمن، ولا من ساخطه؛ لأنه يجاهد بهده ولسانه ومائه، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا جهديّ جهديّ، والمؤمنين جهديّ، والمؤمنات جهديّ، وروئاكم الصغير» (التوبة)، وقال ﷺ: «محمد رسول الله وآله وصحبه ﷺ يتوفى على الكفار جحشًا بحش» (التحية).

29: «أليجَ الْجَهَّازَ» يعني: يجاهدون الكفار بأيديهم وبأسنادهم.

وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت - شاعرهم: «هاجهم» وفي رواية: «اهجهم، وروح القدس ملك» (3)، والهجراء هو الذم بالأبيات الشعرية، وبيان عيوب المشركين، وشركهم، وقيق أفعالهم.

(1) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه.
(2) رواه البخاري في الأدب (546/100)، ومسلم (2482).
وقال له: "وروح القدس معك" يعني: وجريف يؤيدك على عدوك، وقال أيضًا: "أكنا ما نهجوهم به رشق النبل"، يعني في وقعة عليهم، هذه القصائد الشعرية هي في شدة الأذى عليهم كاذبة النبل على الإنسان، لأنهم ترميم بالسهام القاتلة، والشعر كانت له مكانة عظيمة عند العرب أكثر من غيرهم من الأمم.

لكن هذا لا يمنع من إلائه القول للكافر عند الدعوة؛ لأن هذا مقام غير القام الأول، فمقام الجهاد يقتضي الشدة والقوة، فالكافر الحربي المخلن بالحرب للمسلمين - الذي يظهر العداوة - ويشهد القتال والمحاربة، له مقام غير مقام الكافر في مقام الدعوة، فتعتدي الكافر إلى الله سبحانه وتعالى، لا يصالح أن تكون معه شديدًا عنيفًا، بل قال نموذجًا: "أدع إلى سبيل زيد بن كلثوم - والموظفة محسنًا - وحذرواه بآيات من آياته، [العنكبوت: 44]، فقال له بعضهم موسى: "وأذهب إلى نعوم - إن الله طلقنا - فقوله الله تعالى: "أنت ذكر أو يتحشى" [الله]

ففي هذا الحديث: الحث على حفظ اللسان واليد، والكف عن ذي يدغي المسلمين يقول أو فعل، لما في ذلك من تأليف القلب، واجتماع الكلمة. وكثر من الناس يتساهل في هذا الحق، فلا يضبط لسانه عن إخوانه والرسول - عليه الصلاة والسلام -. يقول: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالأل، يهمي بها في قعر جهنم"، كلمة يقولها الإنسان لا يلقى لها بالأل، لأنك تتكلم في عرض أخيه المؤمن، أو ربما أحيانًا في عرض العالم، الذي
هو من سادات المؤمنين ولا يُليِّق لذلك بالآل، والأمر ليس بالهين ولا بالسهل، فالذين تكلموا في عرض أم المؤمنين عائشة؛ قال الله تعالى

*وَخَلَّفَنَا عَلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ (6) [النور]*

فهذا الأمر تحبسه هيناً كله عند الله عظيم، وكثير من الناس تجده عفيفًا، لو تذبحه لا يعد يقه إلى الحرام، ولكن ما أسهل الغيبة على لسانه، وما أسهل الكلام في الأعراض على لسانه، وهو أمر ينبغي أن يعظم كما عظمه الله تعالى، وجاء في الحديث:

«إنهما لبعذبان وما بهذان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنبيم» فقوله: «وما يعذبان في كبير» أي: هذا في نظر الناس كما قال شراح الحديث، فبعض الناس برى أن النبيم ليست بالأمر الكبير، أو الغيبة ليست بالأمر الكبير، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر أنها أمر كبير عند الله تعالى.

** ** **
باب: من عمل برأي في الجاهلية ثم أسلم

(70) عن عوزة بن الربيع أن حكيم بن حزام أخبره أنه قال رسول الله ﷺ: "أرأيت أثنا عشر سنة أن كنت تأثثت بها في الجاهلية من ضده أو عقاقة أو صلة رحم، أو أثنا عشر سنة؟ فقال له رسول الله ﷺ: "أسلمت على ما أسلفت من خبر".

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ويُوله عليه النووي (١٤٠/٢)

باب: بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعد

"حكيم بن حزام" أسلم يوم الفتح، ووَلد في الكعبة، وهي فضيلة لم تتفق لغيره، وعاش ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام، ومات سنة أربع وخمسين.

قوله: "أثناء" التحث هو: التعب، كما جاء تفسيره في الحديث عند الإمام مسلم، وفسره في رواية أخرى: بالتبث، وهو فعل البر، وهو الطاعة، وأصل التحث أن يفعل فعلًا يخرج به من الأثم والحرج، وجاء في رواية هشام بن عروة عن أبيه عن حكيم بن حزام بيان الأعمال التي كان يتقرب بها إلى الله ﷺ: أنه أعطى في الجاهلية مائة رقبة، وحمل على مائة بعير.

فسأل النبي ﷺ: هل له فيها أجر، أي: على ما عمل في حال كفره؟ فقال له رسول الله ﷺ: "أسلمت على ما أسلفت من خبر".
شرح كتاب الإمام من مختصر صحيح مسلم

فهذا الحديث ظاهره أن الكافر إذا أسلم، ومات على الإسلام، أنه يُبْتَغَ على ما فعله من الخير في حال الكفر؛ لأن هذا الحديث ينطبق بذلك.

وهو الذي اختاره ابن بطال من فقهاء المالكية، والأبي في شرحه لمسلم.

ويدل عليه حديث آخر رواه الإمام مالك والنسائي، من حديث أبي سعيد الخدري، أنه قال: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه؛ كتب الله له كل حسنة كان أسفلها، ومُحَيَّث عنه كل سبعة كان أرفعها، ثم كان بعد ذلك القصاص، الحسنة عشر أمثالها إلى سبع أمثاله ضعيف، والسبيئة بمعتِها إلا أن يتجاوز الله عنها».

وهذا تَضَّّ كان قاطع في هذه المسألة، وهو أن الكافر إذا أسلم فحسن إسلامه ومات على إسلامه، فإن الله تبارك وتعالى يكتب له ما كان أسفله من خير قبل أن يسلم.

ودائلاً مِنْ أَوَّل هذا الحديث، وقال: قواعد الشريعة تَزِدُ هذا الحديث؛ لأن من شرط التوبة: نية التقرب إلى الله تبارك وتعالى، والإيمان بالله سبحانه، وهذا لم توجد منه نية التقرب، ولم يكن مؤمنًا، فتكون معنى هذا الحديث عندهم: أسلمت وفدت تعودت فعل الخير، وسيدوم لك ذلك في الإسلام لأنك تعودت.

وبعضهم أَوَّله فقال: أو يقال أسلمت وقد اكتسبت ثناء في الجاهليّة، وهو باق عليك في الإسلام!

لكن هذه تأويلات بعيدة عن نص الحديث وعن ظاهر الحديث.
وقال ابن بطال: "رأت وقى هذا الإشكال: "الله أنت تفضل على عباده..."

بما يشاء، لا اعتراض لأحد عليه".

لكن الذي تقرر ولا خلاف فيه: أن الكافر إذا تأرّر أو عمل صالحاً ثم مات على كفره، أنه يجزي بعمله في الدنيا، ولا يكون له في الآخرة حسنة واحدة، وهذا وقّعنا في الأبواب السابقة، وذكرنا في الآية الكريمة: "مَنْ كَانَ مُؤَذِّنًا لِّلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا تَفْقِيْهَ تَفْقِيْهٍ أَفْعَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَحْسَنُونَ أُوْلَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ لَا عَزْلَةَ لَّهُمْ وَكَلِمَتُنا مَا صَدَّرَتْ فِيهَا وَتَبَيَّنَتْ مَا كُرِئَ..." (م).)

أما هذا الحديث؛ فهو نص على أن من أسلم ومات على الإسلام، أنه يثاب على ما فعله من الخير في حال كفره.

قد يقول قائل: "إذا ما معنى قول الفقهاء: لا يصح من الكافر عبادة؟" فقول: هذا في أحكام الدنيا، إذ لا يُعدّ به في أحكام الدنيا، وليس فيه تعارض لآيات الآخرة، فهذا الكافر الذي حَجّ ما حجّ، وتصدق ما تصدق أثناء كفره، تقول له: "أَعْدُ ما كان واجباً عليك في الإسلام، فلا تكفِّيه الحجة التي حَجَّها وهو كافر، بل إذا أسلم، لزمه أن يحج حجة الإسلام؛ لأن هذا في أحكام الدنيا.

ولقد يعدت بعض أفعال الكفار، وذكر الفقهاء أمثلة منها: من كان عليه كفارة ظهار، وكتَّر وهو كافر، قالوا: هذا لا يلزم أن يعذب هذه الكفارة.

وأما معاملاتهم بالأسفل فيها الصحة، كبيعهم، وشرائهم، ونكاحهم، فهذا الحديث إذاً في الأعمال والطاعات التي يُؤجر عليها العبد في الآخرة.
وشكراً سابقاً أن الأعمال الصالحة إذا غلبت الكاهف، ومات على الكفر، هل يمكن أن ينتفع منها بشيء في الآخرة؟ نعم، ذكرنا حديث أبي طالب الذي رواه سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي قال فيه: "أنا في ضحفي من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأضيق".

وذكر العلماء أنه خفف عنه بدعاه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالعمل الصالح للكافر يمكن أن يكون سبيلاً في تخفيف العذاب في عهده الآخرة.

ثم إن قول الله تعالى: "فَذُكُرْنَا كَفَرَوْاْ وَصَبَرُوْاْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يَدْنُؤُهُمْ عَذَابَۢۢ قُوْرَةِ ٱلْمَدَنَّةِ ۖ وَمَا كَانُواْ يَقِيمُونَۢۢ ۦۚ" (الحل)، دليل على أن الكافر إذا حارب الدعوة، وصد عن سبيل الله؛ زاد عذابه، فيمكن في المقابل أن الكافر إذا كان نافعاً للمسلمين أن ينفعه الله بشيء من عمله في الآخرة؛ لأن الله تبارك وتعالى حكم عدل.

 فالكافر دركات، والكافر ليسوا في حال واحدة، ولا في درجة واحدة في النار، بل الكافر المحارب أشد عذاباً من الكافر المتمتئ المسالم؛ لأن الله قال: "فَذُدُنْهُمْ عَذَابًاۢ قُوْرَةِ ٱلْمَدَنَّةِ".

** ** **
باب: التحذير من الإبلاء

كَمْ يَلِفْظُ الْإِسْلَامُ، قَالَ: «إِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ لَمْ يَتَّلَكُمْ أَنْ يَتَّلَكُوْ، قَالَ: قَالُوهُ إِنَّكُمْ حَمَّلْتُمُ الرِّجْلَ يَمِينًا لَا يُصْلَّى إِلَّا سَبْبًا.»

الشرح:

هذا الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان، وبوُبَب عليه النووي.

(179/2) باب جواز الاستمرار بالإيمان للخاتف.

دُلْتُم بِخُلْقِ الْإِسْلَامِ، صحابي جليل، وأبوه صحابيًّا، قُلْتُ يوم أحد خطأً بأيدي بعض الصحابة، وكان حديثه كتب سيرته، والي علم من أسماء المناقشين ما لا يعرف غير من الصحابة، وكأن يقول: "كان الناس يسألون الرسول - عليه الصلاة والسلام. عن الخير، وكتبت أسف على الشر، مخافة أن يدركون.

مات حديثه في أول خلافة علي سنة 26 هـ.

قوله: "كَمْ يَلِفْظُ الْإِسْلَامُ" يعني: كم يلفظ بالإسلام من النفوس أي: كم عدد المؤمنين، فالرسول - عليه الصلاة والسلام، أراد أن يعرف حجم أهل الإسلام، وكم عددهم، فلو هذا ما يعرف الآن بعلم الإحصاء للنفس، والذي تبنه الدولة الإسلامية بعد ذلك، والدول غيرها.
قوله: "أَلَمْ نَنْزِعَ الْرُّجُلُ مِنْ أَيْدِيهِمَا إِلَّا بِسَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ؟"، قال: فَتَبَيَّنَتْنَا حَتَّى جَعَلَ الرُّجُلُ يَثْبِثُ مَنَا لَا يَصِلِّي إِلَّا سَبَا، وهذا لم يقع في زمنه - عليه الصلاة وسلام - لأن هذا الحديث قاله في المدينة، ومنذ بلغ الإسلام هذا العدد، أو ما دونه أيضا، ولما هاجروا إلى المدينة، لم يبتوا حتى إن الواحد منهم ليصلي سراً، لكن يتحمل أن يكون ذلك وقع في زمن فتنة عثمان، أو في بعض الفتن الواقعة بعد موته - عليه الصلاة وسلام -، فكان بعض الصحابة يخفي نفسه، فلا يصلي إلا سراً، وخافة الظهور، لتلا يُدْعى للمشاركة في الحروب، أو في القتال الذي حصل بين بعض الصحابة، أو بينهم وبين الذين خرجوا على عثمان - عليه السلام -، فلعله هذا.

وأما يؤخذ أيضًا من هذا الحديث: أن الإنسان ينبغي له أن يحذر من الابتلاء، وأن الحذر لا يتافي التوكل على الله ببارك و تعالى؛ لأن الرسول - عليه الصلاة و السلام - عمل هذا الإحسان، وعد هذا العديد من أجل معرفة حجم المسلمين؛ لئلا يرتكب الإنسان عملاً يفوق حجمه واستطاعته وقبرته.

(1) شرح مسلم (2/179/1).
وفي حديث حسن رواه الترمذي: أن الرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث أيضاً: أن المؤمن لا يبالي أن يبتلى، كما قال ﷺ:
«وَلَوْ مَنَأَّرَكُمْ فَمَا أَثَّرَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحَدٍ مِّنْكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لِيَمْثَلُّهُ وَكَانَ لَهُمْ غَيْرُ مِّنْهُمْ» (الإسراء: 133).

[محمد:] وقال ﷺ: «وَلَوْ يَثْبَثَ مُجَابَةُ اللَّهِ لَأَتَبَسِّخُ مَعْنِيَّ وَلَكِنْ لَيْبَثُ يَتَدُّعُ عَلَيْهِ مَا يَشَاءُ» (الفرقان).

[محمد: 4]، فالمؤمن مختير بأنواع من الأداء، مختير بالكفار، بالمنافقين، بهوى النفس والشيطان، هؤلاء أعداء محبطون به من كل جانب، وقال بعض السلف: المؤمن بين كافر يجااهده، ومنافق يغضه، ومؤمن يحسده.

يُعْنِي: أن المؤمن لا ينفك من بلاء، إما من كافر يجااهده ببده ولسانه وماله وقبله، وإما من منافق يجااهده بقبله ولسانه، وإما من مؤمن قد يحسده ويحصل منه شيء من الحسد، فبعد ذلك يجااهد نفسه على ألا يقع في ما يخالف أخلاقي الأخوة والإيمان، بل يدفع بالنفي هي أحسن كأس أمره ربه تعالى.

وجاء في حديث ورق بن نوفل أنه قال للنبي ﷺ: «ما جاء أحد مثلك ما جئت به إلا عودي أو أودي». ثم يسأل الإنسان ربه تعالى: (1) رواه الترمذي (2254) من حديث حنيفة، وقال: حسن غريب.
فلا يجوز التعرض للإبتلاع فضلاً، وإنما الإبتلاء من سُنيّة الله تعالى في خلقه وعباده، وقال ﷺ: "وَبَلَوْكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْضَّرَّرِ فَنَفَسْتُمْ وَإِنْ تُجَهَّلُونَ (١٠) [الأبياء]"، فالأبتلاء يقع بالخير وقع بالشر، وجاء عن عمر ﷺ أنه قال: "إبتلعنا بالضراء فصبرنا، وإبتلتنا بالسراء فلم نصبر"، أي: كانت فتنة القفار وجهادهم، وجهاد المناققين وأهل الكتاب؛ أخفَّ عليهم من فتنة الرخاء التي حصلت في الدولة الإسلامية بعد ذلك، فكثير من الناس يضعف عند الرخاء، ويقوي عند الشدة والبلاه.

نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وفي الأهل والمال والولد. آمين.

** ** **
باب: بدأ الإسلام غرباً وسيمُود غرباً كما بدأ وهو يازر بين المسجدين

(77) عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: "إن الإسلام بدأ غرباً، وسيمُود غرباً كما بدأ، وهو يازر بين المسجدتين كما تأزر الحيا في جُغرها".

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، والنووي بوب عليه في شرحه، بنحوه بوب عليه المتنزري هاها(1).

قوله: "إن الإسلام بدأ غرباً، وسيمُود غرباً" أصل الغربة: البعد، ومنه سميه الغرب غرباً: لبعده عن بلده وموطنه، وسيم النفي من الأرض: تغريبًا، فسمى من نقل إلى أرض غير أرضه في عرف الفقهاء بالتغريب، كما في قوله ﷺ "البكير بالبكر، جلد مائة، وتغريب سنة"(2)، يعني: نقل من بلده إلى بلد آخر، عقوبة له.

وهذا الحديث فيه: أن الإسلام قد نشأ وبدأ في أوجه غرباً، قليل أفراده، قليل معتقده وحاملوه، وسيلقنه النقص حتى يصير في آخره أيضًا غربة وفلا، والله ﻣﺎ أمنّ على الصحابة بأنهم كانوا قليلًا فكثرهم، قال ﷺ.globally}

(1) شرح مسلم (2/176).

(2) رواه مسلم فيحدود (3/1316)، وأبو داود (4414)، وغيرهما من حديث عبادة بن الصامت ﺔ.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

سُبْحَانَّهُمْ: "وَأَنتَ بِهِ أَنْصَرُوا إِذ اشْتَهِرُوا فَلْيُصْرِخُوا فِي الأُمَّةِ تَعاوَنُوا فَيُضُرُّوا الَّذِينَ فِي الْقَلْبِ. وَيَدْخُلُنَّهُمُ الْجَنَّةَ وَيَزَادُنَّهُم مِّن ثَغُورٍ" [الألف: 22]

فالصحاباء في أول أمرهم كانوا آحادا وقلة، حتى إن المرء لبدهم على أصحابه، كما جاء في الحديث: أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لما جاء الصحابي قال له: ومن ممك على هذا الأمر؟ قال: "رجلان وغلام".

فهكذا كان الأمر أول الإسلام، وسيكون كذلك آخر الزمان.

وحمل الإمام مالك الحديث على أن المعنى بهذا المدينة، أن الإسلام بدأ بها غريباً، وسبع غريباً، أي: سيصير بها كذلك.

والتفسير الأول أن، فيشمل المدينة، وغيرها من بلاد المسلمين.

وقال محمد بن الحسن الأحمر في كتابة "الغزاء": فإن قال:

"قلت: ما معنى قول النبي ﷺ: بدأ الإسلام غريباً وسبع بهذا بدأ؟".

قيل له: كان الناس قبل أن يبعث النبي ﷺ أهل أديان مختلفة: يهود ونصارى ومجوس وع دي أوثان، فلما بعث النبي ﷺ كان من أسلم من كل طائفة منهم غريباً في جهده، غريباً في قبيلته، مستحقاً بإسلامه، قد جهه الأهل والعشيرة، فهو عنهم، ذيل حقير، محتمل للجهاء، صابر على الأذى، حتى أعز الله ﷺ الإسلام وكثير أنصاره، وع�� أهل الحق وانقطع أهل الباطل، فكان الإسلام ابتدأ غريباً بهذا المعنى.

وقوله: "وَسَبَعُوْذُ غَرِيبًا" معناه - و الله أعلم - أن الأهواء العضلة تكثر، ففضل بها كثير من الناس، وبقى أهل الحق الذين هم على شريعة الإسلام غريباً في الناس، ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ: "تفترق أمني على
ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة فقيل: من هي الناجية؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي" (1).

ورد في بعض الأحاديث تفسير الغرباء، فروى أبو إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود أنه قال له: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: "هم النازع من القبائل" (2).

النزاع: جمع نازع أو نازع، والمراد به: الذي نزع عن أهله، فتغبر عن أهله ويعده منهم، ولجأ إلى عصبة الإيمان، يعني به: المهاجرين؛ لأن المهاجرين ما كانوا من قبيلة واحدة، وإنما كانوا من قبائل متفرقة اجتمعوا على نصرة الإسلام، وهاجروا إلى الله تعالى ورسوله، تغبروا عن أهلهم وأوطانهم وأمواتهم، الله تعالى ورسوله.

وفي لفظ صحيح أيضاً: أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - سئل عن الغرباء؟ قال: "الذين يصلحون إذا فسد الناس"، فالصالحون من المسلمين إذا فسد أكثر أهل الإسلام، هم الغرباء.

وروي: "الذين يصلحون إذا فسد الناس" بضم الياء، وهذه أعمى أن يكون الإنسان ليس صالحاً في نفسه فقط، وإنما مصلحاً لغيره. وهذه

(1) "الغامد" (ص 25 - 25) تحقيق الشيخ بدر البرد، حديث صحيح، أخرجه أحمد وابن عيسى في (3988)، وأبو ماجه في (3988)، والدارمي في (311/2)، والبغوي في (شرح السنة)، (118) وقال: هذا حديث صحيح.

(2) حديث صحيح، أخرجه أحمد وابن عيسى، وهو كما قال، لولا أن أبا إسحاق وهو السبتي عمرو بن عبد الله مدلس، وقد علمنه في جميع الأطراع عنه، مع كونه كان اختطاطًا، فكان متوافقًا في صحته، بعد أن كتب تابعًا في صحيحه برهة من الزمن غيرو، والله أعلم.

"الصحيح" (1772).

قلت: قد أخرج الإمام مسلم أحاديث له عن هذا الطريق كما في "التحفة".
الرواية عند الآخرجي في كتابه "الغریباء" 

وأوضح منها رواية ابن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذات يوم ونحن عنه: "طويب للغریباء" فقيل: ومن الغریباء يا رسول الله؟ قال: "أشع مسلم" صالحون قليل، في ناس سوء كثير، من بعضهم أكثر من يطيعهم.

وقد بُشر الرسول ﷺ الغریباء بقوله: "طويب للغریباء" طويب فعلي من الطيب، قاله القراء، وامتنعوا في معنى "طويب" هنا، فروي عن ابن عباس ﷺ أن معناه: فرح وفَرَّح عين، وقال عكرمة: نعم المالهم، وقال الصحابة: غذاء لهم، وقال: الجنة، وقيل: شجرة في الجنة، كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا: "طويب شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثواب أهل الجنة تخرج من أكمامها".


والنحو من دلالة: المسجد الحرام، والمسلم النبوي، فإن الإيمان يأزر بينهما، أي: تنضم ويجتمع إلى المسجدين، ولم يزل في المسجدين من أئمة الهدى وسرج الوقت، ما يحصل بهم من البداية والخبر والبركة في كل زمن، وهما ملحا المؤمنين، إذ يشتاق إليهما أروااح المؤمنين، لرؤيتهم في البغاة (ص 16) وأخرجه أحمد (3/71) وغيره، والحديث صحيح لشواهد.

والنحو من دلالة: المغيرة (ص 33) وأخرجه أحمد (276/2) والنهي عنها (185) وغيرهم.

حدث حسن، رواه أحمد (3/71) وصححه ابن حبان (265. موارد)، وأصله في البخاري (655/3) من حديث أبي سعيد، ومن حديث سهل بن سعد (1557).
والصلاة فيهما والعمل فيهما، وغير ذلك، فهما من مواضيع الإيمان العظيمة، التي ينضم إليها أهل الإيمان، كما تنضم وتجتمع الحية إلى بيتها وحفرها في الأرض.

** ** **
باب: ما بيطح به رسول الله ﷺ من الوحي (73) عن عروة بن الزبير: أن عائشة زوجته أخبرتهم أنهما
قالت: كان أوّلما يبدؤ يبدؤ رسول الله ﷺ من الوحي الزوّا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤية إلا جاهم مثل فتق الصنح، ثم جحب إليه الخلاء، فكان يخاف على جواب يتحفث فيه، وهو التعبدي. اللباني أُولاث
العهد، قال أن يرجح إلى أهل ويتزود بذلك، ثم يرجح إلى خديجة فينزوو
ليطأها، حتّى فجأة الحدق وهو في غار جواب، فجاءه المنك قال: اقرأ. قال:
"ما أنا بقاري؟" قالت: فأخذني فقتني حتى بلغ متي الجهاد، ثم أرسلني،
قال: اقرأ. قالت: "ما أنا بقاري؟" فأخذني فقتني الثانية حتى بلغ متي الجهاد، ثم أرسلني، قـال: اقرأ. قـال:
"ما أنا بقاري؟" قـال: فأخذني فقتني الثالثة حتى بلغ متي الجهاد. ثم أرسلني، قال: "إرثا يابس ربك الله، علّق في الإنسان، من علّق "أرأى وينبدأ الإثم؟" الذي رآه بالقبر؟ علّق الإنسان ما لا ينتمي إلى اللسان، فترجح بها رسول الله ﷺ ترجمه بوافده، حتّى
دخل على خديجة فقال: "زملوني زلموني فترجح حتى دعّ عنه الزوّة،
ثم قال لخديجة: أبي خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر، قال: "لقد خشيتي
على نفسي". قال لخديجة: "كلّا، أخبر، قوؤا الله لا يخزيك الله أبداً، والله
إنّك لتصل الرجم، وتصدّق الحديث، وتخيل الكل، وتكتب المدحوم،
وتفري الصّيف، وثمين على ذواقي الحدق، فانطلقت به خديجة حتّى أنّ
به ورقة بن نواف بن أمير بن عبد العزيز، وهو ابن عم خديجة أبيها،
وكان من النورات في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان نبيًا كثيرًا قد غمي، فقال له خديجة: أي عم! اسمع من بني آدم، قال ورقة بن نوفل: يا ابن آدم ماذا ترى؟ فأخرج رسل الله ﷺ خبرًا ما رأى، فقال له: هذا النجوم الذي أنزل على موسى بن عمران ﷺ، يا لبني فيها جذعًا، يا بني آدم أكون حيًا حين يخرج كنوتكم، قال رسل الله ﷺ: أومخرجيهم وما؟ قال ورقة: نعم، لم يبت رجل قط بحالة جئت به إلا غودي، وإن بني آدم كنوتكم أصله نصرًا مؤزورًا.

6 الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبوع عليه النووي (197/6) باب: بدء الوعي إلى الرسول ﷺ.

قوله: "أنت عائشة روح النبي ﷺ" هذا الحديث من مسائل الصحابة.

لأن عائشة رضي الله عنها لم تكن قد وُلدت في ذلك الزمان.

قوله: "قلت الصبح" وقال أيضًا: "رق الصبح" هو: ضياء الصح، وشهدت ما كان يرى النبي ﷺ من الرؤيا بخلق الصح، ووضوته وبياته، وأنه كان يأتيني واضحاً بنيًا مثل الصحيح رهاره. وقد جاء في الصحيح أنه مكث على هذا سنة أشهر.

قوله: "الخالئة" يعني: الخلوة، فالرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام.

(1) انظر مقدمة ابن الصلاح (050)، التلقت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر (050/62).
حُبّت إليه الخلوة، وهذا داء الصالحين المتبعدين، كما قال الخطابي: حب العزلة إليه، لأن معها فراق القلب، وهي معينة على التفكر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشع قلبه.
قولها: "جِرَاء" جبل بينه وبين مكة نحو: ثلاثة أميال، على يسار الذهاب من مكة إلى ميَّد، وفيه غتتان: التذكر والتأثث، والتذكر أكثر.
فكان النبي ﷺ يخُلو بنفسه في غار قريب من مكة - معروف إلى اليوم - وهذا الغار غار ضيف، لا يكاد الإنسان أن ينتصب فيه يُقَضُّ سفوه، ومن أصل منه رأي جاني من البهت الحرام.
قولها: "يَتَحَثَّب فِيه - وَهُوَ الْتَمْعَدُ" هذه زيادة مَجْرِدة، قبل إنها: من تفسير عائشة، وقيل: إنها من تفسير بعض رواة الحديث.
ومعنى التحث: الهد عن الحنث وهو الأم، كما قال: يتحرج بمعنى: يبعد عن الحرج، والضيق والإثم، فكان عليه الصلاة والسلام - يتجنب الإثم بالتعبد.
قولها: "أُولَاتِ الْعَمُّدِ" أي: الليالي ذوات العدد.
قولها: "يَقِلَ أَن يَرْجِع إِلَى أَهْلِه لِيَتَّبِعُوْدُ لَذَيْكَ" فكان على الصلاة والسلام - يتزود ما يكفيه الليلي أولات العدد، يمكث في هذا الغار، فيخلو فيه بنفسه، ويتذكر في خلق السماوات والأرض ويتعبد الله، حتى إذا قُيلَ زاده رجع إلى خديجة.
قولها: "يَتَبِعُوْدُ لِصِيَافِهِ" يعني: يتزود لمثل تلك المندة التي مضت، وهكذا دأبه - على الصلاة والسلام -
قوله: «حَتَّى قَهَّة» يعني: جاءه الوحي فجأة وبغتة؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - لم يكن موقعاً للوحي، كما قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ أُيُونًا إِلَيْهِ رُوَّاهَا مِنْ آنِيًا مَا كَتَبْنَ فَيْتَ مَا كَتَبْنِ وَلَا آتَيْنَٰهُ مِثَالًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّنَا فَلَا تَظْهَرِّنَّ عَلَيْهِ ﴾[الكسف].

ففجأة الملك، وسماه في هذا الرواية بالحق؛ لأن ليس باطل، ولا شيطان موسوس، وإنما هو الوحي الحق من الله تبارك وتعالى.

والملك المراد به هنا: جبريل ﷺ، فإنه الملك الأعظم صاحب الوحي إلى المرسلين.

قوله: «ما أنا بقارئ؟» معناه على الصحيح: أنا لا أحسن ولا أعرف القراءة ولا الكتابة، والرسول - عليه الصلاة والسلام - كما هو معلوم كان رجلاً أمياً، وأمياً النبي ﷺ إعجاز، وكما أن قصصه من بعده من الناس، وإعجازه كونه يأتي بمثل هذا الكتاب العظيم، ويمثل هذه العلوم العظيمة، والخبر والهداية، والأحكام والتشريع من عند ربه ﷺ، وهو لا يعرف القراءة والكتابة، فهذا من أعظم الإعجاز، وهو دليل من دلائل صدقه - عليه الصلاة والسلام -؛ لأن لا لو كان يقرأ ويكتب، لاتهم الناس بأنه هو الذي كتب القرآن، وقد اتهم في ذلك وهو لا يعرف القراءة والكتابة!!

وقال بعض العلماء: «ما أنا بقارئ؟» يعني: ماذا أقرأ، أي أن (ما) هذا استفهاماً وليس مفيداً، وهذا يبدو عليه ووضعه قوله: «قارئ؟»، لأن حرف الباء هنا يُرَدُّ هذا القول، فله قال: ما أنا قارئ، لكان فيه
شرح حكايته الإمام من مختصر صحيح مسلم

استفهامهم، أي: ماذا أقرأ؟ فالصواب أن النبي - عليه الصلاة و السلام - قال:

«ما أقرأ؟» يعني: لست ممن يقرأ، لست ممن ينادى القراءة.

قوله: "غطتي" معناه: عصريني و ضمائي بشدة، ويقال أيضًا: غتني، بابناء. أي أن الرسول - عليه الصلاة و السلام - لما أجاب بهذا الجواب، أخذ الملك، فضغطه و ضمه بشدة.


ودال أولًا يجوز فيها الوجهان: الجهد والجهد.

فعلى النص: يعني بلغ جبريل مني الجهاد، يعني: قد ضغطني حتى تعب وهو.

وأذا قلنا: "حتى بلغ من الجهاد" فيكون الذي تعب و بلغ الغاية في المشقة، الرسول.

قوله: "أرسلني" يعني: أطلقتني بعد أن ضماني و ضغطني.

«أقرأ يحيى بعثت الله علّق»، وهذا دليل صريح على أن هذه الآيات، هي أول ما نزل من القرآن، وهو قول الجامع من السلف والخلف، وقال بعضهم: [رببى الدنيا] هي أول ما نزل من القرآن، لكن هذا مردود بهذه الرواية الثانية.

قوله: "ترجف بمواده" البدو: هي لحمة بين الكتف وال عنق.

تضرع و ترجف عند الخوف و عند الفزع، ولا شك أن النبي قد فجاه هذا الأمر، وهو أمر غريب على طبيعة البشرية، وفيه شدة و شقية كما معنا.

قوله: "زملوني و ملولي" أي: دروني بالثوب، و غطوني بالأغطية.
ولفوني بها، وهذا شأن من يصاب برحفة، أنه يطلب الدفء لكي تسكن عنه الرجفة.

قوله: "أيه الخفيف! ما لي" أي: ما الذي حصل بي؟ ولا يزال النبي في دهشه من أمر عظيم قد غشيه، حتى سأل وقال: ما لي؟ وما الذي حصل في؟

قوله: "لقد خُفِيتَ على نفسي" أي: خففت على نفسي مما حصل وجرى.

قوله: "كما آبرآي، فأهلك لا تضحك الله أبداً" من الخزى، وهي: الفضيمة والعار في الدنيا. فأقسمت بالله، وبشرته، لماذا؟ لأنه كما وصفته بهذه الأوصاف الجميلة:

قولها: "إيّاك لتكمل الزجم" أي: أنك معرف بصلة الرحم.

قولها: "وتشذب الخبيث" الرسول كان معرفًا بالجملة بأنه الصادق، ومعروفًا بأنه الأمين، فكان لا يصغي إلا: بالصدق والأمان، لكثره صدقته، ولا يعرف عنه الكذب أبداً، كما جاء في الرواية الصحيحة: "ما جربنا عليك كذبًا".


فدخل فيه كل ضعيف من ينتمي أو امرأة مسكونة ضعيفة وما أشبه ذلك، وهو أيضًا من الكلام أياً: الإعباء.

قولها: "وتكبب المدعو" بالفتح وبالضم والفتح أشهر يعني: تعطي
الناس ما لا يجدون، والمعدوم: هو الذي ليس عنده شيء، وتكسبه يعني: تعطيه وتنفعه بما ليس عنه.

وقال بعض أهل العلم: تعطيه وتنفعه من حسن الأخلاق والفوائد في المعاملة، ما لا يجد عند غيرك، فيكون هنا الكسب، كسب الخلق والخير.

قولها: "وَلاَ تَنَوَّئُ النَّفْسُ" من القرى وهو: إكرام الضيف، أي: إنك معروف بإكرام الضيف، طعام الضيف يقال له: قرى.

قولها: "وَوَادُحْ جَلَّ الْحَمَّامَ" النوايب هي: الحوادث، تعين على نوايب الزمان، أي: من حدثت له حادثة، نزلت به مصيبة، فإنك تعينه، وهذه من مكارم الأخلاق التي كان العرب يتفون بها ويدركونها في مفاخر الآباء والأجداد، لأنهم يعينون الملهم.

قولها: "قَاتِرَ فِي الْخَاءِمِ" أي: صار نصرانيًا، فترك ما كان عليه المشركون من عبادة الأصنام، وكان يذهب إلى الشام ويقرأ من كتبهم حتى صار نصرانيًا موحدًا، ولم يكن مشركاً.

قولها: "وَكَانَ مِنْ النَّجِيْلِ بِالْغَرْبِيَّةِ" أي: أنه يترجم الإنجيل إلى العربية، والإنجيل مكتوب بالسريانية في أصله، فكان ينقله إلى العربية.

قولها: "وَكَانَ مَبْيَعًا كَبِيرًا قَدْ عَمِّي" يعني: أنه قد كبر في السن، وفقد بصره.

"أَيُّ عَمِّيَ" إنما قالت له: أي عمم، لكبير سنه، والعرب تسمي كبير.

القدر والسن: عمّ.

قوله: "هَذَا النَّامُوسُ" الناموس هو: صاحب السن من أهل الخير،
قال عن جبريل الذي نزل على النبي ﷺ "هذا النَّاَمُوسُ" يعني: هذا صاحب سير الأنبياء، الذي ينزل باللهي عليهم.

أما الذي يعرف الأسرار بالشر، فقيل له: الجواس.

قوله: "اللَّهُ يَأْتِيَ عَلَى مُوسَى" يعني: أن هذا الملك، هو نفسه الذي كان ينزل على موسى عليه السلام.

قوله: "سَجَدَهَا" الجذع يعني: الشاب القوي، ثم ين، أن يكون شابًا؛ لأن النبوة أدركته وقد شاهد وَكَرُرُتْهُ.

قوله: "أُمَّخْنَحْيُهُ هُمُ؟" يعني: هل هم سيديرجونني من بلدي وموطني؟

قوله: "مَنْ أَزَارَهُ" يعني: قوية بالغة، بشد به أزر، كما قال رينا: "الْمَنْ أَزَارَهُ إِلَى أَزْيَرَهُ" [ط]، يعني: قويني بأحنا ورسالة أخني.

أما فوائد الحديث:

قولها: "أَوَلَمْ يَنْبِئُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَهْيِ الرَّزْوَا الذي الصادقة في النَّوُومُ يقول العلماء: إنما بدأ رسول الله ﷺ بالرؤية الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كما رأها، واضحة كفَّنَّصَ الصبح في الوضوء واليان، قالوا: لعلّك تفاجئ بنزول الملك مرة واحدة، ولعلّك تأتي النبوة صريحًا بغتي، فلا تحتمها قوي نفسه البشرية، وقد جاء أيضًا أن الرسول ﷺ كان يرى بعض التباحث التي تبَّعه بالنبوة، فرواية مسلم في صحيحه: أنه قال ﷺ: "إني لأعرف حجراً مكَّة، كان يسلم على قبل البعنة، إني لأعرفه الآن" فهذا التسلل كان قد سبق النبوة، وفيه تهيئة للنبي، وأيضاً كان يرى الضوء ويسمع الصوت ثلاث ستين، قبل أن تتلبه النبوة، كما جاء في الحديث الصحيح.
شرح مكتبة الإيمان من مختصر صحيح مسلم

هذا كله من إرهامات النبوة، ومقدمات الرسالة، لثلا يتفاجى بالنبوة والرسالة مرة واحدة فلا يحتمل، ونزول الملك كان صعبًا عسيرًا على النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لنقل ذلك على النفس البشرية.

وقال بعض أهل العلم: إنما قال مثل فلق الصبح، ولم يقل مثل ضوء النهار؛ لأن هذا في أول النبوة، كما أن فلق الصبح أول النهار، فكان هناك مناسبة بين التعبيرين.

وقولها: "فكان يغلب يقطر جراءه" في أن العزلة معها فرغ القلب، وهي معينة على التفكير، وها يقطع الإنسان عن مألوفات البشر، ويصع قلب وتصف نفسه، مما يهيئ النفس لقبول الحق وقبول الخير، والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد خص من ذلك بشيء عظيم، حتى نهأت نفسه لقبول الرسالة، وحمل أعباء النبوة.

والعزلة تستحب في بعض المواضع وتكره، وربما تحرم في بعض المواضع، كالعزلة عن الجمعية والجماعة.

فأما العزلة عن الشر، فإنه من مستحبات الشرعة وواجباتها، فالعزلة للشر، إما أن يكون مستحباً، وإما يكون واجباً، كما قال الله تعالى: "وأيما رأيت الذين يحضرون في ديني فأذنهم عنيهم حتى يحضروا في حديث عقرار. وإذا يغتسلن فلأتقن من بعد أثقالهم من الفناء الطويلين [الأنعام]". فإذا رأيت من يفكر أو يستهر بآيات الله، أو يخوض في دين الله بما لا ينبغي، وليس عنده توفير الله ولا لديه، فعليك أن تعزل هذا المجلس، فما لنا العزلة واجب.
وكذلك اعتزال الناس في المعاصر، فلا بد أن توطن نفسك أن لا تعصي الله إذا عصي الناس ربه. ولا تكن إعماً تقول: إن أطاع الناس أطعه وإن عصوا عصيت! لا وإنما تعزز الشر وتباعد عن مجالس الله المحرم، أو مجالس الغيبة، أو مجالس المنكر والفسحة، وإلا فمن حضر المجلس الذي يلتقي فيه الحرام ورضي به فإنه يكتب كفاحه وإن لم يفعل، بل لو بلغ إنسانًا أن منكرًا ما وقع بالأرض، فرضيه، كتب عند الله كمن شهد، وأما من حضر مجالسًا وكرهه، كتب كمن غاب عنه، وهذا من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين.

قوله: "حتى فتحته الحلق" أي: جاءه الوحي بفمه، فإن النبي ﷺ لم يكن متوقعاً للوحي، كما قال ﷺ: "كذاك أوحياً إليك ورأوا ما أكان الذي ما الكتب ولا الإيمان ولكن حطت فيه نوراً تهدأ به من شدة من يباداها وتعيد إلى صبرك تستجيب" [الشريعة]، وكذلك قوله تعالى: "وَكَتَبْنَا نَزْلًا مِنْ قَبْلٍ مِّنْ كَبْرٍ وَلَا تحط، يَبْتَغُونَ إِذَا أَرْتَابُّ المُحِيطُونَ" [المكتوبات]، فالرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام لم يكن له علم بأخبار الأنباء، إلا ما كان عنده قومه؛ لأنه لم يكن يقرأ، فلم يطلع على ما في كتب السابقين من الأنباء الأولين إلا ما كان مشهورًا عند مشركي مكة، وهذا أقطع للشيعة عن رسول الله ﷺ، لأنه لم كان قادرًا كابنًا متعلماً لأخبار الكتب الأولى؛ لأنهم بأنه قد ادعى النبوة تأثرًا بذلك واعتمد أخبار الأولين، وهو مع ذلك قد اتهم! وهو أبعد ما يكون عن معرفة القراءة والكتابة، قال تعالى: "وَكَتَبْنَا نَزْلًا مِّنْ قَبْلٍ مِّنْ كَبْرٍ وَلَا تحطُ، يَبْتَغُونَ إِذَا أَرْتَابُّ المُحِيطُونَ" [المكتوبات].
قوله: "فأخذني فغمِلي حتَّى بلغ مُنَيَّةِ الجُهَّادِ" يقول العلماء: الحكمة.

في ذلك استحضار القلب وشغله عن الالتفات إلى غير ما يقال، والمبالغة في ذلك. فجبريل فعل ذلك من أجل أن يستحضر قلب النبي محمد ﷺ، ويشدد اتباعه.

ومن هنا أخذوا أنه ينبغي للمتعلم أن ينِّبَّه المعنى إذا رآه غفل؛ لأجل أن لا يفوتونه الدرس، ولا ينبغي للمتعلم أن يغفل عن فهم المعنى. فينظر في السقوف أو إلى الزخارف أو ينظر إلى ثيابه، أو ما أشبه ذلك من الأفكار التي تلهيه عن استماع الخير.

وقيل: إن جبريل فعل ذلك ليخبر النبي محمد ﷺ، هل يقول شيئًا من عند نفسه إذا اضطر؟ أم أنه يبقى ثابثًا ويقول: "ما أنا يقرأ؟". هذا إذا فسرنا "ما أنا يقرأ؟" ماداً أقرأ؟ والصحيح: أن معنى ما أنا بقائِ أني: أنا لست ممن يعرف القراءة والكتابة.

ولا شك أن النبي محمد ﷺ قد بلغ الغاية في الزواهية عن التقول على الله تبارك وتعالى، قال تعالى: "قل رَبِّ نَقْلُ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَفَوَّلِ زُحُوفًا وَالْيَدِينَ" [القاتر: 45]. وهذا فيه تنبيه للعالم وغيره: أن لا يقول شيئًا من عند نفسه، يقول الإمام مالك: جَنَّةَ العالم إذا سأل عن شيء لا يعرفه، أن يقول: لا أدرى، فإن أخطأها أصبت من المقاتل.

يعني من لم يتعلم أن يقول لا أدرى إذا سأل عن شيء لا يعرفه؛ فإنه يصاب منه المقاتل، والعيان بالله، يعني: يصيب منه الأعداء المقاتل؛ لأنه يكون قد سقط في خطأ عظيم من القول على الله تعالى بغير علم.

فقوله: "لقد حسبت علَّي تَقشِّي" ليس هو بمعنى الشك بما آتاه من
عدد الله ﷺ، لكن يقول العلماء: النبي ﷺ خشي ألا يقوى على حمل أعباء الرسالة والنبيّة، إذا قلنا أن معنى «خشبكُ علی ترضي»: ليس هو الخوف مما حدث وما رأى وإنما النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام خشي أن لا يقوم بأعباء الرسالة، فثبت الله ﷺ على ذلك، فطمذته خديجة ﻓُ. فقالت له: «كَأَلَّا أَبْنِيُّ، قَوْالَهُ ﻷُتَذْكِّرُكَ إِنَّ أَبَداً» وفي رواية معمر: «كَأَلَّا وَلَهُ ﻷُتَذْكِّرُكَ إِنَّ أَبَداً» أي: لا يُذْكِّرُكَ إِنَّ أَبَداً لما جعل الله تعالى فيه من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل، وهذا دليل على أن مكارم الأخلاق والإحسان إلى الخلق، وعمل البر والصلاح، مما يدفع عن الإنسان المكره، كما قال: عليه الصلاة والسلام. فيما رواه عنه أنص: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»(1).

فخصال الخير سبب للسلامة من الشر، والسلامة من مصارع السوء، ولا شك أن الله ﷺ تبارك وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته، فاختار أكرم الخلق، وأحسنهم أخلاقيًا لهذه الرسالة، فكان خديجة تقول له: كيف يضيعك الله وأنت فيك ما فيك من خصال الخير، ومن كانت فيه هذه الخصال لا يمكن أن يضيعه الله. وفيه: أعظم دليل وأبلغ حجة، على كمال عقل خديجة ﻓُ، وأنها كانت من كُضُل النساء كما قال: عليه الصلاة والسلام. «خير نسائنا مريم بنت عمران، وخير نسائنا خديجة بنت خويلد»(2).

فهذا الجواب بدل على وفور عقلها وكمال فههما، فإنها قالت: «كَأَلَّا أَبْنِيُّ، قَوْالَهُ ﻷُتَذْكِّرُكَ إِنَّ أَبَداً»، والله ﷺ إنَّك تصلِّ الرحم، وتصدِّق الحديث،

(1) حديث صحيح، رواه الطبراني في الأوسط (1886) وغيره، وهو صحيح لطفره.
(2) متفق عليه من حديث علي ﺑ. ﻓ.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

وَحَتَّىٰ إِلَّاٰ ذَٰلِكَ، وَتَكَبِّرُ الْمَعْدُونَ، وَتَقْرَىُ الصَّيْفَة، وَتُنَبِّئُ عَلَىٰ نَبَأٍ إِلَّاٰ ذَٰلِكَ،

أي: كيف يخزيك الله، وانت فبك مثل هذه الصفات الجليلة الكريمة؟!

وفي هذا: جواز مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال، فقد يضعف الإنسان ويهاجمه على نفسه، فيحتاج إلى شيء يقوي نفسه ويصفحه، فخديجة صبيحة مدحته في وجهه، ولا يمس بالمدح في الوجه أحياناً، إذا كان فيه ثبوت أو كان فيه تشجيع، إذا أُنبِّئَ الفتنة.

وفيه أيضًا: استحباب تأييس من حصل له خوف لإزالة الروع عنه، وطمأنة وتبشيره، وذكر آسباب السلامة له، وما ينفعه على الخروج من مازقه.

قولها: «أَيُّ عَمَّا!» فيه دليل على أن العرب قد تسمي من ليس عمًا بعم، من باب التكريم والتبجيل والتزكير، كما تسمي من ليس باب بالأب، ومن ليس بالابن بابن، فالعرب تقول مثلًا: يا ابن أخي، ولا ترد أنه ابن الأأخ حقاً.

قوله: «إِنَا لَكَنِي فِي هَٰذَا جَذَعًا» تمنى أن يكون أدرك الدبكة في وقت الشباب؛ لأن الشباب فيه القوة والحيوية والنشاط، وهذه أمور يحتاجها الإسلام، ويحتاجها أهل الحق، فالشباب هم قوة الإسلام، وإذا صلح الشباب صلح أمر الأمة، فإن الأمة قوية بقوة شبابها، وللهذا تجد أعداء الله يترك وتعالى يخططون لفساد شباب المسلمين أكثر مما يخططون لغيرهم؛ لأنهم يعلمون أن الشباب هم عناص الأمة، فإذا فسدت أخلاقيهم وانحلت، فلا قيم للامة بعد ذلك، فالحق يحتاج إلى القوة والشاب.

قوله: «لَمْ يَأْتِ يُبْنِى رَجُلٌ فَطَرَ يَمَا جَعَلَهُ إِلَّاٰ غَوْيًا» دليل على أن معاداة
الناس للرسول وأتباعهم يقامة في كل زمان ومكان، فمعادة الناس للرسالة السماوية وتعاليم الله ورسله موجودة في كل زمان ومكان وقائمة، لأن الإنسان هو الإنسان، وشهاداته وأهوائه هي لا تتغير، والناس مجبولون على معادة من يعارضهم في شهاداتهم وأهوائهم ومبادئهم ومبادئهم وعاداتهم، ولهذا فلا يستغرب المرء من عداء الناس للدعوة الإسلامية، ولو من أهلها أحيانًا؛ لأن الناس كما قلنا لهم أهواء وشهادات ومبادئ، يغتصبون من يُعارضهم فيها، وليس كل من عادي الحق عادة لأنه يجهله، بل هناك من يعادي الحق وهو يعلم أنه الحق، ولكنه يكره أن يتباه، ويكره أن يخضع له وينقاد، وهذا من العنان الله رب العالمين، ورسله الكرام صلوات الله عليهم أجمعين وأتباعهم من المؤمنين.

وهذا أيضًا من صراع الحق مع الباطل، فإن صراع الحق مع الباطل قديم، قدم الخليقة، فمنذ أن خلق الله تعالى الخليقة؛ والصراع موجود، فنسأل الله تعالى أن ينصرنا على أعدائنا من الكافرين والمعافين، إنه هو السميع العليم.

** ** **
(74) عن يحيى قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل قبل؟ قال:

«بَعْضُهَا النَّبِيَّةُ»، فقلت: أو «آتِرَا» فقال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال:

«بَعْضُهَا النَّبِيَّةُ»، فقلت: أو «آتِرَا» قال جابر: أَهْذِهُ أَنْبَأْكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهُ ﷺ، قال: جَاَوَزَتْ بِحِجَرٍ شَهْرًا، فَلَمْ تَقْسِيمَ جَوْارِي تَرََّلْت فَإِسْتَجَبْتَ بَيْنَ الْوَادِيِّ، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ أَمَايًا وَخَلْفِي وَعَنْ بَعْضِي وَعَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ أَمَايًا وَخَلْفِي وَعَنْ بَعْضِي وَعَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ أَمَايًا وَخَلْفِي وَعَنْ بَعْضِي وَعَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ أَمَايًا وَخَلْفِي وَعَنْ بَعْضِي وَعَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ أَمَايًا وَخَلْفِي وَعَنْ بَعْضِي وَعَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ فَلَمْ أَرَ أَخْرَى، فَنَوَّدِثْتُ، فَقَتَّرْتُ أَمَايًا وَخَلْفِي وَعَنْ بَعْضِي وَعَنْ يَمِينِي. 

الشرح:

الحديث الثاني في هذا الباب: باب ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي، حدث جابر بن عبد الله الأنصاري ﭖ.

فوله: «سَأَلَتُ أَبَا سَلَّمَةَ» وهو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري، تابعي ثقة مكثر، روى له السنة.

«أَيْ الْقُرآنَ أَنْزُلَ كَبِيلٌ؟» أي: سورة، وأي آية نزلت قبل غيرها من السور والآيات.

قال: «بَعْضُهَا النَّبِيَّةُ»، فراجعه يحيى فقال له: «أَوْ آتِرَا» لأنه مشهور أن أول ما نزل من القرآن هو: «آتِرَا يَأْخُذُونَ رَيْطًا أَلْدَى حَلَقٍ» [العنك].

وأما في حديث الزهري عن أبي سلمة بن هانئ، إذ يقول: فبينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء، فرفع رأسنا فإذا الملك الذي جاءني بحراة جالسًا على كرسي بين السماء والأرض، فهذا ينادي أن هذا الذي نزل فيه قوله: {يا أبا الصديق}، كان بعد فترة وجيزة، لأنه صرح بذلك في أول الحديث وقال: إذا الملك الذي جاءني بحراة أي: قد رأه قبل ذلك.


أي: لما صرت في باطن الوادي نوديتي، لما نزل من الجبل المعروف بجبل النور الذي فيه غار حراء.


أي: كما قلنا: على الكرسي.

قوله: «في الهواء، يُغِيبُ جَبَرِيلُ اللَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالضَّraising sign

أي: في جو السماء، والهواء أيضاً يطلق على شيء خالي، كما قال تعالى: "فَأَخْلَّثُهُمْ هُوَاءً" [البراق]. يعني: خاليه من كل شيء.

قوله: "فَأَخْلَّثُهُمْ هُوَاءً" يعني: اضطراب وفزع وخوف.


قوله: "فَجَلَّتْ مَنْ فِقَرَ" يعني: أخذ العلماء أنه ينبغي أن يصب على الفزع الماء، ليسكن فزعه، وهذه عادة جارية أن من خاف من الأطفال، يفسلون وجهه ويصون عليه شيئاً من الماء ليذهب عنه الفزع والخوف.

قوله: "فَأَخْلَّثُهُمْ هُوَاءً"، مرَّ معنا نفس المذره.

قوله: "بَعْثَنِيَ اللَّهُ بِهِ" أمره الله أن يقوم بأعمال الدعوة، وأن يترك النوم.

(وربّك فكير) أي: عظم ربك ﷺ، ورفع من شأنه، ونزعه عن كل ما لا يليق به جل وعلا من النفايات والأفات.

قوله: «وَذَلِكَ فَطَعَّرَ» أي: ظهر ثوابك من النجاسة الحسنة وابتدعت عنها، وقال بعض أهل العلم: قصر ثوابك، كما قال تعالى: «كُلّهُ لِلنَّبِيِّ وَلِلَّهِ» (القصاص: 10). فتعتبر الذبابة أبعد لها عن الأوساخ والقدرة والنجاسة. وقيل المراد هنا بالثواب: هى النفس والروح، يعني: ظهر نفسك من الذنوب وسائر النفايات والرذائل، وهذا مستعمل في لغة العرب، كما قال الشاعر:

إذا الماء لم يدنن من اللؤلؤ عرضه فجعل رداء برتدية جميل.

فيجعلون الزي والخلق والنفس بنمط بنزلة الثوب والرداء.

قوله: «وَذَلِكَ فَطَعَّرَ» قراءة حفص بضم الراء، وقراءة غيره بكسر الراء، وهم قراءان صحيحتان. والرجع المراد به هنا: الأثمان، كما جاء تفسيره في بعض الروايات عن الرواة، ووجه في قوله تعالى: «كَانَتُ كَبْسَةٌ أَلْيَبٍ عَن الْأُثْمَانِ» (الحج: 90)، فالمراد بالرجل هنا: الشرك والأوثان،
وأيضًا الرجز يأتي في كتاب الله يعبني: العذاب، فكانَ الآية تقول: اجتيب أعظم أسباب العذاب، ألا وهو الشرك، كما قال الله تعالى:  

«كَأَنْفَسَكَ عَلَى الْأَرْضِ َثْمَانِينَ مِلْيُونَ يَوْمًا»  

(النحل)  


فالكرسي استعمله النبي ﷺ للتعليم والوعظ. ويقول بعض المفسرين أن: «نَثْرُهُ بِالْأَرْضِ» فيها ملاطقة للنبي ﷺ، إذ أن الله ﻷلم يخاطبه باسمه، وإنما خطبه بما جرى به عادة العرب إذا قصدت الملاطقة، أنها تسمي المحاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها، كما قال النبى ﷺ لحذيفة:  

«قَمُوا لَا نَومًا» (1)، وقال لعلي ﻷلم يراه نائمًا في المسجد النبوي التراب بجانبه، قال له: «قَمُوا أَبا التراب» (2)، فإذا من باب التأنيس، وربما لو خاطبه باسمه لكان في ذلك هو عليه وشدأ.  

** ** ** ** **

(1) رواه مسلم في الجهاد والسير (1415/3) باب غروة الأحزاب.
(2) رواه مسلم أيضًا في歧ائل الصحابة (1875/4) باب من歧ائل علي ﻷلم، من حديث سهل بن سعد ﻷلم.
باب: في كثرة الوجه وتابعه

(۷۵) عن أسى بن مالك: "أَنَّ اللَّهَ حَفَّظَ الْوُحَيٍّ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ
كَرِهَ وَقَاتِيهِ حَتَّى نُوْفَكَ، وَأَكْثَرُ مَا كَانَ الْوُحَيٍّ يُؤُمُّ نُوْفَكَ رَسُولِ اللَّهِ.

الشرح:
الحديث خرجه مسلم في أول كتاب التفسير.
قوله: "أَنَّ اللَّهَ حَفَّظَ الْوُحَيٍّ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ كَرِهَ وَقَاتِيهِ" أي:
أكثر إنزاله قرب وفاته.
قال الحافظ ابن حجر: "والسُّلُك في ذلك: أن الوفود بعد فتح مكة
كثروا، وأكثر سؤالهم عن الأحكام، فكثر النزول بسب ذلك"(۱).
قوله: "وَأَكْثَرُ مَا كَانَ الْوُحَيٍّ يُؤُمُّ نُوْفَكَ رَسُولِ اللَّهِ" وفي لفظ
البخاري: "حتى توفاه أكثر ما كان الوحي" أي: الزمان الذي وقعت فيه
وفاته، كان نزول الوحي فيه أكثر من غيره من الأزمنة.
قال الحافظ: "وهذا الذي وقع أخيراً - أي من كثرة الوحي - على
خلاف ما وقع أولاً، فإن الوحي في أول البعثة فترته ثم كثر، وفي أثناء
النزول بمكة لم ينزل من السور الطوال إلا القليل، ثم بعد الهجرة نزلت
السور الطوال المشتملة على غالب الأحكام، إلا أنه كان الزمن الأخير من
الحياة النبوية أكثر الأزمنة نزولاً بالسبب المتقدم"(۲).

(۱) مسلم بشرح النووي (۱۵۲/۱۸) ولم يتعرض له النووي بالشرح، ورواه البخاري في
فضائل القرآن (۳/۹).
(۲) الفتح (۸/۹).
(۳) المصدر السابق.
باب: الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات وفرص الصلاوات

الخامسة، فاستفتتح جibril، قال: من هذا؟ قال: جibril، قال: وَمَنْ مُكَّنَكَ؟ قال: مُكْنِح، قَالَ: وَقَدْ بُعِثْتَ إِلَيْهِ، فَفَتَحْنَا لَهَا، فِي أَنَا بِيَارَمَّن. فَقَالَ: قَلْبُ وَذَا لَي بَيْحَبْ، فَمَا غَرَّجْنِي إِلَى الْسَمَّاءِ الْكَبْرَى، فَإِنَّا فَأَسْتَفْتَحْنَاهُ جِبَرِيل، قَالَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبَرِيل، قَالَ: وَمَنْ مُكَّنَكَ؟ قَالَ: مُكْنِح، قَالَ: وَقَدْ بُعِثْتَ إِلَيْهِ، فَفَتَحْنَا لَهَا، فِي أَنَا بِيَارَمَّن، مَنْشِدًا أَظْهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ المُصْمُورِ، وَإِذَا أَحَبَّبْتُنِي كَلْ يُؤْمِنُونَ أَلْفِ مُكَّنِحٍ. فَقَالَ: وَإِذَا لَمْ يَمْوِلْنِي إِلَيْهِ، فَمَا ذَهَبْتُ بِي إِلَى السَّمَّاءِ المُنْتَخِبِ. وَإِذَا قَدْ أَسْتَفْتَحْنَاهُ جِبَرِيل، قَالَ: قَلْبُ وَذَا لَي بَيْحَبْ. وَمَا غَرَّجْنِي إِلَى الْسَمَّاءِ الْكَبْرَى، فِي أَنَا بِيَارَمَّن، مَنْشِدًا أَظْهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ المُصْمُورِ، وَإِذَا أَحَبَّبْتُنِي كَلْ يُؤْمِنُونَ أَلْفِ مُكَّنِحٍ. Fَقَالَ: وَإِذَا لَمْ يَمْوِلْنِي إِلَيْهِ، فَمَا ذَهَبْتُ بِي إِلَى السَّمَّاءِ المُنْتَخِبِ. وَإِذَا قَدْ أَسْتَفْتَحْنَاهُ جِبَرِيل، قَالَ: قَلْبُ وَذَا لَي بَيْحَبْ. وَمَا غَرَّجْنِي إِلَى الْسَمَّاءِ الْكَبْرَى، فِي أَنَا بِيَارَمَّن، مَنْشِدًا أَظْهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ المُصْمُورِ، وَإِذَا أَحَبَّبْتُنِي كَلْ يُؤْمِنُونَ أَلْفِ مُكَّنِحٍ.
الحديث: أخرجه مسلم في الإيمان، وبوَب النروي. (209/2)

على هذا الحديث، العنوان الذي ذكره المندري هنا. وهو حديث عظيم كثير الفوائد، فيه حكاية حادثة الإسراء والمغيب.

والإسراء والمغيب قد دخلت فيه كثير من الأحاديث الواهية والكذبية، واشتهرت بين الناس، فينفي عند الكلام فيه أن يعتمد على الأحاديث الصحيحة فقط، وأن لا ينفث إلى الأحاديث الواهية والأحاديث الصاخبة التي تناولها الأنسون، أو يكثر ذكرها أحياً بين الخطباء بغير علم، ومعتمد في ذلك على الصحيحين أولاً، وقد أخرج جملة طيبة من أحاديث الإسراء وحوادثه، ثم بعد ذلك ما جاء في سنن الإمام أحمد والسنة الصحيحة، ولا ينفث إلى الأحاديث الصاخبة الواردة في هذا الباب، ففي الصحيح غنية عن الصاخب.

فوله: "أُلَبَّث بِالخِبَارِ، وَهُوَ ذَانِةُ أَنْبِئَ عَلَى طَوْيلٍ، فَوَقَّ الْحِمَامُ وَدُونَ الْبَيْلِ" يدل على أن البراق دابة تركب، ووصفها النبي ﷺ بأنها فوق الحمار، والذي يظهر أنها على شكل الحمار أو على شكل البغل، هذا الذي يظهر؛ لأن النبي - عليه الصلاة والسلام - لم بيعده شيء.

ولكنه سريع جدا حيث أنه "يَقَعُ حافَّةً عَندَ مَنتَهى طَرَفهِ" يعني: عند
شرح مختصر صحيح مسلم

منقطع البصر، أي: عند انقطاع البصر في مستوى الأرض، وهذا يدل على سرعته.

أما لماذا سمى بالبراق؟ فقال ابن دريد: اشتقاق البراق من البرق، فسمي براقيا لأنه كالبرق في السرعة.

وقيل سمى بذلك: لبريقه، يعني: شدة صفائه لونه وتلؤه.

وقيل غير ذلك فيه.


لأن التقديس هو التنزه والتطهير، كما قالت الملائكة: "تَنَقِّيَّـسُ ۖ آَلِكَ".

[النفرة: 30]، يعني: نزهك عن كل ما لا يليق بك.

أما من خَفَّف فيكون معناه: المكان الذي جعل فيه الطهارة، وتطهير بيت المقدس إخلالًا من الأصنام، فلا أصنام فيه تعبد من دون الله.

وقال الزجّاج: بيت المقدس: المكان الذي يظهر فيه من الذهب، يعني: أن هذا المكان يظهر فيه العباد من ذهب، وهذا معلوم، فإن الأرض المقدسة تصور أصحابها من الذهب؛ لأنهم يتعبدون فيها، لا لمجرد السكنى فيها، فمجرد السكنى في الأرض المقدسة لا يظهر الإنسان من الذهب، ولو سكن في البيت الحرام، وإنما الذي يظهر الإنسان عمله، كما قال سليمان عليه السلام: "إن الأرض المقدسة لا تظهر أحدًا، ولكن الذي يظهر الإنسان عمله".

فعملك أيها الإنسان هو الذي يظهرك، ولو كنت في غير بيت المقدس.

(1) رواه أحمد في الزهد (ص: 15) بسند حسن.
والبلد الحرام. ويُسمى بيت المقدس أيضاً: بإليا. قوله: "قرَّطته بِالطَّغْطَةِ الَّتِي يِتَرُطِّبُهُ الَّذِينَ آتَاهَا" الحلقَة هي: حلقَة باب بيت المقدس، فإن البيت كان له حلقَة يربط به الأنبياء ذويهم.

وقد يأخذ من هذا ما جاء في بعض الآثار ويحتاج إثباتاً إلى نظر: إلى أن الأنبياء كانوا يستعملون البراق، واستندوا على ذلك بعض الروايات في السيرة ذكرها الفاقيه والأزرقي: أن البراق كان يستعمله الأنبياء، وأن إبراهيم عليه السلام كان يستعمله في زيارته لمكة (1).

قوله: "يَا عَرَجْ بِتَا إِلَى السَّمَاءِ" عرج بمعنى: صعد، العروج هو الصعود.

قوله: "يَا ذَهَبْ بَيْنَ الْبَرَاقِ الْمَنْتَعِيِّ" سميت بذلك؛ لأنَّ علم الملائكة ينتهي إليها، وما جاورها أحد إلا محمد ﷺ. وفي الحديث عن ابن مسعود: أن بديора المنتهي سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها، وما يصعد من تحتها، من أمر الله، وسياطي.

قوله: "وَإِذَا كَوْمًا" وفي رواية "بنبها كالقافلة" القافلة جمع قلة، وهي الجَِرَّة العظيمة التي تسع قريبين فأكبر. والنبى هو ثمر السدر وسمى بالكنار أيضاً.

* فوائد الحديث:

اختلف الناس في الإسراء بالرسول ﷺ هل كان في المنام أم كان يفظة؟ والذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتآخرين من الفقهاء قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح" (7/207) بعد أن ذكره: هذه أثر يُبدِعُ بعضها بعداً.

(1)
والمحذرين: أنه أُمر بنو محمد ﷺ بجسد وروحه يقظة لا مثلا، كما في الآية التي في سورة الإسراء: «مُسَيِّبُنَ الْيَوْمَ أَشْرُعُونَ لَكُمُ اللَّهُ وَمُلُوكُكُمُ اسْتَرْعَىَ اللَّهُ وَمُلُوكُكُمُ الْكَرُوهُ» [الإسراء: 1]، فإن كلمة: "عبد" لا تطلق على الروح فقط، وإنما تطلق على الروح والجسد معاً.

ووكذلك الأحاديث تدل على هذا، ولأنه لو كان روحًا ومنامًا لم يكن في ذلك إعجاز؛ لأن كل الناس يُمكن أن يرى الواحد منهم أنه قد سافر إلى بلاد بعيدة، ربما تبع شهرًا عنه، مثل: ما يرى النائم أنه زار الصين، وليس في ذلك إعجاز ولا عجب!! ولما كان يتعجب منه الكفار لقول لهم: إنِي رأيت أنِي أثبت المكان الفلاني وحضرت المكان الفلاني! لكن الذي فيه إعجاز وكان فيه فتنة، حتى ارتدد بعض من أسلم حديثًا في حادثة الإسراء، هو أنه أخبرهم أنه ذهب بنفسه إلى بيت المقدس وصلَّى فيه، ثم رجع في ليلة واحدة، هذا الذي فيه الإعجاز.

أما ما قبل في وقت الإسراء: فالصحيح أولاً الذي عليه أكثر أهل العلم: أنه كان قبل الهجرة.

أما وقته، فقال الإمام أبو إسحاق الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.

وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه بخمس سنين.

وقال ابن إسحاق: أُمر به وقد فشل الإسلام ببكة وقبارئ.

والصحيح: أن خديجة أدركت الإسراء وأنها صلت معه بعد فرض الصلاة عليه، ولا خلاف أنها ماتت قبل الهجرة بعدة، قبل: بثلاث سنين، وقيل: بخمس.
أما ما اشتهر بين عامة الناس، وتحتفل به الكثير من الدول الإسلامية! أنه في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب. فقد ذكره الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" وقال: إنه من أضعف الأقوال! فلإنسان أن يتعجب كيف يعتبر مثل هذا القول، ويُعوَّل عليه ويسيرعيدًا يحتفل فيه في كل عام في كثير من البلاد الإسلامية!

قوله: "قرَّطُبَ هِيَalive.facebook.com/الحلقة التّي يُزْرَبُ يَها الأَيَامُ" في ربط البراق بالحلقة: الأخذ بالأسباب، فالنبي ﷺ أخذ بالأسباب، ولم يقل أنا نبي وترك الدابة هكذا.

وأن الأخذ بالأسباب غير قادح في التوكل، والاعتماد على الله ؛ لأن التوكل الصحيح: إنهما يكون بعد بذل السبب، كما قال السلف رحمهم الله.

قوله: "فَجَاءَنِي جَهِيْرٌ ﷺ، بيَاأنَهُمْ خَمْرٌ، وَإِنَّهَا مِنْ أَبَنٍ؟ فَخَرَّتْ اللَّبَنُ"؛ لأن النبي ﷺ خبر بين إباء اللبن وإباء الخمر، فاختار اللبن.


وأما الخمر فإنها أُم الخبال، وجالية لأنواع الشرور في الحال والمال، لكن قد يقال: إن الخمر الذي عرض عليه ليس خمر الدنيا، لكن النبي ﷺ بفطرته اختار اللبن، وقال في بعض الروايات: "لو اخترت الخمر
لغوت أملك (1)، يعني: وقعت في شرب أم الخباث.

قوله: "فلَمَّا غَرَّبْتُ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ"، فاستفزَّع جبريل، فقيل: "مَنْ أنت؟".
قال: "جبريل"، وهذا فيه بيان لما ينبغي أن يكون عليه المستأمن من الأدب.
فمن استأمن طلاب أدب أن يذكر اسمه، إذا قيل: من بالباب؟ لا يقول: أنا، لأن النبي ﷺ كره ذلك، كما في رواية جابر في صحيح مسلم: أنه استأمن على النبي ﷺ، فقال: "مَنْ؟"، فقال جابر: أنا، ففتح النبي ﷺ، وهو يقول: "أنا، أنا يكرهها كارية لها، لأن كلمة "أنا" لا قائمة منها في تعريف المتكلم، فكيف يعرف صاحب الدار من بالباب؟ فالأستثناء أن يذكر الرجل اسمه عند الاستثناء، ونبي ﷺ فعل ذلك، فعرف نفسه.

قوله: "فَمَنْ مَلِكَ؟"، وَقَدْ مَلَكَ، قال: محمد، وَقَدْ بَعْثَ إِلَيْهِ؟ قال: قد بَعْثَ إِلَيْهِ، يعني: أن السماء لا يدخلها أحد إلا إذن، وأن للسماء حراسًا وأبوابًا وإن كنا لا نرى شيئًا من ذلك، لكن هذا الحديث بين أن للسماء بوابين وحجة، تقفون على أبواب السماء، وأنها منظمة مرتبة، لا يدخلها أحد إلا إذن، ولا يخرج إلا إذن، كما قال تعالى: "فَيُرَمُّونَ بِجَهَّالٍ وَمَا يَرَى مِرْجَعٌ وَمَا يَرَى فِيهَا" (سام: 2)، فكل ذلك بإذن من الله ﷺ، العالم الحكيم، الذي أعطاه علمه بكل شيء.

قوله: "فَفَتَحْنَا لَكَا، فَإِذَا أَتَانَا بِذَكَرٍ، فَرَحْبَ بِهِ وَعَدَا لِي بِهِ"، في ترحيب الأنباء بالرسول ﷺ في السماء الأولى، وفي الثانوية وهكذا: استجاب لقاء أهل الفضل والعلم بالبشر والترحيب، والكلام الحسن، والدعاء لهم؛ لأن...

(1) رواه البخاري في مواقف أولها (428/1)، وسلم في الإيمان (154/1) من حديث أبي هريرة ﷺ.
شرح مكتبة الإمام من مختصر صحيح مسلم

(مرجعًا) : فعلى الرحب والسعة، وإن كان المستقبل أفضل منه، فإنّه يستحب له أيضًا أن يلقى أهل العلم والفضل دونه بالدعاء بالخير والترحيب، لما فيه من صلاح القلوب وزيادة المودة.

وفي أيضًا : مدح الإنسان في وجهه، وهذا إذا أمن عليه الإعجاب بنفسه وغيره من أسباب الفتنة، وقد ثبت أن النبي ﷺ مدح كثيرًا من أصحابه لقوة إيمانهم وقيقهم.

فوله : "فإذا أتاها إبراهيم ﷺ مسيئًا ظهرًا إلى البيت المعمور" يستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها، لأن إبراهيم على الصلاة والسلام. قد أُنذر ظهره إلى البيت المعمور، وهو قبلة أهل السماء كما قالوا، وقيل : إنه حال البيت الحرام.

فوله : "فإذا تدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه" دليل على كثرته الملائكة وأعداهم، وأنهم خلق كثير جداً، لا يعلم عدهم إلا الله بارك و تعالى، خلقهم جل وجلاً ومحصي كل شيء عذداً.

فوله : "إذن الله إن التاريخ لا أومي، فقدّر عليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة" فيه تعظيم الصلاة وفضلها عند الله بارك و تعالى، وأنا اختصت من بين سائر الفرائض بذل فرضت بغير واسطة أولاً.

الأمر الثاني : أنها فرضت بالمحل الأعلى، في السماوات العلي، وكذا هي في الدين لها المنزلة العليا.

وفي نسخ الخمسين صلاة إلى خمس صلوات : جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل. يعني : قبل أن تعمل بها الأمة، وهناك أمثلة أخرى لهذا. كما

في نسخ الصدقة في مناجاة الرسول ﷺ.
ويؤخذ أيضاً: من خطاب موسى - عليه الصلاة والسلام - مع رسول الله ﷺ: فضل التجربة، وأنها قد تتفوق المعرفة الكبيرة، فموسى - عليه الصلاة والسلام - قد جرب بني إسرائيل وعالجهم كما قال، فنصح النبي ﷺ بما خبر الناس به.

وفي أيضا: بذل النصيحة لمن يحتاج إليها، وإن كان لم يستشر الناصح، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يستشر موسى، لكن موسى - عليه الصلاة والسلام - رأى أن هذا واجب عليه، فأذى النصيحة قبل أن يسألها، فأشار على النبي - عليه الصلاة والسلام - بما رآه خيرا.


يعني: أن السير بالليل تطوى فيه الأرض، بمعنى: تقل فيه المسافات وسهل السفر على المسافر، وهذا مجهز ومحسوس، وهو من عجائب الخلق، ودلائل النبوة.

**  **  **

(١) حديث صحيح، رواه أبو داود (٢٠٧١).
باب: ذكر النبي ﷺ الأنيباء عليهم السلام

(77) عن ابن عباس ﷺ قال: سبنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمنبع، فنذرنا يواد، فقال: "أي يا واد هذا؟" فقالوا: وادي الأزرق، فقال: "كأني أنظر إلى موسى ﷺ؟" فذكر من لوهة وشعرها شبا، ثم يخفقها داود. و驳عًا إيضحية في أذنها، لل جوار إلى الله بالتبنية مارًا بهذا الوادي، قال: "ثم سبنا حتى أذنها على مبته، فقال: "أيَّ بنيه هؤلاء؟" قالوا: خزيمة أو لفت، فقال: "كأني أنظر إلى يووس على ناقه حماره، عليه جبة صوف، جطم، ناقته ليف خليلة، مارًا بهذا الوادي ملكيًا.

الشرح:

الحديث رواه مسلم في الإيمان بعد حديث الإسراء السابق.

قوله: "فذكر من لوهة وشعرها شبا، ثم يخفقها داود" داود هو ابن أبي هريرة عن أبي العالية الراوي عن ابن عباس، وهو الفشيري البصري.

ثقة منقون، كان يهم بآخيرة، من رجال مسلم.

قوله: "و驳عًا إيضحية في أذنها لل جوار" الجوار: هو رفع الصوت، جار يجار يعني: رفع صوته، كما قال الله ﷺ: " حقًا إذا أهدى متفهم، بالعلم، إذا هم يحتسبون" [المؤمنون].

والأخير فيها: عسر الهمة وفتحها وضمها، وفتح الباء وكسوها وضمها، والعاشرة: الأصبع: على وزن عصفور.
قوله: "لنِّمَّ سَرَّتَنَا حَتِّى أَئِنْتُ إِلَى ثَيْبٍ"透明的宣示是：众山或天神的。”
قوله: "لَعَلَّهُ يَنْزِلُ إِلَيْهِ الْأَجَلَ"透明的宣示是：也许他会降于他。"

أما فوائد هذا الحديث:

قوله: "فَمَرَّتْنَا يِوْدًا، فَقَالُوا: "أَيُّ ﻹُدَّ هَذَا؟" فَقَالُوا: "وَادِ الأَذْرَقَ"透明的宣示是：我们走了那么远，他们说："这是什么河？"他们说："这是奥德河。"

الصحابية هي النص ما سألهم النبي ﷺ عن اسم الوادي أذراق، مع أنه لم يسألهم يوم النهر (أي: وادٍ هذَا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، فما الفرق بين الأمرين؟ قالوا: لأن سؤاله على الصلاة والسلام، يوم النهر، سُؤال عن شيء واضح معلوم لدى الجميع، ولذلك قالوا: الله ورسوله أعلم، طمعًا بما يُبَيِّذهُم بِإِنْسَانِ من الفوائد، عسى أن يخبرهم بشيء جديد، لكن هنا لما قال: "أَيُّ وَادٍ هَذَا؟" لا يلزم أن النبي ﷺ يكون قد علم اسم الوادي بل سؤاله سؤال استفهم حقيقًا، وأنه لا يعلم اسمه.

ومن طريقة النبي ﷺ في التعليم: أنه يسأل من أجل أن يجذب الانتباه، فيسأل الجملاء عن الشيء المعلوم من أجل أن يجذب انتباههم، وهذه طريقة من طرائق المعلمين التي أوصى بها علماء التربية قديماً وحديثاً، والرسول ﷺ كان يستعملها كثيراً مع أصحابه من أجل أن لا يفجّر الواحد منهم في الحلقه أو المدرسة.

قوله: "كَأَنَّى أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى تَفْتَنُّهُ" هذا في أحوال: قالوا: إن الأنباء أحياء، وهم أولى من الشهداء بالحياة، ومن كان حياً فلا يمنع أن يحب، وأن يذكر الله، وأن يصلي!! وهذا فيه نظر – والله أعلم – فذكر الله تعالى والصلاة لا تحتاج إلى سنر وانتقال، بخلاف الحج والاصوب من الأحوال: أن الرسول ﷺ مثلت له حالة حجهم، وحالة
شرح صحيح الإمام من مختصر صحيح مسلم

تذكيرهم، فرأوا بعينه كأنه فتحت له نافذة إلى الغيب، فرأى كيف حَجَّوا، وكيف كَبَرَوا، وكيف مَوَّرـُوا بهذا الوادي فقال: "كَانَ البَشَرُ آنَظَرًا إِلَى مُوسَى". وأ رَأَى رأي عين، على الصلاة والسلام، وهذا لا شك أنه من دلائل نبوته.

ويمكن أن يقال أيضًا: إن الله ﷺ قد أوحى إليه من أمرهم، وما كان من حالهم في حجهم، حتى كان رأى رأي عين لشهد قبئه.

 يعني: أخبره بتفاصيل أحوالهم وحجهم حتى كان رأى عين بعينه "قال: كَانَ البَشَرُ آنَظَرًا"، ولم بقل: رأيت، والإنسان إذا وصف له شيء بوصف دقيق مفصل كان يراه قال: كَانَ البَشَرُ آنَظَرًا إِلَى كَذَا، وإن لم يره رأى عين، نشهد اليقين كما قلنا.

 قوله: "وَإِن الصَّوْتُ الْبَتْلُبِيَّةُ، لَهُ جُوَارُ" فيه: أن رفع الصوت بالبلدية سنة من سنن الأنبياء، وهو كذلك في شرعتنا، وفي شرعتنا: رفع الصوت بالبلدية سنة، والرسول ﷺ جاء جبريل فامر أن يأمر أصحابه بأن يرفعوا أصواتهم بالبلدية، وقال علينا الصلاة والسلام: "أفضل الحديث: الحج والشجع"(1) والشجع وهو: رفع الصوت بالبلدية، والشجع هو إزالة الدم في الهدوء والأضاحي.

 وهذا كما قال العلماء خاص بالرجال، أما النساء فاتباع تقوم نفسها أو تسمع رفيقتها، وأما الرجال فيشع لهم رفع الأصوات بالبلدية، وكان الصحابة ﷺ يرفعون أصواتهم حتى يُطْيع أصواتهم.

 وأيضاً يستفاد منه: استحباب وضع الإصبع في الأذن عند رفع الصوت بالأذان، ونحوه مما يستحب له رفع الصوت، وهذا الاستحباب

(1) حديث صحيح، رواه الترمذي (484)، وابن ماجه (294)، وغيرهما من حديث أبي بكر الصديق ﷺ.
أيضاً ورد في شرونا، أن بلال ﷺ مؤذن النبي ﷺ، ثبت أنه إذا أذن وضع أصبعه في أذنيه.

وفيما أوضح: دليل لمذهب من يقول: إن شرع لمن قبلنا شرع لنا. لكن نقول: شرع من قبلنا شرع لنا، بشرط: أن لا يحثي في شرونا ما ينسخه، أي: أن لا يأتي في الشرع المحمدي ما يدل على أنه منسوخ، فإذا ورد في شرونا ما يدل على أنه منسوخ، فإنه ليس بشرع لنا.

قوله: "حتى أبيتنا على نبيّنا، فقال: "أي نبيّة هذى؟" وهذا أيضًا سؤال استفهامي من النبي ﷺ.

قوله: "قالوا: هَزِّنَى أَوَ لَفَتَ" وهي نبه على طريق الشام.

قوله: "فقال: كأني أنظر إلى يومن على ناقٍ حمراء، على جبّته صوفًا" فيه: تواضع الألابسة عليهم الصلاة والسلام، وأنهم كانوا يلبسون من الثياب الخشن، وما كانوا من ترك المبالغة في الترف والزينة، فلم يلبس الحريص، بل كان عليه جبّية من صوف، عليه الصلاة والسلام - وهو نبي من أنيبال الله.

وكذا قوله: "خطام ناقته ليف" والخطام هو ما يوجد في أنف الناقة لتفاديه.

فعم كان هذا الحبل؟ هل كان من أبريق؟ هل كان من الحرير؟ قال "ليف" وهذا أيضًا دليل ثان على تواضع الألابسة عليهم الصلاة والسلام، وأنهم كانوا يرضون بالخشن من الملابس والمراكب في الحياة الدنيا.

وقوله: "مَا أُرِيَ هَذَا النَّوَايِ مُلْكًا" وهذا والذي قيله، دليل واضح أن البيت كان يحجِّ الأُنيبات، منذ أن بنى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأذن في الناس بالحج: لم يزل الأُنيبات يحرون، والنبي ﷺ عليه الصلاة والسلام ذكر في هذا الحديث: حجّ موسى وحجّ يونس عليهما أفضل الصلاة والتسليم.
(78) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "جَبَلُ أَشْرِيَ بِي لَيْتُ مُظَرَّبً،ْ رَجُلٌ الرَأسِ، كَانَهُ مِن رُجُالِ شَوَاءٍ، قال: وَلَيْتُ عِبَاسٍ تَقَدَّمٌ الْبَنِى يَسَّاف، فَإِذَا هُوَ رَبِيعٌ أَخْمَرٌ، كَانَهُ خَرَجَ مِن ذِي مَسْكِيْن، يَغْنِي حَمَامًا، قال: وَرَأَى بِنُورِهِمْ صُلُوَاتِ الْلَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَشْهِدُ وَلَيْتُهُ، قال: فَأَلْتُ بِنَافَتِهِ فِي أَخْدُهِمَا شرَّبُوْنِهَا، فَوَقَالَ هُمْ فِي الْخَمْرِ أَوْ أَصِبَّتْ الْجَمِيلَةُ، أَنَا إِلَّا مَا أُخْلِقْتُ فِي شَرْبِهَا أَمُّكَ؟

الشرح:

هَذَا الْحَدِيثُ الثَّانِي فِي هَذَا الْبَابِ بَابُ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ الأَنْبِياءِ، والْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسَلِّمُ فِي الإِيْمَانِ بَعْدَ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ السَّابِقِ، فَوَوِّهَا: "فَقَالَ الْبَنِى يَسَاف، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ مُظَرَّبٌ،ْ رَجُلٌ الرَأسِ"، المضطرب: وَكَانَ ذَلِكَ رَجُلُ الرَأسِ، وَكَانَ أَخْمَرٌ، وَكَانَ مُظَرَّبًا، وَكَانَ خَرَجَ مِن ذِي مَسْكِيْنٍ، وَكَانَ يَغْنِي حَمَامًا، وَكَانَ يَرَى بِنُورِهِمْ صُلُوَاتِ الْلَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَشْهِدُ وَلَيْتُهُ، فَأَلْتُ بِنَافَتِهِ فِي أَخْدُهِمَا، وَكَانَتِ الْجَمِيلَةُ مُضْطَرَّبَةً، فَوَقَالَ هُمْ فِي الْخَمْرِ أَوْ أَصِبَّتْ الْجَمِيلَةُ، أَنَا إِلَّا مَا أُخْلِقْتُ فِي شَرْبِهَا أَمُّكَ؟

الشُّعُرُ وَالْعَلَامَةُ:

الشُّعُرُ وَالْعَلَامَةُ: ِرَجُلُ الرَأسِ، يَعْني: رَجُلُ الرَأسِ، يَقَصِّدُ بِرَجُلِ الرَّأْسِ صَاحِبُ الْشُّعُرِ وَالْعَلَامَةِ، يَعْني: أَنْ شَعَرَهُ غَيْرُ جَدِّهِ.
قوله: "سَوَاء" شوئه: حي من اليمن، ينسبون إلى عبد الله بن كعب:
يرفع إلى الأزد، وشهوة: لقب، قالوا: لشنان كان بينه وبين أهله، يعني:
بغضاء، فسمي شوئه.
والشنان: هو البغضاء، كما قال تطليق: "ولأ يخَبِّرَتْنِيَ مِنْ شَنَانٍ قَوْمٍ
عَلَّ أَلَّا تَصْلِيلَا" [المائدة: 8].
ويقول الداوودي: أن رجال الأزد معروفون بالطول.
قوله: "زُبَعَة" والرعبة هو: الرجل المربيع ليس بال طويل ولا بالقصير،
بل هو رعبة، يعني: وسط في الرجال.
قوله: "أَحْمَرُ" يعني: أنه أشقر، أو أحمر الجلد، عليه الصلاة والسلام.
قوله: "كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دُيمَام، يَغْيِبُ حَقَامًا" فسر الرأوي: معنى:
الديماس، قال: هو الحمام.
وأصل الديماس في اللغة هو: السرب الذي يكون في باطن الأرض.
أو: الكنف، والحِقَام كَنُ، يكن الإنسان من البرد عند الاغتال.
ووصفه بذلك: لسقاء وجهه، ونظارته، وأيضًا لارتداء بشرته فعليها
من قطرات الماء ما عليها، يعني: من كثرة الماء الذي على وجهه، كأنه
خرج من ديماس.
وجاء أيضاً: أنه إذا نزل في آخر الزمان، إذا خفض رأسه قطر، عليه
الصلاة والسلام.
قوله: "قَالَ: وَزَيَّنَتْ إِبِراهِيمُ صُلُوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَشْهِبُ وَلِدِي يَهُودُ"
رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الأنباء، فإذا هو من أشبه الناس بنبينا محمد ﷺ، وصفة محمد ﷺ معروفة وموضوعة مشهورة في الأحاديث الصحيحة.

وقد اختصر الرسول ﷺ وصفه، فكانه قال: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم فلينظر إلي، فلم يذكر ماله من الصفات لكونها معلومة لدى الصحابة لرؤيته للنبي ﷺ عليه الصلاة والسلام.

من فوائد الحديث: ما ذكرنا في الدرس السابق أن ربي ﷺ قد جمع للنبي ﷺ الأنباء فلقهم، وقد ذكرنا في لقي الأنباء في الحديث قبل السابق أقوال أهل العلم فيه: فبعض أهل العلم قال: إن ﷺ قد جمع له أرواحهم فرآها. ولا يبعد أن يقال: إن ﷺ قد جمعهم له ببيتهم، وصلى بهم، وإن كان هذا على خلاف ما هو معلوم لدينا: من أن الإنسان إذا مات: صار في قبره، وكانت روحه في السماء، لكن هذا على العادة، والله بارق وتعالى قادر على خرق العادة حتى شاء لمن شاء.

ومن ذلك أن الإنسان إذا مات لا يرجع، لكن قد يحصل على خرق للعادة، وقد حصل هذا أكثر من مرة، قال ﷺ: "أثبت سرأ إلى الأَّلِينَ حَرَجُوا من ذيَّنهم وهم أُولُوف حَدَّرَوْا قَالُوا لَهُمْ أُولُوف فَوَا كِتِبُهُمْ مَثْلُ كِتَابِي" [البقرة: 242]. فربما ﷺ قد أمات أقواماً وأجايهم، مع العلم أنه من مات لا يرجع، كما قال تعالى: "فَذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَعْتَسُونَ" [القصص: 39]، فهذا هو الأصل: أن من فارق الدنيا لا يرجع إليها، لكن خرق الله عز وجل بهذا العادة في عدة مواضع، ومنها توفيه العزيز ﷺ، وبعثه بعد مائة عام.

(1) وهذا هو قول المشهور في تفسير الآية (259) من البقرة، انظر تفسير ابن كثير. 

(222/11) بتحقيقنا.
وإذا طعاه وشربه لم يتغير، وكإحياء الله ﷺ لقتيل بني إسرائيل بضربة بعض أجزاء البقرة.
فالحاصل أن الرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام قد رأى موسى وعيسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام ودعوتهم ووصفهم لأصحابه، وهذا من معجزاته ودلائل نبوته ﷺ.

***

المؤرخ

٣٥٢
باب: في ذكر النبي المسيح والأدنى والدجال

(79) عن عبد الله بن عمر ﷺ: ذكر رسول الله ﷺ يومًا بين ظهري。

الناس المسيح الدجال، فقال: "إنه الله تبارك وتعالى ليس باعثًا، ألا إن المسيح الدجال أعثر عليه النبي، كان عينه عينًا طائفة، قال: وقال رسول الله ﷺ: "أراك النبي في المنام عند الكعبة، فإذا رجل أدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال، تضرب ليثَّته بين ملكيه، رجل العَرَف، بططر رأسه ماء، واضعاً يدببه على منكبي، رجلين، وهو بينهما يطفف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مرزم، وزرأت وزرة رجالة، فجاء فقال أفرجو اليمين، كأثمر من رأيت من الناس بإيابين فطل، واضعاً يدببه على منكبي، رجلين، يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجال.

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبوب عليه النووي (2/359).

باب ذكر المسيح مريم والمسيح الدجال.

فوله: "بين ظهري الناش" يعني: بين أظهرهم.

فوله: "المسيح الدجال" سمي بذلك لأنه مسح العين، وقيل: لأنه أعور، والأعور يسمى مسيحًا، وقيل: لمسح الأرض حين خروجه، أي: قطعة لها وسمع في أرجائها.

فوله: "إنه الله تبارك وتعالى ليس باعثًا" دليل على إثبات صفة العينين.
شرح مكتبة الإمام من مختصر صحيح مسلم

لربنا تبارك وتعالى بلآ كيف، وهو مذهب أئمة أهل السنة الفلكدارمي وابن خزيمة وغيرهم، وقد وصف الله تبارك وتعالى نفسه بذلك، فقال (صحيح)

(1) قال: (وَلُصَنَّعَ عَلَى عِيْبٍ) (طه).

وقوله: (وَلمَّا هُوَ قَصَّرَ) (طه).

ومن السنة النبوية هذا الحديث الشريف.

قوله: (أَلَا إِنَّ النَّبِيِّ النَّبِيُّ الْأَحْمَدُ أَعُورُ عَيْبَةٍ الْيَتَمّتِ) سمي الدجال مسيحاً

لأنه مسحوب العين، وقيل: لأنه أورى، والأورى بمعنى مسيحاً. وقيل: لمسحه الأرض حين خروجه، وقيل غير ذلك. هو مسيح الضلالة، أما عيسى عليه القدر.

هو مسيح الهدى.

وقوله: (أَعُورُ عَيْبَةٍ الْيَتَمّتِ) وفي الرواية الأخرى: (أَعُورُ العِينِ الْيَتَمّتِ) ويجمع بينهما أن كل واحدة منهما عمراءة، بمعنى معيبة، إلخ. (1)

ذهب بالكلية والآخر؟ بها عيب.

وقوله: (كَانَ عَيْبَةٌ جَالِبَةٌ طَافِئَةً) روي بالهمز وبغير همز، والهمز مناه:

ذهب ضوعها، ومن لم يهمز معناه: نائمة بارزة، كنتك حبة العنب.

وقوله: (أَرَأَيْتُ النَّبِيَّةَ فِي نَشَاءٍ عَيْبَةٍ كَثِيرَةٍ، فَإِذَا رَجَعْتُمْ أَمْ كَأْحَمَدَ مَا تَرَى مِن أَمْرِ الرَّجُالِ) الآية هو الآمر، ووصفت في رواية أبي هريرة بأنه أحمر، وفي البخاري عن ابن عمر أنه أكن رواية أحمر، وحلف أن النبي لم يقله، لأنه اشتبه على الراوي. (3)

قال النووي: ففيؤذ أن يتناول الأحمر على الآدم، ولا يكون المراد

(1) انظر تعليقنا على (إبطال التأويلات) (347/2) للقاضي أبي يعلى رحمه الله من إجابات هذه الصفحة.

(2) بنحو قول القاضي عياض، شرح مسلم (235/2).

(3) المصدر السابق (233/2).

(4)
حقيقة الآدمية والحمراء بل ما قاربها، والله أعلم.
قوله: "اقترح لعُثِّبَتْ بَيْنَكَ بَيْنَكَ" اللهم بكرير اللام وتشديد الميم وجمعها
لمم، هو الشعر المندلي الذي جاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين فهو جمة.
قوله: "رجل الشَّعْرَ" أي: ليس شديد الجعودة ولا سبتًا.
قوله: "يُخْطَرُ رَأْسَهُ حَامَاً" أي: يقترب بالبلاء الذي رجلها به، لقرب ترجله
أي: تمشيطه. ويمكن أن يكون عبارات عن نظائرته وحسه وجماله.
قوله: "وُضَعَّ بِذِيِّعِهِ عَلَى مَنْكَبِيْ رَجْلَيْنِ، وَهُوَ بِذِيِّهِ بَيْنَهُ بِينةً بَيْنَتَ"،
وطافاته كان مناماً، كما في أول الحديث "أراؤي الليلة في المقام عند الكعبة".
وعلى هذا أيضًا يحمل طواو الشقال بالبيت؛ لأنه قد ورد في الصحيح أنه
لا يدخل مكة ولا المدينة.
قوله: "فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هُوَ الْعَلِيمُ بِمَا تَعْمُرُ" اختلف العلماء في
سبب تسمية "مسيحًا" فرعي عن ابن عباس: لأنه لم يسمع ذا عاهة إلا
برئ. وقيل: لمسح الأرض أي: قطعها في الدعوة إلى الله تعالى والبلاغ.
وقيل: لأنه مسح بالبركة حين ولد. وقيل: لأن الله تعالى مسحه، أي:
خلقه خلقاً حسنة، وقيل غير ذلك.
قوله: "وَرَأَيَتْ وَزَوَاءُ رَجْلاً، جَغْدًا قَطُطًا"، أي: أي: شعره جعد شديد
العودة غير بسط.
قوله: "أَعْطَىُ عِينَ الْبَيْتِ، كَأَمَّهُ بِمَنْ رَأَيَتْ بِنَاسٍ يَا بَيْنَ قَطْنِ".
تشبهه بابن قطن لا يوجد ذمّا لابن قطن.
وفي البخاري: أن ابن قطن كان رجلاً من بني المصطلق من خزاعة،
هللا في الجاهلية.

(1) "الفتح" كتاب الفتن (98/13)
باب: صلى الله عليه وسلم بالإنساء عليهم السلام

(82) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت رسول الله ﷺ: "قلت وأيماي في الجبل، ونورين نسأل باركي عند مسراي، فسألت عن أنهاء من بيته المقدس، لم أبيدها، ككنت ثوبًا قلتها قد، فقرع الشرفة لله لي أنظر إليه، ما سألني عن شيء إلا أنبيتهم يه، وقد رأيني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى عليه السلام، فإذا رجل ضرب جعّد، كأنه من رجال شرعة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام، فإذا نصّب، أقرن الناس به شاهده عروة بن سمعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام، قام يصلي، ننبه الناس به ضاحيكم، نحن نسمى، فحسن الصلاة، قامهم، فلم تزح من الصلاة قال لي قال: يا محمد هذا ملك صاحب النور، وسلم علي، قاله إليه قبأت بأيام.

٦ الشرح:

الحديث رواه مسلم في الإيمان وابوب عليه النووي (٢٢٧) باب
ذكر الصريح ابن مريم الثقفي والمسيح الدجال.
قوله: "قلت وأيماي في الجبل، الحجر هو المشهور اليوم، بجهر إسماعيل، وهو من البيت، لكن لما أرادت قريش أن تبني الكعبة، بعد أن وهي بينهم، قالوا: لا ندخل في بناء هذا البيت إلا ما كان من نفقة خالد، فقدصت بهم النفقة ولم يستطيعوا إكمال البيت على قواعد إبراهيم، ففي الحجر وهو ركن من أركان البيت، خارجًا عن البيت، ولهذا لا يصح.
الطوف بين الحجر والبيت؛ لأن من طاف بين الحجر والبيت فكأنما طاف
داخل البيت، ولا بيد من أن يكون الطوف خارج الحجر، ومن صلى في
الحجر فكأنما صلى في البيت.

فوله: "وَقَرَنَّنَا بِثُلُبِّي عَنْ نَصْرِي" مَرْ مُعَانَا أَنَّ الإِسْرَاءَ أوَّلَ الْمَسْرِى
هو السير بالليل.

فوله: "فَكَرِئْتُ كُرِيَّةٌ مَا كَرِئْتُ مِثْلَهُ فَظَّ" الكرية هو: الدم والعمر
الشديد، الذي يأخذ بنفس الإنسان.

فوله: "فَإِذَا مُوَسَى أَخْبَرَهُ قَاتِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرِبْتُهُ" مَرْ مُعَانَا أَن
الرجل الضرب هو: الذي يكون بين الرجلين، بين السمين والنحيف، وبين
الطويل والقصير المكتنز، فهو رجل بين رجلين.

فوله: "فَإِذَا عِيْسُ أَبِنٌ مَّرْيَمَ مُسْلِمٌ قَاتِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ يَهِي شَبَهُ
غُزْوَةً بِنَّ مَسْعُودٍ التَّفْلَيْنِ" عَرُوْةٌ أَحَدِ أَصْحَابِهِ.

فوله: "إِنَّا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكُ صَاحِبُ النَّارِ" صاحب النار يعني: حاون
النار. وَسَعَى مَالِكٌ: من الملك والقدرة والشدة، التي تناسب مع حال أهل
النار.

في هذا الحديث: أن النبي ﷺ سُلِّم عن صفات بيت المقدس، ولما
سُلِّم عن بعض الصفات التي لم يثبتها، يعني: التي لم يثبتها لها - عليه
الصلاة والسلام - لأنه جاء المسجد الأقصى وصلى فيه بالأنبياء، ولكن
الإنسان إذا دخل مكاناً ربما تغيب عنه بعض صفاته.

فُسُل عن أشياء لم يثبتها - عليه الصلاة والسلام -، فعند ذلك كرب
كريباً عظيماً؛ لأنه إذا قال: لا أدرى أو لا أعلم، كان هذا سبيلاً لتكون كرب
الله يسلام
له، وأنه لم يأت المسجد الأخير؛ لأن الإنسان إذا جاء المكان يستطيع أن يصفه، كما هو معلوم، ولكن الله تبارك وتعالى ما كان ليدع نبه، بل هو الذي أديه بنصره، وسائر معجزاته.
فرعه الله إليه ينظر إليه، أي: رفع الله له بيت المقدس، ونظر إليه، فما سأله عن شيء إلا أجابه عليه الصلاة والسلام.
فكان هذا سببًا لإقامة الحجة عليهم، وأنه - عليه الصلاة وسلم - قد جاء على حقًا لا إدعاء ولا زعماً، وهو يعرفون النبي - عليه الصلاة وسلم -، ويعرفون خروجه ودخوله، ولذا لما قال لهم النبي جهت بيت المقدس لم يصدقوه، حتى جاءهم بهذه العلامة، فأقاموا بها الحجة عليهم، وفيه أيضًا كفية لمن أراد الإيمان، وإقامة الحجة عليه، فمن لم يؤمن بعد هذا البيان يكون معناً لله والرسول; لأن في هذا برهان واضح.
فوله: "وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء" الأظهر أن هذه رؤية عين، كما سبق فالي، رأي الأنبياء رؤيا عين في الإسراء لا رؤيا صلاتي، لأن هذا هو ظاهر اللطف، وأن الصلاة صلاة حقيقية، فيها الركوع والسجود.
فإذا قيل: إن النبي - عليه الصلاة وسلم -، كما مر علينا أنه في أثناء إسراه مر على موسى عليه السلام وهو قائم يصلي في قبره، ومُر على يونس عليه السلام.
وهو بصلي، فكيف الجمع بينها؟
فقد إن الجمع بين هذه الروايات: أن الرسول - عليه الصلاة وسلم - يحتمل أنه مر بموسى وهو بصلي في قبره، ثم بعد ذلك سبقه إلى بيت المقدس، هو وإخوانه من الأنبياء، يصلي به جماعة، وأنهم - عليه الصلاة وسلم -.
وألف بعض العلماء: إنه يحتل أن النبي - عليه الصلاة والسلام - مرَ بموسى وهو يصلي في قبره، ثم سبقه إلى السماوات حيث رآه في السماء السادسة، ثم عند نزوله إلى الأرض صلته به والأنبياء!! لكن لم يرد عليه الصلاة والسلام - أنه حين رجوعه نزل إلى بيت المقدس، وإنما الوارد أنه أسرى به إلى بيت المقدس أولًا، ثم عرج به إلى السماء.

وعلى كل حال: فإن القدرة الآلهية لا يعجزها شيء، والله قادر أن يجمع إلى الأنبياء في بيت المقدس، ثم يراهم في السماوات العليا بعد أن مر على بعضهم وهو في قبره، فإن الله لا يعجزه شيء، ونحن أبرزنا الإيمان بالغيب، وأما الكيفيات التي تعجز عقولنا عن الإحاطة بها، فإننا لا نخوض فيها؛ لأن الشرع جاء بمحارب العقول لا مجالات العقول، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن في النصوص من الكتاب والسنة أشياء تحترس فيها العقول لكنها ليست مستحيله، فالشرع لا يأتي بما هو مستحيل، يعني: لا يأتي بما هو غير كاذبي أبدًا، ولكن في القرآن والسنة من الأمور ما تحترس فيها العقول، كما احتر الصاحبة في قول الله ﷺ: «الله يُحَرِّرُ الْجَهَنَّمَ عَلَىَّ وَجُهُوهُمُ إِذَا جَهَنَّمُ يَكُونُ خَيْرًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا» [القرآن: 24]، قالوا: كيف يحشرهم الله ﷺ على وجههم؟ فقال ﷺ: «إن الذي أحشام في الدنيا على أرجله، قادر على أن يحشرهم يوم القيامة على وجههم».

فالإيمان بالغيب هنا يظهر، وقال تعالى: «إِنَّ الْيَوْمَ عَلَىَّ لَا يَحْلِلُونَ أَحَدًا مِّنِّي» [البقرة: 3]، «وَغَيَّرُونَ مَا بَيِّنَاهُ بِمَا عَنَّاهُمْ» [آل عمران: 7] 

(1) رواه البخاري في التفسير (442/8) وفي الرقائق (277/11)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم (2116/4) من حديث أنس رضي الله عنه.
وفي الحديث أيضًا: أن النبي ﷺ شبه بعض أصحابه بعيسى عليه الصلاة والسلام، وهو عروة بن مسعود الثقفي، وشبه نفسه بإبراهيم، أنه من أقرب الناس إليها بإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث: أن اسم خازن النار: مالك، وهذا أيضًا جاء في كتاب الله تعالى في قوله تعالى: \( \text{وَبَدَآ أَنِّي عَلَى نَفْسِي رَبِّي أَبْعَثُ فِي الْإِنْسَانِ نَارًا} \) [الزخرف].

فهو ثابت في الكتاب والسنة، والله سبحانه أعلم.

*** ** **
باب: انتهاء النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى في الإسراء

(81) عن عبيد الله بن مسعود ﭽ قال: لما أُنزل في سدرة طول النعمان، وَهَيْ في السماء السابعة، إليها ينتهى ما يُخرج بِهِ من الأرض، كِتَبَضْ مِنْهَا، وإليها ينتهى ما يُبَطِّهْ بِهِ مِنْ قُوْرِها كِتَبَضْ منْهَا، قال: إنه يا بنى أنبي نبى مُتَّقِينَ. قال: فاغبطي رَسُولُ الله ﷺ، كَلَّا: أَغْفِرْ لِمَنْ لَمْ يَشْرَكْ بِيَّ مِنْ أَنْثِيَاتِ دَيْنَانِ歼. البقرة، وَغَفُّرِ لِمَنْ لَمْ يَشْرَكْ بِيَّ مِنْ أَنْثِيَاتِ دَيْنَانِ歼.

شرح:

الحديث رواه مسلم في الإيمان، ويوب عليه النووي (6/23) باب في ذكر سدرة المنتهى.

قوله: "انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة" ومر معنا في حديث الإسراء الطويل أنها في السماء السابعة، ويمكن الجمع بين الروايتين: رواية أنس بن Malik: أنها في السابعة، ورواية عبد الله بن مسعود: أنها في السادسة، أن أصل سدرة المنتهى في السماء السادسة ونتهى لعظمتها وطولها إلى السماء السابعة.

قوله: "إليها ينتهي ما يخرج به من الأرض، كتبض منها، وإليها ينتهي ما يبسط به من قورها كتبض منها" هذا هو سبب تسميتها سدرة المنتهى، أن هذه السدرة ينتهي إليها ما يأتي من فوق، وينتهي إليها ما يخرج
به من الأسفل، فما يخرج به من الأسفل من روح وغيره وعمل صالح، يصل إلى سدرة المنتهى، وإليها أيضًا ينatee ما يهت به من فوقها: من علم، أو خير، أو بركة، أو غيره.
ومرّ معنا صفة سدرة المنتهى، وأن ورقها كاذان الفيلة، ونبقها كفلال هجر.
قوله: ﴿أَطْعِمْنِي الْخَالِدَةَ إِنَّكَ تُقْبَلُ ﴾ يعني: لما غشيها من أمر الله ما غشيها؛ غشيها ألوان، وقال هنا:
قوله: ﴿قَوْاتِنَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ والفراش ما يطبر من الحشرات وغيره، لكن هذا الفراش من ذهب، لما غشيها من أمر الله ما يغشي.
وفي رواية: ﴿وَلَوْأَلْوَانَ لَا أَدْرِي مَا هَيٰٓا﴾ يعني: من حسنها وجمالها ما استطاع النبي - عليه الصلاة والسلام - أن يصفها، بل هي فوق الوصف من جمالها، ونهائية، وحسنها.
قوله: ﴿قَالَّ ﴿ أُطْعِمْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ثَلَاثُهَا: أُطْعِمْيُ الصَّلَاوَاتِ الْخَمْسَ﴾ النبي - عليه الصلاة والسلام - أعطى الصواعت الخمس في المعراج، في السماوات العلى، وهذا يدل على فضل الصلاة وكرامتها على الله، وأنها أكرم عبادة تقرب بها العباد إلى ربهم، ولم يرض الله بأن تفرض على الأرض حتى فرضها في السماوات العلى بلا واسطة، فحري بالملسم أن يحافظ على وقتها قدر استطاعته، فلا يشغله في وقت الصلاة المفروضة ببيع، ولا تجارة، ولا زياره، ولا عمل، ولا مجلس، ولا كلام، ولا طعام، ولا أي شيء، بل ينبغي له أن يقدم الصلاة على ذلك كله؛ لأن لها حريمه عظيمة عند الرب.
وكان بعض السلف إذا رفع المطرقة وسمع "الله أكبر" لم ينزلها.
وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنهما: ما أذن بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وانا في المسجد. هكذا كان السلف يتسبقون على الصلوات المفروضة، والرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول: "لا يزال قوم يتأخرون؛ حتى يؤخرون الله" (1) يعني حتى يؤخرون الله في الدرجة، وفي الثواب، و يؤخرون الله في المنزل في الدنيا والآخرة. وفي رواية أبي داود: "حتى يؤخرون الله في النار" إذا كان ذلك صفة دائمة للعبد أنه يتأخر ويتكاسل عن الصلوات المفروضة، فإن الله سبحانه على ذلك.
فوله: "وأعطني خواتين سورة البقرة" هما الآيات من آخر سورة البقرة، من عند قوله تعالى: "هامّ أَرْسَلْنا يَسَارًا ثَانِيًا إِلَيْهِ مِنَ الْمَلَأِ" (البقرة: 285) إلى آخر السورة.
وفي المسند: "وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة، من كنز تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي.
و هلاك الآيتين من قراهما في ليلة كفته، قبل: كفتاه من قيام الليل، فمن قراهما تبدر وإيمان نظر; كفتاه من قيام الليل، لما فيهما من الخبر الكثير والفضل العميم.
وقبل: كفتاه من كل سوء، وهذا أيضًا وردت به الآثار، وأنها تعصم صاحبها من شرور الإنسان والجن.
(1) رواه مسلم في الصلاة (1/325) من حديث أبي سعيد الخدري، وأوله: أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه نأروا فقال لهم: "لا تقتلون بريء، ولا يزال قوم تأخرهم، ولا يزال قوم..." ورواه أبو داود (276) من حديث عائشة ﻷلا: "لا يزال قوم يتاخرهم عن الصفا الأول حتى يؤخرون الله في النار، وصاحب ابن خزيمة وابن حبان.

الخ
شرح مختصر صحيح مسلم

ومن الأمور التي أعطىها في المعراج المبارك؛ ما ذكره يقوله: «وَغُفِّرَ لِكُنَّاَ مَنْ يُشْرَكٌّ يَبْلِغُهُ مِنْ أَمْيَةٍ يَمْتَرِيّنَ النَّارَ، أَيْ: تَدَخِلُ النَّارَ، وَالرَّاحٌ عَنْهُ مَوْنَاطٌ».

أي: أنه لا يخليهم بها في النار، ولا يعني هذا أنه لا يعذب من وقع فيها مطلقًا؛ بل وردت الأحاديث والآيات في أن أصحاب الكبائر يعذبون في النار، وإذا شاء الله عز وجل عفا عنهم، وأن نارهم لا تبقى؛ فصاحب الكبائر نارهم فانية، يخلاف الكفار نارهم باقية أبداً، لا تنفي ولا تتبث ولا تتخمد، وقد جاء في القرآن ذكر التأباد لهم في النار في ثلاثة مواقف.

وفي الحديث: ذكر فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه أعطي من الفضائل ما لم يعط نبي قبليه، ففرضت عليه الصلاوات والسماوات الخمس في السماوات العلياً، وفَضَّل على الأنبياء بخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمه شيئًا: المتقحمات.

فألفهم صلى الله وسلم، وبارك وأنعم، على عبده ونهيك محمد، وعلى الله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

** ** **
باب: في قوله تعالى: "فَكَانَ قَابِلًا لَّهُ وَأَرَىِّ مَلَكَةً جَنَّةً"

(82) عن الفُضَّلِيَّةِ قالَ: سأَلَتُ رَبِّي بِن حُبَيْشٍ عَنّى قُوْلِ اللَّهِ ﻋَلَى
"فَكَانَ قَابِلًا لَّهُ وَأَرَىِّ مَلَكَةً جَنَّةً" فَقَالَ: أَخْبَرْتُهُ رَبِّي ﻋَلَى
جُبَرِيلَ ﻋَلَى ﻲَبِّينَ مَا شَاءَ جَنَّةً.

الشرح:

هذا الآخر رواه مسلم في الإيمان، وبَوَّب عليه النووي (6/3) باب:

في ذكر سدرة المنتهى.

ففي الحديث أن ابن مسعود سأله زَرُبُن حُبَيْش عن قول الله تعالى:
"فَكَانَ قَابِلًا لَّهُ وَأَرَىِّ مَلَكَةً جَنَّةً" فأخبره ابن مسعود أن معنى هذه الآية: أن النبي
جُبَرِيلُ ﻋَلَى ﻲَبِّينَ مَا شَاءَ جَنَّةً.

وهذا بدأ على مذهب ابن مسعود في تفسير هذه الآية، وأنه كان
يرى أن تفسير قوله تعالى: "فَكَانَ قَابِلًا لَّهُ وَأَرَىِّ مَلَكَةً جَنَّةً" المراد به: جُبَرِيل
الذي، دنا منه النبي ﷺ، ودنا هو من النبي - عليه الصلاة والسلام - حتى
كان مثل أو قدر قوسين (معنى القوس الذي يَرْمَى به) أو ما هو أدنى من
ذلك، فرأى جُبَرِيلُ ﻋَلَى ﻲَبِّينَ مَا شَاءَ جَنَّةً. وهذا فيه وصف عظم خلق
جُبَرِيلُ ﻋَلَى ﻲَبِّينَ مَا شَاءَ جَنَّةً، وهو مقدم الملائكة، ورئيسهم، دل على ذلك نصوص من
القرآن ومن السنة.

فمنها: أن الله تعالى إذا ذكر الملائكة بالذكر، كقوله ﷺ: "مَن كَانَ
عَذْرًا إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يُحْظِيْبَهُ وَرَسْمًا. وَجُبَرِيلَ وَمَيْكَانَ ﻓَإِرَّاكَ اللَّهُ عَذَا
لِلْكَفَّارِينَ١٥٨ [الإسراء]"، وقوله: "فَإِنَّ اللَّهَ ﻓَرَأَى جُبَرِيلَ وَمَيْكَانَ وَقَلَبَ النَّاسِ"
وفي حديث ابن مسعود ﷺ: إن الله إذا حملكم بالوحي، سمع أحد السماء للسماء صلصة كجزء مرسلة على الصفا، فتسمعون، فلا يزالون كذلك، حتى يأتيهم جبريل ﷺ، فإذا جاءهم جبريل ﷺ، فرفع عن قلوبهم، قال فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، قال فيقولون: الحق الحق ﷺ.

وحديث الباب يدل على فضله في الخلق، بأن له سماحة جناح.

وفيها: أن الملائكة أجنحة يطيرون بها، كما قال ﷺ: ﴿أَفَلَا يَذْهَبُ الرَّكَابُ ﴾ (رعد: 1)، يعني: يذهب في خلقهم ما يشاء الله ﷺ، فمن الملائكة من له جناحان ومنهم من له ثلاث، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، يذهب الله تعالى في خلق بعضهم ما يشاء، حتى إن جبريل عليه الصلاة والسلام - له سماحة جناح يطير بها، وقد رأى عليه الصلاة والسلام - كما في حديث عائشة ﷺ: أنه قد سد خلقة ما بين السماء والأرض.

وأما هذه الآية فقد وقع فيها خلاف في تفسيرها بين السلف: فذهب ابن مسعود وجماعة من السلف إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿فِيَذْهَبُ الرَّكَابُ﴾ ﷺ هو جبريل ﷺ، دنا من النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام ﷺ، كما ذكرنا. وذهب طائفة كاين عباس وغيره: أن المقصد بقوله تعالى ﴿فِيَذْهَبُ الرَّكَابُ﴾ ﷺ هو الله تعالى ﷺ، كما أخرج ذلك الإمام مسلم، وأوردته المندزري هنالك، وهو الآخر الذي بعده.

(1) رواه عبد الله في «المستدرك» (ص 22)، وابن خزيمة في «التوحيد» (1/261)، والبيهقي في «السماع» (1/294)، وابن الأعرج في «الشريعة» (294)، وغيرهم، وهو أثر موثوق له حكم الرفع، لأنهما لا يقال بالرأي.

(2) سيأتي في باب رؤية الله جل جلاله.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

(83) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "ما كلب القُوادِ ما رأى؟" قال: رأى يُفَّؤِدُهُ مرتين.

الشرح:

يعني بقوله: "رَأَى يُفَّؤِدُهُ" أنه رأى يُفَّؤِدُهُ مرتين، وهذا منهب ابن عباس.

فأبهب عباس رضي الله عنه إلى أن محمد ﷺ قد اختصه الله بالرؤيا، وورد عنه في أثر أخرجه ابن أبي عاصم في السنة(1)، وأخرجه أيضًا أبو يعلى الفراء في "إيطال التأويلات"(2)، وغيرهم. أنه قال: "أُنعمُوب أن تكون الخلخة للبرام، والكلام لموسي، والرؤية لمحمد ﷺ.

فكان يذهب إلى أن محمد ﷺ عليه الصلاة والسلام قد رأى ربه، واختلفت الرواية عن ابن عباس. ففي روايات صحيحه عنه، كما في صحيح مسلم هنا أنه قال: "رأى يُفَّؤِدُهُ" يعني: رآه يُفَّؤِدُهُ. ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عند الرمدي وغيره، وأخرجه أيضًا أبو يعلى في "التأويلات"(3): أن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام قال: "أني ربي في أحسن صورة"، وفي رواية: "رأيت ربي في أحسن صورة" فقال: "يا محمد أنتدري فيما يختص الملا الأعلى" قلت: "الله أعلم، فوضع ند بين كنتي..." الحديث، فذا الحديث في أن النبي ﷺ رأى ربه رأياً منامًا، لا

(1) رقم (442) وقال عنه الألباني رحمه الله: إسناه صحيح على شرط البخاري.
(2) "إيطال التأويلات" (107/1) بتحقيقنا.
(3) انظر "إيطال التأويلات" (103/1).
شرح مختصر صحيح مسلم

رواية عيان، وهو تأييد أيضًا لقول ابن عباس، لتفسيره المتأثر عنه: أنه رأى فؤاده وقلبه لا بعينه.

ورد عن ابن عباس روایات أخرى أنه رأى ربه بعينه، لكن هذا القول مرجوح عندي والله أعلم، لحديث عائشة الآثي، وورد أيضًا عن الإمام أحمد أنه قال: من كذب بالرُؤُويا يستباح، فإن تاب وإلا كILLED فإن الله يرى في الآخرة، ولا يرى في الدنيا. أو نحو هذا الكلام، كما رواه عنه حنبل بن إسحاق في «طبقات الحنابلة» (1).

وإلامة أحمد أيضًا اختلف عنه الروایات، ففي روایات عنه قال بقول الجمهور: أن محمدًا عليه الصلاة وسلم لم ير ربه بعيني رأسه، وإنما رأى رؤية منام، وفي روایات عنه أنه يذهب إلى أنه رأى بعينه.

* * *

(1) انظر «إبطال التأويلات» (103/1).
باب: في رؤية الله

(84) عن منصور، قال: كنت مطيعاً عند عائشة، فقلت يا أبا عائشة! ثلاث من تكلم واحداً منهم فقد أعظم على الله الصريحة، فقلت: ما هم؟ قال: من زعم أن محمدًا رأى ربه، فقد أعظم الصريحة، قال: و كنت مطيعاً في الجملة، فقلت: يا أم المؤمنين، أنت عزيزة ولا تعجيلي، ألم يقل الله  


و زاد: قال: ولو كان محمدًا كنت ما أنزل عليه؛ لحَمّى هذه الآية: {وَلَوْ تَوَلَّيَ اللَّهُ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِ وَالصَّرَتْ عَلَيْهِ أَمَّهُ عَلَيْهِ دُعُوضَةًا وَاللَّهُ وَجَدَنَّهُ وَقَدْ قَدَّمَ في نَقَادِجِكَ ما اللَّهُ مَبَارِكُ وَقَدْ خَلَقَ الْأَمَامَ وَاللَّهُ أَحْلَ أَنْ تَقُولَ} (الأجراب: 37).
شرح مختصر صحيح مسلم

الشرح:

رواه مسلم في الإيمان من مذهب أبي حنيفة، وهو عن هلال بن محمد بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، من قول النبي ﷺ: "وَلَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَحْمَرًا وَهِلَ يَرَايْنَى رَبَّهُ لِلِّيْلَةِ الْإِسْرَاءِ.

فقال: "عَنْ مَسْرُوقٍ مُّسْرَوقٍ"، وقال: "أَهْلُهُ مُتْرَكُ مَسْرُوقٍ".

ثم وجد ابن الأجلدع، وكتبته أبو عائشة، وهو من كبار التابعين، ومن كبار أصحاب ابن مسعود وغيرهم.

فقال: "أَنْظُرِيْنِ" أمهن على ولا تعجيل علي.

فقال: "أَلَمْ يَقُلُ اللَّهُ ﷺ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَأْيَاً مُّلْطَسَةً اللَّهِ ﷺ لِلِّيْلَةِ الْإِسْرَاءِ؟"، فقالت عائشة: "أَلَّا أُرُؤُوهَا الْأَمْمَ سَأَلَّهَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ".

فقال: "إِنْ أَمَا هُوَ جَبَرِيلٌ" فعائشة ردت استدلال مسروق ابن الأجلدع التابعي، فقالت: "أَلَا أَوَلَ الأمَّةِ سَأَلَّهَا عَلَى الصلاة والسلام - عن ذلك.

فقال: "فقال" أي: النبي ﷺ.

"إِنْ أَمَا هُوَ جَبَرِيلٌ" أي: أن المصمود بيتين الآثرين هو جبريل - عليه الصلاة والسلام - وهذه لا يخفى أن تفسير مروج إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - وأولى ما يفسر به كتاب الله بعد كتاب الله هو كلام رسول الله ﷺ، لأن الله نارك و تعالى قال: "وَأَرْنَاهُ إِلَى النَّبِيِّ الْمُصْحَفَ سُرِّيُّ الْيَتَابِيَّةَ مَنْ نُزِّلَ إِلَيْهِ" [الآنفال: 44]، وقال: "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْكِتَابِ إِلَّا إِلَى مُتْبَعٍ لِّلنَّبِيَّ إِلَّا أَخْلَصْنَاهُ" [الأنفال: 44]، فالرسول عليه الصلاة وسلم مبين عن الله، مبين ما أجمل الله في كتابه، فما أجمل في الكتاب شرحه وفصله رسول الله ﷺ على أفضل الصلاة والسلام.
فهنا بين أن المراد بهذه الآيات التي في مطلع سورة النجم: أنها جبريل النبي، وليس رؤية الله تبارك وتعالى، ولا شكل أن هذا المرافع يقدم على الموقف من قول ابن عباس وغيره.

وصح في المسألة أيضًا حديث آخر، رواه مسلم (1)، من حديث أبي ذر: أنه سأله النبي: هل رأيت ربك؟ قال: عليه الصلاة والسلام: نور أني أراه. أي: حجابه النور فكيف أراه؟


واستدلت عائشة أيضًا بقوله تعالى: {لا تدركُ الآيةُ البصرُ وَهُوَ الَّذِي يُدْرِكُ}. (الأغفان).

(1) رقم (١٦٨) في الإمام.
(2) سباني الحديث بعد حديث عائشة هنًا.
(3) رواه مسلم في الإيمان (١٦٣/١) من حديث صحيبه. 

النشر ١٣٨٠هـ
قوله: «أَلَآ تُذْرَىٰ إِلَىٰ الْأَصْحَابِ» أي: في الدنيا، وكذا لا تدركه الأبرار في الآخرة إدراك إجابة، بمعنى أن الخلق يرون يوم القيامة ولا يدركونه، وفرق بين الرؤية والإدراك، كما في قوله: «فَأَلْقُوا تَرْيُبًا اللَّهُمَّ» [الشعراء]، فالرؤية حصلت والإدراك لم يحصل، فأنى تقف أمام بعض المخلوقات فتراها، ولكن لا تدركها، تقف أمام الجبال الشاهقة تراها، ولكن لا تدركها ولا تجتذب بها، تقف أمام البحر فتراها ولكن لا تدركه، بصدق لا يهتم به، وهذه في مخلوقات عظيمة، فكيف بالخلائق الذي هو أعظم وأكبر من كل شيء؟ فالله تعالى يرى ولكن لا يدرك.

وورد أيضًا في «صحيح مسلم»: أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قال في حديث الدجال: «تعلموا أنكم لن تروا ربك حتى تموتوا» (1)، بمعنى: أن البد لا يرى ربه حتى يموت، والرسول - عليه الصلاة والسلام - كان في المعراج حيًا لم يمت، ولذلك لم تحصل له الرؤية.

واستدلت عائشة أيضًا بقوله تعالى: «وَمَا كَانَ لَكَ أَنْ تُكْلِمَ النَّارَ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِهِ جَهَالٌ أَوْ وَرَعُّانِي رَكُولًا» يعني: لم يكن للبشر أن يكلمه الله إلا بالوحي إليه، وهو الإبعاد بصورة خفية، فيقال في النفس دون علم، أو: أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب، كما حصل لموسى في ليلة المعراج; فإن الله كله من وراء حجاب، وكان حجابه نور، والصورة الثالثة: أن يرسل رسولًا من الملائكة فيكلمه نبأه عن الله، بأمره وينهاه بما أمر الله تبارك وتعالى ونهي، هذه ثلاث صور.

(1) رواه مسلم في الإيمان (119) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
ورد القائلون برؤية الله تعالى الاستدلال بهذه الآية: وقالوا: هذه الآية حجة عليكم!

قالوا: لأن هذه صور ثلاث، ورؤية محمد ﷺ غير هذه الصور الثلاث، بل هو شيء خاص له، ولو كانت الرؤيا داخله في هذه الأنواع الثلاثة ما كان لمحمد فضل في المراجع على غيره.

لكن كما قلنا: إن قول الجمهور أقوى، للأدلة السابقة، والله أعلم.

وفي الحديث أيضا: عظم خلق جبريل ﷺ، وأن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين، ووصفه بأنه من عظم خلقه يسديما بين السماء والأرض، أي: يسديما الأفق، إذا رآه الإنسان، فسبحان الله العظيم.

ولعظم هذه الخلقه، كان من رحمة الله تعالى بالأنبياء أنهم يرون في صورة البشر، أو يأتهم بصورة الوحي الذي يسمعون كلامه ولا يرون شخصه، كصلاة الجرس، كما قال: عليه الصلاة والسلام (1)، فرأه مرتين فقط، وأما في غير هؤلاء المرتين، فكان يأتيه في صورة رجل يكلمه، أو يكلمه دون أن يرى شخصه، وسمع للوحي صلصة كصلاة الجرس.

فوله: «قالت: وَمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى الرَّسُولُ ﷺ كَنَّى جَبَّاً مِنْ كِتَابِ اللهِ».
فوله: «وَاللَّهُ يَقُولُ: ۖ كَبِيْرًا أَرْسَالُ نَبِيٍّ مَّا أُوْلِيَ الْأَلَٰثَ مَّنْ رَأَى Fermi, وَإِنْ أَلْوِيَ الْأَلَٰثَ» أي: إن الله ﷺ قد أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه، وهذا يشمل الكتابة والسنة، كما قال الله ﷺ.

(1) رواه البخاري في بداء الوحي (18/1) من حديث الحارث بن هشام ﷺ.
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم


وفي لفظ: ينزل عليه ما يبين له القرآن، يعني: السنة، أو نحو ذلك.

 وزاده بياناً قوله سبحانه: "وَأَنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَحَقٌّ" [الحج: 52]. فهذا يبين أن كل ما كان النبي ﷺ - عليه الصلاة والسلام - يتكلم به كان وحياً من الله، وليس من عند نفسه، وهو - عليه الصلاة والسلام - قد بلغ ما أنزل إليه من ربه كتابًا وسنة، ولم يسر من ذلك شيئاً ولم يكتب - عليه الصلاة والسلام -، وقد شهد له أفضل الشهداء عند الله، وهم خبر الناس بعد النبيين والمرسلين، وهم أبْرَأَ الأمة قلوبًا، وأحسنهم إيمانًا، وهم صحابه رضوان الله عليهم أجمعين، شهدوا له بأنه قد بلغ الرسالة في غر موضع كما ورد في الأحاديث الصحيحة، فقد استشهدهم في موقف لا أعظم منه، وهو في حجة الوداع، إنكم مسؤولون عني، فماذا أنتَ قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدبت ونصحت، فرفع أصعب إلى السماء وقال: "اللهم أشهد" ثم نكتها على الناس.

فشهد هؤلاء الصحاب الأجلاء، أهل الصدق والإخلاص، وأهل الإيمان والعمل الصالح، شهدوا له بأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح

(1) روى البخاري في الحج (573/1 - 574/2) أحاديث في هذا المعنى عن ابن عمر، وابن عباس وأبي بكر.
شرح كتاب الإمام من مختصر صحيح مسلم

الأمة تمام النصح، حتى آتاه اليقين من ربه صلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله عن صحابته الكرام.

وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَاءَةُ الْحَيَةِ وَالْمَلَأِ (1)

النبي ﷺ شيء من العلم؟ قال: لا والذي فلق الحجة، وبدأ النسمة.

فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ الْمَلَكِ (2) - وهو الصادق - فسماً مغلوظاً: لا والذي فلق الحجة.

وبدأ النسمة، ما أَسَرَّ إِلَيْنَا بَشَيْءًا، قال: إلا فهما يؤمن على العبد في كتاب الله، وإلا ما في هذا الكتاب، قالوا: وما في الكتاب؟ قال: شيء من العقل (الدبابات) والأسناد وفكاك الأسابر، يعني: مما قضى به النبي ﷺ في أفضيته مما كتبه إلي من سأل، وهذا أمر ليس بمكتوم، فما جاء في الديبات أمر مشهور، والنبي ﷺ عليه الصلاة والسلام. كتب فيه الناس في الآفاق لعمرو بن حزم، وأهل البحر، وغيرهم مما وضعه الأحاديث الصحيحة.

فلما كان آسر النبي ﷺ شيء لأاسر لأقرب الناس إليه، وهو صهره وابن عمه، خلافاً لما تقوله الرافضة من زعمهم اختصاص أهل البيت بإذن

لا تعلمها الأمة!!

وكذلك إمامهم الأكبر، وإن كانوا يبتغونه!

قوله: وَوَزَّاهُ كَأَوْدَهُ هكذا قال الإمام المندبي، والصواب أن يقال: وَوَزَّاهُ عَبْدُ الْبَيْحَارِي (1) وابن عبد الله البصري، نفقة (2)، والزيادة له؛ لأن داود روى أصل الحديث، وأما الزيادة فهي لعبد الوهاب.

التفقي.

(1) رواه البخاري (1903).
(2) ترتيب التهذيب (633).
قوله: "قالت: وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَتَا شَيْيًا مِّمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ؛ لَكَتَمَّ هَذِهِ الآيَةَ: وَذَلِكَ تَوَلَّىٰ لِلْيَدَاءَ أَنْفَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْصَتْ عَلَيْهِ أَمَامَكَ عَلَىٰ وُجُودِهِ وَأَنْفَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَفَخَّرَ فِي تَفْصِيلِهِ مَا اللَّهُ مُبَيِّنٌ وَقَضَى النَّاسَ وَلَيْسَ أَنْ تَفْخِرَهُمْ" (الأحزاب: 27).

تقول لو كان النبي  عليه الصلاة وسلم - كاتبًا شبيهًا مما أنزل عليه، لكتبه هذه الآية، لما تضمنت هذه الآية من عتاب الله تعالى لشبه. إذ أن الرحمن - جل شأنه - قد عانب نبيه  عليه الصلاة وسلم على إخفائه أمرًا أعلمه الله ﷺ أنه يقع، ألا وهو: زواجه بزينب بنت جحش بنت عمته.

وقصتها باختصار أنها كانت تحت زيد بن حارثة، وكان زيد يشكي منها، فبنيهما خلاف، فجاء يشكي إلى النبي  عليه الصلاة وسلم:

ويقول: إنى أريد أن أطلقها، والرسول  عليه الصلاة وسلم يقول له: أمسك عليك زوجك. مع أن الله تعالى قد أوحى إليه أنها ستكون زوجة له، لكن النبي  كان يخشى أن يشكي النافقين والمرجفين الذين كانوا يزيدون بالنبي  عليه الصلاة وسلم. وأصحابه، ويئمون لهم العيون والمثالب، فكان يخشى من أسلنتهم، فالله تعالى قد أوحى إلى أن يزيد سبئليها وأنك ستكون زوجه، والرسول  عليه الصلاة وسلم. تخيّي إظهار ذلك من أسلنة المنافقين الذين سيكلمون فيه، ويقولون: إن محمدًا تزوج بزوجة ابنته ومتمناه، لكن الله بارك وتعالي قد قضى أمرًا، وهو كائن.

وفي زواج زوجة مبتئى إبطال للنبي  بالفعل، لأن العرب كانت تحترم زوجة المبتئى، فجاء الإسلام وأبطل نظام النبي، فكانت هذه الحادثة إبطالًا لهذا النظام الجاهلى.
وأيضاً نقول: لو كان النبي ﷺ كتاباً شيناً من الوفي؛ لكتمت آيات
آخر نزلت في مواجهته، كقول الله تعالى: "إن الله أهداكما
لأنه الربط بيني وبينكما أن أصل الله ﷺ
بيني وبينكما لأسماعكما" [النور: 1]، فلو كان النبي ﷺ كتاباً شيناً لكتمت
هنا أن تكون الأمة التي فيها مواجهته له، ونقوله تعالى: "ما كان لكني أن يكون الله
أمرٌ حقٌّ يُنفَّذ في الأرضين، يريد عرض الدينين وآلهة يُريد الأخرَجْهُن.
[الأنفال: 77]؛ هذا عتاب أيضاً للنبي ﷺ عليه الصلاة والسلام.
ولكم: "للثور Reyno 1 أن جاءه أهلُ المعين(4) [عس].
لكنه – عليه الصلاة والسلام – كان أميناً في الأرض، كما أن جبريل
هو الرسول الملكي الأмин في السماء، ونقول – عليه الصلاة والسلام: "ألا
تأمنون وأنتم من في السماء، يأتيوني الوحي صباح مساءً لما طعن فيه
ذو الخويصرة الذي هو أصل الخوارج، وتكلم فيه.
قوله: "قال الله: ومن رحم الله يغفر بما يكون في غفلة، فقد ألغى
الvertime، والله يقول: "قل لا يملكون من في السموات والأرض أضلاع الله إلا الله".
عن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام: لم يكن يعلم الغيب، وهذا معتقد السلف
جميعاً، لا خلاف بينهم، أن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام، وسائر النبيين
يعلمن الغيب، وإنما يعلمن من الغيب ما شاء الله، كما قال ﷺ: "علمُ
الغيب فلا يظهر عليه عنده أحدٌ إلا من أرتفعت من رسول الله ﷺ [الجن: 6]
فيغلي إلى من الغيب بما يشاء، والله تعالى منفرد بعلم الغيب، فإن
أنا يعلم غيب السموات والأرض" [الحجرات: 18]، فإنه الغيب وحده جل وعلا.
ولهذا جاء في «سنن ابن ماجه»: أن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام.
قال: «من أتي كاهناً فسأل عن شيء فصدقه، فقد كفر لما أنزل على محمد»(1). والذى أنزل على محمد: هذه الآيات، التي تخبر بانفراد الله بعلم الغيب، فذى يصدق الكاهن أو العرّاف الذي يدعي معرفة الغيب، فقد كفر بما أنزل على محمد، ومنه قوله تعالى: "فلَأَيْتَنَا مِن فِي الأَمْثَالِ وَالْأَرْضِ أَقْبَبَ إِلَّا أَلَهُ" (الملك: 160).


***  ***  ***  ***

(1) رواه ابن ماجه وصححه الألباني (239).
(2) رواه مسلم (2430) عن بعض أزواج النبي ﷺ.
(85) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فيننا رسول الله ﷺ بين كِلَمَاتٍ، فقال: "إِنَّ اللَّهَ لا يَنَامُ، وَلَا يَنْسَى، لَّكَ نَياْمَ، يَحْفَضُ الْقُسْطَ وَالْخَفْضَ. يَرْفَعُ إِلَّا عَمَلُ الْيَلِّي قَبْلَ عَمَلِ الْبَيْتَ، وَعَمَلُ الْبَيْتَ قَبْلَ عَمَلِ اللَّبَنَةِ، حَجَابَةً الْبُنرَ. وَفِي رَوَائِيَةِ الْبُنرَ. لَوْ كَفَّتْهَا، لَأُخْرِقَتْ بُسُحَاتٌ وَجَهَبًةٌ ما انتُهى إِلَيْهِ بْسُحَةٌ مِّنْ خَلْقِهِ.

الشرح:

هذه هو الحديث الثاني في هذا الباب. وقد أورده النووي في الباب نفسه (34/3).

"عن أبي موسى" صحابي مشهور واسمه: عبد الله بن قيس، وهو ممن أثني النبي ﷺ على حسن قراءته، وكان إذا مرت عليه الصلاة والسلام، وقف يسمع لقراءته، وقوله عليه الصلاة والسلام: "القد أتي مزمار من مزماراً آل داود".

وتقول الحسن، أي أنه قد أتي صوائجًا حسنًا عند قراءة القرآن، ويعني النبي عليه الصلاة والسلام، والياً إلى اليمن، ومعه معاذ بن جبل. مات سنة خمسين وقيل: بعدها، روي له السنة.

قوله: "قام فيننا رسول الله ﷺ بين كِلَمَاتٍ" قام فيننا: يعني خطب فيننا خطبة، كекئ فيها بخمس كلامات، وهذا من أجل الضبط، فيضبط الإنسان كلام القائل، بحيث لو عده يعده.

قوله: "إِنَّ اللَّهَ لا يَنَامُ" هذا خبر عن الله تبارك وتعالى، ووصفه من رواه البخاري (4850)، ورواه مسلم (793) عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.

(1) رواه البخاري (4850)، ورواه مسلم (793) عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.
شرح صحيح مسلم من مختصر صحيح مسلم

صفاته، فمن صفات الله ﷺ أنه لا ينام، كما قال ﷺ: «الله لا إله إلا هو Алъٰهٔ الَّذِي لا تَأْخُذُهُ سَيِّئَةٌ وَلَا نَجْمٌ» [البقرة: 255]، السنة هي: مبادئ النوم، يعني: النوم الذي سيتقذه النوم ويكون في الأفغان، فهذا تعالى أخبر أنه لا تأخذه سبعة، فلا يتفرق إليه النعاس، فضلًا عن أن يصيبه النوم لا تأخذه. سبعة ولا نوم.


قال ﷺ: «القيوم» فهذا سبيله قيوم، يعني: قائم دائم لا ينام، يدير أمر السماوات والأرض، متكفل بأرزاق العالمين، فلو نام جل وإلا لتعطلت مصالح الخلق، قال ﷺ: «إن الله ينصف السماوات والأرض أن تزول وتكون رأياً إن أتَّمَّهُمَا من أمرٍ من طاعَةٍ إنه كان جَيِّلًا غَفُورًا» [المطهر].

هذا سبيله قائم على كل نفس بما تحتاجه، يدير أمرها، ويتكلل برفقها وبحفظها وينصرها وهكذا، فلو نام جل وإلا لتعطلت هذه المصالح العظيمة.

قولة: «يَحْفِظُ الْقُلُوبَ وَيَرْقَعُهَا» المراد بالقسط: الميزان، وهو العدل. فهذا تعالى يحفظ الميزان ويرفعه، وسمي الميزان بالعدل؛ لأن بالميزان يعرف
العدل، فان الله تعالى يخفض الفسط ويرفعه، يعني يرفع الميزان ويخفضه.

قال ابن قتيبة: الفسط الميزان، والموزون يحمل أنه أعمال العباد الصاعدة وأوْزاقهم النازلة.

فان الله تعالى يرفع إلي الأعمال، فترفع إلى عمل عبد صالح، فإذ يقل به

مِزَانه عند اللَّه ﺃنْعَمَّ، ويرفع إليه عمل إنسان يكون سببًا في خفض ميزانه؛ لأنه

عمل سيئ، والذى يزن له أزراق العالمين النازلة، كما قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلَ ﻋَلَى مَعْلُومٍ﴾ (الحجر)، فان الله ﺃنْعَمَّ يملك خزائن السماء والأرض؛ لكنه لا يفتح هذه الخزانات لكل الناس، لأن هذا خلاف منفذي الحكمة، كما قال الله ﺃنْعَمَّ: ﴿وَلَوْ نَزَّلَ ﻋَلَى أَزْرَقٍ﴾ (النور): 27، فان الله ﺃنْعَمَّ على بمن يستحق الغنى من عباده، ومن يستحق الوسط من الرزق من عباده، ومن يستحق الفقر من عباده، فإن من عباد الله من لى أفقر كفر، ومن عباده لو أغتى لكفر، فمن حكمته جل وعلا أنه ينزل بقدر ما بشاء، وببه الميزان الذي يزن به هذه الأزراق النازلة إلى عباده، وهو ﺃنْعَمَّ يزرق من يشاء بغير حساب.

قوله: ﴿بِلْيُرِقُّ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّهِ بِقَبْلِ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّهِ﴾ يعني: يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده، وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده، وفي رواية لمسلم: ﴿يرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل بالنهار﴾ يعني: يرفع إليه عمل النهار في أول الليل الذي بعده، وعمل الليل في أول النهار الذي بعده، وهذا يؤيده حديث الرسول ﺪ - عليه الصلاة وسلم - في الصحيحين: ﴿يتعاقبون فيكم ملائكة...﴾
بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، فiburج الذين
باقوا فيكم؛ فسألتهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ قالوا:
تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» فهذا موافق لهذا الحديث.

فواصلة الحكمة الكرامة الملائكة الكاتبين، ترفع الأعمال، فيصعودون
بأعمال الليل بعد انقضائه، وأعمال النهار بعد انتهائه، وهذه الأعمال إما
أن تكون سبباً في رفع ميزان العباد عند الله ﷺ لأنها تقلية في الميزان
لفضلهما ونفعهما وصلاحهما، وإما أن تكون هذه الأعمال التي صعدت بها
الملاكية مما يخفض ميزان العباد عند الله ﷺ، وقد كان عليه الصلاة
والسلام يقول في دعائه: «... وفك رهاني، وثق ميزاني، واجعلني في
الندي الأعلى» (1) فسأل الله ﷺ تقل الموازين عنده. و جاء في الحديث
«الظهور شطر الإيمان»، و قال عليه الصلاة والسلام: «كلمتان خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبان إلى
الرحمن: سبحان الله وحده، سبحان الله العظيم».

فإذا أكثر العباد مما يقلل الميزان عند الله ﷺ، صعدت الملائكة به،
فاز بالدرجات العلى عند ربه ﷺ، قال سبحانه: «فَأَنَّا مُفَلِّحُونَ ﺔَمَّا نَزَّلْنَا ﻋَلَى ﻣَأْوَىٰ ﻣِنْ ﺔُوْرَاءَيْنِ ثَانِيَةً» (الفراضة).

قوله: «يجابِهُ النُور... وفي رواية النَّار»: الحجاب: ما يستن به أو ما
يمتنع به، وحجاب ربا هو النور، والله بارك تعالى مضاف به نور
في نفسه، كما قال ﷺ: «الَّذِينَ أَسْلَكُوا ﺔَرَاءَيْنَ ﺔَمَّا نَزَّلْنَا ﻋَلَى ﻣَأْوَىٰ» (النور: 5)، ووصف

(1) حديث صحيح، رواه أبو داود (450)، وأبي داود (721)، والحاكم من حديث
أبي الأزهر الأنصاري: أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضموجه من الليل قال: بسم الله
ووضع جنبي، الله اغفر لي ذنبي وأحسى شيطاني، وفعلك....
أيضًا أن له نورًا، فقال: ﴿وَأَزْرَقَيْكَ الْأَرْضَ يُبْرَءُ رَبَّكَ﴾ [الثور: 169]، فله نور جل وعلا - لا كالنور، وهذا سائر صفاته، ولا نُؤْلِئ ولا نُعَطَّل كما قالت الجهمية والأشعرية:

"إن النور جسم من الأجسام، أو جرم من الأجرام"، فلا يصح أن يوصف الله تعالى به!! كما قاله الخطابي وقاله عياض، ونقله النووي في شرحه! بل نقول: هذا ليس بجار على مذهب السلف، إنما مذهب السلف أن يثبتنا الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى، ثم ينقفز المصطلح عنها ويقولون: ﴿أَنْتُ مَلَكُ الْأَبْوَابِ وَحَكِيمُ الْبَيِّنِيْنِ﴾ [الشريعة]، والله تعالى قال عن نفسه أنه نور، ونحن نقول: هو نور جل وعلا، وأثبت أن لذاته نورًا ﴿وَأَزْرَقَيْكَ الْأَرْضَ يُبْرَءُ رَبَّكَ﴾، فالنور من صفاته أيضًا تبارك وتعالى، وهنا قال: "حجابه النور" وهذا غير الأول والثاني، فالحجاب الذي احتجب الله تعالى به عن خلقه هو من نور، وفي رواية: من نار، وهي نار كما قال أهل العلم: بلا إشراق، إنما هي إشراق لأن للنار إشراقًا وإشراقًا، أما حجاب ربنا فهو إشراق ونور.

فوله: ﴿لَوْ كَفَّهَا؛ لَأَحْرَقَتْ مَبْحَاتٌ وَجَهِّهِ ما اتَّنِئى إِلَيْهِ بِصَرْهِ مِنْ خَلْقِهِ﴾.

السبحانات يعني: الأنواع، أنوار وجهه، أو أنوار جلاله وبهاء وجهه جل وعلا، ويحتمل أن يكون الوجه هنا المراد به الذات، يعني: لأحترقت أنوار ذاته ما انتهى إليه بصره من خلقه، وإلى أن ينتهي بصرأ من خلقه؟ الله سبحانه بصره محيط بجميع الكائنات، يعني: لو كشف هذا الحجاب لأحترقت جميع الكائنات من أنوار وجهه، ولذلك فمن رحمة الله عباده أنه احتجب عن خلقه بنوره.

لكن الله تعالى يكشف هذا الحجاب يوم القيامة لعباده المؤمنين، فما أعلموا شيئًا أنّه لهم من النظر إلى وجهه الكريم، أما في الدنيا فلا يراه حي إلا مات، لا يراه حي إلا صعق، وهذا مما يسندله به على أن الله تبارك وتعالى ليس على الأرض، ولا يستطيع للخلق، كما تقول الجمعية وتقول الأخلاقية وأصحاب وحدة الوجود (1) الذين قالوا: إن الله في كل مكان، فلر كان الله في كل مكان لا أحترق الكائنات؟! فإذا كان الله في كل مكان لم تجلى للجبل جعله دكة، فلو كان متجليًا لجميع الخلق لتتكبدت جميع الخلق، فهذا باطل معلوم بطلانه بالكتاب والسنة وبالعقل الصحيح والنظر المستقيم، قال الله تعالى محتسب عن خلقه بنوره، وهو يتعلو لعباده يوم القيامة بعد أن يجعل فيهم من القوة ما يطيقون به رؤيته، كما قال الله تعالى: فَعَلَّهُمَا عِلَاءْ، غَيْبَانَا قَبْلَ أَمِينٍ حَيِيدٍ [ب].

فالخلق يبدلون يوم القيامة، ويكون فيهم من القوة والقدرة في الخلق، غير ما كانوا عليه في الحياة الدنيا كما هو معلوم.

***

(1) وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رسالة في إبطال وحدة الوجود، قد يسر الله لنا نشرها وتعليق عليها؛ طبعت بمكتبة الذهبية.
(86) عن أبي هريرة ﷺ: أنَّا ناساً قلنا لرسول الله ﷺ: هل ترى
ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تصرّفون في رؤية القمر ليلة
القدر؟ قالوا: لا يا رسول الله! قال: هل تصرّفون في النَّاسِ ليس دونها
سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله! قال: فإنّكم تزورون كذلك، يجمع الله
الناس يوم القيامة; يقولون: من كان يعبد شياً فليتعبد، ويعبد
الشمس الشمّس، ويعبد من كان يعبد القرآن، ويعبد من كان يعبد
الطوارئ الطوارئ، وتتقى هذه الأمَّة فيها ماتيّها؛ فإنّهم الله
تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يغفوون، يقولون: أنا نبي، نبيوت
يُؤْمِنُونَ، ولا يتكلّمُنِّي وَُولِدَتْ إِلّا الرُّسُلُ، وَدَخَّلَتْ آدمُ السَّمَّاء، قَوْنُونَا آنُ وَأَرْيَنَا أَوْلَى مِن
يلجأ، وَلا يَتَّبِعُونَهُ بدلاً من هؤلاء السُّنُّاد، هل رأيت السُّنُّاد؟ قالوا:
نعم يا رسول الله! قال: فإنّها مثِلّ شُؤوْل السُّنُّاد، غير أنّه لا يعلمُ ما قدر
فيه إلّا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فليمّهنّ المؤمنون بقيب يعلمونه، وفهم
المجاز حتى يُNetworking، حتى إذا قرع الله في الطعام بين الأطباء، وآزاد أن
يحترم يُرمَّقونهُ من أرواد من أهل النار، أمر الملاكاة أن يخرجوا من النار من
كان لا يشرك بالله شيئاً معنًّي أراد الله تعالى أن يخرجهم، يعبدوهُم، لا يُ.plist
إليه إلّا الله، يغفوونهم في النار، يغفوونهم بأثر السجود، تأكلُ النار من ابن آدم
إليه إلّا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكلُ أثر السجود، يغفوونهم من
المجاور حتى يُNetworking، حتى إذا قرع الله في الطعام بين الأطباء، وآزاد أن

الآية، وقد احتجزوا، قبضهم علىهم ماء البحيرة، قبضون مئة كمًا تثبت الجنة.
في حيّل السحيل، ثم يفرعة الله تعالى من القضاء بين العبادة، ويبقى رجل
معبود يوجبه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، يقول: أي
رب! أصرف وجهي عن النار، فإنّ الله قد فتحني بنيها، وأحرقني دكاؤها،
فأمدّه الله ما شاء الله أن يمدّه، ثم يقول: إن تَبَّأَتْ عَنْهُ ؟ فِيَقُولُ: لا آشَلّك غيّره، ويبقى ربة
عُيُود وموائيم ما شاء الله؛ كِيَضْرِفَ اللَّهُ وَجَهَّةَ عَنَّالْبَارْ، إِذَا أَقْبَلَ عَلَى
الجَنَّةَ وَرَبُّهَا. سُكِّنْ مَا شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رَبَّ! فَلَمْ يُعْيِشْ إِلَى
بَابِ الجَنَّةِ، فِيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلِسْ قَدْ أُغْطِيَتْ عَهْوُدُهَا وَمَوَآيِفِهَا لَن تَسَلِّمي
غَيْرَ الْكَيْبَضِ؟! وَلَكِنْ بَيْنَ ابْنِي أَمِّي، وَلَن أَفَادْرُ! فِيَقُولُ: أي رَبَّ! وَبَدَّلْهُ
اللَّهُ، حَتَّى يُقْعُوَ: فَهَلْ عَسّت إِن أُغْطِيَتْ ذَلِكَ أَن نَّسَلِي غَيْرَهُ ؟ فِيَقُولُ: لَا
وَبُعِّدْهُ، وَيَغْطِي رَبِّهَا مَا شاء اللَّهُ مِن عُيُودَ وَمَوَآيِمٍ، قَدْ قَدَّمْهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ;
إِذَا قَامٌ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ القَفَّاقَفُ قَلَّهُ الجَنَّةُ، فَرَأِيَ مَا فِيهَا مِن الْحِبْرَةَ وَالسِّوْر،
فَيَسْكُنْ مَا شاء اللَّهُ أَن يَسْكُنَّ، ثُمَّ يُقْلِبُ: أي رَبَّ! أَنْدَخِي الجَنَّةِ، فِيَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلِسْ قَدْ أُغْطِيَتْ عَهْوُدُهَا وَمَوَآيِفِهَا أَن نَّسَلِي غَيْرَ مَا
أُغْطِيَتْ؟! وَلَكِنْ بَيْنَ ابْنِي أَمِّي، وَلَن أَفَادْرُ! فِيَقُولُ: أي رَبَّ! لَا أَوْهُ أَشْقَى
خَلْقِهِ، فَلا يَزَالُ يَبْدُو اللَّهُ حَتَّى يَضْحَكُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، إِذَا ضَحَكَ
اللَّهُ مِنَّهُ قَالَ: اْتَّحُذُّ اللَّهَ حَتَّى قَدَّرَهُ، قَالَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ اللَّهُ: تَمَتْ، قَيْسِي رَبِّي، وَيَتَمَتْ،
حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذْكِرُهُ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْتَقَطَتْ مُرَبَّى الأَمَانِيَّ، قَالَ الله
تَعَالَى: ذَلِكَ لِكَلِّدٍ، وَمِثْلِهَ مَعَهُ، قَالَ عُيُودُ بَنِي يَزِيدٍ، وَأَبُوب سَيِّدِي الْخَحَفِيَّينَ،
مَعَ أَبي هُمْرِيَّةَ: لَا يَزَالُ عَلَيْهِ مِنْ حَرِيدَةِ دُنيَّةٍ، حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُمْرِيَّةَ أَنَّ
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم


6 الشرح:

هذا هو الحديث الثالث في هذا الباب: "باب في رؤية الله للجنة".

وسبق أن ذكرنا: كما نقدم - شيئًا من هذه المسألة، وقنا: إن مذهب أهل السنة أجمعين: أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، رؤية نعيم وثواب، لا رؤية جحيم وعذاب، كما هي الحال بالنسبة للكافرين.

وعلى هذا المذهب دلت النصوص المتواترة، من الكتاب والسنة، وذكرنا بعضها.

وزعمت طائفة من أهل البند من المعتزلا واجملية والخوارج: أن الله لا يراه أحد من خلقه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وان هذه الرؤيا مستحيلة عقلًا! وهذا الذي قالوه لا شك أنه خطاً فقيح، مخالف للكتاب رينا ومنينا، والأدلة الكثيرة وإجماع الصحابة، فمن بعدهم من سلف الأمة، على إثبات رؤية الله للمؤمنين، ورواها عن النبي - عليه الصلاة والسلام - نحوًا من عشرين صحابيًا.

أما رؤية الله تعالى في الدنيا: فقد قدمنا أنها ممكنة، ولكن الله تبارك وتعالى أخبر أنها لن تقع في الدنيا، وإن كان ذلك ممكنًا إذا شاء الله، ولكن لم يقع ولن تقع لأحد من عباد الله في الدنيا، لقوله تبارك وتعالى...
لموسَى لِمَا سَأَلَ الرَّأْيِ: «أَلَيْنَ تَزَكَّيْنَ» (الأَعْرَاب: ۱۴۳) أَيْ: فِي الدُّنْيَا، وَقُولُهُ عَلَى الصِّلَاةِ وَالسَّلَامُ. فِي مَا رَوَاهُ مَسَلِمٌ: «تَعَلَّمْنَا أَنْ كُنْنَا لَن تَرْوَى رَبَّكَ حَتَّى نَمُوتُ» فَأَرْوَى فَيْلَمْ لِمَا وَقَعَ وَلَا وَاقِعَةً، وأَمَا الرَّأْيِ فِي الأَخْرَى يُقَالُ: «فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْعَلُ فِي خَلْقِهِ مِنْ الْقُوَّةِ مَا يَمْكِنُهُمْ مِنْ رُوِيْنَهُ.» 

قُولُهُ: «هَلْ نَرُوِى رَبِّنَا يَوُمَ الْقِيَامَةِ؟» وَهَذَا سَؤَالٌ صَرِيحٌ فِي هَذِهِ الْمَسَأَلَة.

قُولُهُ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَبْلَ أَن يَجِيبَهُمَا سَائِلًا: 
قُولُهُ: «هَلْ تُضَارَّعُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقُمَرَ لِيُلَيْلَةِ الْبَدْرِ؟» قَالُوْا: لاِيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَلْ تُضَارَّعُونَ فِي النَّصْرِ لِيُسَرُّونَ دَوْنَهَا سَحْبَاءٌ؟» قَالُوْا: لاِيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوَّهُنَّ كَذَلِكَ» هَذَا الجَوَابُ مِنْ أَصْرَحِ الأَجْوَابَةِ، وَأَوْضَحُهَا وَأَبْنِهَا، فَعَلَّمُيُّهَا لَمَنْ يَخَالفُ هذَا القُولِ الصَّرِيحِ عَنْ أَعْلَمِ الْخَلْقِ بَرَيْهِ، وَهَوَّ رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمَينَ ﷺ.

قُولُهُ: «تُضَارَّعَونَ» هَذِهِ الْكَلِمَةِ رُويَتْ بِالشَّدِيدَ، وَرُوِيَتْ بِالْتَّخَفِيفِ: هَلْ تُضَارَّعُونَ، أَمَّا الْشَّدِيدَ يُعْنِي: هَلْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عِنْدَ رُؤْيَةِ الْقُمَرِ لِيُلَيْلَةِ الْبَدْرِ، كَمَا يَحْصُلُ مَنْ كَمْ ذَا في رُوِيْهُ أَوْلَى الْشَّهْرِ.

فَإِنَّا نَكَّمُ لِلْقُمَرِ أَوْلَى الْشَّهْرِ بِتَضَارَّعٍ، يُعْنِي: يَخَالفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَوْ رَبِّمَا يَنْزَحُونَ عَلَى رُوِيْهِ، أَمَّا إِذَا صَارَ قَمَرًا بِدِراً مَنْيَرًا، فَإِنَّ الْجَمِيعِ يَرَاهَا بَلَا كُلْفَةٍ وَلا مَضْرَةٍ وَلا مَشْقَةٍ وَلا مَزَاحِمَةٍ وَلا اخْتِلاَفَ.

قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوَّهُنَّ كَذَلِكَ» وَعَلَى الْتَّخَفِيفِ: هَلْ تُضَارَّعُونَ، قَالُوْا: مِنْ الْضِّبَرِّ، الَّذِي هُوَ الْبَرَيْهُ، يُوْسِفُ أَيْضاً.
وروي أيضاً: هلال تضامون، يعني: هلال تضامون، ينضم بعضكم إلى بعض، كي تستطيعوا رؤيته.

وبالتخفيض: هلال تضامون: من الضيم، الذي هو المشقة والتعب، وهي بنفس المعنى السابق، أي: أنكم لا تفضلون منكم هذا ولا هذا.

قوله: "هل تصدروا في الشمس ليست دوُنها سحاب؟" قالوا: لا. هل يحصل منكم ضر أو اختلاف أو مزاحمة أو شيء من ذلك عند رؤية الشمس ليس دونها سحاب، أي: لا يغطيها سحاب.

قوله: "إِنْ تُرَّأَيْنَا كَذَلْكَ" التشبه هنا: هو تشبه الرؤية بالرؤية في الوضوح، ووالشوك، والاختلاف والمشقة، ليس التشبه تشبه المرثي بالمرثي، فليس المراد تشبه الله تعالى بالشمس والقمر! إما المراد تشبه الرؤية بالرؤية، فرؤية الله تعالى واضحة جليلة لا اختلاف فيها، ولا مشقة ولا ضرر، مما ترى الشمس في رائعة النهار ليس دونها سحاب.

قوله: "يُصِبِّحُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" شرع النبي - عليه الصلاة والسلام - ينص النبي من أحوال اليوم الآخر فقال: "بَلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ" وقال تعالى: "فَإِنَّمَا يَجِدُكُمْ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ" [الفتح: 43].

فيوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين، الإنس والجني، كلهم في صعيد واحد وفي ساحة واحدة.

قوله: "فَقَالَ: مَنْ كَانَ يَبْعَدُ شَيْئًا فَلْيُبْيِنْهُ" ينادي مناد، من كان يبعد شيئاً فلي唐朝: لأن ربه إلهه، وكان ينتصر به في الدنيا، ويزعم أنه يشفع له عند الله يوم القيامة، أو هو ربه، فمن كان يبعد شيئاً فلي唐朝.
قوله: "وَوَقَّعَ مِنْ َكُلِّ مَا عَدَى مِنْهَا الطَّوَافَاتِ الطَّوَافِيَاتِ" الطَّوَافَاتِ جمع
طَوَافَاتٍ، وهو مشتق من الطَّفَاغ، من طَفَاغ لطِفَاغٍ، وأصله: طَوَاغ،
ثم قلب الواو إلى ألف فصاء: طَوَاغ، ولفظة: الطَّوَافَاتِ تجمع وتفرد,
وتؤن وتذكر في كتاب الله ﷺ، كما قال ﷺ: "فَمَرَّ بِهَا أَمَرْكَ بِهَا ﴿السُّرَاحۡ﴾، قال ﷺ: "وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُكَ بِأَيْضَىٰ مِنْ أَمْرِكَ،﴾ [البقرة: ۲۰۵]، وقال ﷺ: "وَٱللَّهُ لَا يَضَعُّ إِلَّا أَمَرًّا﴾ [الرعد: ۱۷]، نسبة إلى الأصنام والأوثان.
والطَّوَافَاتِ هو: كل ما عَدَى مِن دون الله ﷺ وهو راض، وأطلق
السلف الطَّوَافَاتِ على الشيطان وعِلَى الساحر والكاَهِن، وأطلقوا الطَّوَافَاتِ
على من شرع حكمًا يَحْكَمُ حَكَمَ الله ﷺ بِهَا وَيَعَالِي، وعلى من عَدَى مِن
 دون الله ﷺ وهو راض.
قوله: "وَوَقَّعَ هَذِهِ الأَرْضُ فِيهَا مَانِقُوهَا" لماذا يقي المنافقون في هذه
الأُمَّة ولم يتبعوا شيئًا مما اتبع غيرهم؟ لأنهم كانوا في الدنيا، مسترين بين
المؤمنين، مُدْتِسِينٌ في صفوفهم، يسلكون مسلكهم ويدخلون مدخلهم،
ويخرجون معهم، فإذا كان يوم القيامة يخدعون بِجَنْس عملهم فتُرَكهم الله
مع المؤمنين فِيَعْشِون معهم، ويُعْطون نورًا في أول الأمر، ثم بعد ذلك
يَطْفُأُ نُورُهم، وتبقى أنوار المؤمنين.
فإذا طافت أنوارهم؛ نادوا بعد أن يضرب بينهم وبين المؤمنين المسيح عليه السلام.

أما بابك ببلاطة فيكون رحمة وغفران، ينفيه أئمة العلماء، بما دونهم ألم تكن معرفة معاوية بن عبد الملك، أي: أنت لنا نصي من معكم والمسلمون الصالحون؟ فلا غالب ولا وصي ولا حكم ولا ملك ولا دين ولا شريعة ولا فقه ولا دين ولا عدل ولا حكعلمهم على الدنيا، حتى يشهد الله أولئك؛ فكلهم هم مسلمون، والله النصر والنصر بالله، وعليهم النصر.

كل هذا فهذه موعى قوله نبارك وتعالى: "فسيكون الله وله يوم حقيبه" (النساء: 142). هذه خديجة الله لهم يوم القيامة، وقال عنها: "أنت سنتذرهم يوم"، وذلك أنهم في الدنيا إذا أظهروا أمة وكانوا عامرة، و إذا غزوا إلى شريقيهم قالوا: "أنت ملك إنما ملك فمن ينصره"، يعني: يستدرجهم، والاستدراج والعياد بالله يعني: أن الله تعالى يبني المخادع والفاخر والقادر على حاكم، حتى يأتى العذاب مرة واحدة، وهذا من صفات فعل ربنا السماوي بأعدائه، وليس في ذلك نقش، وذلك نقول: الله يمكر بأعدائه لا بأولائه، ويخرج المناضجين ويستهزئ بهم يوم القيامة لأعمالهم السيئة الباطلة.

وقال بعض أهل العلم: إن هؤلاء هم المطورون عن الحوض الذين يقول لهم النبي تعالى إذا أبدعهم الملكة بالسياج سقًةً شفقة.

فوله: "فأيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورة النبي يغفرون، قيهم: أنا ركبم قيهم تعودون غفران الله الملك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربتنا، فإذا جاء ربتنا عرفنا، قبلاهم الله تعالى في صورة النبي يغفرون، قيهم: أنا ركبهم، قيهم تعودون: أنت ربتنا، قبلاهم هذى لا شك أنه من الحديث عن
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

صفات الله، ومذهب أهل السنة والجماعة: إمارة آيات الصفات وأخبارها
على ظاهرها من غير تعرض لها بتأويل، ولا تمثيل، فلا تقول: صفات ربن، مثل صفات المخلوق، ولا تعرّض لها بتعريف المعنى، لأن التحريف
لميعنى آخر التحريف للمعنى.
فاليهود حرفوا كتاب الله، فغيروا فيه وحذفوا وأضافوا، والمؤولة حرفوا
معاني كتاب الله، حتى أفضوا إلى تعطيله عن المعاني الحقة، فقول المذهب
الحق: أن تمرّ هذه الكلمات على ظاهرها من غير تعرض لها بتعريف، ولا
بتاويل، ولا تمثيل.
قوله: «قُبِلْنِيْمَمِيْهِمْ اللّهُ تَبَارَكَ وَمَتَّعَّمَا فِي صُوْرَةِ غَيْرِ صَوْرِيْهِ الَّيْ يُعْرَفُونَ»
قال المؤولة أي: يمدّ الله لهم ملكًا في صورة من يقول: أنا ربيكم، ويظهر
لهم؟! وهذا لا شك أنه تأويل يخالف ظاهر الحديث.
والمراد هنا بالصورة: الصفة، أي: يتجلى الله لهم في صورة غير التي
يعرفون، وما هي الصفة التي يعلمونها ويعرفونها؟ هي: أنه لا يشبه شيئًا من
ملحقاته، فيستعينون بالله منه ويظلون أنه ليس ربيهم، وهذا من الامتنان
والاختبار، والدار الآخرة الأصل فيها: أنها دار جزاء لا دار اختبار ويل،
ولكن فيها اختبار للمنافقين بالأمر بالسعود، فلا يستطيعون، وفيها اختبار
لعن مات وهو مجنون، ومن مات في فترة، ومن مات وبه صمم، كما جاء
في الحديث الصحيح، فإذا لا يشبه الأصل، فهذّه خصوصيات، فهذا يمنح
الله تعالى عباده المؤمنين ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفونها: أنه يرون
لا يشبه شيئًا من ملحقاته، وقد علموا في الدنيا أن الله تعالى ليس كمثله
شيء وهو السمع البصير، فيقولون بعد أن يعلنوا أنه ربيهم: «آتّنَ رَبِّنَا».
فقوله: «قُبِلْنِيْمَمِيْهِمْ اللّهُ تَبَارَكَ وَمَتَّعَّمَا فِي صُوْرَةِ غَيْرِ صَوْرِيْهِ الَّيْ يُعْرَفُونَ»
شرح مختصر صحيح مسلم

بذهب بهم إلى الجنة، أو يتبعون أمره بذهابهم إلى الجنة، أو اتباع ملاكته الذين يذهبون بهم إلى الجنة، كما دلت الأحاديث والآيات على ذلك.

فوله: «وَيُعْرَبُ الْصِّرَاطُ بَيْنَ ۗ ٱلْيَهُودِ وَٱلْإِسْلاَمِ» يعني: يمد الصراط، وهذا فيه إثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة والجماعة، كما قال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته: «وؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان».

فهو من عقائد أهل السنة الثابتة.

وهو جسر يمد على متن جهنم، أي: ظهر جهنم، يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون من جهنم بحبس أعمالهم ومنازلهم، والآخرون من المنافقين يسقطون في جهنم.

وجاء في الحديث: أن الصراط أدق من الشعرة وأخذ من السيف وقال أيضاً: «وَالصِّرَاطُ كَجَدْنَ السَّيْفِ دَخَضَ مَزْلَةً» يعني: زلقة، وهو كحد السيف تنزلق عليه الأقدام إلا من شاء الله تعالى لهم الثبيت، وجاء في الحديث عند مسلم: أن الرسول صلى الله عليه وسلم: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: على الصلاة والسلام. هل في ظلماً دون الجسر؟

إذا انتهى الناس من الحساب وفازوا أرض الموقف، وصاروا إلى الظلمة التي توزع فيها الأدوار بحسب أعمالهم، يعطي المؤمن نوره كالجبل، ويعطي المؤمن نوره فوق ذلك، ويعطي المؤمن نوره كالنخلة بعيبه، ويعطي بعض الناس نوره على قدر إهماله في قدمه، ينور له مرة ويقطع مرة، كما جاء في حديث الطبراني والحاكم وغيرهما.
وفي هذا الموضع يفرق المنافقون عن المؤمنين، ويضربون
بسره الله باباً للجهل، فيرجوهانه وثعلوه. بين قائليهما:
(تنادواهم ألم تكن مكتملاً قالوا بئر وليكون نفانتهم أفطسكم وwcharمكم وذائشكم وشريكم الأحامي) وقال: عليه الصلاة والسلام: لا يدخل النار - إن شاء الله تعالى. أحد باب تحت
الملكة، فقالت له حفصة: بل يا رسول الله! فجزه يا رسول الله،
فقالت: ألم يقل الله: (إن من يصداه إلا ورداً) [ريم: 61]، قال عليه
الصلاة والسلام: ثم قال: (ثم نجي الذين أنفعوا ونذر الظلمين فيها جنبًا
لجلب) [ريم: 62]

فهذا الحديث بين بأن الأروء المذكور في هذه الآية: إنما هو المرور
على الصراط بالنسبة لأهل الإيمان، وأن أهل الإيمان يقال لهم: امشوا على
قدر نوركم، فيمرون على قدر نورهم وقدر أعمالهم.
قوله: (أؤكم ألم وألتي أول من يبجي) عليه، فالنبي - عليه الصلاة
والسلام - وأمة الإسلام أول من يجيء على الصراط، ثم نابهم بقبة الأمم.
وقوله: (يُبجي) أي يمر ويقطع، أو يمشي، وأجاز الوادي يعني: قطعه.
قوله: (ولا يتكلموم نبكت إلاإلى الرسول) يعني: لا يتكلم في حال الإجازة
والمروى على الصراط؛ لا يتكلم أحد إلا الرسول، لكن كيف الجمع بين
هذا الحديث، وبين الآيات الكثيرة التي جاء فيها أن الناس يتكلمون يوم
القيامة، كقوله: (فوم تأتي محتال نفنت مجدود عن نفسي) [النحل: 111]، وقوله
(يا أبصقي نفسي على بعض يبكو نفشي) [المؤمنين]، وقال: (يا أبصقي أبكي
استضعروا يا أيمنا استضعروا ولا أنت لما ملكت تأسي أنين) قال: الينين استضعروا يلعن
استضعروا يمكن صدروك عي المهمه) [سبأ]، وغير ذلك مما ذكره تعالى
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

من المحاورات والختامات والمناظرات التي تكون يوم القيامة؟
والجواب: أن المنع من الكلام هو في حال الجزع على الصراط، ومواضع أخرى أيضًا في القيامة، كما في قوله: "هذا يوم لا يطمعون فيه ولا يذعنون فيه" (المرسلات).

ويقوي ذلك قوله: "عليه الصلاة والسلام: "وَدَعَى الرُسُلُ يَوْمِ الْجِهَادِ للهِمْ سَلَّمُوا" فهذا دعاء الرسول حال الإجابة، يدعو الله أن يسلم أهل الإيمان في ذويهم، ومن النار، وهذا من كلاء رحمة الله وفظه: أن الدعوة أو الدعاء يكون بحسب الموطن، يدعى في كل مواطن بما يليق به.

قوله: "وَفِي جَهَنَّمِ كَالْخَلْلَابَ" الكلاب جمع كلاب، والكلوب هو الحديدة المعطرة الرأس، أو المعكوكة الرأس، والتي يعلق بها اللحم.

قوله: "مِثْلُ شَوَّاَكِ السَّعْدَانِ، هُلْ رَأِيْتِمُ السَّعْدَانِ؟" قالوا: "نَعَمْ بِي رَسُولِ اللهِ" قال: "إِنِّي مِثْلُ شَوَّاَكِ السَّعْدَانِ، عُبْرَ أَنْ يَسْتَمِعَ مَا قَدْ رَأَى عَطْيَتَهَا إِلَّا اللهُ السعدان نبات له شوكة، وهذه الشوكة فيها شوك كثير، هي شوك واحدة ولكن لها شوك من كل جانب، وهذه الشوك التي نراها وهي بقدر طرف الأسنان، تكون يوم القيامة ما شاء الله أن تكون، هي في السعدان مثل شوك السعدان، الذي يعلق بالبندون ويعلق بصرف الأعصاب، ولا يكاد يخلص إلا بشق الأنفس، هذا الشوك لا يعلم قدر عظمه وحجمه إلا الله نبارك وتعالى.

قوله: "تُخْطَفُ" يفتح الطاء، وجاء في لغة العرب بكسر الطاء: تختطف، قالوا: هذا أصح وأفصح.
قوله: "بأعمالهم" يعني: بسبب أعمالهم، أو: على قدر أعمالهم.

قوله: "فمنهم المؤمنون بعليهم" وفي رواية: "فمنهم الموقع بعمله".

وفي رواية: "فمنهم الموقع بعمله", هذه كله روايات لهذه اللفظة, يعني: أن المؤمن بنجي الله بعمله, والناس في مرورهم على الصراع ليسوا على درجة واحدة, فمنهم من يعِز مثل البرق, يعني: مثل ومضى البرق, ومنهم من يعَز كالريح, ومنهم من يعِز كجواب الخيل, كل على قدر نوره; لأن الناس يعطون الألوان يوم القيامة, فمنهم من يعِز نوره كالجبل, ومنهم من يعطي نوره فوق ذلك, وفوق ذلك: تحمل أن تكون أكثر من الجبل, أو دون الجبل: لأن هذا من استعمال العربية, يجوز أن يكون معنى فوق ما هو أعلى أو ما هو أدنى.

ومنهم من يعطي نوره على قدر ظفر إيباهه, يفيء مرة وينور له مرة; لأن عمله في الدنيا نذر يسير مع كثرة الذنوب وغلبة الغفلة, فكان نوره على قدر عمله يوم القيامة, ولا شك أن هذا موضوع نداء, والله سمي يوم القيامة يوم الحصوة, وميوم الهدمة, حيث يندم الناس على تفريطهم في الأعمال الصالحة, وتركهم للخسارة, ولا النفع, مع أنها أبواها كثيرة, ومجلات واسعة يستطيع الإنسان أن يدخلها بكل يسر وسهولة, ومع ذلك.

"وفى أماستケア النازيم وليحصيرت يمومينين(5)

قوله: "فمنهم المُجاَزَي, وفي رواية: "فمنهم المخدرل", فالمجازى.

أي: بعمله, من يجازيه الله بعمله.

أما "فمنهم المخدرل" فهو من قوله: خرَّدت اللحم يعني: قطعته, يعني: من الناس من تخرده تلك الكلاب, يعني: تقطع لحمه ولا تقطعه.
في النار، ومنهم من يسقط، إذ تأخذ تلك الكالليب، نيعد مذن بنا من ذلك.
قله: "حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقُضَايَا بَيْنَ الْعُجُودِ" يعني: أن الله يبارك
وعتال إلى إذا قضى بين العباد بالحق وهو أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين،
وخير من يقص الحق وهو خير الفاعلين. ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل
المتار النار، كل بحسب عمله، كل بحسب علمه.
قله: "وَأَرَادَ أَن يُخْرِجَ يَدْخِلْهُم مِّن أَرَادَ مِن أَهْلِ النَّارِ" يعني: ممن دخلها
أولًا، وهذا فيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة الفائزين بأن عصاة
الموحدين يخرجون من النار ولو دخلوا، وأن النار نار العصاة من الموحدين
تنفى ولا تبقى، وليس كل من دخل النار يؤيد فيها، خلافًا للخروج والمعزلة
الذين قالوا: من دخل النار لا يخرج منها، ويستدلون بالآيات المطلقة كقوله:
"وَمَا هُمْ يَخْرِجُونْ مِن أَهْلِ النَّارِ" ٢٨٨ [البقرة]، "فَاسْتَفْرَاهُ مَنْ شَاءَ مِن الْمُجَرَّمِينَ" ٢٨٩
[المدد]، ولكن هذه الآيات ليست في المؤمنين والموحدين، وإنما هي في
المشركين، فجعلوها في المسلمين، فهذه الآيات ليست في المسلمين!
فربنا يَخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مِّن أَرَادَ مِن أَهْلِ النَّارِ، وإذا أراد ذلك:
"أَمَّـرَ اللَّهُ نَـعْمَـاً مَّـنْ يُخْرِجُوا مِّن النَّارِ مِّن كَـانَ لَا يَشْرَكُ بِالَّـهِ شَيْءًا مِّنَ".
"أَرَادَ اللَّهُ تَمَالِكَهُ أَن يُخْرِجُوا مِّن النَّارِ مِّن كَـانَ لَا يَشْرَكُ بِالَّـهِ شَيْءًا مِّنَ".
"أَرَادَ اللَّهُ تَمَالِكَهُ أَن يُخْرِجُوا مِّن النَّارِ مِّن كَـانَ لَا يَشْرَكُ بِالَّـهِ شَيْءًا مِّنَ".
"إِنَّ اللَّهَ يَقْضُى عَدَلًا عَلَى الْمُؤْتَفِقِينَ USE\nعلى خروج الموحدين من النار، فالثائر التي تفند هي نار العصاة من
الموحدين الذين يقولون: لا إله إلا الله، ممن كانوا لا يشركون بالله شيءًا،
فبدخلهم بِرَحْمَتِهِ مِّن النَّارِ، بعد أن يظهروا من ذنوبيهم وسواихاتهم
وخياتهم، يظهرون بالنار.
وهذا تأكيد وبيان أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة، وأما الكفار الذين لم يشهدوا الله تعالى بالتوحيد فامتنع عنه بمحرمة عليهم، كما قال:


فوله: "يُهْوَِّدُونَهُمْ فِي النَّارِ، يُهْوَِّدُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجْوُدِ، تَأَكُّلُ النَّارُ مِنْ أَبِنِ آدمُ كَلِّ الْمَيْشَاءِ إِلاَّ أَثَرُ السُّجْوُدِ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَى النَّارِ أَن تَأَكُّلُ أَثَرُ السُّجْوُدِ" وَهَل أَثَرُ السُّجْوُدِ الَّذِي لا تَأَكُّلُهُ النارُ هو مواضع السجود السبع (الجبهة ويدخل معها الأنف، واليدان، والركبتان، والقدمان)؟ أم أن أثر السجود هو موضوع السجود من الجبهة فقط؟

فروى الإمام مسلم في صحيحه: "أن قوماً يخرجون من النار يحتروقون فيها، إلا دائرة الوجه أي مواضع السجود.

لكن من العلماء من قال: إن هذا الحديث: "إلا أثر السجود" عام، وذلك الحديث لعله في قوم مخصوصين من جملة الخارجين من النار، أنه لا يسلم من النار منهم إلا دائرة الوجه.

فوله: "في خرجون من النار، وقد احترقوا" يعني: احترقوا.
قوله: "فيِّقَصَّبُ عَلَيْهِمُ مَآءً الْحَيَاةِ" وفي رواية: "قيلون في نهر يقال له: نهر الحياة، أو نهر الحيا" بالمد.
فوله: "فِيْ نَهْرٍ مَّنْهُ كَمَا تَنْبِتُ الْجَهَّةُ فِي حِمْيَلِ السَّبْلِ" أي: إذا القوا في هذا النهر في الجنة؛ نبت أجسادهم مرة أخرى بإذن العلمي القدر، الذي ما شاء كان، فتنبت أجسادهم في هذا النهر.
فوله: "الْجَهَّةُ" هي بذر البقول، والأعشاب التي تكون في البر.
قوله: "حِمْيَلِ السَّبْلِ" ما يحمله السبل من الطين والقش والزبد، فتنبت فيه هذه الجهة وتكون صفراء ملونة نضرة طيرة، وكذا شبه النبي هؤلاء الذين احتروفا في نار جهنم ثم خرجوا منها إلى الجنة، حتى قال له أحد الصحابة: والله يا رسول الله كأنك من أهل البادية، لأنه هذه المناظر لا يراها إنسان، فهي من المناظر التي تكون عقب المطر والسيل، فتنبت الحبوب أو بذور النباتات بهذه الصورة في البادية.
لكن النبي - عليه الصلاة والسلام - لا ينطوف عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، تمثيلنا هنا وتشبيهه لهم بالجنة في سرعة النبات، لأن نبات الربيع ينبت بسرعة، وأيضًا حسن المظهر وطراوة الجسد والبدن، فتنبت أجسادهم سريعاً، ومرّ معنا أنهم يدخلون الجنة ويسميهم أهل الجنة بالجهنميين، ثم يدعون الله أن يذهب عليهم هذا الاسم، فيسمون: بINUE Toro الرحمن، وهذا كله كمذا كننا أولاً: من أهل أهل السنة على أن العاصي الموحد لا يلحد في نار جهنم.
قوله: "لَمْ يَفْتُعِرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْمَيْتِينَ" أي: يقضي الله بين عباده، وهو أسرع الحاسبين وأحكم الحاكمين، يقضي بينهم بالعدل.
والحق، فصير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

قوله: "فيأتني رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة.
دَخَلَوا الجَنَّةَ" أي: إنه يرى النار بعينه، وهو مقبل عليها بوجهه، لكنه لم
يدخلها، فيدعو الله:
قَالَ رِبِّ! فَرِبَّ!" 

قوله: "اصرف وجهي عن النار، فإنه قد فتحني ريحها، وأحرقها.
ذَكَارُها" يعني: آذان ريحها وسمومها الحارة.

"ذَكَارُها": الذكاء هو الاشتغال والتوحش للنار، أي: إن وهج النار في
وجهي، فأحرقني ريحها ودخانها وسمومها ووهجها في وجهي.

قوله: "كَيْنَوْاَوَلَّ اسْتَغْنُيَّ اللَّهُ مِن مَّهَابٍ حيَاةً؟ قَبْلَ سَيْنَا..." لَيْنَ أَسْأَلَهُ غَيْرَهُ،
وَيَعْطِي رَبِّي مِن مَّهَابٍ وَمَوَافِقَ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَبْلَ سَيْنَا، 
أي: يأخذ الله عليه عهداً أن لا يسأله شيئاً غير هذه المسألة، فقوله: أنا
أعطيك هذا الأمر وأصرف وجهك عن النار، لكن لا تسألني غير ذلك،
فيما عليه. 

على ذلك، ويعده يصرف الله وجهه عن النار.

قوله: "إِلَّا أَفْجَرْ عَلَى الْجَنَّةَ وَرَأَهَا" أي: صار هو الآن تلقاء الجنة،
ورأى الجنة، وما أعد الله تبارك وتعالى في هذه الجنة، وبأتيه، والله أعلم.
شيء من ريحها وبردها، فإذا رأى ورأى ما فيها من النعيم والسرور;
فَسَكَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَن يُسَكِّنَهُ لأَنُّهُ مَعَاهُ لَهُ، لَأَن لا يسأل شيئاً،
فيسكته ويسير ما شاء الله.
قوله: "فَلَمَّا يَقُولُ: أَيُّ رَبَّ! فَأْتِني إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ"، أي: فَرَبَّيْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ.

قوله: "فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَئِنَّ أَغْفِلْتُ غَفَوَاتُكَ وَمَوَازِيَكَ لَا تَسَلَّمَيْنَ غَيْرَ الَّذِي أَغْفِلْتُكَ؟! وَلَكَ يَا بَنِي آدمُ، مَا أُكَفُّرْتُكُمْ!" يعني: ما أُخْوِئُتُكَ للأمانة، وما أَغْفِلْتُكَ للعهد، فإنك عاهدتني ووعدتني أن لا تسألني شيئًا غريبًا السابق، وهو الصرف عن ريح النار وذكاءها ولهبها.


قوله: "فَخَلِفًى يَقُولُ اللَّهُ: فَهَلَّ عَسِينَتْ إِن أَغْفِلْتُكَ ذَلِكَ أَن تَسَلَّمَ غَيْرَهُ؟ فَقَالَ: لَا وَعَزَّتُكَ، فَيَعْثِرُ رَبَّٰنِي مَا شَاءَ اللَّهُ مِن عَهْدِ وَعْوَائِقِكَ"، أي: بأخذ الله عليه العهود مره أخرى، فإن لا يسأله شيئًا بعد هذه المسألة، وهي أن يقربه إلى باب الجنة.

قوله: "فَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ"، فإذا قام على باب الجنة انتهقت، "الْجَنَّةُ" انتهقت يعني: انسحب أمامه وانفتحت.

قوله: "فَرَأَى مَا فِيهَا مِن النَّفْعَ وَالْفَوْزُ" رأى شيئًا من الخير والسرور الذي فيها، وما أعده الله لأهلها.

قوله: "فَنَفَسْتُكَ مَا شَاءَ اللهُ أَن يَنْفَسْكَ" أي: لم يبلغه صبره؛ لأنه يرى من الخير والسرور والنعم والحبور ما لا طاقة له على السكون عنه.

قوله: «يا ربي! إنك أعلم ما أفعلين وأنت أعلم ما أغذران!»
ووضحك الله تبارك وتعالى: صفة من صفاته، يستدل بها على محبه للشيء، ورضاه عنه.

وليس بصحيح أن يفسر الضحك: برضى الله أو محبه؛ لأن الرضي والمحبة صفتان غير الضحك، وأخطأ النووي لما فسر ضحك الله برضاه فعل عليه ومحبه إليه، وإظهار نعمة عمه وإيجابها عليه! كما نقل عن العلماء فيما قال في شرحه على «صحيح مسلم»، فهذا خطاً.

والضحك من صفات الله تعالى الاختيارية، كالغضب، والرضي، والمحبة، والبغض، وورد الضحك أيضاً في حديث رواه البخاري وسلم: وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «يضحك الله إلى رجليه يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة»، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيقاتل في سبيل الله، فهكذا.

فيضحك الله ثم يدخل الرحمن في الجنة، لأن كلما فات الآخر، ومع ذلك.

أيضا: ورد في حديث علي رضي الله عنه: أن النبي لما ركب على الدابة وقال دعاء الركوب، ثم قال: «سبحانك إنك ظلمت نسي، فاغفر لي»، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم استضحك النبي فقال له:
شرح مكتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

مم استضحكته؟ قال: «استضحكته مما استضحك الله منه، قال علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا» (1).

فضحك الله تعالى صفه من صفاته، لا يجوز تأويلها. ونقول: ربنا وتبارك وتعالى: {كَيْنَ لَكَ مَثْلُ مِنِّي قَالَ رَبِّي لَقَدْ أَكَثَرْتُ مِنْكَ أَشْيَاءَ [الشريء]}، فضحكه لا نمثله ولا نكيفه ولا نأمله، ولا نوحده، بل نقول: ضحك ليس كضحك المخلوقين، كما أن الله عز وجل سمعاً وبصرًا ليس كسمع وبصر المخلوقين، فهذا مثل هذا.


فوله: «حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا» يعني: يقول الله تعالى تمنى ما تشاء، يدخله الجنة ثم يقول له: تمنّ ما تشاء؛ لأن من دخل الجنة يتمنى، {فَلَمَّا يَقْبَلُوا يَبْقُونَ فِيهَا وَلَبَدَنَا مُرْضًى [إن]}، {وَلَكِنْ فِيهَا مَا نَدْخُنَّ [نصت]}.

يعني: ما يدعون به ويطالبون، كل ما يطلبونه يجدونه، حتى إن الله يرحمته وفضله وكرمه وإحسانه إلى عبده، يذكر هذا الذي دخل الجنة، يذكره الله من الخير.

فوله: «حتى إذا انقطعت به الأماني» يعني: إذا انقطعت به الأماني التي أشتهاه وطلبها.

(1) رواه أحمد (663، 1006، 966، 222) وأبو داود (222) والمرفوع في «السنن» (2446، 233).
قوله: «قال الله تعالى: ذَٰلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ» يعني: كل ما طلبته لك، ول بك ضعفه.

قوله: «قال أبو سعيد: أُسْهِدْ أَنْيَ خَفَفْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ قُوْلَهُ: ذَٰلِكَ لَكَ وَعَضْرَةْ أَمَائِلِهِ» فقال أبو هريرة «ما خُفِفْتُ إلا قُوْلَهُ: ذَٰلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» فلعل النبي ﷺ أعلم أولاً بالوحي بما في حديث أبي هريرة، ثم بعد ذلك زاد الله تعالى لهذا العباد الأعطيات، فكل منهما روى عن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام - ما سمعه.

قوله: «وَذَٰلِكَ الْرَّجُلُ أَخْرَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةَ ذُحُولَا الْجَانَّةِ» فما تقولون بمنزل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ كيف هي عند رب العالمين وأكرم الأكرمين؟!

فألقهم إذا تسلك رضاك والمنزل العلي في الجنة... يا كريم يا مان.
باب: خروج الموحدين من النار

(87) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أما أهل النار الذين هم أهلها فأنهم لا يشكون فيها ولا يحزنون" ولكن ناس منهم أصابتهم النار بذلوبهم. أو قال: بخطابهم فأتهمهم إماتة. حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجع اللههم ضباطاً فقُلُوا على أنهاء الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة! أضروا علينا، كيفين نبات الجنة تكون في حمِيل السبيل، فقال رجل من القوم: كان رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.

الشرح:

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، ويوَّب عليه النووي (3/65): باب إثبات الشفاعة، وإخراج الموحدين من النار، وأهل السنة والجماعة منفقوين على وقعة "الشفاعة" بصريح كتاب الله تعالى، وتوارث الأحاديث فيها.


ومن الأحاديث والآثار قد وردما بلغ النقوش، بصفة الشفاعة في الآخرة لأهل الكبار من المؤمنين الموحدين، وأجمع السلف على قولها والقول بها.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

وذهب الخوارج والمعتزلة إلى منعها، وتعلقو بآيات في تخيل أهل الكبار في النار، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ قُلْتُمْ نَخْرُجُونَا فَلَا صَبِّيَّةٌ ﻟَنَا﴾[الشراب]، وفي قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا مَا نَعْرُجَُ وَمَا نَجْرُونَ﴾[المهد]، وقوله ﴿وَهَذِهِ الْآيَاتُ أَلْقَيْنِي ﻟَمْ يَكُونُ ﻋَلَىٰ ﻣَعِينِي﴾[غافر]، وهذه الآيات كلها في الكفار وليس في المؤمنين ولا في المسلمين؟

وأولوا الأحاديث الوردة في الشفاعة بكونها: في زيادة الدرجات!

وهذا الباطل! الآن ألفاظ الأحاديث صريحة في بطانة مذهب الخوارج والمعتزلة، وأنها تكون في من استوجب النار ودخلها ثم يخرج منها.

والشفاعة في الكتاب والسنة على خمسة أقسام:

القسم الأول: الشفاعة العظمى والكبرى في الموقف، وهي التي سبق ذكرها، وأن الله ﷺ اختار محمدًا، عندما يتخلى عنها الأنبياء من لدن آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام، ويقول الرسول: ﴿أَلَا أَلَا لِلَّهِ أَنتَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا إِلَيْهِ يَرْجُونَ﴾، هذه الشفاعة العظمى والكبرى، والمقام المحمود الذي سيقوم به النبي ﷺ.

القسم الثاني: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، فالتبيان عليه الصلاة والسلام. يشفع في قوم ليدخلوا الجنة بغير حساب، وهذه أيضًا جاءت في ﴿صحيح مسلم﴾ وغيره.

القسم الثالث: وهي لقوم استوجبوا النار، يشفع فيهم نبينا، فلا يدخلونها.

القسم الرابع: الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين من الموحدين، فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا محمد ﷺ، وشفاعة الملائكة، وشفاعة المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله
شرح مختصر صحيح مسلم

من النار، فلا يبقى فيها إلا الكافرون، وهذه هي التي يجدهها الخوارج والمعتزلة.

القسم الخامس: وهي شفاعة - عليه الصلاة و السلام - في زيادة درجات أهل الإيمان، وهذه لا ينكرها المعتزلة، ولا ينكر أيضًا الشفاعة العظمى في المحشر، إنما جرى فيه الخلاف هو إخراج المذنبين من النار بشفاعة خاتم النبيين - عليه الصلاة و السلام -، والمؤمنين والملائكة.

القسم السادس: شفاعة في أن يدخل الناس الجنة، كما جاء في صحيح مسلم مرفوعًا: "آتي باب الجنة فأستفتح، فقيل الخازن: من؟ فأقول محمد، فقيل: بك أَيْزِرُ أن لا أفتح لأحد بلوك.

والشفاعة التي ينكرها المعتزلة مستفيدة عند السلف، وكانوا يسألون الله تبارك وتعالى أن لا يحرمهم من شفاعة نبيهم - عليه الصلاة و السلام -، والرسول - عليه الصلاة و السلام -، كان يذكرها في أكثر من حديث مثل: "من سمع النداء، قال مثل ما يقول المؤذن، ثم صلى على، ثم سأل لي الوسيلة; فقد خَلَتْ له شفاعتي.

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: "من قال لا إله إلا الله مخلصًا بها من قلبه.

ولا يكره للإنسان أن يسأل الله الشفاعة؛ لأن البعض قال: يكره أن يسأل الله الشفاعة؛ لأنه إذا سألها، فكأنه أقر على نفسه أنه سيدخل النار! 

وهذا خطأ! لأن الشفاعة أقسام، فالنبي - عليه الصلاة و السلام -
شرح حكواتي الإيمان من مختصر صحيح مسلم

شفاعته أنواع، فليست هي للمذنبين فقط! وإنما تكون لخفيف الحساب، ولزيادة الدرجات، والفضل في الدار الآخرة.

ثم إن الذي يقول: أنا لا أحتاج إلى الشفاعة! كأنه قد ضمن الجنة!

ولا شك أن كل مسلم عاقل معرف بالتقصير، ولا يعتقد بنفسه ولا يعمله، بل هو مشغول أن يصبه الله بعض سيناثي ويخشى أن يكون من الهاكين يوم القيامة.

ويلزم هذا القائل كما قال القاضي عياض: أن لا يدعو الله بالغفرة ولا بالرحمة! لأنها لا تكون إلا للمذنبين! وهذا أيضًا خطأ، فإن هذا خلاف ما عرف من دعات النبي ﷺ، ودعاء السلف الصالحين، فإنهم يدعون الله كثيرًا بالغفرة والرحمة، وهي لمن غفر له ذنبه، زيادة في درجاته في الآخرة.

 قوله: "ألا أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون" كما قال الله تعالى: "لا يموتون فيها ولا يحيون" [الأعلى] وقال ﷺ: "لا يضتين عليهم فهمونا ولا يعفعون عنهم من عذابهم كما ذلك بجري كل سكعور" [طه].

فأهل النار الذي استحقوا الخلود في النار لا يموتون ولا يحيون، لا يموتون فيستريحون، ولا يحيون حياة ينتظرون بها أو يجدون فيها طعم الحياة ولدتها فهؤلاء هم الكفار الذين هم أهل النار، والذين قضى عليهم بالخلود في النار فلا يخرجون منها، نعود بموازنا من ذلك. وهو دليل على أن عذاب أهل الخلود دائم، كما أن نعيم أهل الجنة دائم، وهو مذهب أهل الحق.

المؤلف: د. درويش
قوله: «ولكن الناس ماتكم أصابتهم النار بذُثوبهم» أو قال: «يكتبونهم».


قوله: «قُلُوا إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أَذُنَّ بِالشَّفَاعة» أي: أذن الله تبارك وتعالى في الشفاعة لهم بالخروج من النار.

قوله: «فَجَّرْهُمْ بَيْنَمَا ضَبْأَرَاهَا الضَّبْارِ: جَمُوع ضُبْأَر أو ضَبَّارة يَفْنِح الضاد وكسربه، ويدُبَّر أيضًا: إِضْبَأَر بالهمز، يعني: جماعة تلو جماعة يحملون من النار كالآمنة.

قوله: «كُثِّرَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ» يعني: يفرقون على أهل الجنة.

قوله: «ثُمَّ قَبَلَ: يَا أَهْلِ الْجَنَّة! أَفْضِلْوا عَلَيْهِم» يعني: صروا عليهم من الماء، فحيون بذلك. ومر معنا أنهم يلقون في نهر الحياة.

فيخذ من ذلك: أنهم يلقون في نهر الحياة، وأهل الجنة أيضًا يصبون
عليهم من الماء، فتثبت أجسادهم وتحيا، كما تحيا البذور التي تكون في الصحراة، وهو قوله: "في حميلا السيل" وهو الطين الذي يحمله السيل، أو الغناء الذي يحمله السيل ويكون في بعض البذور، فهذه تثبت سريعة صفراء ملتوية ضعيفة، ثم بعد ذلك تقوى شبيهاً فشيئاً، هذا وصف لنبات أ jesad هؤلاء الذين كانوا في جهنم، تثبت أجسادهم كما تثبت النبات الذي يكون في حميلا السيل، وبعد ذلك تقوى أجسادهم ويصيروا من أهل الجنة.

فقال: "قل، رجل من البعثة: كان رسول الله ﷺ قد كان بالبادية" لأن هذا المنظر لا يراه إلا من يعيش بالبادية؛ لأن نبات هذه البذور تكون عقب السيل، ينهر من يعيش في البادية، ورسول الله ﷺ عليه الصلاة و السلام لا ينطوي عن الهوى، وإن هوى إلا وحى يوحي، فتمييزه من أحسن التمييز، وأصدقه وأقربه إلى الواقع والصحة.

فهذا الحديث الصحيح دليل صريح في خروج جماعة من الناس من النار التي أصابتهم بسيئاتهم، وهم موحدون، فيدخلون الجنة بعد أن احترقوا في نار جهنم وصاروا فحماً، فيصب عليهم ماء الحياة ومن أهوار الجنة، فينبتون وتثبت أجسادهم وتصبح، ثم يدخلون الجنة، ولا أذكر من هذا النص في رده على الخوارج والمعزلة في نفيهم هذه الشفاعة، وقولهم إن الشفاعة إنما هي في زيادة الدرجات!!
(88) عن أنس عن ابن سَمَعَوْد: أن رسول الله ﷺ قال: أخبر من يدخل الجنة رجلاً، فهو يمشي مِرْأةً، ويكون مِرْأةً، وتسقيها النار مِرْأةً، فإذا ما جاورها ألقت إليها، فقال تبارك الذي تجاوبي عليك، فقد أغطيني الله ثم أُرِينا مِرْأةً. أطهاء أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، يقول: أي رَبِّ أُذنَبي من هذه الشَّجرة فلا تستظل بِطلاها، وأشرب من مائها، يقول الله ﷺ: يا ابن آدم! لعلِيَ إن أغطينتك سألتني غبرها، يقول: لا يا رَبِّ، ويعادله أن لا يسألني غبرها، ورَبِّ تغذُّي لَكَ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه؛ quindi بنها: فاستظل بِطلاها، وأشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة، فشيء من الأولي، يقول: أي رَبِّ أُذنَبي من هذه الشَّجرة فاستظل بِطلاها، وأشرب من مائها، فشيء من الأولي، يقول: أنا ابن آدم! أَلَمْ تعاَذَّبي أن لا تسألني غبرها، قال: تعاَذَّبي أن لا يسألني غبرها، ورَبِّ تغذُّي لَكَ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه؛ quindi بنها: فاستظل بِطلاها، وأشرب من مائها، لا يسألني غبرها، قال: بلى يا رَبِّ، هذا لا يسألني غبرها، ورَبِّ تغذُّي لَكَ، لأنه يرى ما لا صبر له عليها؛ quindi بنها: فاستظل بِطلاها، وأشرب من مائها، فأي رَبِّ أذنَبي من هذه الشَّجرة فاستظل بِطلاها، وأشرب من مائها، فأي رَبِّ أذنَبي من هذه الشَّجرة فاستظل بِطلاها، وأشرب من مائها، فأي رَبِّ أذنَبي من هذه الشَّجرة؟ فسألت رَبِّي، وأتت رَبِّ العالمين؟ فسألت رَبِّي، ألا يسألوني كِذَا؟ يَبْرِرْ يَا رَبِّ!
شرح مختصر صحيح مسلم

"مَمْ أَضْحَكْتُ؟" قَالُوا: "مَمْ أَضْحَكْتُ؟" قَالَ: "هَكَذَا صَحَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.
"فَقَالُوا: مَمْ أَضْحَكْتُ؟" قَالَ: "مَمْ أَضْحَكْتُ؟" قَالَ: "مَمْ أَضْحَكْتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَدَّعُوهُ وَأنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ؟" قَالَ: "إِنِّي لَا أَسْتَهْرُرُ مَنْ كَبَّرْتُ، وَلَكِنْ عَلَى مَا أَنْشَأْتُ قَادِرٌ."

الشرح:

هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في هذا الكتاب (كتاب الإيمان)، وقوله عليه النروي (39/3): "باب آخر أهل النار خروجًا؛ وقد مر معنا نحوه وشرحنا، وبين ما يحتاج إليه مهما.

قله: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَجْرُ مَنْ يَدْخِلُ الْجَنَّةَ رَجْلٌ" هذا في بيان صفحة آخر من يدخل الجنة.

قله: "فَخِفَّةُ مِرْةٍ، ويَكِبُرُ مِرْةٍ" رجل يمشي مرة ويمكر مرة، ومعنى يكبو: يسقط على وجهه، فتارة يستقيمه له المشي، وتارة يكبو ويستقل على وجهه.

قله: "وَتَفْشِقُ النَّارُ مَرَّةٍ" يعني: تلفحه النار، فتصيبه على وجهه.

وتسود وجهه، كما قال: "وَتَفْشِقُ النَّارُ مَرَّةٍ" (العنك) يعني: تتسونها بالسود يوم القيامة، وهي ناصية أبي جهل. فنار إذا أصابت وجه الإنسان أثرت فيه سوادًا، فهو على هذه الحال.
قوله: "فإذا ما جاءوا النفاية إلى النفاية، قال: "ابرة التزاكر الذي يذكي منكَ".

تبارك: تفاعل من البركة، وهي: الخير الكبير، والله مصدر الخيرات والبركات كلها، فيحده الله رحمه عليه هذا الخير الذي أعطاه إياه، بأن نجاه من النار.

ثم قال معظم نعمة الله عليه:

"لقد أعطاني الله كُنيتَا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين". وهذا لعظم النجاة في عينه، لأنه شاهد النار وأهوالها، وأصابه ولفته حتى غيرت لون بشرته، ثم لما نجاه الله قال: لقد أعطيت من النعمة ما لم يعطه أحد، حسب ظبه وعلمته.

قوله: "فَتُرَفَّعُ لِلْشَجَرَةِ" بعد نجاته من النار.


قوله: "فَلاتَسْتَنَفَّذُ نَيْلَةَهَا، وَأَشْرَبْنَ مِنْ مَاءِهَا" أي: لا تستقل بظل هذه الشجرة ويشرب من الماء الذي يجري تحتها، فإن أنهر البحر تجري تحت الأشجار كما قال تعالى في كتابه: "بَعْظَاتُجَيْرِي مِنْ تَيْمَهَا الأَلْهَمُ" [البركة: 25].

والجنتان هي الأشجار الملطخة التي تجني صاحبها، أي: تستره عن أعين الناظرين، فيرغب في ذلك إلى ربه.

قوله: "فَبِيَّنَّا: أي: يا ابن آدم! إلَّي إن أعطيتكم سألْنِي غُفرًا، فَبِيَّنَّا: لا يا رب، وَيَعْهَدُهُ أَنِ لا يسْأَلَهُ غُفرًا" inferred from this
الرجل العهد: أنه إذا أعطاؤه هذه العطية أن لا يسألها غيرها، فيعطيه العهد؛ لأنه يريد النجاة والفوز بهذه الشجرة بالاستمتاع بظلها، والظل من النعيم كما جاء في الحديث الصحيح، ويريد أن يشربه من ماء تحتها، فعطيه الله ذلك.

قوله: «وربُّي مَغَرُّرٌ لأَنَا يَرِي ما لا صَبَرُ لَهِ عَلَيْهَا» أي: أن الله سبحانه وتعالى يكلفه في سؤاله هذا، لأنه يرى شيئًا لا يقدر على الصبر عنه، ولله سبحانه وتعالى رؤوف بعباده رحيم بي، لا يكلفهم ما لا يستطيعون، ولا يأمرهم بما لا يستطيعون، فلا يكلف نفسه إلا وسعه، وهو يحب الإعذار جل وعلا، أن يقيم الحجيج فلا يبقى للإنسان عذر، أما من له عذر فإن الله تبارك وتعالى يعذره وينجauع عنه.

قوله: «قَبَّتِنِي مِنْهَا» من الشجرة.

قوله: «فَمَ تَنَفَّضُ لَهُ شَجَرَةٌ أَحْسَنُ مِنْهَا» أي: رفعت له شجرة أحسن من الأولى، وفضلها، ومسؤول يظلها. 

قوله: «فَقَالَ رَبِّي أَتَوَلَّى أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبْ مِنْ مَاءِهَا» أي: ابن آدم، وهو يطعم بحلف ربه تعالى، بل هو أحق من يطعم في جوهره وكومنه.

قوله: «فَقَالَ: يَا بَنِي آدمٍ! أَلَمْ تَعَاذَبْنِي أَنْ لَا تَسَلَّنَّي غَيْرَهَا؟ قَالَ: قَبَّتِنِي مِنْهَا» أي: قلنا إن أذنتك منها تسلني غيرها، إنك عاهديني ألا تسلني غير السؤال السابق، ولعليني أن أجبنك الآن أن تسلني غير ذلك.

قوله: «قَبَّتِنِي مِنْهَا» أي: يعذره في سؤاله هذا كما عذره في المرة الأولى.
فسنتجب لله:

فَمَعْلُوْمَةَ يَنِيَّةٍ، فَيَشْتَلِيُّ بِطَالِبَهَا، وَيَنْزَحُ مِنْ مَائِلِهَا، ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجِرَةً
عَنْدَ بَابِ الجَنَّةِ، هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولِيْيَةِنَّ» أي: ترفع له عند باب الجنة
شَجِرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ وأَكْمِلُ وأَفْضِلُ مِنَ الشَّجَرَتِينَ الأُولِيَّيْنَ.

فَوَلَوْهُ: قَالَ: يَا آبَيْنَ آدَمَ! أَنْزَلْنَا مِنْ هَذَا لَمَّا يَشْتَلِيَ بِطَالِبَهَا، وَيَنْزَحُ مِنْ
مَائِلِهَا، لَا تَأْسَلُّكَ غَيْبًا، قُلْنَا: يَا آبَيْنَ آدَمَ! أَلَمْ نَتَعَاهِدْنِي أَنْ لا تَتَأْسَلُّ
غَيْبًا? قَالَ: بَلْ يَا آبِيْنَ آدَمَ، هِينَهَا لَا تَأْسَلُّكَ غَيْبًا، وَزَيَّنَتْ بَيْنَنا; لَا يَرْى ما
لَا صَبَرُ لَهُ عَلَيْهَا» في الصدفة الأولى والثانية قال: لأنه يرى ما لا صبر له
«على» يعني: من التعب والفضل، وهنا قال: لأنه يرى ما لا صبر له
«عليها» يعني من الشجرة.

فَوَلَوْهُ: قَالَ: يَا آبَيْنَ آدَمَ! أَنْزَلْنَا مِنْ هَذَا، فَيَشْتَلِيُّ أَصْوَاتٍ أَهْلِ الجَنَّةِ وَهُم
في الجنتين يتكلمان ويتحدثون ويضحكون في سرور وفي نعيم، فينشق
إلى دخول الجنة، ويتمنى أن يكون ممن أدخله الله تبارك وتعالى إلى هذه
المكان، فليما تشوته النفس وتلذ الأعين والأسماك.

فَوَلَوْهُ: قَالَ: يَا آبَيْنَ آدَمَ! أَنْزَلْنَا هَذَا وَهُدَايْتُنَا هَذَا وَهُدَايْثٌ الرَّجُلُ، أَنْ مَدَّ
الرجل، أن يدخل الجنة.

فَوَلَوْهُ: قَالَ: يَا آبَيْنَ آدَمَ! مَا يَضْرِي بِمَثَلَكَ مِنْكَ؟» الصري هو: القطع،
يعني: ما يقطع مسألتك مني. وفي رواية غير مسلم: «ما يصريك مني» وهذه
اختارها أبو إسحاق الحربي وقال: هي أصح من رواية مسلم، بل وأكثر رواية
مسلم! والحق أن كلاهما صحيح، فإن السائل متي انقطع عن المسؤول انقطع
المسؤول عنه.

البيعة خالد
والمعنى: أي شيء يرضيك يا ابن آدم، ويقطع السؤال بيني وبينك.

 قوله: "أرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟" يعني: هل ترضى
وهل تنقطع مستأنك إذا أعطيك الدنيا ومعها معها؟ هل ترضى بذلك؟
وتقطع عن السؤال، أن تعطي مثل نعيم الدنيا وما فيها من القصور وما فيها
من الأشجار والضياع والخير والنعيم، ومعها معها، أرضيك مثل هذا؟
فيفعل الرجل:

"يا رب، أستهزئُ مَيْتِيَ وَأَنتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟" وهذا فيما يظهر أن
الرجل قاله لما عرض عليه من الخبر ما لا يخطر له على يد، فأصابه من
الدورة والدهشة ما لا يقدر فيه على ضبط لسانه، فقال مثل هذا، كما قال
ذلك الرجل الذي فرح بوجود راحته عند رأسه: "الله مَثْلُ عَمِّي وَأَنا
ريك!" من الدهشة والفرح بوجود ما أضحى، فكأنه قال هذا على وجه
الدهشة "أَسْتَهْزِئْ مَيْتِيَ وَأَنتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟".

والاستهزاء" من صفات الباري ﷺ، التي يشتهيها له أهل السنة
والجماعة، كما أشتهيا لنفسه في كتابه، فإن الله تبارك وتعالى أثبت لنفسه أنه
يستهزئ بالمنافقين ويستهزئ بمن يستهزئ بعبادته المؤمنين، ويستهزئ
يسخر من الصالحين، وهذه صفة تذكر مقيدة، فقال: الله يستهزئ
بالمنافقين، يستهزئ بالمجرمين، كما قال تعالى: "كَيْ لَوْ شَاءَ يَثْبِتُنَّ وَيَسْتَهِزِئُنَّ[البقرة]، وقال: "أَلَيْكَ بِتَفْصِيِّرَ الْمُفْتَرِيِّنَ من
المُؤْمِنِينَ يَفْتَرُونُ وَأَلَيْكَ لا يُجَدُونَ إِلَّا جَهَرًا فِي حُسْنِ عَمَّن يَسْتَهِزِئُ[المؤمنين]. إن الله يمهد وقوم يسامى آبى" [النهب].

وهذا الاستهزاء الواقع في محلة صفة مبدح، لا صفة نقص؛ لأن الله
تبارك وتعالى يستهزي بهذا الصنف من الناس، المستهزئ بعباده وعبادتهم وعبادتهم ونفقاتهم.


ضحك ابن مسعود من ضحك رسول الله ﷺ، وضحك رسول الله ﷺ من ضحك رب العالمين، وهذا نوع من التسلسل الذي يأتي على صفة، قال الناظم في "البيقونية":

سلسل قل ما علي وصف أنى مثل أُمَّا والله أنيأنى الفتى كذا قد حدثته قائمًا أو بعد أن حذفتي بيسمًا والسلسل أن يروي الراوي الحديث مقرُونًا بصفة صدرت من الراوي، مثل أن يحدثه قائماً، أو بعد أن يحدثه ينكم أو يضحك، فهذا من التسلسل في الرواية.

وسيرق أن ذكرنا أن "الضحك" صفة من صفات الله تعالى الإخبارية، ولا يجوز أن تأمل بالرضاء أو الرحمة، أو إرادة الخبر، كما تأول النوري ﷺ! لأن هذا تأويل وتطبيق للصفة، وهو مسألة الأشاعرة والجهمية وغيرهم، وإنما هو من صفات ريب الاختيارية نبتها له كما أثبتها لنفسه، وذكرنا بعض الأحاديث الواردة فيها فيما مضى.

فوله: وليكُ يَلَّى ما أشياء قادر، يعني: إن كنت لست أهلًا له، فإني أجعلك أهلاً لذلك، وأعطيك ما تسبعد؛ لأنني على ما أشياء قادر، فهذا
شرح مختصر صحيح مسلم

الرجل قد لا يستحق مثل ذلك بعمله، لكن الله Aç¹لهه، فجعله محلاً لمثل هذا العطاء العظيم، فإنه جل وعلا على كل شيء قدير، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.
(89) عن أبي الزبير: أن الله سمع جابر بن عبد الله بن سالم عن
الورد. قال: نحن نحن يوم القيامة على كل ذلك، انظر أنك ذكرت قوقس
الناس، قال: تلقى الأمة بألوانها وما كانت تتبع الأولى قال الأولان، ثم يأتينا
ربنا بعد ذلك يقولون: من ننظرون? يقولون: ننظر رتبنا، يقول: أنا رجلكم،
يقولون حتى ننظر إليكم، فتجلي لهم يصححون، قال: فتجلي ويبينونه، ويبثونه،
ويعلمون كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا، ثم يبينونه، وعلى
جنس جهنم كلا له وحشت، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين،
ثم يبنجو المؤمنون، فتنجو أول رعارة وجومهم كالقمر ليلاً نذيرًا، سيغنون
ألفاً لا يخفونها، ثم الذين يقولون كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك، ثم
تجلي الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: إلا اللهم إلا اللهم
في قلبه من الخبر ما ينذ شمارة، كيجعلون بيناء الجنة، ويجعل أهل الجنة
يرتون عليهم النور، حتى يبنجو نبات النور في النسيم، ويدفع حروفه،
ثم يسأل حتى ينجعل له الدنيا وعشتًا أثقالهما منهما.

الشرح:

هذا هو الحديث الرابع في هذه الباب: «باب خروج الموحدين من
النار»، وبوب عليه النوري (3/47-49): «باب آخر أهل النار خروجا».

«عن أبي الزبير» محمد بن تدرس، مدلس لكونه سمع من جابر، وبعض
الأحاديث لم يسمعها، فما صرح فيه بالحديث فهو مقبول بالاتفاق، وما لم
يصرح فيه بالحديث فمن العلماء من توقف في روايته، ومنهم من قبله إذا كان
ذلك في مسلم وقال: إن ما رواه مسلم في صحيحه فقد جاوز «القطرة» ومسلم لا يخرج من حديثه إلا الصحيح، أو ما تبين له من طرق أخرى أن أبا الزبير سمعه من جابر، وهنا أبو الزبير صرح بالسماع من جابر.
قوله: «الله سمع جابر بن عبيد الله ﷺ يسأل عن الورود» الورود يعني المذكور في قوله تبارك تعالى: «وإن تفكر إلا وأريدها كان على زينب حسنا مقيضا» [الريم].
ثم نرى الذين أنغوا وندر الطليعة فيما ي_PARSONS 격 (37).
قوله: «فقال: نجى يوم القيامة» قوله ظاهره أنه من كلام جابر، لكن مسلمًا أدخله في المسند؛ لأنه رويد مسنده من غير هذا الطريق، كما سيأتي.
قوله: «عن كذا وكذا، أنظر أني ذك ذلك فوق الناس» هكذا في جميع نسخ صحيح مسلم وقد اتفق العلماء المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيح وتفصيل في اللفظ، وقال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين: «إنه هذا الذي وقع في صحيح مسلم تخبيل من أحد الناسخين» وصار الحديث وصوابه: «نجيء يوم القيامة على كوم فوق الناس»، وروى أيضا هذا الحديث ابن أبي خيثمة من طريق كعب بن مالك قال: «يحضر الناس يوم القيامة على تل، وأمتى على تل»، ورواه أيضا الطبري في التفسير من حديث ابن عمر: «فبرقى هو (بمعنى مجددا) وأمه على كوم فوق الناس».
إذا هذه اللفظة كأنها أشقلت على الناسخ أو على الراوي فقال:
»نجليء يوم القيامة (ما استطاع أن يقرأ: على كوم) فقال: عن كذا وكذا أنظر أني ذلك» يعني: أنظر أنها الراوي وأبيها السامع وأبيها القارئ لصحيح
مسلم، ما هو الصحيح في هذه اللحظة، فإني متوفر في هذه اللحظة.

معنى: «على كوم» يعني: على تتّ، أو على مرتفع من الأرض.

قوله: «فَتَذَخَّرَ الْأَمْمُ بِأَوْلَيْنِهِمْ» أي: كما مرّ معنا في الروايات السابقة، أنه تدلى كل أمة بإلهاها الذي كانت تعده، فيقال: من كان يبعث الشمس فليتبع الشمس، ومن كان يبعث القمر فليتبع القمر، ومن كان يبعث الكواكب فليتبع الكواكب، وهكذا تصور هذه المعبدات التي عبده في الدنيا من دون الله لعبادها في الآخرة، فتتبع كل أمة معبدهم حتى يسقطون في حفرة النار، نعود الله منها.

قوله: «الأَوْلُ فَأَلْوَلُ» يعني: أمة بعد أمة، الأولون ثم من بعدهم، ثم من بعدهم.

ثم: يَبَيِّنُنا ذَٰلِكَ بَعْدَ ذَٰلِكَ» وفيه إثبات صفة الإيمان لربنا الرحمن جل شأنه.

قولون: «مَنْ نَنَظِّرُونَ؟» يعني: من تنتظرون.

قولون: «نَنَظِّرُونَ رَبَّنَا، قَبْلُوْنَ حَتَّى نَنَظِّرُ إِلَّهَكَ» يعني: لا بد أن نتأكد من ذلك، ولنا علامة تعرف بهما ربينا، فيكشف الله عن الحجاب، ويجلب لهم، والنتالي: هو الظهور، وإزالة المنع من الرؤيا، جلا الشيء يعني: أظهره، وأزال المنع من رؤيته.

قوله: «فَبِيَبْعَضَ اللَّهُ يَضْحَكُ» وهذا كما مر معنا في إثبات صفة الضحك وليس بصحيح قول من حرفه بقوله هو: الرضا! يعني: أن يظهر لهم راضياً عليهم! لأن هذا تغيير وتحريف للفظ، فالضحك شيء، والرضا شيء آخر.
قوله: «قال: قنعلقي بهم، وثبتونهم، وثبتون كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا، ثمثبتونهم، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك» أي: أن الله ينطلق بهم ويبعونهم، وفي هذا إثبات الرؤية لجميع هذه الأمة، موضوعها وكافرا ومنافقها، فإنهم يرونهم جميعًا أول مرة، ثم يبعونهم ويبعون كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا، على قدر عمله، ثم يبعونه حتى يصلوا إلى جسر جهنم، وهو الصراف المنصوب على مثليها وظهرها، وعلى كلاليب وحسك، وقد تقدم شرحه.

قوله: «تاخذ من شاعر الله» يعني: تأخذ وتخطف من شاعر الله تعالى أن تخطف.

قوله: «ثم يفتقه نور المنافقين» يفتقد: يفتح البياء وضمها، وهذا الذي أشار الله إليه في كتابه بقوله: «يوم ترى المنافقين وهم نظرًا بين أذنيهم ويبنيهم يشركونameda إتمامًا جزءًا من شأني الأهل مخلبين فيها» قاله هو الفوقي المعظم وفوق المعلوم، ويتوفون بالسكون والنون، ومن ثم يقولون أرىمو واشتركون ينيرمو فتنتهم وعصروب بينهم يصور الله باباً بالبيئة، فيه جماله، وكلهم جم من يقبل المذابث (6) [الحديد]، بعد أن يعطى المنافقون النور خليفة لهم واستهزاء بهم، كما كانوا يخادعون الله والذين أمنوا في الحياة الدنيا، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: «ي تصغيرون الله وهو ثنيكمهم» (النساء: 124)، قوله: «ي تصغيرون الله والذين مأمنوا وهم يتصيركون إلا أنفسهم» (البقرة: 9)، فإنهم كانوا يظنون كما أن أمرهم قد انطلى على المؤمنين في الدنيا، وخفي حالهم عليهم؛ فإنه سيكون الأمر كذلك يوم القيامة، فليعللو في أول الأمر يعطهم نورًا كالمؤمنين، وإن كان نورًا يلبق بهم.
ولاعملهم، ثم بعد ذلك يطفأ نورهم ويتلكم في ظلمات لا يبصرون، وهذا كما أن المنافق حصل له النور أول مرة في الدنيا، فرأى نور الإيمان والعمل الصالح واعتقد، ثم رفضه، فتلكما يطبعها ذلك يوم القيامة على حسب عمله، والجزاء من جنس العمل، نسأل الله العفو والعافية، والثواب على دينه إلى يوم نفاذ.

قوله: "ثم ينحى المؤمنون" النجاة هنا المراد بها: العبور على الصراط، والنجاة من حر النار.

قوله: "فَتَحْجَوْنَ أَوْلِيَاءَ الْبُرَّ وَالزَّمْرَةَ" والزمرة: الجماعة والطائفة.

قوله: "وَجَوُهُمْ كَالْقَمرِ لَيْلَةَ الْبُدْرِ، سَبِيعُوْنَ أَلَفَةَ لاَ يُحَمَّشُونَ" هذه صفة أول من يمر على الصراط، أن وجههم كالقمر ليلة القدر، في الإشراق والنور، وهم سبعون ألفًا، وسأتي بيان صفاتهم في الأبواب القادمة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

قوله: "فَهُمُ الَّذِينَ يَنْجُونَ كَأَيْضًا تَجْمِّعٌ فِي السَّمَاوَاءِ" يعني: كأكبر نجم في السماء إضاءةً.

قوله: "فَنَّذَكَّرُلُهُمْ، فَنَحُوَّلُ الْقَحْفَةَ، وَنُبْصِرُونَ" أي: المؤمنون.

قوله: "هَكَيْنَيْ بَيْنَ النَّارِ مِنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا امْلَثُ" أي: بذل الله تعالى بعد ذلك بالشفاعة، فيشفع النبيون ويشفع الدينوو، وتشفع الملائكة، حتى يخرج من النار كل موحد، كل من قال: لا إله إلا الله.

قوله: "وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ النَّهْبِ مَا يَبْزُرْ شَعْبِهَا" يعني: حبة شعبه، وهذا من أمهد الموازين، وأقلها، أو من أحق المثابه.

قوله: "فَيَجْمَعُونَ يَقْتَنِعُ الْجَنَّةَ" فإناء الجنة يعني: حوشها أو ساحتها.
قوله: "وَتَبَيَّنَ أُهُلِ الْجَنَّةِ يَبْرَزُونَ عَلَيْهِمُ النَّارُ حتَّى يَكَبُّوا نَبَاتًا"، وهذا زيادة على ما ورد من أنهم يلقون في نهر الجنة، فإنه يصب عليهم من ماء الجنة يفعل أهل الجنة، فأهل الجنة يصوبون ويرشون عليهم الماء، فنبت منه أجسادهم كما تبت الحوب في حبل السيل، كما تقدم في الحديث.

قوله: "وَزُنَّدَهُ حُرَاقةٌ حِراقٌ بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَضْحِ الْرَّاءِ"، أي: أثر الحرق، حتى يذهب أثر حرق النار من أجسادهم، نسأل الله الورد المعافاة.

فهؤلاء من آخر من يخرج من النار، وآخر من يدخل الجنة.

الشرح:

قوله: «كُنْتُ قدْ شَفَقْنِي رَأِيُّ مِنْ رَأِيِّ الْخَوْارِجِ» أي: لصف بشفاف قلبي، وهو غلافه، وهو دليل محبته له.

وأما رأي الخوارج؛ فقد مرّ علينا مراراً أنهم يكفرون بالكبار، ويرون تخليد أصحاب الكبار في النار، وأنه لا يخرج من يدخلها أبداً.

قوله: «فَخَرَجُنَا فِي عَصَايَةٍ دَوَيْ عَدْوٍ، تُرِيدُونَ أَنْ نَخْرَجُونَ، ثُمَّ نَخْرَجُ عَلَى النَّاسِ» مماثنظر: أنهم خرجوا من بلادهم وهم جماعة كبيرة للحج، ثم بعد أن يتهوا من موسم الحج، يظهرون لناس مذهب الخوارج، ويدعونهم إليه.

هذا هو الخروج المقصود بقوله: «ثُمَّ نَخْرَجُ عَلَى النَّاسِ» فيما يظهر.

لكن من رحمة الله تعالى أن وفق لهم لقاء الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري في المدينة النبوية الذي علمهم ما لم يكونوا يعلمنا، وحذرهم من السقوط في هاوية التفكير، والخروج على المسلمين بهذا الفكر الفاسد المضلل!

قوله: «إِفَّأَذَا هُوَ قدْ دَخَلَ الفِرْقَةُ الْجَهْمِيَّينَ ذِكِّرْنا صَأْبَرًا أَنْ الْجَهْمِيَّينَ هُمْ الذين يدخلون النار بسيطتهم فتطهرون، ثم يلقون في الجنة في نهر الحياة، فسمهم أهل الجنة بالجهميين.

قوله: «ما هَذَا الَّذِي تُخَطُّطُونَ؟ وَلاَهۡتِ يُقِلُّونَ» هو من الاستدلال ببعض ما ورد في الكتب أو السنة، وترك البعض! وهو مسلك أهل البدع والأهواء دوماً في كل زمان ومكان، فإنهم يحتاجون بعض النصوص ويتورثون البعض.

أما طريقة أهل السنة فهي: الجمع بين كل ما ورد في السنة من الآيات والأحاديث، ثم التوفيق بينهما وفهمها دون رذل لبعضها، فالنص
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

المعنى قد يُبَرِّدُ عليه ما يخصه، والمطلق يُبَرِّدُ عليه ما يقيده، وهكذا كما هو

مسوتو في موضعه (1).

ولهذا نبه الصحابي الجليل إلى آيات آخر الكتاب، فقال له: «انتُقا الفْرَأَن؟ قَلْتُ: نَمَّم، قَالُ: فَهَلَّ سَمِعْتَ يَمِينًا مَعْقَمًا مَحْمَدًا؟ فَبَلَّأَنْ يَبْعَثُهُ اللَّهُ فَيَنْفَعْهُ، قَلْتُ: نَمَّم، قَالُ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مَحْمَدٍ مَحْمَدٌ اللَّهُ يُحْرِجُ اللهُ يَهِي مَنْ يُحْرِجُ»

أي: بشفاعته: عليه الصلاة والسلام - كما مَرَّ معنا سابقاً.

قوله: «قَبَعْنَ كَأَنْ تُفْلِي الْبَسَامِص» وهو جمع سمسم، وهو النبات المعروف، وزيتة يعرف بالشجر، وعديانه تراها إذا قلعت وتركت في الشمس ليؤخذ جبها، دفءًا سودًا كأنها محرقة، فشبههم بها. كما في «النهيلة» لابن الأثير.

وقيل صوابه: عدنان التسام، وهو خشب الأنيوس، قاله القاضي عياض.

قوله: «قَبَعْنَ كَأَنْ تُفْلِي الْبَسَامِص» جمع قرطاس، وهي الورقة أو الصفحة البيضاء التي يكتب فيها، فشبههم بالقرطاس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم بِنهر الحياة، فسبحان الله العليم القدر.

قوله: «قَلْتُنا: وَبَحْمُكَ أُرْزُونَ السَّيْبَ يَكَبِّرُ عَلَى رَمَّوْلِ اللَّهِ؟» يعني بالشيخ: جابر بن عبد الله، وهو استفهام إنساك وجد، أي: لا يظن به الكذب أبداً، لجلالة قدره، وارتفاع منزلته.

قوله: «قَرْجُناَا، فَلَا وَلَّاهَا مَا خَرَجَ مِنْهَا غَيْرُ رَجْلٍ وَأَنْغَمَ» معناه: رجعنا

(1) انظر «الرسالة إلى الإمام الشافعي»، وشرح الورقات وغيرها.)
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

من حَجَّنا وتركنا ما كنا نوجي من إظهار رأي الخوارج، وثبتنا بهما ظهر لنا من صحة الحجة والدليل، إلا رجل واحد منها؛ فإنه لم يوافقنا، ولم يترك منهجه الفاسد.

قوله: "أَوْ كَمَا قَالَ أَيُّوبُ نَعْمَمُ" أبو نعيم هو الفضل بن دكين التيمي مولاه، الثقة البتذ، مشهور بكتبه، وهو شيخ الشيخ مسلم في هذا الحديث، ومن كبار شيوخ البخاري.

وقوله: "أَوْ كَمَا قَالَ أَيُّوبُ نَعْمَمُ" أدب معروف من آداب الرواة، وهو أنه ينبغي للراوي إذا روى بالمعنى أن يقول عقب روايته: (أَوْ كَمَا قَالَ)، احتياطا وخوفًا من وقوع التغيير في المروي.

ومن الفوائد في هذا الحديث: فضل العلم وعصمته لصاحبه من الزول والانحراف، وصدق الله العظم إذا يقول: "فَأَلَيْن كَلِّ يُسَبِّبْ قَلْبًا مَّعَالٌ، وَلَيْنَ لا يُبَلْغَمُ" (الشعر: 9)، وما ضل من ضل، وما ابتدع من ابتدع، إلا بالعبد عن العلم والتعلم، من الكتاب والسنة وعلى نهج السلف الصالح المبارك.

وفيهم: فضل أهل العلم على الناس، تعليمهم الخير وإرشادهم إلى الحق والصواب في المسائل والأحكام والنزول، لاسيما علماء السنة والحديث الداعين إلى التزام نهج السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، قال تعالى: "وَمَن يَكَفُّفُ الرُّوسَلَ مِنْ بَعْدِ مَا بِيَانَ لَهُ اللَّهُ دَوَالِدَهُ وَرُسُلُهُ جَعَلْنَاهُمْ مِثَالًا لِلَّدِينِ" ([النساء]).

نسأل الله الهداية والسداد لنا ولجميع إخوتنا المسلمين، والبعد عن مسائل البذع والخروج والتكفير، إنه سميع مجيب.
(41) عن أبي مسعب بن مالك رضي الله عنه قال: "يخرج من النار أربعًا، يعرضون على الله، فلقتهم أخرهم قيل: "آي رَبَّ! إِذ أخْرَجَنِي مِنْهَا فَلا تُعَذِّبي فِيهَا، فَتَنْجِيهَ اللهُ مِنْهَا.

الشرح:

هذا الحديث السادس في هذا الباب، ولم يتعذر النووي لشرحه (52/3) ولا الأثري (589/1) وهو من الأحاديث الكثيرة الدالة على أن الله تعالى يخرج بفضله أناسًا من النار، بعد أن دخلوا بهذين جنابهما، ثم يعفو الله عنهم ويدخلهم الجنة.

وقوله: "يَخْرِجُ مِن النَّارَ أرَابَاتَ" قد يكونوا معرفين عند الناس.

وقوله: "آي رَبَّ! إِذ أخْرَجَنِي مِنْهَا فَلا تُعَذِّبي فِيهَا" فيه تولي بنعمت الخروج من النار إلى الله تعالى، أي: كما أكرمني وتفضلت علي بالخروج من النار، فلا تعذبي فيها.

وقوله: "فَتَنْجِيهَ اللهُ مِنْهَا" أي: فستجيب الله تعالى له، ولا يعيد إلى النار.

** ** **
(92) عن أبي هريرة ﭼ. ﷺ قال: أنبي رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفعه ﷺ إلى الرباع، وكانت نعمة، فنهى منها، فقال: «أنا طيب الناس يوم القيامة»، وهم تذرونكم في ذلك؟ بجمع الله يوم القيامة الأولين والأخيرين في صعيد واحد، فتنفّعنهم الداعي، وينفخونهم البصر، وينفخون النسمة، فلنغُل الناس من الفم والقلب ما لا يطيقون، وما لا يتحملون. فقول بعض الناس لبغي: لكي لا تركوني ما أنتم فيه؟ ألا تركوني ما قد بلغتم؟ ألا تنظرون من ينفخ لكم إلى ربك؟ فقول بعض الناس لبغي: إننا آدم، فقيل له: يا آدم! أنت أبو البشر، خلق الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، المتفحص نبأ صلى، ألا ترى إلى ما تحين فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فقول آدم: إن ربي عضب اليوم عضاباً لم ينفخ بهم قبلة مبللة، وننفخ بعض بهم مبللة. وإن الله تنبغيه عن الشجرة، قضاه تفسيقي، تفسيقي، ذهبنا إلى غريري، ذهبنا إلى نوح. فقالوا: يا نوح! أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، استغفر لنا إلى ربك، ألا ترى ما تحين فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فقول له: إن ربي قد عضب اليوم عضاباً لم ينفخ بهم قبلة مبللة، وننفخ بعض بهم مبللة. وإن الله قد كتب في دعوة دعوة بها على قومي، تفسيقي، تفسيقي، ذهبنا إلى إبراهيم، قبائل الموه، قبائل الموه. أنت نبي الله، وللعل من أهل الأرض، استغفر لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما تحين فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فقول له: إن ربي قد عضب اليوم عضاباً لم ينفخ بهم قبلة مبللة، ولا ينفخ بعض بهم مبللة. وذكر كتبته، تفسيقي، ذهبنا إلى غريري، ذهبنا إلى موسي، قبائل الموه، قبائل الموه. يا موسى! أنت رسول الله، فضللك
الله تعالى يرساله ويبتليه على الناس، أشفع لنا إلى ربك، أنا أرى إلى ما تحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ يقول لهم موسى: إن ربي قد عفشك اليوم عفشاً لم يغشب قبلاً مثله، ولي يغشب بهذة مثله، وإني كنت نفساً لم أود يغشبها، فنفسي نفسي، أذهبوا إلى يسوع، قائلون يسوع، يقولون: يا يسوع! أي رسول الله، وكفلت الناس في المهد، وكلفها مئة ألقاها إلى مريم وروح منه، فأشفع لنا إلى ربك، أنت ما تحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ يقول لهم يسوع: إن ربي قد عفشك اليوم عفشاً لم يغشب قبلاً مثله، ولي يغشب بهذة مثله، ولي يذكر له ذنياً، فنفسي نفسي، أذهبوا إلى غابري، أذهبوا إلى مهدك، فإذا وقعت الله لك ما تقدم من ذلك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، أنت ما تحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأطلقت قلبي تحت العرش، فألفع ساجداً لربتي، ثم بفتح الله على وتره، من محابته وحسن القنان عليه مثناً ثم بفتحه لأجر قنال، ثم قال: يا مهدياً ارفع رأسك، سل نعجة، اشفع نعجة، فألفع رأسي فأقول: يا رب أمي، ألم ترى؟ أنا مهدياً! أدخل الجنة، من أمتك من لا جنب عليها من الأبناء من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس مهدياً يبدء، إن ما بين المصراوعين من مصراوع الجنة لكما بين مكة وهجر، وأو كم بنين مكة وبصرى).

الشرح:

الحديث آخره مسلم في الإيمان، وبوَّب عليه النووي (٦٥/٣).

تبوب المنذري نفسه.
والشفاعة من الشفاعة، وهو خلاف الورث، يقال: شفع يشفع شفاعة،
فهو شافع وشفع.
والمشروع بالكسر: الذي يقبل الشفاعة، والمشفع بالنفتح الذي تقبل
شفاعة.
وشفاعة المصدر، أنواع، منها ماهو متفق عليه بين الأمة، ومنها
ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.
فالنوع الأول: الشفاعة الأولى: وهي العظمى، الخاصة بنبياً من
بين سائر إخوانه من الأنباء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وقد
دلَّ عليها أحاديث جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما، منها
هذا الحديث، حديث أبي هريرة.
وقد تضمن نوعين من الشفاعة: الأولى: الإراحة من هول الموقف،
والثانية: إدخال قوم الجنة بغير حساب.
النوع الثالث: شفاعة في قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا
يعذبوا.
النوع الرابع: شفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق
ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.
النوع الخامس: شفاعة في تخفيض العذاب عمن يتحبه، كشفاعة
في عمه أبي طالب.
النوع السادس: شفاعة أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.
النوع السابع: شفاعة في أهل الكبائر من أمه، ممن دخل النار.
فيخرجون منها وقد تواترت بها الأحاديث وخلقت فيها الخوارج والمعتزلة جهالاً منهم أو عادواً.

وهذه الشفاعة تشاركها فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا.

الفوائد الثامن: شفاعة لأهل المدينة ولمّا مات بها (1).

*أما شرح الحديث:

قوله: "قُرِّعَ إِلَيْهِ الْذِّرَاعُ، وَكَانَتْ نُعُوجُهُ" قال القاضي عياض: محبته للذراع لضجيجها وسرعة استمرارها، مع زيادة لذائها وحلاوة مذاقها، وبعدها عن مواضع الأذى (2).

وقد روى الترمذي (1836) عن عائشة صنتما: ما كان الذراع أحب إلى رسول الله، ولكن كان لا يجد اللحم إلا غباً، فكان يعجل إليه لأنه أعجلها نضجًا.

قال الترمذي: حديث غريب، أي ضعيف، وهو كذلك، ففهبه:

عبد الوهاب بن يحيى، لين الحديث.

قوله: "قُنِىَ مِنْهَا نَهْسًةً" بالسنين المهلهلة، أي أخذ منها بأطراف أسناتها، أما النهش بالسنين فيكون بالأضراس.

قوله: "أَنَا سَيدُ النَّاسِ نَوْمُ الْقِبَاسَ" قال هذا تحديداً بعمة الله تعالى عليه، كما أمره الله تعالى بذلك في قوله: "وَأَنَا يَعْمَمُ رَبٌّ فَخِيَّرُ (3)

[الرضى)، وكذلك نصيحة لأمه، وتعريفاً لهم بحقق عليه.

(1) انظرها مفصلة بآدابها في شرحنا على العقيدة الطحاوية (ص 241 - 250)، و"الفتح" (2) شرح النووي (3/360)، "الزاء" (4/273).

(1) 428/11
(2) 273/1
قال الفراء: «السيد الملك، والسيد الرئيس، والسيد السخي... وسيد المرأة وزوجها».

قال عياض: «السيد الذي ي فوق قومه، الذي يفرغ إيه في الشدائد، والنبي نبي سيدهم في الدنيا والآخرة، وإنما خص يوم القيامة، لا رفع السؤدد فيها، وتسليم جميعهم له، ولكن آدم وجميع أولاده تحت لوائه يوم القيامة».

قال الأزهري: قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أراد أنه أول شفيع، وآخر من يفتح له باب الجنة، قال ذلك إخبارًا عما أكرمه الله به من الفضل والسعد، وحدثاً بثينة الله علته، وإعلانًا منه ليكون إيمانهم به على حسب وموجبه، ولهذا اتبعه بقوله: «ولا فخر» أي إن هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله، لم أنلها من قبل نفسي، ولا بلغتها بقوتي، فليس لي أن أفخَّر بها(1).

ولما قبل له: أنت سيدنا، قال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجريكم الشيطان» أي: ادعوني نبي ورسولًا كما ساماني الله، ولا تسموني «سيدًا» كما تسمون رؤساكم، فأتي لست كأحدهم ممن يسومكم في أساب الدنيا(2).

فوله: «يَجْعَلُ اللَّهُ يُؤْمِنَ الْقَيَّامَةَ الْأَوْلِينَ وَالآخرينِ في صِعَابٍ وَاحِدٍ»

الصعيد: هو الأرض الواسعة المستوية.


(1) «المسان» لابن منظور (2)455/3.
(2) المصدر السابق، وانظر النهج الآسي (146/3).
قال أبو عبيد: معناه ينذههم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم.

وقال غيره: أراد تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد، والله تعالى قد أحاط بالناس أولاً وآخرًا، أي: أن بصر الله تعالى محيط بجميع الخلق في كل حال، في الصعيد المستوي وغيره.

فوله: «وَتَذَرْنَ النَّاسَ، فَيَبْلَغُ النَّاسُ مِنَ الْقُمَّةِ وَالتَّكْرُبِ ما لَا يَطْيِقُونَ وَمَا لَا يَجْهَلُونَ» كما ورد في الحديث الآخر فوله: «على الصلاة والسلام» تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم أحد الرواة: فور الله ما أدرى ما يعني بالميل؟ أم أسافرة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين، قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى ركبته، ومنهم من يكون إلى حقوقه، ومنهم من يلحمه العرق إجمالًا».

وقال أيضًا في قوله تعالى: «يَقْبَرُ النَّاسُ لَكُمْ آتًا آتُونِينَ» [ال넛ين] قال: «يقوم أحدهم في رشحه (أي عرشه) إلى أنصف أذيته».

فوله: «يَقْبَرُ بَعْضُ النَّاسِ لَبَعْضٍ يَقْبَرُ: ۚ أَلَا تَرْتَوَنَّ مَا أَتَتْكُمُ ۖ أَلَا تُرْتَوْنَ مَا قَدْ يَلْعَبُكُمْ ؟ أَلَا تَرْتَمِنوْنَ مِنْ يَتَنُّفِعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ قَلْبُ يَقْبَرُ بَعْضُ النَّاسِ لَبَعْضٍ: أَنْتُوا آتَاكُمْ».

وفي رواية أنس عن البخاري أن الذي يطلق الشفاعة هم المؤمنون، وبالإلهام من الله تعالى، كما في رواية لمسلم: «فيلهمون ذلك» وطلب (1) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيهما (2) من حديث الحمدان (6) (2) المصدر السابق (2194/4).
الشفاعة كما قلنا: هو انضمام الأدنى إلى الأعلى، ليستمن به على ما يريده من خير أو دفع شر، فعندما يطول على الناس ما يلقونه في المحرش، يطلبون الخلاص مما هم فيه، فقيل لهما تعالى المؤمنين طلب الشفاعة ليرجعهم من الموقف، فينطلقون إلى آدم.

قوله: "فتأتون آدم، فقلوون: يا آدم! أنت أبوبنا البند، فلقلق الله بك، ونفعن فيك من زوج، وأمر الملائكة قسجوا لك" وفي رواية البخاري: "واسكن فجنته وعلمك أسماء كل شيء" هذه كلها من فضائل آينا آدم أولها وأعظمها: أن الله تعالى خصه بأن خلقه بيده، دون الناس أجمعين، كما قال تعالى: "قل بهم ما ستملك أن تستدع لينا حلفت بيد" [ص: 75]، وأما بقية الناس؛ فمن نطاقنا من ماء مهين، كما قال سبحانه: "ولقد خلقنا الإنسان من طين مُوحَّل من سدله في قرار مَكَّيْنَ (53) ثم جعلت نطقته في سجدة" [المؤمنون].

وقال تعالى: "وبدأ خلق الإنسان من طين صُبْح مَاؤه مُهْمِّهِ (6) [السجدة].

وعم هذا النص الواضح الجلي، قالت الجهمية، ومن وافقهم: لم يخلق بهده، بل بقدرته!! وأنكرها صفة اليد لربنا تبارك وتعالى!! فأبطلوا بذلك خصوصية آدم الكبيرة من بين سائر البشر.

وقد روي مغاءد عن ابن عمر قال: "خلق الله أربعة أشياء بيدة: العرش، والقلم، وعدن، آدم، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان" (1).

(1) موفور صحيح، أخرجه الطبري (43/119-120)، والدارمي (35/90) وغيرهما، وقال الشافعي رحمه الله في مختصر المعلو (ص: 119): صحيح على شرط مسلم.
قال الدارمي في زده على بشر المريسي: أفلا ترى أيها المريسي، كيف ميّز ابن عمر وفرق بين آدم وسائر الخلق في خلقه باليد؟ أفانت أعلمن من ابن عمر بتأويل القرآن؟ وقد شهد التنزيل، وعاين التأويل، وكان بلغات العرب غير جهول؟

قوله: "وَقَالَ يَلِيمٌ مِّن رُوحِهِ" الإضافة هنا للتشريف، كقولنا: بيت الله، ناقة الله، كذلك: روح الله، أما قولنا: سمع الله، وبصره، وحياته، وعلمه، فهذا من إضافة الصفة إلى الموصوف.

وقوله: "وعلمه أسماء كل شيء" كما قال تعالى: "وَعَلَمَ أَلَّمُ أَلَّمًا مَّيْلًا" [القصص: 31].

قال الضحاك عن ابن عباس قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وسماء، وأرض، وسهل، وبصر، وخيل، وحمار، وأشباه ذلك من الأسماء وغيرها.

واختار ابن جرير في: أنه على أسماء الملائكة، وأسماء الذرية لأنه قال: "فَمَّا عَرَضْنَاهُمْ" هذا عبارة عما يعقل.

وقال ابن كثير: والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها، ذواتها وصفاتها وأفعالها، كما قال ابن عباس: حتى الفسواء والفسية، يعني أسماء الذوات والأفعال المكر والمصرع، ثم ذكر حديث الباب.

قوله: "فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَفُوبٌ غَفُوبًا لَّمْ يُغْضَبْ بِقَلْبِهِ مُثَلًا، وَلَنَّ يُغْضَبُ بِمَثَلٍ مَّثَلَهُ" فيه إثبات صفة الغضب لربنا تبارك وتعالى، وهي

(1) رد الدارمي على المريسي (122/1).
(2) «حسن التحرير في تفسير ابن كثير» (148/1).
شرح مختصر صحيح مسلم

ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فمن الآيات القرآنية قوله تعالى:

{وَيَبْتَغُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ مُغَضْبَةً} [البقرة: 111]، وقوله:

{وَعَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفْنَ بَيْنَهُمْ} [النساء: 3] وغيرهما.

ومن الأحاديث هذا الحديث، وكذا قوله: "عليه الصلاة والسلام."

{"من لم يسأل الله يغضب عليه"} (1).

وقوله: "اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافتك من عقوبتك." [الحدث: 2].

وغيرها من الأحاديث التي تثبت هذه الصفة على ما يليق بالله تبارك وتعالى، من غير تمثيل ولا تشبه.

وأما الخلف، فأولوا هذه الصفة، فقالوا: المراد بغضب الله تعالى:

"انتقامه ممن عصاه! وما يرون من أليم عقابه! وما يشاهده أهل المجتمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها!" (3).

وهو ذلك من آثار غضب الله، وليس هو حقيقة الغضب التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها له رسول الله الكريم أعلم الخلق به.

قوله: "وَلَوْنَ أَهْلَ مَهَابٍ عَنِ الْبَحْرِ فَطَفَّئْتُهُمْ فَتَفِئْيُ بِهِمْ، أَدْهَعُو إِلَى غَيْرِي، أَدْهَعُو إِلَى نُوحٍ" هذا ذكر من آدم - عليه الصلاة والسلام - لنفسه، وما حصل منه من تقصير في طاعةه، مع أنه قد غفر له وتاب الله عليه واجتباه وهداه، وهو ذنب واحد، لكنها معامات الأنبياء، وتواضع الكمل من الخلق، نسأل الله تعالى أن ينولنا برحمته، فما أكثر ذنبيا ونقصينا وما أقل استغفراً!

(1) حديث صحيح أخرجته أحمد (442/2) وغيره.
(2) رواه مسلم (352/1).
(3) شرح النووي (68/3).
قوله: "اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ"، وفي رواية أبي عوانة: "انطلقوا إلى أبيكم".


ففي دعائكم ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً.

وقد استشكل وصف نوح عليه السلام بأنه لصلوات النبي، لست أدّم له، وكذا شهد ودَعَاهم السلام، وهم قبل نوح عليه السلام، ومن الأجواء على ذلك: "أَنتُوْلُ الْرَّسُولِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ"، لثواب؟ لأن الرسول من يبعث في أمّة كافيرة، والنبي قد بعث في أمّة متصلة موحدة، كما في الحديث: "كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنباء، كلما هلكنبي خلّقته نبي، وإنّه لانيبي بعدي..."(1).

ومنها: أن إسراءيلة عليه السلام: من أنبياء بني إسرائيل، على قوله:

فقوله: "وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا" قال سُلَمَانُ: إنّما سمي نوح عبدًا شكورًا، أنه كان إذا لم يشترك الله، وإذا أكل طعامًا، حمد الله(2).

أي: أنه كان كبار الشكر لربه، وقد جاء في الحديث عن نبيًا: أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ لِيُضَيِّعَ الْمَعَادَ أن يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، أو يَشْرَبَ الْبِرَّةَ، فِي حَمْدِ اللَّهِ عَلَيْهَا"(3).

فقوله: "فِي نُوحٍ لَّهُمْ: إِنَّ رَبِّي قد غَصِبَ الْيَوْمُ عَفُوضًا لَّمْ يَغْصِبَ قَبْلَهُ".

(1) متفق عليه من حديث أبي هريرة.
(2) أخرجه ابن جرير (11/15) بإسناد صحيح، وأخرجه نحوه عن مجاهد وقناة وغيرهما.
(3) أخرجه أحمد (3/100) ، ومسلم (4/117) ، ومسلم (4/171) ، وحديث أنّه من حديث أنس. 🌟
شروح حكوات الإيمان من مختصرك صحيح مسلم

قال الحافظ ابن حجر أنه اعتذر لأمرهم: أنهما: نهي الله تعالى له أن يسأل ما ليس له به علم. فخشى أن تكون شفكاته لأهل الموقف من ذلك. ثانياهما: أن تكون له دعوة واحدة محقة الإجابة. وقد استوفاه بدعائه على أهل الأرض. فخشى أن يطلب فلا يجاب.(1)

وقوله: "قيلون إبراهيم: قِيلُونَ: أنت نبيُ الله، وخليلُ من أهل الأرض، اشغُّلُ لنا إلى ربٍك، ألا ترى إلى ما تستُن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟" قيل لهم: إبراهيم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم بيغضب قبله سلطاً، ولا يغضب بعده سلطاً، وذكر كُتبته: نُقيس مثلاً، اذهبوا إلى غُورِي.

وفي رواية البخاري: "قيل لهم: إبراهيم: إسْقِمْ، وقوله: "فَقَالَ: "لا أخبرك، أخبر أبو أخوك».

وقال: "كما في رواية أبي سعيد عند البخاري: "ما منها كلبة، إلا ماحل بها عن دين الله" و"ماحل" بالحاء المهملة، بمعنى: جادل.

وقال البصاري: الحق أن الكلمات الثلاث إنما كانت من معارض.
الكلام، لكن لما كانت صورته صورة الكذب، أشقت منها استصغارًا نفسه عن الشفاعة مع وقوعها، لأن من كان أعرف بالله، وأقرب إليه منزلة، كان أعظم خوفًا.

وفي رواية حديث عند سلمان: «لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء». معناه: لم أكن بالقرب والإلحاد بتلك المنزلة، وهي كلمة تقال على سبيل التوافع وهضم النفس.

فوله: «اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، قَالَ مُوسَى: يَا مُوسَى! أَنْتُ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ وَوَضَعَ يَدَّهُ عَلَى النَّاسِ، اسْقُعُ لَآ إِلَيْ رَبِّكَ».

وفي رواية سلمان: «ولكن انتوا موسى الذي كلمه الله، وأعطاه التوراة». وفيه: إثبات صفة الكلام لربنا تبارك وتعالى، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه، فقال: «وَكَّلَّمَ الْلَّهُ مُوسَى نُسْلِحْيَا» [النساء: 220]. وفي قوله:

فقال: يَمَسَّهُ إِلَى أَحَدَ الْكَرَاهِينَ مِنْ أَحَدَ الْكَرَاهِينِ بِالْأَمْرِ» [الأعراف: 144]. وقوله: يَمَسَّهُ إِلَى أَحَدَ الْكَرَاهِينِ بِالْأَمْرِ» [الشعراء: 10]. وقوله: يَمَسَّهُ إِلَى أَحَدَ الْكَرَاهِينِ بِالْأَمْرِ» [الميم: 104]. وأن كلمه تعالى بصوت يسمع، وحرف يفهم، كما هو ظاهر الآيات الكريمات والأحاديث الشريفة، وقول سلف الأمة فاطمة. وقال:

فوله: «وَقَالَ فَقُلْتُ نَاسًا أَلَمْ أُءَمَّرَ بِقَتْلِهَا، فَنَفِيَ نَفْسِي، أَذَهَبْتُ إِلَى عِيْسَى» وفي رواية نسخ عند البخاري: «فِيقول لست همكم» زاد مسلم: «فذكر خطبه التي أصاب، قتل النفس» يعني: قتل للقيقين من قوم فرعون، مع أنه قد ناب الله عليه، كما قال تعالى: «قَالَ رَبِّي إِنَّ لَمْ تُقَدِّمْ بِالْبَيَاتِ لَيْلَةَ الْأَفْرَعِ لَيَفَقَرُ اللهُ إِنَّهُ الْمُفْقِرُ الْأَكْبَرُ» [القصص: 37]. لكنها كما قلنا

مقامات الأنباء - عليهم الصلاة والسلام -

فوله: "اذْهِبُوا إِلَى يَسُرُّى، قِيَّمُوا إِلَى يَسُرُّى، قِيَّمُوا! أَنتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ الْأَمْرَاءَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلَّمْتُ الْمِلَّةَ إِلَى مَرْيَمٍ وَقَرْنُوهُ مِنِّهَا، فَأَشْفِعْنَا إِلَى زَيْكَ" وفي رواية أبي عوانة: "فَإِذَا هُوَ كَانْ بِرَأِيِّ الأَكْمَهَ والأَبْرِصَ وَيَحْيِي الْمَوْتَى".

ومعنى: "وَكَلَّمْتُ الْمِلَّةَ إِلَى مَرْيَمٍ" أي: كلمة تكلم الله بها، فكان بها عيسى - عليه الصلاة وسلم -، أي: قال الله له: كن، فكان. والإضافة في "كلمة منه" للتشريف.

وقد ذكر نبي الله عيسى هنأه ذيث له، لكن وقع في رواية الترمذي عن أبي سعيد: "إِنِّي عَدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ" وفي رواية أحمد والنسائي عن ابن عباس: "إِنَّكَ أَتَتْخَذْتِ إِلَيْهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ". وفي رواية سعيد بن منصور: "وَإِنَّ يَغْفِرُ لِي الْغُفْرَانِ" وهو ليس ذنيما له! فإنه لم يأمر قومه بأن يتخذه إليها من دون الله، كما يقول الله له يوم القيامة: "وَإِذَا قَالَ رَبِّي "زَيْكَ" أَنَّ مَرْيَمَ مَسَّتُ لِلنَّاسِ أَجْزَاءَهُ وَأَشْفِعْنَكَ إِلَى مَرْيَمٍ" من دون الله. قال سبحانه: ما كان ذلك مثل مثابة مثل ما أتى بهم يوم‌القيامة. وقد تقدمت مكة إلى يوم‌القيامة. فتكون مكة إلينا. وَبَعْدَ هَذَا وَقَتَلْنَاهُمُ الْقَوْمُ الْكَبْرَى وَقَتَلْنَاهُمْ مَنْ كَانَ بَشَرًا وَقَتَلْنَاهُمْ مَنْ كَانَ فِي ظَهْرِ الْجَمِيعِ، فَأَتْنَآ إِلَى رَبِّنَا نُضَلْتُنَّ إِلَىُهَا، وَأَتْنَآ إِلَى هَذَا حَدِيثًا عَلَى نُصُرَّتِكَ [المائدة]

فقال الله تعالى: يخطب عيسى القوم: يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه الهدى من دونه تزعيم لهم وتوبها على رؤوس الأشهاد، فيثيرهم من ذلك وعن فعله، ويخبر أنه ما أمر إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين له،
والنهي عما يضاده، وبينت لهم أنى عبد ربوب، فكما أنه ركيم فهو ربي.
فيا خزي عياض الصليب في ذلك الموقف، ويا بؤس منقلب المشركون
بأله تعالى والكفارين، الذين نسبوا له الشريك والولد، تعالى الله عما يقول
الظلمون علواً كبيرًا.

وروي ابن أبي حاتم: عن أبي هريرة قال: يلقى عيسى حجة، ثم
يروى عن النبي ﷺ قال: فلقاه الله ﷺ السُّجَّاحِنَّ ما يُحكمُ إِنَّ أَوْلَى مَا لَيْسَ لِي
يَحْكِي إِلَى أَخْرَ الْآيَةِ (1).

فوله: «أَذْهَبُوا إِلَى عُبَرَيِّ، أَذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، كِتَانُونِي، فَيُقُولُونَ: بَا مُحَمَّدٌ أَنتُ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْآ*nبِياءِ، وَعَفْرُ اللَّهِ لَكَ مَثْقَالِ يَنْثِي مِنْ ذُنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرْتُ، فَجَعَلْتُ لَكَ إِلَى زِيَكَ، أَلَا تَرَى مَا تَعْنَى بِهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْتَ؟»

وفي رواية ابن خزيمة: انطلقوا إلى من جاء اليوم منفورة له، ليس
على ذنب» وفي رواية أبي عوانة: «ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم، فإنه
أول من نشقت عنه الأرض».

والمتاخر: ذنب أمه، وقيل: المعنى أنه مغفور له، غير مؤخذ لو وقع،
وقيل غير ذلك(2).

قال الحافظ: واللازم بهذا المقام: القول الرابع، وأما الثالث فلا يأتي هنا.

(1) حسن التحريج (4/10).
(2) العفيح (435/11).
قال: ويستفاد من قول عيسى في حق نبيه هذا، ومن قول موسى فيما تقدم: "إني قلت نفسي بغير نفس، وإن يغفر لي حسبي" مع أن الله قد غفر له بنصر القرآن، التفرقة بين من وقع منه شيء، ومن لم يقع منه شيء، فأصلنا، فإن موسى مع وقوع الغفوة له، لم يرتفع اشفاقه من المؤاخذة بذلك، ورأى في نفسه تقصيرًا عن مقام الشفاعة مع وجود ما صدر منه، بخلاف نبيه في ذلك كله، ومن ثم احتج عيسى بأنه صاحب الشفاعة (أي نبيه محمد) لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بمعنى أن الله أخبر أنه لا يؤخذ عنه بذنب لو وقع منه، وهذا من النصائح التي فتح الله بها في "فتح الباري"، فله الحمد.

وقوله: "أنت رسول الله، وحائث الأنبئة" كما قال تعالى: "ما كان محمد أبا أَهْلَكْمُ وَلَا يَسْتَنْهَيَ الْأَمْلَاكَ وَلَا يَسْتَنْهَيَ الْأَنْبَأَ" [الإحزاب: 40]. وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: "فَذِلَّتْ عَلَى الأُنْبِئَاءِ بِسَبْطَةَ أَعْطَى جُوَائِلَ الْكَلِمَ..." وفيه: "وَخَتَمَ بِالنَّبِيْنِ"[3].

وقال لعلي: "أنت مني بمثلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"[4].

وقال الطحاوي في الطحاوي: "وأوى خائتم الأنبئة".

وقال: "وكل دعوة نبوة بعدي، ففي وحيه".

(1) كما في قوله: "قلو رَبِّ إِني ظَلَّتُ نَسِيًا غَفِيرًا لَفَجَرْنَاهُ مَيْتًا تُنَزِّهُهُ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمَ" [القصص].
(2) "التفح" (11/436).
(3) روآ مسلم في المساجد (271/1).
(4) روآ البخاري في المغازي (112/4180/6) ومسلم في فضائل الصحابة (1876/4) من حديث سعد.
وذكر أبو محمد بن حزم الإجماع على هذا في قوله: «باب من الإجماع في الأفكار يكفر من خالفه بإجماع، ثم ذكر فيه: «وَأَنْتَ مَثَالُ النَّبيِّ لا نَبِيٌّ لا بَعْدَهُ أَبْدًا».

وبعد هذا، فقد أدعى النبي مدعو قديماً وحديثاً، كما أخبر عليه الصلاة والسلام: «... وإنما سيكون في أمتي كذا بن ثلاثين، كلهم يعذب أني نبي، وأننا خاتم النبيين لاني بعدي».

ومن آخره: ميرزا غلام أحمد القاضي موسى القاضي، والمرجعين على الملقب بالباهاء، صاحب الحركة الباهائية المجلدة، وغيرهم من الكهابين والدجالين.

قلوه: «الْيَدَّ لَنا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرْيَ ما تَحْمَلُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنا؟»

وفي رواية أحمد (2): عن أنس قال: حدثني النبي الله ﷺ قال: «إني لقائم انتظر أمتي تعرض الصراط، إذ جاء عيسى فقال: هذه الأنيباء قد جاءتك يا محمد سأكلون وأمرأ: يجمعون إليك. ويدعون الله أن يفرق بين جمع الأمة إلى حين يشاء الله لقَمَّ ما هم فيه، فالخلق لمجتمع في العرق. أما المؤمن فهو عليه كالركبة، وأما الكافر فيتغش منه الموت، قال: عيسى، انظر حتى أرجع إليك» قال: «فذهب النبي الله حتى قام تحت العرش، فلقي ما لم يلق ملك مصطفى، ولا نبي مرسل؟.

قال الحافظ ابن حجر: فآفادت هذه الرواية تعني موقف النبي ﷺ.

(1) رواه أبو داود (4254)، وأحمد (5/728) وأصله في مسلم (4/2215).
(2) «المستدرك» (3/168)، ورواه رجال الصحيح.
حينئذ، وأن هذا الذي وصف من كلام أهل الموقف كله يقع عند نصب
الصراط بعد تساوت الكفار في النار.

قال: وأن عيسى هو الذي يخاطب النبي، وأن الأنيباء
جميعًا يسالونه في ذلك.

وقد أخرج الترمذي وغيره من حديث أبي بن كعب في نزول القرآن
على سبع أحرف، وفيه: وأخبرت الثالثة (أي الدعوة) ليوم يرغب إلي فيه
الخلق، حتى إبراهيم عليه السلام (1).

وقوله: «قَالَ ابْنُ مُلْكٍ قَاتِيْنِ تَخَتَّهَا الْعُرْشُ، قَاتِيْنِ سَاجِدًا لِزَبَّٰبِكَ، أَلْمَ يُنْتَخِحَ الْلَّهُ عَلَىٰ وَمِلْمِنِي مِنْ مَخَالِفِي هُمْثَانِي عَلَىٰ مَنْ يُنْتَخِحَ لَهُ أَخْرِجْ قَبْلِي»
ووقع في رواية البخاري: «فإنون فقول أنا لها، أنا لها».

وفي رواية ابن خزيمة: «فيقول: أنا صاحبه».

قوله: «قَالَ ابْنُ مُلْكٍ قَاتِيْنِ تَخَتَّهَا الْعُرْشُ» وفي رواية أنس عند البخاري:
«فاستثنى على أبي»، وزاد في رواية: في دار فؤد لي.

قال عياض: أي في الشفاعة.

قال الحافظ: وتعقب بأن ظاهر ما تقدم أن استذانه الأول والذين له،
إنه هو في دخول الدار، وهي: الجنة، وأضيفت إلى الله تعالى إضافة
تشريف، ومنه: «وَلَيْسَ لِيَشِفَّكَ إِلَيْهِ أَنْتَ تُداِرُ» (يونس: 29)، علىقوله بأن
المراد بالسلام هنا، الاسم العظيم من أسماء الله تعالى.

قال: قيل: الحكمة في انتقال النبي، من مكان إلى دار السلام، أن

(1) "الفتح" (436/11).
أرض الموقف لما كانت مقام عرض وحضاب، كانت مكان مخافة وإشفاق، ومقام الشافع ينسب أن يكون في مكان إكرام، ومن ثم يستحب أن يتحرى للدعاء المكان الشريف؛ لأن الدعاء فيه أقرب للإجابة (1).

وقد ثبت في "صحيح مسلم" أنه أول من يستفتح باب الجنة.
وفي رواية الترمذي عن أنس: "فأخذ ببجلة باب الجنة فأفتحها، فقال: من هذا؟ فقول: محمد، فيفتحون له، ويرحبون بي، يقولون: مرحبًا، فأجبر، ساجداً، فيهمي الله من الشاء والحمد، فقال لي: ارفع رأسك وسأ تفطن، وافشع تفطن، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: "عَصَبَنَّا أن يبعثك رَبُّك مَقَامًا مَحْمُودًا [الأسراء] (2).
فوله: "فأفتح ساجدًا لربتي!"، وفي رواية البخاري: "إذا رأيته وقفت له ساجدًا، فيدعوني ما شاء الله.
فوله: "لَمْ يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَبُلْعُمِيَ مِنْ مَخَامِدِهِ وَخَصِنَ النَّهَاء عَلَيْنَا شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحَهُ لَأَحَدٍ قَبْليَ". وفي رواية البخاري: "فآفقوم بين يديه فيهمي محامد لا أقدر عليها الآن، فأخذه بذلك، ثم أجبر له ساجداً.
ففيه أن النبي ﷺ يلهم التحميد قبل سجوده وبعده. وفيه: أن أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلي، لا تعد ولا تحصى.

(1) وأشرف البقاع في الأرض: المساجد، ومواقع الصلاة، كما صنع ذلك في الحديث العروي في صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة. مرفوعًا: أحبَّ الْبَلَادَ إِلَى اللَّهِ مَساجِدَهَا، وأبغض البلاد إلى الله أسوائها، كتاب المساجد (464/1).
(2) رواه الترمذي (3269)، وأبو ماجه (4308).
إذا لا تعلم عنك خليماً وتعالي إنا ما علماء، كما قال الملائكة: "سُبْحَالَاء لا يَعْلَمُنَا إِلاَّ مَا عَلِمَتْهُمْ أَيَّامَ الْكِتَابَ" (البقرة: 22)، وقال: "وَلَا يَجْعَلُونَ يَتَّقُونِي مِنْ عَلَيْهِ إِلَّا يَمَا كَسَّاهُ" (البقرة: 255)، أي: لَا إِلَءَاء مَا ذَهَبَ لَهُ، أَيْ عَلَيْهِ مِنْ عَلَيْهِ. وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "لَا أَحْصِي ثَانِيَ عَلِيْكَ، أَنتَ كَأَنْتَ أَثَنَى عَلَيْكَ.

وفي الحديث الصحيح أيضًا: "أَسْأَلَكَ بِكُلِّ اسْمٍ هَا لِکُ، سَمِيتُ بِهِ نَفْسِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَمْتَهُ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عَلَمِ الْغَيْبِ عَنْدَكَ".

قال ابن خزيمة: "فَهذَا يَدْلُكَ عَلَى أَنَّ اللَّهُ أَسْمَاءَ لَا يَنْزِلُهَا فِي كِتَابِهِ حَجْبًا عَنْ خَلْقِهِ، وَلَمْ يُهُرِبْهَا لِهِمْ.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَةَ: "وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَى الْجَمَهِورِ، أَنْ قُولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ نَسِمَةً وَتَسْعَى اسْمًا، مِّنْ أَحْصَاها دَخُلَتْ الْجَنَّةَ» مَعْنَاهُ: أَنَّ مِنْ أَحْصَا النَّسَمَةَ وَتَسْعَى اسْمًا مِّنْ أَسْمَاءِهَا دَخَلَتْ الْجَنَّةَ، لَيْسَ مَرَادُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا نَسِمَةً وَتَسْعَى اسْمًا. فَثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ الْسَّابِقَ.

وَقُولُهُ: "أَرْفَعْ رَأْسِكَ، سَلِّ نُقُوَّةً، اسْمُعْ تَنْفَعُ، فَأَرْفَعْ رَأْسِي" وَفِي رَوَأْيَةِ أَنْسَ عَنْ الْبَخَارِيِّ: «ثُمَّ يَقُولُ لِي: ارْفَعْ رَأْسِكَ».

وَفِي رَوَأْيَةِ ابْنِ أَحْمَدَ عَنْ أَنْسَ: «فَأُوْلِيَ اللَّهِ إِلَى جِبَرِيلٍ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسِكَ»، فِي كُونِ المَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَهُ ذَلِكَ عَلَى لسَانِ جِبَرِيلِ 

(1) رَوَاهُ مَسْلِمُ فِي الصَّلاةِ (٢٥٤) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.
(2) وَهُوَ يَتَّهِمُّ العَقْلَ وَالْبِلَاغَ (٣٣٣ - ٣٣٤)، وِيَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمُزِيدُ: النَّهَجُ الْأَسْمَعِيُّ فِي شَرحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ (٤٩١ - ٥٨) لِقَيْثُ.
قوله: «فَأَلْقَعَ رَأْيِي» وفي رواية للصحيحة: «فَأَلْقَعَ رَأْيِي بِتَحْمِيدِ» يَعْلَمُنَا قَالَ الحَافُظُ: وَقَدْ وَرَدَّ مَا لَعَلَّهُ يُفَسَّرُ بِهِ بِعَضْعِ ذَلِكَ لَا جَمِيعِهِ فِي النَّسَائِي وَمُسْتَنَافِي عِبَادِ الرَّزَقِ وَمَعَجِمِ الْطَّبْرَانِيُّ: مِنْ حَدِيثِ حَذِيفَةِ رَفْعُهُ قَالَ: «يَجِبُّ عَلَى النَّاسِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فِي فِقَالَ: بِأَنْ يُعْمِدُ عَلَيْكَ.» مُحَمَّدٍ فَأَلْقَعُ: لَيْبِكَ وَسَعَدِيَّكَ، وَالْخَيْرِ فِي يَديكَ، وَالْمُهْدِي مِنْ هَدِيَّتِهِ، وَعَبَدُكَ بَيْنِ يَديكَ، وَبِكَ وَإِلَيْكَ، وَبِذَاكَ تَأْرِكَتْ وَتَتَعَالِتْ، سَيْحَانَكَ لاَ مَلِجَا وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ» زَادَ عَبْدُ الرَّزَقِ: «سَيْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ» فَذُو قُوَّةٍ قَالَهُ: «إِنّي أَنَّيُعْمِدُ عَلَيْكَ.»

قال ابن منده في كتاب «الأعيان»: هذا حديث مجمع على صحة إسناده، وثقة روائه. (1)

قوله: «فَأَلْقَعَ رَأْيِي» فَأَلْقَعُ: بِأَنْ يُعْمِدُ عَلَيْكَ، وَبِأَنْ يُعْمِدُ عَلَيْكَ مَعِيَ اِبْنِيْ أَمْيِي، فِي قَالُهُ: بِقَالَةَ مُحَمَّدٍ: أَقْبَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَمْيِكَ مِنْ لاَ جَنْسَبٌ عَلَيْهِ مِنْ الأَبْوَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ الْجَنَّةِ فِي مَا سَوَى ذَلِكَ مِنْ الأَبْوَابِ.»

قوله: «مِنْ أَمْيِكَ مِنْ لاَ جَنْسَبٌ عَلَيْهِ» هم السبعون ألفًا الذين جاء ذكرهم في الحديث المشهور، ومن صفهم بأنهم لا ينكرُون، ولا يктُرون ولا يتَظُرُون، وعلي ربهم يتوكلون. (2)

قوله: «أَلْبَابُ الأَيْمَنِ: هو الذي على يمين قاصد الجنة، بعد الجواز على السراط، وكأنه أفضل الأبواب.» (3)

(1) الفتح (١٠٣٧/١١).
(2) رواه البخاري في الطب (١٥٥/١٠) وغيره، ومسلم في الإيمان (٢٠٠/١) من حديث ابن عباس.
(3) «شرح أبي على صحيح مسلم» (١٠٨٧/٦).
قوله: "وهَمُّ شُرَكَاءُ النَّاسِ" الأظهر في الضمير (هم) عِنده على من لا حساب عليهم.

فالمعنى أنهم لا يل جوًّن إلى الدخول من الأيمن.

ويعتمل عودته على الأمة، وله بعُدّ.

أما في حديث أنس ففيه: "ثم أشفع فيجَّدُ في حَدَّةٍ، فأخرج من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأفعس ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم بقال: ارفع رأسي يا محمد، فلتسمع، فل تُعطِهَ، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحمد بعلمني، ثم أشفع فيجَّدُ في حَدَّةٍ، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. قال: فلا أدرى في الثالثة أو الرابعة قال: يا رب، ما بقي إلا من حبس القرآن، أي: وجب عليه الخلوص، وقوله: "فيفحدي لي حَدَّةٍ" يريد أن يبين في كل لَّوان من أطوار الشفاءة حَدَّةٌ أتفع عندن فلا أندهم، مثل أن يقول: شفعتك فيمن أَحَلَّ بالجماعات، ثم يقول شفعتك فيمن أَبَدَد بالصلاة، ومثله فيمن شرب الخمر، ثم فيمن زنى، وعلى هذا لبريه علو الشفاءة في عظم الذنب\(^1\).

قال الحافظ ابن حجر: "والذي يدل على سباق الأخبار، أن المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الأعمال الصالحة.

ودليل عليه بقوله: "يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شمسة" وقال: "متفال ذرة" ثم قال: "متفال حبُّه من خردل.

قوله: "ثم أشفع فأخرج من النار، قال آل البيت: جاء في هذا الحديث في حديث أبي هريرة أن الذي يبدأ به بعد الإذن: شفاعة الإخراج،

\(^1\) حكاه الطبي، الفتح (427/11) ونقله السنوسي (95/1)
و يأتي في الحديث نفسه من طريق حديثة: "فيأتي محمد، يقوم و يُؤذن له، و يرسى الأمانة والرحمة بجنيتي الصراط،" وهذا الحديث: لأن هذه الشفاعة التي يبلغ فيها الخلق لريحهم من الموقف، ثم بعد ذلك تحل شفاعةه وشفاعة غيره.

وجاء في أحاديث الرؤية والمحشر المتقدمة الأمر بتباع كل أمة ما كانت تباع، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين، ثم تحل الشفاعة ويلبض الصراط، فيجمع بين هذه الأحاديث بأن يكون الأمر بالاتباع هو أول الفصل، وأول مقامه المحمود والشفاعة المذكورة فيه، هي: الشفاعة في المجازين على الصراط، وهي له لا لغيره، كما نصت عليه في الأحاديث، ثم بعدا شفاعة الإخراج (1).

 قوله: "والذي نفس محمد يبهيه، إن ما بني اليمينين من مصارع البجعة، لكم ما بني من مكة وفتح، أو كم ما بني من مكة و_YEAR". المصارع: بكسر الميم: جانبا الباب، وهجر هي: الإحساء، وبيصري: مدينة مروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاثة مراحل، وهي مدينة "حوران" وبينها وبين مكة مسيرة شهر.

و هذا كله يبين عظم اتساع الباب من أبواب الجنة، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهلها.

** * * *

(1) شرح صلى الله عليه وسلم (59/1).
باب: قول النبي ﷺ:

«أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثرك الإنيباء تبعاً»

(53) عن أسس بن مالك ﭺ، قال النبي ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة، لَمْ يُصَدَّقْ نِعَمِ من الأنبياء ما صَدَّقْتُ، وإن من الأنبياء نبأ ما يُصَدَّقُ نِعَمَه من أمته إلا زُجَّ جَمِيعًا.

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبوَّب عليه النووي (73/36).

باب: الشفاعة.

فوله: «أنا أول شفيع في الجنة» سبق الكلام على أنواع شفاعته في أول الشرح للحديث السابق (92).

فمعنى «أنا أول شفيع في الجنة» شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما سيأتي بيانه في الحديث التالي.

أو شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فيها، فوقف ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

أو شفاعته في إدخال قوم الجنة غير حساب، وغيرها مما سبق بيانه من أنواع شفاعته.

فوله: ﴿لَمْ يُصَدَّقْ نِعَمِ من الأنبياء ما صَدَّقْتُ﴾ وهذا لكونه أتباعه والمؤمنين به، وبدعوته، من الصحابة والتابعين، وتابعهم بإحسان إلى
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

يوم الدين، فأتهم أكبر الأمم وأعظمها، كما في حديث ابن عباس، قال:

قال النبي ﷺ: "عرضت عليّ للأمم، فأخذ النبي يمرني بمرأة، والنبي يمرّ
مع النفر، والنبي يمرّ مع العشرة، والنبي يمرّ مع الخمسة، والنبي يمرّ
وحده، فنظرت فإذا سواد كبير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمني؟ قال:
لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كبير، قال: هؤلاء أمنك، وهؤلاء
سيعون أنفسهم لا حساب عليهم ولا عذاب... " الحديث (1).

وفي حديث بردة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "أهل الجنة عشرون
وومنة صفي، ثمانيون منها من هذه الأمم، وأربعون من سائر الأمم" (2).

وسياطى من حديث ابن مسعود: قوله ﷺ: "أنجحون أنكم ربع أهل
الجنة" فقالنا: نعم يا رسول الله، فقال: "أنجحون أن تكونوا ثلث أهل
الجنة؟" قلنا: نعم يا رسول الله، قال: "إني لأرجو أن تكونوا شتر أهل
الجنة..." (3).

قوله: "وإن من الأنبياء نبيًا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد" أي:
لم يتبه إلا رجل واحد، مع أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصر لأنه
غاية ما يمكنه من النصح، وجاءود في الله تعالى حتى الجهاد، كما قال تعالى
عن نوح ﷺ: "إنني إن كنت منسياً، فلن يكون عباسي ل-Originum" إلا
فؤاراً (4). وأمّا عندما دعوتهم، فلم يفرُّ لهم جملوا أصيّمهم في مكاهنهم.

(1) رواه البخاري في الرقة (1/1105)، وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر الروايات:
والحاصل من هذه الروايات أن الأنبياء يتفاوتون في عدد أتباعهم.
(2) رواه أحمد (5/347، 361، والترمذي (246، راجع ماجه (4289)، وابن
ماجه (7459)، 7460).
(3) رواه مسلم في الإيمان (1/207) وسياطى شرحه نجيب.

[النقطة]
واستعفوا يا أهل الهم觀察 واصروا واصروا أشياءك كما ثم إلى دعوتهم جهارا
ثم إلى أعدت لهم وصدرت لهم إسرارا فقذلت استعنوا ربيكم إن الله كان
عفورا [هود]
و قال: أين لكم رسلت ربي وأصبح لكم كفر واتخذتم من الله ما لا تعلمون
[الأعراف]. وقال تعالى: ال이고 يثبتون رسلت الله ويعكرن ولا يشعرون أحد إلا الله [الأحزاب: 39]
و قال عن هود الله أن قال: أين لكم رسلت ربي وأنا لك نعمة أبي
[الأعراف].
و قال عن صالح الله أنه قال لما رأى هلاك قومه: فنزل عنهم وقال يفقو لقد أبلغتمكم رسالة ربي وصحت لكم ولكن لا تجبون التصديق [الأعراف]. وقال عن شعب الله أيضا فنزل عنهم وقال يفقو لقد أبلغتمكم يسلا بز وصحت لكم فكيف دأة على قوم كفيرة [الأعراف].
وغيرها من الآيات الكثيرة...
و مع ذلك فقد كان في كثير من الأحيان لا يتعين إلا الأفراد القليل من أمهم، كما قال سبحانه عن نوح الله: فوما معه إلا قليل [هود].
و قال: إلآ الذين ماتوا ومعيما الصالحين وقيل ما هم [ص: 24]
و قال: وقيل من عبادي أن كونوا [سما]. وقال: ولي تطبع أسفار من في الأرجاء عجلوا عن سبيل الله [الأسمى: 116]
ولا يسألهم الله تعالى يوم القيامة لم يكثر أنباعكم أو لام يهتدى على أبدكم وإنما يسألهم من البلاغ المبين، وقد قاموا به قال تعالى:
شرح مختصر صحيح مسلم

«كَرَّتْنَا عَلَيْكُمْ عِلَامَاتٍ وَأَيْمَانَنَا بِاللَّهِ يَسْتَبَرَّ بِاللَّهِ» (ال عمران) وقال: «فَهَلَّ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبُلُوغُ النَّبِيِّ» (النحل) وقال: «وَمَا عَلَّى الرَّسُولِ إِلَّا الْبُلُوغُ النَّبِيِّ» (النور) وقال: «إِنَّا أَرْسَلْنَا فَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حِيْطًا إِنَّ عَلِيَّكَ إِلَّا الْبُلُوغُ» (الشورى).1

أي: ما أرسلنا لتنظيف أعمالهم ثم تسأل عنها، فإن عليكم إلا البُلُوغٌ. فإذا أديت ما عليك؛ فإن وجب أجرك على الله، سواء استجابوا أم أعرضوا، وحاسبهم على الله تعالى الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها، وظاهرها وباطنها.

ومنها قوله تعالى: «فَلَوْ اتَّبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَقُوا الْرَّسُولَ فَلَبِئَتْنَا عَلَيْهِمْ مَا جَعَلْنَاهُمَا وَمَا عَلَّيْنَاهُمْ إِلَّا الْبُلُوغُ النَّبِيِّ» (النور).

أي: إن وظيفة الرسول أن يأمركم وبينهاكم، ولهذا أمرهم بطاعة الله تعالى وطاعته، ثم قال: «كَرَّتْنَا عَلَيْكُمْ عِلَامَاتٍ» أي: ما حمله الله من أداء الرسالة، وقد أداؤها، وظائفهما ماهتمها أرض من الطاعة والإيمان. (وَمَا عَلَّيْنَاهُمْ إِلَّا الْبُلُوغُ النَّبِيِّ) أي: البين الواضح، الذي لا يبقى شكًا ولا شبهة؛ ثم الجزاء والحساب على الله تعالى، فالرسول عليه الصلاة والسلام، ليس له من الأمر شيء؛ فقد قام بوظيفته أنق قيمه وأحلمه.

**

(1) تفسير المعادي رحمه الله (الشورى: 48).
باب: استفتاء النبي باب الجنة

فقال: يك أبترت، لا أفتح لآخر كتلمك.

5 المشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ويوجد عليه النووي (73/3) باب الشفاعة.

وهو في بيان شفاعة أن يؤذن لجميع المؤمنين بدخول الجنان، وهي إحدى أنواع شفاعة، كما بينه.

وفي رواية لمسلم أيضا: "أنا أول من يبرع بباب الجنة".

وقد أورد النبي إشكالاً وأجاب عليه.

فقال: فإن قلت تقدم في الذي قبله أنه يتأخير عند الصراف حتى تجوز الأمة، وذلك منافق لكونه أول من يبرع بباب الجنة!

ثم أجاب فقال: فلا ينبغي أن يكون آخر من ينصر من المحشر، وأول من يدخل الجنة، والناس محبوسون عن الدخول حتى يأتي، كما دل قوله: "يك أبترت، لا أفتح لآخر كتبك"، أنهي.

فقال: "فاستفتخت، قيل الخازن: ونفي أن للجنة خازناً، والخازن هو الموكول بحفظ المال ونحوه وإحرازه، وفي الحديث أنه واحد، وقد يكون".
شرح مختصر صحيح مسلم

مقدمهم إذ جاء ذكرهم في كتاب الله تعالى بالجميع إذ يقول: ﴿وَسِيبِكَ أَنْعَمْ رَبَّكَ ۛ إِنَّهُ لَرَبُّ الْكَيْمَاتِۚ إِذَا جَاءَهُ مَا يُؤْتِيُّهُُۛ وَيُجِبُّهُ أَبْوَاهُۛ وَقَالَ ۛ آنُزِّهْهُۛۚ حَرْزَنَّهُ مَسَّهُمُ ۛ أَذْهَبْهُۛۚ قَدْ آخَذَۢهَا حَرْزَيْنِ﴾ (الزمر).

وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من أفقه زوجين في سبيل الله دعاء حُرْزَةَ الجَنَّةَ، كل حُوْلَة باب: أي فل، هالم» قال أبو بكر: يا رسول الله، ذلك الذي لا تؤتي عليه، فقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكون منهم».

وفي لفظها: فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

قال الإمام ابن القيم ﷺ: سمي الله سبحانه كبر الخزينة: رضوان! وهو اسم مشتق من الرضا، وسمى خازن النار: ملكًا، وهو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.

فوله: «قَيِّمُواْ ٱلْخَزِينَةَ مَنْ أَلَّهْتُ قَِّيِّمَةَ مُهَٰمَّدَ ان يُبْنِى عَلَى المستانذ أن يذكر اسمه ليخفف، ولا يقول: انها لا تعرف بالطريق ولا يضعف، وقد ورد في الحديث أنه كرهها.

فوله: «قَيِّمُواْ يَكُونُ أَمْرُ ذَٰلِكَ ۛ أَقْتُل ۛ إِلَّا أَقْتُلُ لَأَخْرِجَ ۛ لَيْكَ».

كما ذكرنا أنه أول الداخلين إلى الجنة، وأمه من بعده، وورد ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة ﷺ من النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون»

(1) أخرج مسلم في الزكاة (71/712) ومعنى لا نوى، أي: لا هلاق.
(2) أحمد أحمد الأرواح (ص: 149)، وقاله: وقد سمي الله ﷺ إلخ، لا يوجد صريحاً في كتاب الله تعالى، ولعله أحد من قوله: «وَأَلِحِّيَّةَ وَيَضْوَتُ يَتَّبِعُ ٱلْمَآءَ»، وينكرها.
الآباء الأولون يوم القيامة، ونحن أول الناس دخول الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من أبتيناء، وأبتيناء من بعدهم... (1).

ورد أيضًا بيان صفات أول من يدخل الجنة من الأمة، في قوله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة القدر، والذين يرونهم على ضوء أشده كوكب دُربَي في السماء إضاءة. لا يبكون ولا يبكونون... (2)

وقوله: «أول زمرة تجلج الجنة، صورهم على صورة القمر ليلة القدر، لا يبكون فيها ولا يبكونون... (3).

وجاء في حديث عكاشة ﷺ: "أنهم الذين لا يردون، ولا يضربون، ولا ينطرون، وعلى ربهم يتوكلون" (4).


(1) آخره البخاري في الجمة (2/382)، وسلم في الجامة أيضًا (2/585)، مختصرًا.
(2) آخره البخاري في الأنباء (2/362/2)، وسلم في الجنة وصفة نعيمها (4/2179/9).
(3) آخره البخاري في بعده الخلف (4/3186/6)، وسلم (4/2179/9).
(4) آخره البخاري في الوقائع (1/1140/5/1140)، وسلم في الإيمان (1/1199/1199).
(5) حديث صحيح، رواه أحمد (1/350/105/360)، والبناي (348/5) وابن حبان (98/6) من طرف عن ابن بريدة عن أبيه.
قبل: نلتقاء بالقبول والصدق، ولا يحل على أن أحدًا يسبق رسول الله ﷺ إلى الجنة، وأما تقدم بلال بين يديه ﷺ في الجنة، فإن بلالاً كان يدعو إلى الله في الأذان، فتقدم أذاته بين يدي رسول الله ﷺ، فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم، لابنечًا من بلال لهٰ.

ورده في الحديث الصحيح: "إن قراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم" وهو خمس سنة عامٰ.

وفي حديث ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن قراء المهاجرين يسبقون الأثنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريقاً".

وأخذ المُلتَّخ السباق لعليها بحسب أحوال القراء والأثنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسين، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب جرائهم، والله أعلم.

وقال الإمام ابن القيم: "ولكن ها هنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سباقهم لهم في الدخول، ارتفاع منزلتهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سباقه غيره في الدخول.

والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وهم السبعون ألفًا، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسس على غناه، فوجد قد شكر الله تعالى فيه، وتقرب إليه بألب البر والخير والصدقة والمعروف، كان أعلى درجة من الفقراء الذي سبقه في

(1) انظر "تحامي الأرواح" (ص 158).
(2) رواه أحمد (296/2)، والترمذي (2354) بإسناد حسن.
(3) رواه مسلم في الزهيد (285/4).
(4) "تحامي الأرواح" (ص 162).
الدخول، ولم تكن له تلك الأعمال، ولا سبما إذا شاركه الغني في أعماله هو، وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عمل.
فالمزية مزية: مزية سبق، ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان،
فيحصل لواحد السبق والرفعة، وبعد فهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولا آخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضي لأمرين، أو
لأحدهما وعده، وبالله التوفيق (١).

** ** ** **

(١) المصدر السابق (صف ١٦٠ - ١٦١).
باب: قول النبي ﷺ: «أدخل نبي دعوية مستجاباً»

(95) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للكل نبي دعوة مستجاباً، فتعجّل كل نبي دعوته، وإن أيّاس دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بله شياً».

الشرح:

الحديث السابق أخرجه مسلم في الإيمان، ويوبّب عليه النووي.

(74/3) باب: الشفاعة.

وقد رواه بعده ألفاظ، ففي الرواية الأخرى: «للكل نبي دعوة يدعوها، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» وفي رواية له: «للكل نبي دعوة دعابها في أمه فاستجيب له، وإن أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

قال النووي: هذه الأحاديث تفسر بعضها بعضًا، ومعناها: أن لكل نبي دعوة متيقنة الإجابة، وهو على يقين من إجابتها، وأنما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها، بعضها يجاب، وبعضها لا يجاب.

وذكر القاضي عياض: أنه يحتمل أن يكون المراد: لكل نبي دعوة لأمه، كما في الروايين الآخرين، والله أعلم.

(1) لدلالة القرآن والسنة على إجابة دعواتهم ومنع بعضهم، فقد دعا النبي ﷺ لأمه أن لا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم، وأن لا يهلكهم بالسنين العامة فأعطوهه، ودعا أن لا يجعل بأسمهم بينهم فمنعها.
وفي هذا الحديث: بيان كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخباره بهم واعتنانه بالنظر في مصالحهم المهملة، فأخرج دعوته لأمنه إلى أهم أوقات حاجاتهم.

وأما قوله: لو أنماة اللاتإن شاء الله من مات من أمني لا يشرك بالله شيطانًا ففني دلالة لمذهب أهل الحق، أن كل من مات غير مشترك بالله لم يخلد في النار، وإن كان محصراً على الكبائر، وقد تقدمت دلائله وبيانه في موضعي كثيرة.

وقوله: إن شاء الله هو على جهة التبرك، والامتثال لقوله تعالى: وَلَوْ نَوْرَتُكَ لِلْمَلَأِيَّةِ إِلَيْ قَاعِلٍ ذَلَّلَ غَدًا ۗ إِلَّا أَن يَشِاءَ اللهّ [الكفين]، والله أعلم.

وقوله: فمن مات من أمني لا يشرك بالله شيطانًا فيه فضل التوحيد، وأنه سبب لشغل شفاعة المصطفى في الآخرة، والمؤمنون في هذا درجات، وأن الشرك سبب للحرمان منها، وقنا الله شره والمسلمين، أمين.

** ** **

(1) انظر شرح الأحاديث السابقة (82, 88, 89, 90, 91).
(2) شرح مسلم للنور (76, 77).
باب: دعاء النبي ﷺ لأمته

(96) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَروٍ بْنِ عُمَروٍ بْنِ خَالِدٍ، ﻋَنْ النَّبِيِّ ﷺ، ﻛَلَّا قُوِّلَ اللَّهُ ﺧَالَى فِي إِبْرَاهِيمِ: »رَبِّ إِنِّي أَنْصَلِحْ قَارِئًا مِنْ أَلْقَائِي ﻛُلَّمَيْنِ ﻛِبَارًا، فَلَيْسَ ﻛَيْبُرْنِي ﻷَنْتُ عَنْ الْأَبْيَةِ ﻗَوْلُكَ: »إِنَّكَ مَنْ ﻛَارِئُهُ ﻛُلَّمَيْنِ، ﻓَلَيْسَ ﻛَيْبُرْنِي ﻷَنْتُ عَنْ الْأَبْيَةِ ﻗَوْلُكَ: »إِنَّكَ مَنْ ﻛَارِئُهُ ﻛُلَّمَيْنِ، ﻓَلَيْسَ ﻛَيْبُرْنِي.« ﻓَقَرَعَ ﺑِذَٰلِكَ وَقَالَ: »لِلَّهِ أَمْيَيْنِ أَمْيَيْنِ، وَبِكَ، فَقَالَ اللَّهُ ﺧَالَى: »بَاَبِرْبِرْ! إِذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَربِّكَ أُعْلَمُ. فَسَلَّمَ ﻣَا ﺑِذَٰلِكَ؟ فَأنَا جِبَرِيلُ، فَسَلَّمَهُ، وَأَخْبَرَهُ ﺑِرَسُولِ اللَّهِ ﺧَالَى، ﺑِمَآ ﻗَالَ- وَهُوَ أُعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ: »بَاَبِرْبِرْ! إِذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقْلْ: إِنَّا سَرُّضُيْكُ في أُمِيَّكَ، وَلَا تَسْرُّعْكَ.«

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، ووبَّأَ عليه النووي (37/77):

باب دعاء النبي ﷺ لأمته، وبكاء شقة عليهم.

قوله: »وَقَالَ عِيسَى ﺧَالَى« أي: نَّا قُوِّلَ عِيسَى ﺧَالَى في القرآن.

وفي الحديث من الفوائد: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته،

واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم، قال النووي (1).

وقال الأباء: ومعناه: أنه لما رأى إبراهيم وعيسى عليه السلام لم يبلغا في الدعاء لأمتهما إلى متنى الغابة، بل تبأا كل منهما من عصاة أمته، بعد ما يجده من الشفقة والحرص على نجاة أمته، على الحض في

المراجع (78/3) (1)
الدعاء لها باكيًّا مستمرًا، حتى أجابه بأنّه سيرضيه فيهم، وهو معنى قوله:

وَكَاتِبُ يَعْبِدُ رَبّهُ فَرَضَّاهُ [القصاء].

وقيل: هي أرجى آية، لأنه لا يرضى، وواحد من أمته في النار(1)

وفيه: استحبِ‍ب رفع اللهين في الدعاء.

وقد ورد فيه أحاديث، منها: قوله ﷺ: "إن ريكم تبارك وتعالى حي كريم، ينسحِّي من عبده إذا رفع يده إليه أن يردها صفاً(1).

وفيه: بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى، وعظيم لطف حسن الله عليه، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ: ظهار شرف النبي ﷺ، 

وأنه بال محل الأعلى فياسترضي، ويكرم بما يرضيه، والله أعلم(3).

وقوله تعالى في الحديث: "وَلَا تَضْرِيِّكَ" هو تأكيّد للمعنى، أي: لا نحزنك؛ لأن الإرضاء قد يحدث في حق البعض بالعفو عنهم، ويدخل الباقى النار، فقال تعالى: نرضي ولا ندخل عليك حزناً، بل ننجي الجميع(1).

** ** ** **

(1) إكمال إكمال المعلم (١٣٦١-١٣٦٦).
(2) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٦) وابن ماجه (٣٨٦٥).
(3) صحيح ابن حبان (٢٤٠٠) من حديث سلمان ﷺ.
(4) شرح النووي (٢/٧٩).
(5) المصدر السابق.
(97) عن جابر بن عثمان أن النبي ﷺ قال: يا رسول الله! هل كل في حضري حسین ومَنْطُوق، قال: حصن كان
لدوسي في الجاهلية، فأتي ذلك النبي ﷺ الذي دُىَر الله للأنصار، فلمّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، هاجر إليه الطفل بن عمر، وهاجر معه رجل من قومه، فاجتازوا المدينة، قمرون، فخرج، فأخذ مشافض له، فقطع بها ترابه، فمضى يدخّل، فدخلت بيته حيّة، قرأت الطفل بن عمر، فوَعَةَ وَهُمْ وَحُنَّة، فقال له: ما صحب يَكْبِرُه؟ قال: عُفِّر لي
هبجرتي إلى نبيه، قال: ما لي أراك مطلاً يَكْبِرُ؟ قال: قبل لي لَنْ نُصَلِّي منك ما أَقْسِمَت، قَضَى** الطفل علي رسول الله ﷺ، قال: رَسُول الله ﷺ، قال: اللهم وَلَدّي فَاغفِرِّيًّا.

الشرح:

هذا هو الحديث الثاني في هذا الباب: باب دعاء النبي ﷺ لأمه.

وقد رواه مسلم في الإيمان، ويزيد عليه النووي (١٣٠/٢) باب
الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر.

الطفل بن عمرو هو ابن طريف بن العاص الدوسي، لقيه ذو النور،
قال ابن سعد: أسلم الطفل بجكة، ورجع إلى بلاد قومه، ثم وافق النبي ﷺ في عصرة القاضية، وشهد الفتنة بمنك، وكذا قال ابن حبان.

وروى البخاري: عن أبي هريرة قال: قدم الطفل بن عمرو الدوسي

(1) كما في الإصابة في تمييز الصحابة (٢٢٥/٢) للحافظ ابن حجر العسقلاني.
على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن دوُسًا قد عفت فأذن الله عليهم، فقال: اللهم اهد دوساً.

قيل: استشهد باليمة قالي ابن سعد، وقيل: بالبرموك، قاله ابن حبان، وقيل: بالجنادين، قاله موسى بن عقبة.

قوله: هل لك في جمع حصنين؟» أي: قصر لا يوصل إليه بسهولة والمنعة: جمع منع أي: جمع تمنعن ممن يقصدك بمكروه، ودوس:

إحدى قبائل العرب في اليمن.

قوله: قآيَّن ذلك النبيُّ ﷺ للذي ذُحَّر الله ﷺ للأنصار» أي: لم يقبل النبي ﷺ عرضه في الذهاب إلى ذلك الحصن؛ لأن الله تعالى قضى أن تكون هجرته نحو المدينة، وأُذَخِّر ذلك للأنصار من الأوس والخزرج، وَأَلْقَى عَلَيْنَا أَلْقَى جَعَلَ رَجُلَيْنَا. ودَخِر وادخراً بمعنى واحد.


وقال الخطابي: أصله من الجوى، وهو داء يصيب الجوف(1).

قوله: قَبْرَخَ، فأخذِّ مِنْ قَبْرَخِ لَهُ جمع وضاقت بكم الميم وفتح القاف، وهو سهم فيه فصل عرض، أي: لم يصبر على الشدة واللاؤو، فأخذ هذا السهم العرض كالسكين.

قوله: قَطَعَهْ بِهِ تَرَاهِمةُ البراجم: فصول الأصابع، واحتدتها ببرجة.

(1) شرح النووي (121/2).
والحساب: بالفتح والضم ما يخرج من الضرع من لب، وكانه الدفعة منه، وكانه سمي بذلك من صوت وفعة في الآية.
أما أحكام الحديث: ففية حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة: أن من قتل نفسه، أو ارتكب مصيبة غيرها، ومات من غير توبة، فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو في حكم المشيئة، وقد تقدم بيان القاعدة وتقريرها مبرأ.
وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قيله الموهوم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من أصحاب الكبار في البار، ففية رد على الخوارج والمعتذة.
وفيه: إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي، فإن هذا عوقب في يديه، ففية رد على المرجحة القائلين بأن المعاصي لا تضر، والله أعلم.
وفيه: فضل الهجرة إلى المصطفى ﷺ، وما حصل من العفو عنه والصفح بسببه، قال تعالى: "إِنَّ الْيَتِيمَاتَ وَالْأَوَّلَاتَ وَالْفُرَّاحَاتَ وَالْمَطَبِعَاتَ وَالْجَرَّاتِ" [البراءة].
وقال: "فقال الذين هاجروا وأخرجوا من دينهم وأودروا في سبيل وقتنوا وقيلوا لأكونون عبدهم سيداكم وآلهتكم جندي نجحري من قومها الأئمتز نوابًا فين عند الله وآلهة عندده حسن الأقواب" [العمران].

** ** **

(1) شرح النووي (131/132).
باب: في قوله: "وأناذر عشيرةك الأفريقيك" (98) عن أبي مريزة قال: لما أنزلت هذه الآية: "وأناذر عشيرةكم الأفريقيكم" ذاع رسول الله ﷺ فرنشاً، فاجتمعوا، فتم وتحص، فقال: "يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرزة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد الملك! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني قايتل! أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لأملك لكم من الله رحيماً، عفر أن لكم رجاء سالميتها.

* رسم: 

الحديث آخر جمه مسلم في الإيمان، وبَوَب عليه النووي (3/79): باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تناوله شفاعة، ولا تنفعه قرابة المقربين.

 قوله: "دعا رسول الله ﷺ فاتمشياً، فاتمشيا" فرسخ: هي القبيلة العربية المشهورة التي كانت تسكن مكة، قبل سنة فرسخا من "قرش" وهو جمع شيء من هننا وهنها، فسموا بذلك لتجتمعهم إلى الحرم، أو لأنهم كانوا يقرشون البياعات، فيشترونها، أو لأن النضر بن كنانة اجتماع في ثوبه يوما فقالوا: تقشر، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا: كأنه جمل.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

قريش، أي: شديد، وقال: سميته بمصر القرش، وهو السمك المعروف الذي تخافه دواب البحر كلها، وقال: غير ذلك، والسبب قرشي وقريشي (1).

قوله: "فَمَّا رَحَّبَ" العموم قوله في الآخر: "يا معشر قريش" والخصوص نداء قائلتها.

قوله: "يا يا بني كعب" كعب هو ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك.

وقريش على قول أكثر أهل النسب: هم الذين ينتمون إلى فهر بن مالك.

وقريش بن كنانة، وقيل: بل جماع قريش هو النضر بن كنانة، وعلى أثر العلماء والمحققين، قاله الحافظ ابن كثير (2)، ثم قال: وسند على ذلك بالحديث الذي ذكره أبو عمر بن البر رحمه الله تعالى: عن الأشعت بن قيس.

قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة، فقلت: أسلم منا يا رسول الله؟ قال: "لا، نحن بنو النضر بن كنانة، لا نتقوا أمنا، ولا ننتف من أبينا".

وقدرت ابن ماجه في سننه باسمح حسن، وفيه: فكان الأشعت يقول: لا أوجي برجل نفي رجلًا من قريش من النضر بن كنانة، إلا جلتة الحد (3). وقصر النبي ﷺ النداء على بني كعب يحتمل لأنه لم يحضر أحدًا من فوق كعب، أو أنهم الأقربون.

قوله: "أَقْضُوا أنفَسْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَنفُسِكُمْ" وفي الرواية الأخرى لسلمان أيضًا "اشترموا أنفسكم من الله" وهو بمعنى أنفزوا، كما قال تعالى: "فَإِنَّ اللَّهَ أَشْتَرَمَ" (بسم الله الرحمن الرحيم، فأرضمهم، وأموثمهم، وأثَّرِ لهمُ المُكَبَّنَةَ) [النهج: 111].

(1) انظر القاموس المحيط (قش).
(2) الفصول في سيرة الرسول ﷺ (ص 6).
(3) والحديث حديث أبيا الأثربين في "الإرواء" (2368)، وفي "التما 매مج" (2621)، و"الصحيح" (2375).
 قوله: "يا قطان! أنتِ حكيم نفكِكِ" وفي بعض الأصول: "يا فاطم".

بجذب النهاء على الترجم.

فإنني لا أقدر على ذكر مكره يريده الله تعالى بكم.

وهو قوله: "ومن بطأ به عمله؛ لم يسرع به نسبه" أي: من تكاسل عن الإيمان والعمل الصالح؛ لم يسرع به نسبه وحسبه إلى الدراجات العلي، والنعمم المقيم، وقد قَضَى الله تعالى علينا في كتابه قصة نوح وابنه وامرأته، ولوئه وامرأته، فقال الله تعالى: "وَعَلِّمَنَّكُمَا نُوحَ ِ. فَقَالَ رَبُّكَ رَبِّي إِنَّ أَبَيَّن من أَهْلِي وَأَلَّهِي وَأَطِيعِي الْحَقَّ وَأَطِيعِي هُمَا الْمُتَّقِينَ. قَالَ ذُوحِيِّي إِنَّ اللَّهَ وَيَدَّلَّنِي عَلَى سُلَيْمَانَ وَلَيْسَ مَا لِي مّا لِيَ. إِنَّ اللَّهَ وَيَدَّلَّنِي عَلَى سُلَيْمَانَ. فَقَالَ سُلَيْمَانَ. فَقَالَ سُلَيْمَانَ (5) [هود].

وقال: "عمِّرِبِّ الله سُلَيْمَانَ لِلِّدُينِ كُنْ أَمَّامُ نَجَاحِي وَأَمَامُ لَوْلِيَّةِ صِيَانِتَا نَحْثُ مَعْدَرَيْكُمَا مِنْ ذَاكَانِ سَمِّيكِي فَعَامَّا حَمَاهُمَا فَارَ بِنُجَاحِي عَمَّا بِلَّهُ شَيْئًا وَقَبِيلَ (6) [الثيران].

فُسْحُ الْقَبْلِ: لا وَعَدَّ الله تعالى بنجاة أباه؛ ظن أن الوعد لعمومهم؛ من آمن ومن لم يؤمن، فدعا به ذلك الدعاء، وفوض الأمر إلى الله تعالى، فاجابة الله تعالى بقوله: "إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ مِنَ الْكَافِرِينَ، لأَنِّي أَنَا النَّازِعُ عَلَى مَنْ أُعْلِينَا وَأَنَا النَّازِعُ عَلَى مَنْ أُعْلِينَا. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عَلِيمٌ (2) [الكافرون].

(1) شرح سلم (3/80)
(2) وفي القراء الأخرى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عَلِيمٌ) أي: ابنك قد عمل غير صالح، فلا يستطيع النجاة.
فحيح ندم نوح عليه السلام وقال: "أوى أنتوَ يَا بني آدمَ ما أنتُمُ لِيلةً يومناً....".

وقد قال تعالى لنبيه الكريم: "لما أراد أن يستغفر لعه وقد مات على الشرك: "ما كانت الْيَوْمَ وَالْيَوْمَ مَعَكَ إِلَّا أَنْ أَشْهَدُ لِلْجِبَلِ (۹۶) وما كانت استغفاكما

إِلَّا إِلَى اللَّهِ إِلَّا عَلَى مُهْدِهِ مُهْدَىُهُ إِنَّا نَلَاكُ بُيَنَتُهُ (۹۷) أَنْ أَشْهَدَ عَلَى الْيَوْمِ أَنَّهُ أَنْفُسُهُ يَكُونَ إِلَى

إِلَى اللَّهِ مَنْ يَشَاءُ (۹۸) [النبية]. أي: فمن مات على الشرك والكفر، فقد حقت عليه كلمة العذاب ووجب عليه الخلود في النار، فلا تنفعه شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.

وكذا امرأتي نوح ولوت عليها السلام، فإنها كانت تحت نبيين كريمين، ومع ذلك كانتا كافرتين على غير دين زوجهما، وهذه هي خياتها، فإنهما بنت امرأة نبي قط: "أهْلُ بُنيَّةٍ عَنْهَا بَيَّانٌ أَمْشَا وَقَبِيلٌ أَنْ تَأْتُوا مَعَ الْجِبَلِ (۹۹)

قوله: "أَنْ أَشْهَدَ عَلَى الْيَوْمِ أَنْ لَمْ يُكَفِّرَهُمَا رَحْمَةٌ مَّاخِلَتَا" ببلالها تضبت على وجهين: بفتح الابين الثانية، وكسرها، من بله بله، والبلال الفاء، ومنه حديث البلال (۱۰) أراحكم ولو بالسلام. أي: صلوا.

ومعنى الحديث: إن لَمْ يُكَفِّرَهُمَا رَحْمَةٌ مَّاخِلَتَا، فشبه قطعة الرحمة بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة الماء.

فإن قيل: كيف يجمع بين حديث البلال، وبين قوله: "كل نسب (۱) حديث حسن أخرج وكتب في الذهد (۴۰۴) وعنه هناد في الذهد (۴۰۴)، وابن حيان في "الفتاوى" (۴۴۴/۴) عن سويد بن عامر مرسلاً، وله مساعدة ذكرها مع الكلام عليها في إبطال التأويلات (۴۰۴/۲)."
وصهر يقطع يوم القيامة، إلا نسيبي وصهريٌّ
فالجواب: إن قوله ﷺ: "لا أغني عنكم شيئًا" أي: بمجرد نفسي,
من غير ما يكرمني الله به من شفاعة ومغفرة، مخاطبهم بذلك رعاية لمقام
الخوف، وإلا فالانتماء إليه ومصاحبة فيها نفع عظيم، ولذا حرص عمر
على مصاحبة علي ﷺ، فتزوج بابنته أم كلثوم، ثم روى هذا
الحديث.(2)

** ** ** **

(1) حديث صحيح رواه ابن عساكر في ترجمة زيد بن عمر بن الخطاب، كما في
الفيض (5/36)، وصحيح الألباني في الجامع.
(2) انظر فيض القدير.
باب: ما نفع النبي ﷺ، أبا طالب

(99) عن عباس بن عبد المطلب ﺭ, قال: يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب ﷺ؟ وإنه كان يعذّب ﷺ، ونفخ ﷺ، قال: «نعم، هو في ضحىٰ حريق النار، نفخاً أننا لكان في الجرح الأعظم من النار.»

الشرح:

الحديث رواه مسلم في الإيمان، ويُوَبَ عليه النووي (3/84) باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتحفيف عنه.

راوي الحديث الحجس بن عبد المطلب هو ابن هاشم بن عبد مناف القرشي، أبو الفضل المكي، عم رسول الله ﷺ، قال الزبير بن بكار: كان أسم من رسول الله ﷺ، بلثلاث سنين، شهيداً بدرًا مع المشركيين، وأمّر فيمن أسر ثم فوّض، وقال ابن عبد البر: كان رئيساً في الجاهلية، وإليه العمارة والسقاية، وأسلم قبل فتح خيبر، وكانّ أنصى الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، وكان جواباً مطيعاً وسولأً للرحم، ذا رأي حسن، ودعا مرجوعة، وكان لا يبكر وعثمان وهو راكبان إلا نزل حتى يجوز، إجلالاً له.

وفي ضائلته كثيرة، مات سنة 3/6 هـ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

فوله: «كان يعذب ﷺ، يفتح الباب، يقال: حاطبه يحبطه حطّأً وحياطة، إذا صانه وحفظه ذنب منه، وتوفر على مصالحه.

فوله: «هو في ضحىٰ حريق النار، الضحىٰ: مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحر الكعبين، وهو في النار استعارة، أي: النار تصل إلى كعبه.
قوله: "وَلَوْلَا أَنَا لَكُنَّا فِي الْدُّرَّ الْأَصِبُّ مِنَ النَّارِ" وفي الرواية الأخرى: "وجدها في غمامة من النار فأخرجته إلى ضحيمة".

الدرك: فيه غمامة فصيحان: فتح الراوة ويسمحها، ومعناه عند جميع أهل اللغة والغمرات: جمع غمرة، وهو الشيء الكثير، وير必定 بالباء "الغمرات"

أي: البجعا، والبجع أصح.

وهل هذا الحديث يعارض قول الله تعالى: "فَمَا ضَعْفَهُمْ شَقَعًا" 

الْقُلُوبِينَ (٨) [المدثر].

والجواب: لا معارضة؛ لأن الآية محملة على شفاعة الإخراج من النار، والحديث يتضمن شفاعة التخفيف من العذاب، جزاء على حياطه لرسول الله ﷺ ونصبرته إياه، فإن الكافرين يشتركون في دخول النار، ولكنهم ليسوا بسوء في العذاب، فإن الكافر يعذب على كفره، ثم يزداد عليه بقدر ما أضاف إلى الكفر من秽مان والذنوب، قال تعالى: "أَيُّبِرُوهُ كُفَّارًا وَيُصَدِّقُوهُ" [العنص].

وقالوا: فعذاب عاقر الناقة ليس كعذاب غيره من قومه، وليس عذاب قتلة عيسى ﷺ من أرادوا قتله. وبحي وذكرها عليهم السلام، كعذاب غيرهم من كفرة بني إسرائيل.

ومنه قوله ﷺ: "أَشْدَ النَّاسَ عَذًا، يَومَ الْقِيَامَةِ: رَجَلُ قِتَالٌ نَبِيًا، أُوْلَئِكَ نَبِيُّوُنَا، أَوْ رَجَلُ يَصُرُّ النَّاسَ بِغَيْرِ أَعْلَمٍ، أَوْ مَصْوُرٌ يَصُورُ النَّمَالِيَّةُ"(١).
(100) عن ابن عباس قال: "أهون أهلي النار عذاباً أبو طالب، وهو منفعل يغلب منهما دماً.

الشرح:

هذا هو الحديث الثاني في هذا الباب، وقد أخرجه مسلم في الإيمان، وهو في الباب السابق نفسه.

فوله: "أهون أهلي النار عذاباً أبو طالب" فيه تصريح بأن أبا طالب عم النبي ﷺ من أهل النار، لكنه من أهونهم وأخفهم عذاباً، وعذاب أهل النار دركات، بعضها أشد من بعض، كما سبق بيانه، كما أن نعيم أهل الجنة متفاوت.

فوله: "وهو منفعل يغلب منهما دماً" وفي رواية لمسجد أيضًا:

له نعائهما وشرائهما من نار، يغلب منهما دماً، كما يغلب الرجل والشراك هو أحد سبئ العجل، والذي يكون على ظهر القدم.

والضالب هو شدة اضطراب الماء ونحوه على النار.

والمرجل: القدر، سواء كان من حديد أو نحاس أو حجارة أو خزف.

وفي رواية: "وضع في أخمص قدمه جمرة يغلب منهما دماً" والأخمص: هو المتجافي من الرجل على الأرض، أي ما لا يصيب الأرض من القدم.

وزاد في رواية له: "ما يرى أن أحداً أشد من عذاباً، وإنه لأهونهم"
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

عذابًا، أي: مع أنه أهون أهل النار عذابًا، إلا أنه عذاب عظيم أليم موجع لا يطاق، وصاحب يظن أنه أشد أهل النار عذابًا، وهو أهونهم، فكيف بالذي تفشي النار من فوقه، وينتهي له من أسفل منه، فتكون له مهادًا وغطاء، نعوذ بمولانا من ذلك، قال تعالى: «فَهُمُ يَتَحْرِينَ حَيَاةً وَهُمْ فَوْقِهَا غَوْاشِيَّ» (الأعراف)، وقال: «يَوْمَ يَقْضِيُ الْمَلَأِ مِنۡهُمۡ فَوۡقِهِمۡ وَيۡمَ يُقَسَّمُونَ» (العنكبوت).
باب: قول النبي ﷺ:

«يدخل الجنة من أمتتي سبعون ألفاً بغير حساب»

(101) عن خصين بن عبيد الراحمي قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أخبرت رأي الكوكب الذي احترمه البارحة؟ قلت: أنا إليه لم أكن في صلاة، ولكنني دعفت، قال: فماذا صنت؟ قلت: استرقت، قال: فما أحدك على ذلك؟ قلت: حيثُ دُنناة الشعرِيُ، قال: وما حذتكم الشعرِيُ؟ قلت: دُننا عن تزيدَة بن خضيب الأحمر، فإن قال: لا رقية إلا من عيني أو حمعة، فقال: ذكر أَحْسَن من إنهى إلى ما سمع، ولكن خصين بن عباس بن اليمامة قال: مرضخت عليَّ الأمام، قرأ به النبيُّ ومعه الرُّسُلُ، واللباس ومعه الرجلُ والرجلان، واللباس ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أميم، قبَل لي: هذا معوي وقويم، ولكن النظر إلى الأمام، تنظرت فإذا سواد عظيم، قبل لي النظر إلى الأفق الآخر، تنظرت فإذا سواد عظيم، قبل لي هذا أُنْكَل، وجعلهم سبعمْنَ، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم تشهد، فدخل سبعة، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فجعلهُم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فجعلهُم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شريكًا، وذكرنا أشياء، خرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: وما الذي تحضرون فيه؟ فأخبروني، فقال: هم الذين لا يرقوون، ولا يشتركون، ولا ينطرون، وعليهم سبعمٌ، فإنهم خُلاصة..."
شرح حكايت الإيمان من مختصر صحيح مسلم

بن ميمصق قال: أمَّنَى الله أن يجعلني منهم، فقال: "أنت منهم"، ثم قام.

رجل آخر قال: أمَّنَى الله أن يجعلني منهم، فقال: "سِلَكَ بها عُكَاشَة".

الشرح:

الحديث أخرجه مسلم في الإيمان، وبوّب عليه النووي (3/88): باب

الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجناة بغير حساب ولا عذاب.

وأخرجه البخاري أيضا في صحيحه مختصرًا وطولاً.

وله: "عن حُصين بن عبيد الرحمِني: هو السلمي أبو النيل الكوفي،

ثقة تغير حفظه في الآخر، روى له السنة.

وسعید بن جبير هو الأسدي مولاه الكوفي، التابعي الجليل، الثقة

الثابت الفقيه، قيل بين يدي الحجاج، سنة خمس وثمانين، ولم يكمل

الخمسين، روايته في الكتب السني.

قوله: "أَكَبَّ رَأَى الْكُوكَبَ الَّذِي انْقَضَى الْبَارِحَة" انقض: أي: سقط.

والبارحة: أقرب ليلة مضت، وهي مشتقة من: بَرِح: إذا زال.

وقال أبو العباس ثعلب وغيره: يقال قبل الزوال: رأيت الليلة، وبعد

الزوال: رأيت البارحة.

قوله: "آمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنَّ فِي ضَلَالٍ" القائل هو حسين، خاف أن يظن

الحاضرون أنه ما رأى النجم إلا لأنه يصلي، فأراد أن يغني عن نفسه إيهام

العبادة، وأن يصلي، مع أنه لم يكن فعل هذا، وهذا يدل على فضل السلف

المسلمين وحرصهم على الإخلاص، وشدة ابتعادهم عن الرئاه، في خلاف من

يقول: فعلت وفعلت ليوهم الناس أنه من الأولياء، وربما علق السبحة في
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

عندَه! أو أخذها في يده يمشي بها بين الناس، إعلانًا لأهم أنه يسبح عدد ما فيها من الخرز!؟

وقوله: «ولكني لُدِّعْتُ» أي: لدغته عقرب أو نحواً.

وقوله: «قلتُ استَرْقَبْتُ» أي: طلبت من يرقبي.

وقوله: "فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟" أي: ما حجتك على هذا الفعل؟ ففيه طلب الدليل على صحة المذهب.

وقوله: "حَدِيثُ حَدِيثَةُ الشَّعَاعِيْ" أي: حماني عليه حديث حدثنا الشعاعي، واسميه عامر ابن شراحيل الهنداني، وله في خلافة عمر بن الخطاب، وهو من علماء التابعين وثقافتهم وفقهائهم، قال مكحول: "ما رأيت أفقي منه".

مات سنة 301 هـ، وله نحو من ثمانين، وروى له السنة.

وقوله: "عَنْ بُرَيْدَةَ" وهو يضم أوله وفتح ثانية، تصغير برودة، وهو ابن الحصيبي - يضم الحكاء وفتح الصاد - ابن عبد الله بن الحارث الأسلمي صحابي شهر، مات سنة ثلاث وستين، قاله ابن سعد.

وقوله: "لَا رَقِيَّةٌ إِلَّا مِنْ عَيْنِ أَوْ حُمْوَة" هكذا روي هنا موقفًا، وقد رواه ابن ماجه وغيره مرفوعًا.

والعين: هي إصابة العين غيره بعينه والعين حق، والحممة: يضم الحكاء وتخفيف الميم: سم العقرب وشبهها.

(1) نيسر العزيز الحميد (ص 301).

وقد نص غير واحد من علمائنا على بدعة السبحة، وأنها لم تكن في عهد النبي ﷺ وانظر بحثًا حولها في الص-figure (83) للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

(2) سنن ابن ماجه (3513) ورواه أحمد (4342، 438، 446)، وأبو داود (8884) والترمذي (2149) من حديث عمران بن حصين مرفوعًا.
قال الخطابي: ومعنى الحديث: لا رَقْيَةٌ أَشْفِقٌ أَوْ أَوَلِيٌّ مِن رَقْيَةِ الْعَيْنِ
وُذِيَ الْحَمَة، وَقَدْ رَقَى النَّبِيَّ ﷺ وأَمْرَهَا، وَسَبَّتَيْنِ الكَلَامَ عَلَى الرَّقِيِّ.
فُؤُولَهُ: «قَدْ أَحْسَنْنَ مِنْ اِلْتَقَى إِلَى مَا سَمِعْتُ» أي: مِن أَخْذِ بِمَأْنُوْبِهِ مِن
الْعَلَمِ، وَعَمَلَ بِهِ فَقِدْ أَحْسَنْهُ; لَأَنَّهُ أَدَى مَا وَجَبَ وَعَمَلَ بِهِ مَأْنَوًهِ مِن
الْعَلَمِ، بِخَلَفِ فِي بِعْلِمِ بِيْهِلْ، أَوْ لَا يَعْلَمُ بِمَا فَيْنَهُ مَا مَيِّي أَلْمَ.
وَفِيهِ فَضْلَةٌ عَلَمُ السَّلِفِ وَحَسَنُ أَدْمَهِمْ، وَتْلِيْفَهُمْ فِي تَبْلِيْغِ الْعَلَمِ,
وَإِرْشَادُهُمْ مِنْ أَخْذِ بِشَيْءِهِ مِنْهُ. إنْ كَانَ مَشْرَعَ عَلَى ما هَوْ أَفْضِلُ مِنْهُ(1).
فُؤُولَهُ: «وَلَكَنَّ حَدَّثْنَا إِبْنُ عُيُوسِ» هُوَ عَلَّامَةُ الْبَنِيَّ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبَّاسِ
الْهَاشِمِيَّ بْنِ عمِ النَّبِيِّ ﷺ، دَعَا لَهُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهَ فِي الْدِّينِ,
وَعَلَّمْهُ الْتَأْوِيلَ» مَنْقُ عَلِيهِ، فَكَانَ كَذَلِكَ، إِذْ كَانَ يَسَمَّى الْبَحْرَ، وَالْخَيْرِ,
لَسْعَةَ عَلَمِهِ وَفَقَهِهِ، وَقَالَ عَمَّرَ: لوْ أَذْرَكْ ابْنُ عَبَّاسِ أَسَنَنَا، مَا عَشَرُهُ مِنَ
أَحْدِ. أَيْ: مَا بَلَغَ عَشْرَهُ فِي الْعَلَمِ، وَهُوَ أَحْدُ الْمَكْثُرِينَ مِنَ الْحَدِيثِ مِن
الْسَّحَابَةِ، وَأَحْدُ الْعَبَادَةِ، مَاتَ سَنَةٌ ثُمَانِ وَسَتِينَ بِالْطَّائِفَ.
فُؤُولَهُ: «عُرْضَتْ عَلَيْيْ النَّاسِ» قد يَكُونُ رَأَيَ ذَلِكَ لِيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، أَوْ هُوَ
رَأْيُهَا رَآءُهَا عَلَيْهِ الْصَّلَاةَ وَالْسَلَامُ. فِي مَنَاهِهِ.
فُؤُولَهُ: «قَزَّائِتُ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعْمَةُ النِّبِيِّ الْرَّحْمَٰنُ» الْرَّحْمِيَّةُ: تَسْقِيِّمُ الْرَّحْمَةِ، وَهِيَ
الْجَمَاعَةُ دُونَ الْعَشْرَةِ.
فُؤُولَهُ: «وَلَنَبِيُّ وَمَعْمَةُ الْرَّجُلِ وَالْرَّجُلَانِ، وَالْبَيْتُ لَيْسَ مَعْمَةُ أَحْدِهَا» فَيهُ أن
الأَنْبِيَاءِ مَتَافَاوَتُونِ فِي عِدَّةِ أَتِباعِهِمْ، وَأَنَّ بَعْضِهِمْ لا يَتَبِعُهُمْ أَحْدِهَا، مَعَ أَنَّهُمْ قد
أَرْدُوُهَا الأُمَانَةَ، وَبَلَغَوا الْرَّسَالَةَ، وَجَاهَدُوهَا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهَا، لَكِنَّ الأَمْرَ كَمَا
(1) «تَبَيَّنُ العَزِيزُ الحَمِيدُ» (ص 40).
قال نوح عليه السلام: «ولَوْ جَنَّـتَكُمْ نَصَـبِيْضَةَ إِنَّ أَبَـى أَنْ أَصْـحَـبْكُمْ إِنَّكُمْ إِنَّكُنَّ بِهِمَا بِمُتْمَـئِنِينَ» [النور].

وفي رد على من احتج بالأكبر، ورغم أن الحق محصور فيهم، وليس كذلك، قال تعالى: «وَإِنَّ نُـطُـلَ أَسْـحَـرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُـعْـدَّونَ عَنْ سَبِيلِ أَنْعُـمُ» [الأعلى: 111].

فالواجب اتباع الكتاب والسنة، مبتنى من كان وأين كان.

قوله: «إِذْ رُفِقَ لَي سَوَادَ عَظِيمٌ» أي: رفع لي أشخاص كبيرون.

ويجمع على أسوده، ومنه: لا يفارق سوادي سوادك.

قوله: «قَفْتُنَّ أَنْهَمُ آمِينَ» استرشاد الإسماعيلي كونه لم يعرف أمره حتى ظن أنهم أمة موسى عليه السلام، وقد تثبت في حديث أبي هريرة: كيف

تعرف من لم تكر من أمتك؟ فقال: «إِنَّهُمْ غَرَّاءُ مَحْجُولُونَ مِنْ أَثْرِ الْوَضْوءِ»

وأجاب: بأن الأشخاص التي رآها في الأفق لا يدرك منها إلا الكثرة من غير تمييز لأعيانهم، وأما في حديث أبي هريرة: فمحمول على ما إذا قربوا منه، وؤدب أن ذلك يقع عند ورودهم عليه الحوض.(1)

قوله: «قَبْيِلَ لَي هَذَا مُوسَى وَقُوْمُهُ» أي: نبي الله موسى عليه السلام,

وقومه الذين اتبعوه، ومنه: فضيلة موسى عليه السلام، وكثرة أتباعه.

قوله: «وَلَكِنْ أَنْظَرْ إِلَى الْأُقْلَى، تَـتَـتَلُّرُ إِذَا سَوَادَ عَظِيمٌ» قَبْيِلَ لَيَ آنْظَرْ

إِلَى الْأُقْلَى الآخر، فإِذَا سَوَادَ عَظِيمٌ: قَبْيِلَ لَيَ آتْمَكَ. وفي لفظ أحمد:

فَرَأَيْتَ أُميَّ قَدْ مَلَأْوَ السَّهْلِ والجَـلِيل، فَأَعْجَبَكَ كُنْتُهُم وَهُبِتُهُم: قَبْيِلَ: أَرْضَيْتَ يَا مُحَمَّدَ؟ قَلْتُ: نَمَّيْ يَا رَبِّ.

(1) الفتح (11) 48/8/11 (باختصار)
قوله: «وَمَعَهُمْ سَبعمُونَ أَلفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِجَنَّةٍ وَلاَ عَذَابٍ»
أي: لفضلهم وتحقيقهم التوحيد.
وقوله: «هَذِهِ أَمُتٌ كَ، وَمَعَهُمْ سَبعمُونَ أَلفًا» ظاهره أن السبعين زائدة على المرئي، والصحيح أنها منها، لقوله في رواية البخاري "هذى أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا" وفي الحديث الآخر: "أدخل الجنة من لا حساب عليه من أمتك"(1).
وقال الحافظ ابن حجر: المراد بالمعمولة المعنوية، فإن السبعين ألفًا المذكورين من جملة أمته، لكن لم يكونوا في الذين عضوا إذ ذلك، فأراد الزيادة في تكرير أمته بإضافة السبعين ألفًا إليها (2).
وما قاله غير ظاهر، والله أعلم (3).
وروى الإمام أحمد والبيهقي في "البخار" الحديث عن أبي هريرة وزاد قال: "فالستورت ربي، فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا".
قال الحافظ: وإسناده جيد (4).
وعن أبي أمية مرفوعًا: "وعدنى ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا، مع كل ألف سبعين ألفًا، لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حاليات من حجيات ربي" (5).
و عن سهل بن سعد: إن رسول الله ﷺ قال: "ليدخلن الجنة من (6).
(1) شرح النووي (9/694)، والأبي (1/238).
(2) "الفتح" (11/404)، وانظر شرح مسلم (9/694).
(3) وانظر "تيسير التواريخ" (ص 10).
(4) "الفتح" (11/410).
(5) روآه البخاري (2/437)، وأحمد (5/268) وابن حبان وصحبه الأثنيان.
أمتى سبعون ألفاً أو سبعمائة ألفاً لا يدري أبو حازم أيهما قال. متماسكون
أخذ بعضهم بعضًا، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرون، ووجههم على
صورة القمر ليلة القدر.(1)

قوله: "ثمن نفثك" أي: قام من المجلس.
قوله: "فِحْضَانِ النَّاسِ فِي أُولِيّكِ" أي: تكلموا وتناطروا. وفي هذا:
إباحة المناظرة في العلم، والباحثة في نصوص الشريعة على جهة الاستفادة
и إظهار الحق، والله أعلم. أفاده النووي.

وفيه: حرص السلف على الخير، وعمق علمهم وفقهم.
قوله: "قلُّلِمَنْذِلِينَ ضَبحُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ" في فضل الصحابة،
ودرجتها العالية في الإسلام، وأن ذلك متقرر عند السلف، بخلاف الرافضة
والخوارج، المشككون في الصحابة وعدالتهم، وتزاغهم وفضلهم عند الله
 تعالى.

قوله: "وَقَالَ بَعْضُهُمْ قَلُّلَمَنْذِلِينَ وَلَدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَنْتَفَكُوا
بِاللَّهِ" فيه: فضل التوحيد، وما يكفر من السيئات، ويرفع من الدرجات.
قوله: "لُمْ الْذِّيْنَ لَا يَزْتَرَفُونَ، وَلَا يُسْتَرَفُونَ" وفي الرواية المتتفقة عليها
الذين لا يتركون، دون زيادة: "ولا يركون" وقد أنكر شيخ الإسلام ابن
(1) رواه مسلم (3/92) بشرح النووي، ونحوه عن أبي هريرة ﷺ، وقال: معنى
متماسكون: ممسك بعضهم بيد بعض، ويدخلون معترين صفاً واحدًا بعضهم بجانب
بعض، وهذا تصرح معظم سعة باب الجنة، نسأل الله الكريم رضاه، والجنة لنا
ولاحمرا ولسائر المسلمين.
شرح كتاب الإيمان من مختصر صحيح مسلم

تيميّة هذه الرواية، وأنه وهم من الراوي؛ لأن الرأي يُعيّن إلى الذي يرقّه، كيف يكون ذلك مطلب الشرك؟

وأيضاً: فقد رأى جرير النبي ﷺ، ورقي النبي ﷺ أصحابه وأئذن لهم في الرقى لما سئل عنها، فقال: «من استطاع منكم أن ينعّ أخاه فليفعل».

وقال: «لا يأس بالرقى، ما لم تكن شركًا»، رواهما مسلم.

قال: والفرق بين الرأي والمسترقي: أن المسترقي سائل مبتعد ملتفت إلى غير الله يقبله، والراقي محسن.

قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا بضم التوكل، فلا يسألون غيرهم أن يرقّهم، ولا يكشفهم، ولا يتطاولون. وكذا قال ابن القيم (1)

وأيضاً: فإن الرقى بأسماء الله تعالى؛ تقتضي التوكل عليه، والاتجاه إليه، والرغبة فيما عنه، والترك بأسمائه، فلو كان ذلك قادحًا في التوكل لقبح الدعاء، إذ لا فرق بين الذكر والدعاء، وقد رقي النبي ﷺ ورقي، وفعله السلف والخلف، فلو كان منداً من اللحاق بالسبعين أو قادحًا في التوكل، لم يقع من هؤلاء، وفيه من هو أعلم وأفضل ممن عدائم (2).

قوله: «وَلَا يَنطِبُوْنَ» أي: لا ينطرون بالطبور ونحوه، فكان الناس في الجاهلية إذا أرادوا أمرًا، فإن رأوا الطير مثله طار بيمه؛ تباهوا به، وإن طار يسره نشأعوا، فنفاه الشروق وأبطله، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر، قال تعالى: «وَلَا إِنَّمَا طَيْرُهُمْ عِندَ رَبِّكُمْ وَلَكِنَّ أَصْحَابُهُمْ لَا يُعْلَمُونَ» (الاعراف).

(1) انظر «تفسير المعزز» (ص 810)، واعتراض الحافظ ابن حجر في «الفتح» (11/11)، و«الفتح» (109/11).

(2) «الفتح» (109/11).
وقال ﷺ: "لا عدوى، ولا طبرة، ولا هامة، ولا صفر" متفق عليه.
وفي حديث معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ: ومنا أنس
يلطيرون، فقال: "ذاك شيء يبهد أحدكم في نفسه، فلا يصدقكم" رواه
مسلم. أي: لا يمنعكم من حاجتكم، بل توكلونا على الله تعالى، وعلقوا
قلوبكم به، ثقةً واعتمادًا، وهي صفة أهل الإيمان والتوكل.

كما قال في هذا الحديث: "وَعَلِيْهِ رَبَّهُمْ يُتَوَكَّلُونَ" أي: الأصل
الجامع الذي تفرعت منه هذه الأفعال هو التوكل على الله، وصدق الاتجاه
إليه، والاعتماد بالقلب عليه، وهو خلاصة التوحيد، ونهاية التحقق
لمقامه، والذي يشر كل مقام شريف، من الحب والخوف والرجاء
والرضى به وراماً وإلهامًا، وبضيائه، بل ربما أوصل العبد إلى الطهذة بالبلاء،
وعده من النعمة، فسحاب من يتفضل على من يشاء بما شاء، والله ذو
الفضل العظيم.

واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصّكًا، كما
يتشبه الجهلة، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر نفي ضروري، لا
انفكاك لأحد عنه حتى الحيونان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم
الأسباب، كما قال تعالى: "وَمَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى أَلَٰهِهِ فَهُوَ أَصْلَحٌ حَسَنٌ ۛ." [الطلاق: 4].

أي: كافية إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروة مع حاجتهم إليها
توكلًا على الله، كالاستسقاء والاكتفاء، فتركهم له ليس لكونه سببًا لكن
لكونه سببًا مكروهًا، لاسيما والمريض ييشبه بما يظنه سببًا لشفائه بخط
العنكبوت.

(1) انظر تيسير العزيز (ص 111).
أما نفس مباشرة الأسباب، والتدوين على وجه لا كراملة فيه، فغير قابل في التوكل، فلا يكون تركه مشروعا، كما في الصحيحين: عن أبي هريرة مرفوعا: «ما أنزل الله من داء، إلا أنزل له شفاء».


وقد اختلف العلماء في التدوين، هل هو مباح وتركه أفضل، أو مستحب أو واجب؟ والراجح أنه مستحب للحديث السابق وما في معناه، وهو مذهب الجمهور من السلف والخلف، وأوجه طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد (2).

وورد في رواية الشيخين: «ولا يكتون» أي: لا يسألون غيرهم أن يكوهم، كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم استسلاما لقضاء الله تعالى، وتلذذًا بالبلاء.

أما «اللكي» في نفسه ففائز، كما في الصحيح: عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طلبا، ف髑وه له عرقا، وكواه.

وفي «صحيح البخاري»: عن أنس أنه كوى من ذات الجل، والنبي ﷺ حي.

وعنه أيضًا: أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة (3).

(1) المصدر السابق.
(2) المصدر السابق، وانظر شرح النووي (3/91/3)، وحديث أسامة: رواه أحمد (278/4).
(3) رواه الترمذي (214/40) وهو صحيح.
وفي "صحيح البخاري": عن ابن عباس مرفوعًا: "الشفاء في ثلاث:
شربة عسل، وشرطة محجوم، وكية نار، وأنا أنهي عن الكي.
وفي لفظ: "وما أحب أن أكنو".
قال ابن القيم: فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع: أحدها:
فعله، والثاني: عدم محبته له، والثالث: الشفاء على من تركه، والرابع: النهي
 عنه، ولا تعارض بينهما بحمد الله. فإن فعله له يدل على جوازه، وعدم
محبه له، بل يدل على المنع منه، وأنا النهاء على تاركيه، فدل على أن
تركه أولى وأفضل، وأنا النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهية(1).
وقوله: "فلقت عاملاً بين محسن عكاشة: بضم العين وتشديد الكاف،
ويجوز تخفيفها، ومحصن بكسر العين وسكون الحاء وفتح الصاد الأسدي،
من السابقين إلى الإسلام، ومن أجمل الرجال، هاجر وشهد بدرًا وقاتل
فيها، ومناقبه مشهورة، استشهد في قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد بيدي
طليحة الأسدي، سنة الثني عشرة. ثم أسلم طليحة بعد ذلك.
وقوله: "إذن الله أن يجعلني منهم، فقال: "أنت من همَّ" وفي رواية
البخاري: "اللهم إجعلهم منهم". وفيه: التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي.
وقوله: "ثم قام رجل آخر فقال: إذن الله أن يجعلني منهم، فقال:
"سبقك بها عكاشة" لم يذكر الراوي اسمه، ولم يورد بيان اسمه في شيء
من الروايات الصحيحة.
وقوله: "سببقك بها عكاشة" قال ابن بطال: مبني "سببقك" أي: سبقك
إلى إحراز هذه الصفات، وهي التوكل، وعدم التطهير، وما ذكر معه، وعدل
(1) نقلًا من "تسير العيزر الحميد" (ص: 11).
شرح صنعاء الإيمان من مختصر صحيح مسلم

عن قوله: لست منهم، أو لست على أخلاقيهم، تلطفًا بأصحابه، وحسن أدب معهم.

وقال القراطبي: لم يكن عند الثاني من الأحوال، ما كان عند عكاشة.
فلذلك لم يجه، فإذا أجابه لجاز أن يطلب ذلك كل من كان حاضرًا، فيتسلل الأمر، فسَّدّ الباب بقوله ذلك، وهذا أولى من قول من قال: كان منافقًا لوجهين: أحدهما: أن الأصل في الصحابة عدم النفاق، فلا يثبت ما يخالف ذلك إلا ينقل صحيح.

والثاني: أنه مل أن يصدد مثل هذا السؤال إلا عن قصد صحيح وقين بتصديق الرسول ﷺ، وكيف يصدر ذلك عن منافق؟ وإليه مال شيخ الإسلام.

وفي أيضًا: استعمال المعنيض، وحسن خلقه مع أصحابه.
باب: قول النبي ﷺ:

"إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة"

(102) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كنا مع رسل الله ﷺ في قِبَّةٍ نخوَّا من أربعين رجلاً، فقال: «أَرَضِصْنُونَ أن نَكُونَنَا نَصِيفَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قَالَ: فَلَنَا نَعْمَم. قَالَ: «أَرَضِصْنُونَ أن نَكُونَنَا نَصِيفَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» فَلَنَا نَعْمَم. فَقَالَ: وَالَّذِي نَعْمَم مَعَهُمْ بَيْنِي إِنَّى لأَرْجُو أَن نَكُونَنَا نَصِيفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ إِنَّ أُجُدَّةٍ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَصِيفٌ مَّسِيلَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أُجُدَّةِ الشَّرَكِ، إِلَّا كَالْشَّعَرَةِ الْأَبْيَضَاءِ فِي جَلْدِ النَّوْرِ الأَشْبَل، أَوَّالْشَعَرَةِ السَّوْءَاءِ فِي جَلْدِ النَّوْرِ الأُحْمِرِ.

5. الشرح:

الحديث رواه مسلم في الإيمان، وبوَّب على النووي (3/95): باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة.

فوله: "كَنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قِبَّةٍ" القبلة من الخيام، وهي بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب.


وأما قوله: "ربع أهل الجنة" فنثر "ثلث أهل الجنة" ثم النشر أو النصف، ولم يقل أولاً نصف أهل الجنة، فلفائدة حسنة، وهي أن ذلك
وافق في نفوسهم، وأبلغ في إكرامهم، فإن إعطاء الإنسان مرة بعد مرة، دليل على الاعتناء به، ودوام ملاحظته.

وفيما نذكره أخرى: وهي تكرير البشارة مرة بعد أخرى، وفيه أيضًا: حملهم على تجديد شكر الله تعالى، وتكبيره وحده على كثرة نعمة، والله

أعلم.

ويحتم أن أوحي إليه مرة بعد مرة.

وأيضًا: فإن قال هنوا: إني لأرجو أن تكونوا نصيًا أهل الجنة وثبت في الحديث الآخر الصحيح قوله: أهل الجنة عشرون ومائة صفد، ثم مئات من هم من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم.

فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة، فيكون النبي أخر أولا بحديث الشطر، ثم تفضل الله سباحته بالزيادة فأعلم بحديث الصنف، فأذكر به النبي بعد ذلك، وللهذا نزائر كبيرة في الحديث معروفة، كما تفضل صلاة المنفرد بسح وعشرين درجة وخمس وعشرين درجة على إحدى التأويلات.

وقوله: إني لأرجو، هذا المرجح محترق الحصول، لقوله تعالى:

وَسَوْفُ يُعِظُّكُ رَبُّكُ فَاتَّسَرِقْ؟[الصبي]، وحديث: إني سترضيك في أمرك(1)، وإنما قال الله: لأرجو أدي وأوقف مع العبودية؛ لأن تجدته

(1) انظر شرح مسلم (395) للدنوري.
(2) رواه أحمد (5847)، والترمذي (355، 736، 361)، وهو صحيح، وابن ماجه (4289).
(3) ابن حبان (7426) وغيرهم من حديث صبيان بن بريدة عن أبيه مرفوعًا.
(4) رواه مسلم (96) للدنوري.
(5) قد مرّ شرح الحديث.
شرح حديث الإيمان من مختصر صحيح مسلم

بهدى لا يكون إلا عن دليل قطعي أو كالقطعي.

وإنما عبر بالرجزة لتباين الكل الناس، والله أعلم (1).

قوله: "وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يُدْخِلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ" وهذا نص صريح في أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً، وهو إجماع المسلمين، قال تعالى: 

فَإِنَّهُمْ مِنْ شَرِّكَ يَأْتِيَهُمْ فَيُغْفِرْنَ لَهُمْ غَفُورٌ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَنتَ مِنَ الْمُتَّلِهِمْ مِنْ أَصَابِعِ الرُّجُومِ {المائدة}.

وقال سبحانه: 

فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرْ لَهُمْ غَفُورًا وَتُوبَتْ عَنْهُمْ فَإِنَّمَا أَذَاعَهُمْ أَنَّا لَنَمْكُرُ وَهُمْ لَهُمْ مَعَظِمُ الْمُجْرِمِينَ {الأعراف}.

وغيرها من الأدلة الكبيرة، وقد مر الكلام على هذا.

قوله: "وَمَا أَنْتَ مِنِّكَ أُمَّةٌ فِي أَهْلِ الْشَّرْكِ إِلَّا كَالْشَّرْكَةُ الْبَيْضَاءِ فِي جِبَلِ الْقُوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالْشَّرْكَةُ السَّوْدَاءِ فِي جِبَلِ الْقُوْرِ الْاَحْمِرِ" وفي رواية "ما المسلمون في الكفرين، كشيعة بيضاء في هضبة أسود أو كالشيعة. .ووالشك من الرواي، وفي رواية: "كالرقمة في ذراع الحمار" والرقمة: الأثر في باطن ذراعه.

فإن قيل: إذا كانوا كالشيعة المذكورة، فكيف يكونون الشطر؟!

قيل: لا تستبعدوا كونهم الشطر مع أنهم كالشيعة المذكورة؛ لأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وهم من المؤمنين الشطر.

وفيه: فئة أهل الإيمان إلى أهل الكفرين، كما قال تعالى: 

(1) انظر شرح الأبي (٦٤١/١).
لا ينفي بعد هذا أن يغتَّر أحد بالكثرة.

ورحم الله من قال:

اسألِ سَبِيلَ الْهَدِى ولا تَنِسْهُ قَلْبَةُ السَّالِكِينَ
واحْدِر طَرِيقَ السَّرِّدِ ولا تَغْتَسِل بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ
باب: في قوله ﷺ: أخرج بعرض النار من بكل له
تسعائة وتسعة وتسعير


الشرح:

الحدث رواه مسلم في الإيمان، وهو في الباب السابق.

قوله ﷺ: «يقول الله ﷺ: يا أدم!» وهذا كان يوم القيامة، إذ يخطب الله تعالى نبي الله ﷺ بذلك.
شرح حديث الإيمان من مختصر صحيح مسلم

وهو من الأدلة الكبيرة لأهل السنة على إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأن الله ﷺ متكلم بكلام قديم النوع، حديث الآحاد.

وأنه لم يزل يتكلم ولا يزال، إذا شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت، يسمعه من شاء من خلقه، سمعه موسى ﷺ لما كله من غير واسطة، وسمعه الملائكة، ويخاطب رسله والمؤمنين في الآخرة ويخاطبهم.

ومن الآدة على هذه الصفة من القرآن: قوله ﷺ: ﴿وَمِنَ الْقَبْلَىَّ﴾ (النساء: 104)، وقال ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ ابْنُ يَبْيَضِيْسَىٰ إِنِّي مُّرَءٌ﴾ (المائدة: 110).

وقال ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ لَيَبِينَتْنَا وَكُلُّ مَا رَبِّكَ﴾ (المائدة: 183)، وقال ﷺ: ﴿وَرَأَىٰ نَادَىٰ رَبِّهِ مُوسَىٰ﴾ (الشعراء: 10)، وقال ﷺ: ﴿فَدَّارَسْنِي ﻟَعَلِيٰهُمْ ﻓَيَقُولُ ﻣَاتٌ أَبْجُدُهُ﴾ (الكسرون: 12) وغيرها كثير.

ومن السنة: قوله ﷺ: ﴿ما منكم من أحد إلا سبق له، ليس بيه وببيه ترجمان، متفق عليه.


قوله: ﴿وَأَخْرَجَ بَعْثَ الْبَيْنَ﴾ البهت: هناء: بمعنى السبوع الموجه إليها.

وعمناه: ميز أهل النار من غيرهم، وخص آدم ﷺ بذلك؛ لأنه أب الجمع، أو لأنه يعرفهم، لأنه كانت تعرض عليه نسهم، كما جاء في حديث الإسراء (1).

(1) قديم النوع: أي هي صفة له منذ الأول، حديث الآحاد: أي لا يزل يتكلم كما يشاء، حتى شاء.

(2) شرح النووي (76/3)، والأبي (643/1).

قوله: «فَذَالِكَ جَنَّ يُشَبِّهُ الصَّبْرُ»، وَصَبْرُ سَكَرَةٍ وَمَا هُمَّ سَكَرَةٌ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَرِيبٌ.» ومعناه موافقة الآية في قوله تعالى: "وَبَنَيَّتَهُ آتُوهُ رَيْبًا لَّا تَرِي بِنَزْلَةَ السَّجْدَةَ" (الحج).

وقوله تعالى: "فَكَيْفَ نُسْتَقُونَ إِن كَرَّرْتِ يُؤْمِنُ الْوَلَدُ أَنْ يَشَابَ" (الزمر).

وقد اختلف العلماء في وقت وضع كل ذات حمل حملها وغيره من المذكور، فقيل: عند زوال الصالحة قبل خروجهما من الدنيا، وقيل: هو يوم القيامة. فعلى الأول هو على ظاهره، وعلى الثاني يكون مجازًا، لأن القيامة ليس فيها حمل ولا ولادة. وتقديره أنه ينفيه بالأحوال والشدايد، إلى أنه لو تصورت الحاوتي هناك، لوضع حملهن، كما تقول العرب: أصابنا أمر يشببه منه الولب، يريدون شدته، والله أعلم.

قوله: «فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: يَا رَسُولُ اللَّهِ أَيْنَ ذَلِكَ الْرَّجُلُ؟»

فهموا أن ذلك بالنسبة إلى كل أمة، أي: النبي، من كل أمة، واحد من ألف، فقالوا: وأين ذاك الواحد؟ فبشرهم بأنه ليس المراد، وإنما المراد قلة أهل الجنة بالنسبة إلى أهل النار من بني آدم، لا من كل أهلها، أي أن النسبة المذكورة، إنما هي في نوع الإنسان.

ثم إن أريد بأجوج ومجوج فقط، فأهل الجنة في أهل النار منهم عشر عشر، وإن أريد بها بأجوج ومجوج ومن شاركهما، فالنسبة أدنى بأضعاف.

(1) انظر شرح النووي (97/2).
(2) المصدر السابق.
وأما نسبة الأمة من بني آدم، فتقدم أنها كالشعراء المذكورة((1)).
قوله: "قل إن من يأخو ج ومأخو ج أئفة، ومنكم زجل ياجوج وماجوج آمة عظيمة في الكثرة والبطش، فالمفتش يدل عليها قوله: "حوى إذا فِيَحَت ماجوج ومأخو ج ومهم من سكالي حيوراً بني سلوى" (الأنبياء).
وحديث: "يَمْرُ أُولهم ببحيرة طريقة في شربونها، ويمرُ آخرهم يقول: كأن هذه ماء".
والبطش يدل عليه حديث: "يَحْوَى الله إلى عسي القل" أنه قد خرج عبادي لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فهو زجاً في الطور.
وأكثر أهل البيت منهم من ولد بايث بن نوح، أبي الترك، ومساكنهم وراء السد المذكور في سورة الكهف، والله تعالى أعلم بما وضعه.
وحديث نقش في كفرهم، ولم يرد في كفرهم نص غيره، والقرآن إنما أخبر أنهم مفسدون في الأرض، والفساد أعظم من الكفر((2)).
ويمكن أن ي.listeners على كفرهم أيضًا: بحدث: خروجهم في آخر الزمان وأنهم يقولون إذا خرجوا: "قلنا من في الأرض، فهم نقلن من في السماء؟ فنمون نشأنهم نفرج إليهم مخصصة دمًا، فتنا لهم"((3)) كما فعل بنمروذ، وهذا كفر ضار((4)).

تم شرح كتاب الإيمان، بعون الكريم المتنان

(1) انظر شرح الأبي ٤٣١/٤٤.
(2) المصدر السابق.
(3) رواه مسلم في الفئن ٢٣٥٣/٤ من حديث النواس بن سمعان.
(4) شرح السنوسي بباحشية شرح الأبي ٤٤/٣٤٧.
فهرس المحتويات

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المقدمة</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>ترجمة الإمام مسلم</td>
<td>11</td>
</tr>
<tr>
<td>ترجمة الحافظ المندزي، مختصر «الصحيح»</td>
<td>16</td>
</tr>
<tr>
<td>مقدمة المندزي</td>
<td>19</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: أول الإمام قول لا إله إلا الله</td>
<td>21</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله</td>
<td>42</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من قتل رجلًا من الكفار بعد أن قال: لا إله إلا الله</td>
<td>48</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من لقي الله تعالى بالإيمان غير شك فيه دخل الجنة</td>
<td>56</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الإيمان ما هو؟ وبيان خصائصه</td>
<td>89</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الإيمان جزء من أفضل الأعمال</td>
<td>95</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: في الأمر بالإيمان والاستعادة بالله عند وسوسة الشيطان</td>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: في الإيمان بالله والاستقامة</td>
<td>105</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: في آيات النبي ﷺ والإيمان به</td>
<td>110</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان</td>
<td>120</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً</td>
<td>128</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا</td>
<td>130</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: مثل المؤمن كالأزرع، مثل المنافق والكافر كالأرزة</td>
<td>134</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: النجاه من الإيمان</td>
<td>139</td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>الصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>----------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من الإيمان حسن الجوار وإكرام الضيف</td>
<td>147</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوايتة</td>
<td>152</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من الإيمان تغيير المتك باليد واللسان والقلب</td>
<td>154</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا يحب علية إلا مؤمن ولا يغضه إلا منافق</td>
<td>166</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: آية الإيمان جلب الأنصار وبغضهم آية النفاق</td>
<td>168</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إن الإيمان ليأزر إلى المدينة</td>
<td>170</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الإيمان يبان وحكمته بعانية</td>
<td>172</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من لم يؤمن لم ينعه عمل صالح</td>
<td>177</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن</td>
<td>183</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا يبلغ المؤمن من حجر مرتين</td>
<td>188</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: أكبر الكبار الشرك بالله</td>
<td>193</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا تزعموا بعدي فئارا فضرين بعضاً بعضاً</td>
<td>203</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من رغب أبيه فهو كفر</td>
<td>206</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من قال لأخاه كافر</td>
<td>210</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: أي الذنب أكبر</td>
<td>215</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من مات لا يشرك بإله شريكًا داخل الجنة</td>
<td>221</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثل ملته من كبد</td>
<td>228</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الطعن في الناس والتشاء من المكفر</td>
<td>232</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من قال مطرزا بالأنواء فهو كافر</td>
<td>235</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إذا ألقى الكبد فهو كفر</td>
<td>240</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إنما ولبي الله وصالح المؤمنين</td>
<td>247</td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>الصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>------</td>
<td>-------</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في</td>
<td>252</td>
</tr>
<tr>
<td>الدنيا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الإسلام ما هو؟ وبيان خصائصه</td>
<td>258</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: يبني الإسلام على خمس</td>
<td>265</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: أي الإسلام خير؟</td>
<td>271</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الإسلام يهدي ما قبله والحج والهجرة</td>
<td>274</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من أحسن في الإسلام فلما يؤذن بما عمل في الجاهلية</td>
<td>282</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: بنيت المسلم صوقة وفتحت كفر</td>
<td>285</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتبه عرش أمتاليها</td>
<td>288</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: المسلم من سلم المسلمين منه</td>
<td>297</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: من عمل يرأي في الجاهلية ثم أسلم</td>
<td>302</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: التحذير من الابتلاء</td>
<td>306</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: بدأ الإسلام غربا وسبعد غربا كما بدأ وهو ياورز بين الصليبيين</td>
<td>310</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوقى</td>
<td>315</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: في كتة الوحي وتباعه</td>
<td>334</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات وتتبرع الصلاوات</td>
<td>335</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: ذكر النبي ﷺ الأنباء عليهم السلام</td>
<td>345</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: في ذكر النبي ﷺ المسح والبدائل</td>
<td>353</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: صلى النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام</td>
<td>356</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: انتهاء النبي ﷺ إلى سورة المنتمى في الإسراء</td>
<td>361</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: في قوله تعالى: &quot;فأكل قلب جبريل أوراقي&quot;</td>
<td>365</td>
</tr>
<tr>
<td>باب: في رؤية الله ﷺ</td>
<td>369</td>
</tr>
</tbody>
</table>
شرح مختصر صحيح مسلم

الموضوع

باب: خروج الموحدين من النار

باب: قول النبي ﷺ: "آنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنباء تبعًا"

باب: استفتح النبي ﷺ باب الجنة

باب: قول النبي ﷺ: "كل نبي دعوة مستجابة"

باب: دعاء النبي ﷺ لأمه

باب: في قوله ﷺ: "وأنازِ عَشِيرِيَكَ الأُمْرُوتَ"؟

باب: ما نفع النبي ﷺ أبا طالب

باب: قول النبي ﷺ: "أدخل الجنة من أمه سبعون ألفًا بغير حساب"

باب: قول النبي ﷺ: "أنا لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة"

باب: في قوله ﷺ: "لا أخرج بعد النار من كل ألف تسعماة وتسعة"
محمد